جنة السنة

تفسير القرآن

للإمام العلامة شيخ الإسلام حجة أهل السنة والجماعة

أبي المظفر السمعاني

منصور بن محمد بن عبد الجبار التميمي المروزي الشافعي السلفي

(٤٢٦ ~ ٤٨٩)

المجلد الثالث

من يوسف إلى النور

تحقيق

أبي بلال غنيم بن عباس بن غنيم

دار الوطن
الرياض - شارع المعذر - ص.ب: ٣٣١٠
☎ ٤٧٩٢٠٤٢ - فاكس: ٤٧٦٤٦٥٩

جنة السنة

تفسير القرآن

جنة السنة

جنة السنة

بسم الله الرحمن الرحيم

جنة السنة

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة يوسف

وهى مكية باتفاق القراء، وفى الأخبار: أن الله تعالى أنزل ما أنزل من القرآن فقرأه المسلمون مدة، ثم قالوا: يارسول الله، لوقصصت علينا؛ فأنزل الله تعالى هذه السورة، وفيها: ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص﴾[١] ثم قالوا بعد ذلك: لوحدثتنا يارسول الله، فأنزل ﴿الله نزل أحسن الحديث﴾[٢]، ثم قالوا: (لو ذكرتنا)[٣] يارسول الله، فأنزل الله تعالى: ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله﴾[٤] كل ذلك يحيلهم على القرآن.

وعن خالد بن معدان أنه قال: سورة يوسف وسورة مريم يتفكه (بهما)[٥] أهل الجنة فى الجنة.

وروى أبو هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم - عليهم السلام - ولولبثت فى السجن مالبث يوسف ثم دعيت إلى مادعى إليه لأجبت»[٦] - وعنى ﷺ حين دعاه الملك من السجن. والخبر صحيح.

(١) يوسف: ٣.

(٢) الزمر: ٢٣

(٣) فى «ك»: ذكرنا.

(٤) الحديد: ١٦.

(٥) فى «ك»: بهم.

(٦) هما حديثان، الأول منه حتى قوله: ولو لبثت ..» رواه الترمذى (٥/ ٢٧٣ - ٢٧٤ رقم ٣١١٦) وحسنه، وأحمد (٢/ ٣٣٢، ٤١٦)، وابن حبان - الإحسان - (١٣/ ٩٢/رقم ٥٧٧٦)، والحاكم (٢/ ٥٧٠ - ٥٧١) وصححه على شرط مسلم. والحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة أيضًا بمعناه، رواه البخارى (٦/ ٤٤٦ رقم ٣٣٥٣)، ومسلم (١٥/ ١٩٤/رقم ٢٣٧٨)، وأما الشطر الثانى منه من أول قوله: ولو لبثت فى السجن .. إلخ. فهو متفق عليه من حديث أبى هريرة أيضًا، رواه البخارى (٦/ ٤٨١ - ٤٨٢ رقم٣٣٨٧)، ومسلم (١٥/ ١٧٩ رقم ١٥٢).

جنة السنة

الٓر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ

قوله تعالى: ﴿ الٓر ﴾ معناه: أنا الله أرى؛ وقد بيَّنا من قبل سوى هذا من المعنى فى معنى [الحروف][1] المقطعة، فلا نعيد.

وقوله: ﴿ تلك آيات الكتاب المبين ﴾ يعنى: هذه الآيات التى أنزلتها عليك هى تلك الآيات التى وعدت إنزالها فى التوراة والإنجيل. وقوله: ﴿ المبين ﴾ معناه: البين حلاله وحرامه. وقيل: البين رشده وغيه.

قوله تعالى: ﴿ إنا أنزلناه قرآنا عربيا ﴾ أكثر المفسرين على أن المراد منه: إنا أنزلنا القرآن عربيا. وفى مسانيد ابن عباس رضى الله عنهما، عن النبى ﷺ أنه قال: «أحبوا العرب لثلاث: لأنى عربى، والقرآن عربى، وكلام أهل الجنة بالعربية»[2]. وقوله ﴿ لعلكم تعقلون ﴾ أى: تفهمون.

قوله تعالى: ﴿ نحن نقص عليك أحسن القصص ﴾ قال أهل التفسير: معناه: نحن نبين لك أخبار الأمم السالفة والقرون الماضية أحسن البيان؛ والقاص: هو الذى يأتى بالخبر على وجهه. وقيل: إن المراد من الآية قصة يوسف خاصة؛ سماها أحسن القصص لزيادة التشريف. (وقيل)[3]: أعجب القصص. وقيل: أحكم القصص. والأول هو القول المشهور. وحُكىَ عن ابن عطاء أنه قال: لايسمع سورة يوسف محزون إلا استروح إليها.

---

(١) فى «الأصل وك»: حروف،

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير (١١/ ١٨٥ رقم١١٤٤١)، وفى الأوسط كما فى مجمع البحرين (٧/ ٣٦ رقم٣٩٩٠) والعقيلى فى الضعفاء (٣/ ٣٤٨) وقال: منكر لا أصل له. والحاكم (٤/ ٨٧) وصححه، فتعقبه الذهبى فى التلخيص وقال: يحيى ضعفه أحمد وغيره، وهو من رواية العلاء بن عمرو الحنفى، وليس بعمدة، وأما أبو الفضل فمتهم، وأظن الحديث موضوعاً. ورواه تمام الرازى فى الفوائد (١/ ٦١/رقم ١٣٤)، وابن الجوزى فى الموضوعات (٢/ ٤١) وقال أبو حاتم، كما فى العلل لابنه (٢/ ٣٧٦): هذا حديث كذب.

(٣) ليست فى «ك».

جنة السنة

﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ

وقوله: ﴿ بما أوحينا إليك هذا القرآن ﴾ معناه: بوحينا إليك هذا القرآن. وقوله: ﴿ وإن كنت من قبله لمن الغافلين ﴾ أى: لمن الساهين عن هذه القصة وغيرها.

قوله تعالى: ﴿ إذ قال يوسف لأبيه ﴾ معناه: اذكر إذ قال يوسف لأبيه: ﴿ ياأبت ﴾ قرئ بقراءتين: « يا أبتَ » و « يا أبتِ » بالكسر والفتح؛ أما بالكسر فالأصل: « يا أبتى » ثم حذف الياء واجتزئ بالكسرة. وأما بالفتح: فالأصل: « يا أبتا » ثم أسقط الألف واكتفى بالنصب. قال الأعشى:

فيا أبتا لاتزل عندنا فإنا نخاف بأن نُخْترم

وقوله: ﴿ إنى رأيت أحد عشر كوكبًا ﴾ فى القصة: أن يوسف كان له اثنتا عشرة سنة حين رأى هذه الرؤيا. وقد قيل غير ذلك، والله أعلم. ورُوِىَ (أنه رأى هذه)[1] الرؤيا ليلة الجمعة ليلة القدر. وقوله: ﴿ أحد عشر كوكبا ﴾ يعنى: أحد عشر نجما من نجوم السماء، وكان المراد منها إخوته، وكانوا أحد عشر رجلا، يستضاء بهم كما يستضاء بالكواكب. وقوله ﴿ والشمس والقمر ﴾ تأويل الشمس: أبوه، وتأويل القمر: أمه. هكذا قال قتادة وغيره. وقال بعضهم: كانت أمه فى الموتى، وهذه خالته راحيل. وقال ابن جريج: القمر: أبوه، والشمس: أمه؛ لأن الشمس مؤنثة، والقمر مذكر. وقوله: ﴿ رأيتهم لى ساجدين ﴾ قال بعضهم: عندى ساجدين لله. والأصح: أنهم سجدوا له تحية وكرامة. فإن قال قائل: (قد قال)[2]: ﴿ ساجدين ﴾ ولم يقل « ساجدات » وحق العربية فى النجوم أن يقال: « ساجدات ».

الجواب: أن الله تعالى لما أخبر عنهم بفعل مَن يعقل وهو السجود ألحقهم بمن يعقل فى إعراب الكلام فقال: ساجدين، ولم يقل: « ساجدات » بهذا.

---

(١) فى « ك »: أن هذه.

(٢) ليست فى « ك ».

جنة السنة

الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا

وقوله تعالى: ﴿قال يابني لاتقصص رؤياك على إخوتك﴾ قال أهل التفسير: إن رؤيا الأنبياء وحى، فعلم يعقوب أن الإخوة لو سمعوا (بهذه)[1] الرؤيا عرفوا أنها حق فيحسدونه (فأمره بالكتمان)[2] لهذا المعنى. وقوله: ﴿فيكيدوا لك كيدا﴾ معناه: فيحتالوا لك حيلة. ﴿إن الشيطان للإنسان عدو مبين﴾ ومعناه: إن الشيطان يزين لهم ذلك ويحملهم عليه لعداوته. للعداوة القديمة .

قوله تعالى ﴿وكذلك يجتبيك ربك﴾ معناه: وكما رفع منزلتك وأراك هذه الرؤيا فكذلك يجتبيك أى: يصطفيك ربك. ﴿ويعلمك من تأويل الأحاديث﴾ تأويل [ماتؤول إليه عاقبة أمره][3]. وأكثر المفسرين على أن المراد من هذا علم التعبير وماتؤول إليه الرؤيا، قالوا: وكان يوسف أعلم الناس بالرؤيا وأعبرهم لها. وقوله: ﴿ويتم نعمته عليك﴾ يعنى: يجعلك نبيا، وذلك تمام النعمة على الأنبياء ﴿وعلى آل يعقوب﴾ وعلى أولاد يعقوب؛ فإن أولاد يعقوب كلهم كانوا أنبياء. وقوله: ﴿كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق﴾ يعنى: كما جعلهما نبيين من قبل كذلك يجعلك نبيا .

وقوله: ﴿إن ربك عليم حكيم﴾ ظاهر المعنى .

وقد قيل: إن المراد من تمام النعمة على إبراهيم: هو إنجاؤه من النار، والمراد من تمام النعمة على إسحاق: هو إنجاؤه من الذبح. وهذا قول مشهور. وذكر الحسن البصرى أنه كان بين هذه الرؤيا وبين هذا القول وبين تحقيقها، ثمانون سنة. وذكر عبد الله بن شداد أنه كان بينهما أربعون سنة. وهذا أشهر القولين .

(١) فى «ك»: هذه.

(٢) فى «الأصل»: بأمره فالكتمان. وهو خطأ.

(٣) في «ك»: ما يؤول إليه وعاقبة أمره.

جنة السنة

لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ اقْتُلُوا

قولة تعالى: ﴿لقد كان فى يوسف وإخوته آيات للسائلين﴾ وفى بعض المصاحف: «عبرة للسائلين»، والآيات: جمع الآية؛ والآية: هى الدلالة على أمر عظيم. وفى معنى الآية قولان:

أحدهما: أن اليهود سألوا رسول الله ﷺ عن قصة يوسف - عليه [الصلاة][(١)] السلام - وفى بعض الروايات (أنهم سألوه)[(٢)] عن سبب انتقال ولد يعقوب من كنعان إلى مصر، فذكر لهم قصة يوسف فوجدوها موافقة لما فى التوراة؛ فهذا معنى قوله: ﴿آيات للسائلين﴾ أى: دلالة على نبوة الرسول ﷺ.

والقول الثانى: أن (معنى) قوله: ﴿آيات للسائلين﴾ يعنى: أنها عبر للمعتبرين فإنها تشتمل على ذكر حسد إخوة يوسف له ومآل إليه أمرهم فى الحسد، وتشتمل على ذكر رؤياه وما حقق الله منها، وتشتمل على ما صبر يوسف عن قضاء الشهوة، وعلى العبودية فى السجن، وما آل إليه أمره من الملك، وتشتمل أيضاً على ذكر حزن يعقوب وما آل إليه أمره من الوصول إلى المراد، وذهاب الحزن عنه، وغير هذا مما يذكر فى السورة؛ فهذه عبر للمعتبرين.

قوله: ﴿إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا﴾ الآية، كان يوسف وأخوه بنيامين من أم واحدة، وكان يعقوب شديد الحب ليوسف، وكان إخوة يوسف يرون منه من الميل إليه مالا [يرونه][(٣)] لأنفسهم، فقالوا هذه المقالة. وقوله: ﴿ونحن عصبة﴾ قال الفراء: العصبة هى: العشرة فما زادت. (قال القتيبى)[(٤)] ومن العشرة إلى الأربعين. وقال غيرهما: «ونحن عصبة» أى: جماعة يتعصب بعضنا لبعض. وقوله: ﴿إن أبانا لفى ضلال مبين﴾ معناه: إن أبانا لفى خطأ ظاهر. فإن قال قائل: كيف وصفوا رسولا من رسل الله مثل يعقوب بالضلالة؟

الجواب عنه: ليس (المعنى)[(٥)] من الضلال هاهنا هو الضلال فى الدين، ولو

---

(١) من «ك». (٢) فى «ك»: أنه سألوا.

(٣) من «ك»، وفى «الأصل»: يرونهم.

(٤) فى «ك»: العينى، وهو خطأ. (٥) فى «ك»: المراد.

جنة السنة

يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٩﴾

أرادوه صاروا كفاراً؛ وإنما المراد من الضلال هاهنا: هو الخطأ (في تدبير)[1] أمر الدنيا، وعنوا بذلك: أنَّا أولى بالمحبة في تدبير أمر الدنيا؛ لأنا أنفع له وأكبر من يوسف، ونصلح له أمر معايشه، ونرعى له مواشيه؛ فهو مخطئ من هذا الوجه.

قوله تعالى: ﴿اقتلوا يوسف﴾ القتل: تخريب البنية على وجه لايصح معها وجود الحياة.

وقوله: ﴿أو اطرحوه أرضًا﴾ أى: اطرحوه فى أرض تأكله السباع، وقيل: اطرحوه إلى أرض يبعد عن أبيه ويبعد أبوه عنه. وقوله: ﴿يخل لكم وجه أبيكم﴾ يعنى: يخلص لكم وجه أبيكم. وقوله: ﴿وتكونوا من بعده قوما صالحين﴾ يعنى: توبوا بعد أن فعلتم هذا، ودوموا على الصلاح يعف الله عنكم.

واستدل أهل السنة بهذه الآية على أن توبة القاتل عمداً مقبولة؛ فإن الله تعالى ذكر عزم القتل [منهم][2] وذكر التوبة، ولم ينكر عليهم التوبة بعد القتل؛ دل أنها مقبولة.

قال ابن إسحاق - يعنى: محمد بن إسحاق -: وقد اشتمل فعلهم على جرائم، منها: قطيعة الرحم، وعقوق (الوالد)[3]، وقلة الرأفة بالصغير الطريح الذى لاذنب له، والغدر بالأمانة، وترك العهد بالحفظ، والكذب الذى عزموا عليه مع أبيهم يعقوب عليه الصلاة والسلام، ثم عفا الله عنهم مع هذا كله؛ لئلا ييأس أحد من رحمته. وقال بعض أهل العلم: إنهم عزموا على قتله؛ ولكن الله تعالى حبسهم عن قتله رأفة ورحمة بهم، ولومضوا على قتله لهلكوا أجمعين.

قوله تعالى: ﴿قال قائل منهم﴾ الأكثرون على أن هذا كان يهوذا، وكان أكبرهم

(١) فى «ك»: وتدبير. وهو خطأ.

(٢) فى «الأصل و ك»: عنهم.

(٣) فى «ك»: الوالدين.

جنة السنة

قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ

فى العقل لا أكبرهم فى السن . هذا قول ابن عباس، قال : وكان ابن خالة يوسف . وقال قتادة : هو روبيل .

وقال سفيان بن عيينة : هو شمعون . وأصح الأقوال هو الأول .

وقوله : ﴿ لاتقتلوا يوسف ﴾ أشار عليهم أن لاترتكبوا هذه الكبيرة العظيمة . وقوله ﴿ وألقوه فى غيابة الجب ﴾ يعنى : أسفل الجب، والغيابة : كل موضع ستر عنك الشئ (وغيبه)[١] . قال الشاعر :

بَنِىَّ إذا ما غيبتنى غيابتى ... فسيروا بسيرى فى العشيرة والأهل

وعنى بالغيابة : القبر؛ لأنه يغيب الميت ويستره . والجب : هو البئر التى لم تطو لأنه قطع قطعًا ولم تطو بعد، والجب : هو القطع .

قوله : ﴿ يلتقطه بعض السيارة ﴾ أى : يجده بعض السيارة، والالتقاط : هو أخذ الشئ من حيث لايحتسبه، والسيارة : هم المسافرون . قوله : ﴿ إن كنتم فاعلين ﴾ يعنى : إن عزمتم على فعلكم .

واختلف أهل العلم أنهم كانوا بالغين أو لم يكونوا بالغين حين عزموا على هذا وفعلوا؟

فالأكثرون أنهم كانوا رجالا بالغين، إلا أنهم لم يكونوا أنبياء بعدُ، والدليل عليه : أنهم قالوا : وتكونوا من بعده قومًا صالحين؛ وهذا إنما يستقيم بعد البلوغ ويدل (عليه)[٢] أنهم قالوا : يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين، والصغير لاذنب له، دل أنهم كانوا رجالا .

ومنهم من قال : كانوا صغاراً . وهذا القول غير مرضى . واستدل من قال بهذا القول

---

(١) فى « ك » : وغيب .

(٢) فى « ك » : عليهم .

جنة السنة

فَاعِلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ

بأنهم قالوا: «أرسله معنا غدا نرتع ونلعب»، واللعب فعل الصغار لا فعل الكبار.

وأجابوا عن هذا: أنهم لم يذكروا لعبا حراما، وإنما عنوا لعبا مباحا.

وحُكِىَ عن أبى عمرو بن العلاء أنه سئل عن قوله: ﴿نلعب﴾ فقيل له: كيف قالوا: «نلعب» وقد كانوا أنبياء؟ فقال: هذا قبل أن نبأهم الله تعالى.

قوله تعالى ﴿قالوا يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف﴾ بدءوا أولا (بالإنكار)[1] عليه فى ترك إرساله معهم وحفظه مع نفسه من بينهم، كأنهم قالوا له: إنك لاترسله معنا أتخافنا عليه؟!

قوله: ﴿وإنا له لناصحون﴾ النصح هاهنا: هو القيام بمُصْلِحِه، وقيل: إنه البر والعطف، ومعناه: إنا عاطفون عليه، بارون به، قائمون بمصلحته.

قوله تعالى: ﴿أرسله معنا غدا نرتع ونلعب وإنا له لحافظون﴾ قوله: ﴿نرتع﴾ الرتع: هو الاتساع فى الملاذ فى طلب وجوهها يمينًا وشمالًا. وقيل معنى الآية: نأكل ونشرب وننشط ونلهو. وقرئ: «يرتع ويلعب» بالياء، وهو فى معنى الأول، إلا أنه ينصرف إلى يوسف خاصة، وقرئ: «يرتعى» وهو يفتعل من الرعى، ومعناه: إنه يرعى الماشية كما نرعى. وقوله: ﴿وإنا له لحافظون﴾.

قوله تعالى: ﴿قال إنى ليحزننى أن تذهبوا به﴾ معناه: إنى ليغمنى أن تذهبوا به؛ والحزن هاهنا: ألم القلب بفراق المحبوب. وقوله: ﴿وأخاف أن يأكله الذئب﴾ فى القصة: أن يعقوب صلوات الله عليه كان رأى فى المنام كأن ذئبًا شد على يوسف- وكان يخاف من ذلك- فقال ما قال بذلك الخوف. وقد قال بعضهم: إنه أراد بالذئب إياهم. وليس هذا بشىء؛ لأنه لوخافهم عليه لم يدفعه إليهم، وماكان يجوز له ذلك، ولأنه معنى متكلف مستكره، فلايجوز أن يصار إليه. وقوله: ﴿وأنتم عنه غافلون﴾

(١) فى «ك»: فى الإنكار.

أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴿١٤﴾ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ

أى : ساهون .

قوله تعالى : ﴿ قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة ﴾ أى : جماعة يتقوى بعضنا ببعض . وقوله : ﴿ إنا إذا لخاسرون ﴾ يعنى : إنا إذا لعاجزون .

قوله تعالى : ﴿ فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه فى غيابة الجب ﴾ الإجماع : هو العزم على الشيء، والواو هاهنا مقحمة(١)، والمعنى : فلما ذهبوا به أجمعوا أن يجعلوه فى غيابة الجب . قال الشاعر :

أجمعوا أمرهم بليل فلما ... أصبحوا أصبحوا علىّ لصوصًا(٢)

وقوله ﴿ [وأجمعوا](٣) أن يجعلوه فى غيابة الجب ﴾ معناه : بأن يلقوه فى غيابة الجب . وذكر وهب بن منبه، وغيره أنهم لما أخذوا يوسف أخذوه بغاية الإكرام وجعلوا يحملونه إلى أن أصحروا به، فلما أصحروا به ألقوه وجعلوا يضربونه وهو يستغيث حتى كادوا يقتلونه، ثم إن يهوذا منعهم منه . وذكروا أنه كان من أبناء [اثنتى عشرة](٤) سنة . هذا هو المعروف .

وفى بعض الروايات : أنه كان ابن ست سنين . وفى بعض الروايات : أنه كان ابن سبع عشرة سنة . وهذا معروف أيضا .

ثم أنهم أجمعوا (على أن)(٥) يطرحوه فى البئر، فجاءوا إلى بئر على غير الطريق واسع الأسفل، ضيق الرأس، فطرحوه فيها، فرُوِىَ أنه كان يتعلق بجوانب البئر، فشدوا

(١) وفى هذا القول نظر.

(٢) البيت للحارث بن حلذة وفيه :

أجمعوا أمرهم عشاء فلما ... أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء

(٣) من « ك ».

(٤) فى « الأصل وك » : اثنى عشر.

(٥) فى « ك » : أنهم.

لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا

يديه ثم ألقوه. وفي بعض الروايات: (أنهم)(١) جعلوه في دلو وأرسلوه في البئر، فلما بلغ الماء فإذا صخرة فقام عليها. ورُوِيَ أنهم قالوا له: اقعد في ذلك الطاق من البئر، فإذا جاء من يستقي فتعلق بالدلو حتى تخرج.

قال محمد بن مسلم الطائفي: لما صار يوسف في البئر دعا الله تعالى فقال: ياشاهدا غير غائب، وياغالبا غير مغلوب، ويا قريبا غير بعيد، اجعل لي مما أنا فيه فرجا ومخرجا.

ثم اختلفت الرواية أنه كم بات في البئر؟ فالأكثرون: أنه بات فيها ثلاث ليالي والقول الآخر: أنه بات فيها ليلة.

وقوله تعالى: ﴿وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا﴾ [قول](٢) أكثر أهل التفسير على أن هذا الوحي إلى يوسف، وبعث الله جبريل يؤنسه ويبشره بالخروج ويخبره: أنه ينبئهم بما فعلوا ويجازيهم عليه وهم لايعرفون أنه يوسف، وسيأتي بعد هذه القصة. وقيل: ﴿وهم لايشعرون﴾ أنه أوحى إليه.

وفي الآية قول آخر: وهو أن الوحي هاهنا هو الإلهام؛ وهو مثل قوله تعالى: ﴿وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه﴾(٣) وأما إتيان جبريل كان بعد هذا.

قوله تعالى: ﴿ وجاءوا أباهم عشاء يبكون﴾ قال أهل المعاني: جاءوا في ظلمة العشاء ليكونوا أجرأ على الاعتذار بالكذب؛ فرُوِيَ أن يعقوب سمع صياحهم وعويلهم فخرج وقال: مالكم؟ هل أصاب الذئب من غنمكم شيئًا؟ قالوا: لا؛ وإنما الذئب أكل يوسف. وقرأ الحسن: «عُشاء يبكون»، ومعناه: قد غشيت أبصارهم من البكاء.

وقوله: ﴿قالوا ياأبانا إنا ذهبنا نستبق﴾ أي: ننتضل وننظر لمن السبق. وقيل:

(١) في «ك»: أنه.
(٢) من «ك».
(٣) القصص: ٧.

جنة السنة

صادقين ﴿١٧﴾ وجاءوا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر

نستبق على أقدامنا. وقد ثبت أن النبى ﷺ سابق عائشة رضى الله عنها مرتين، فسبقته عائشة فى المرة الأولى، وسبقها النبى ﷺ فى المرة الثانية، فقال لها: «هذه بتلك»(١).

وقوله: ﴿وتركنا يوسف عند متاعنا﴾ يعنى: عند ثيابنا وأقمشتنا ﴿فأكله الذئب وماأنت بمؤمن لنا﴾ يعنى: بمصدق لنا ﴿ولوكنا صادقين﴾ يعنى: وإن كنا صادقين.

فإن قال قائل: كيف يجوز أن يقولوا لنبى الله: أنت لا تصدق الصادق؟!

الجواب معناه: أنا لو كنا صادقين عندك كنت تتهمنا فى هذا الأمر بشدة حبك له وميلك إليه، فكيف وقد خفتنا فى الابتداء واتهمتنا فى حقه؟!

وفيه معنى آخر: وهو أن معنى قوله: ﴿وما أنت بمؤمن لنا﴾: أنك لاتصدقنا لأنه لادليل لنا على صدقنا، وإن كنا صادقين عند الله.

قوله تعالى: ﴿وجاءوا على قميصه بدم كذب﴾ هذا دليل على أنهم نزعوا قميصه عنه حين ألقوه فى البئر، فروى أنه قال لهم: دعوا لى قميصى أتستر به، فقالوا له: ادع الشمس والقمر والكواكب تسترك – يعنون: مارأى من الرؤيا.

وقوله: ﴿بدم كذب﴾ وقيل: بدم يعنى: بدم ذى كذب. وقيل: مكذوب فيه. وعن الحسن البصرى أنه قرأ: «بدم كدب» بالدال غير المعجمة وهو الدم المتغير.

وفى القصة: أنهم لطخوا القميص بالدم ولم يشقوه، فقال يعقوب صلوات الله عليه: كيف أكله الذئب ولم يشق قميصه؟! ماعهدت الذئب حليما. حكى عن الحسن البصرى.

---

(١) رواه أبو داود (٣/ ٢٩–٣٠ رقم ٢٥٧٨)، والنسائى فى الكبرى (٥/ ٣٠٣ - ٣٠٥ رقم ٨٩٤٢) وابن ماجة (١/ ٦٣٦ رقم ١٩٧٩)، وأحمد (٦/ ٣٩)، والحميدى (١/ ١٢٨ رقم ٢٦١)، والطبرانى فى الكبير (٢٣/ ٤٦–٤٧ رقم ١٢٣ - ١٢٥) وابن حبان – الإحسان – (١٠/ ٥٤٥ رقم ٤٦٩١)، والبيهقى فى الكبرى (١٠/ ١٧–١٨). وقال البوصيرى فى زوائد ابن ماجة: إسناده صحيح على شرط البخارى.

جنة السنة

جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ

ورُوِىَ أن بعضهم قالوا: قتله اللصوص، فاختلفوا على يعقوب فاتهمهم به و ﴿قال بل سولت لكم أنفسكم﴾ يعنى: كذبتم، بل زينت لكم أنفسكم ﴿أمرًا﴾ والتسويل: التزيين، وقوله: ﴿فصبر جميل﴾ معناه: فأمرى صبر جميل. وقيل: فصبر جميلٌ أختاره. والصبر الجميل: هو الذى لاشكوى فيه ولاجزع. وقوله: ﴿والله المستعان على ماتصفون﴾ معناه: والله المستعان على الصبر على ماتكذبون.

وفى القصة: أنهم ذهبوا وجاءوا بذئب وقالوا: هذا الذى أكل ولدك، فقال له يعقوب: ياذئب! أكلت ولدى وثمرة فؤادى؟ فأنطقه الله تعالى وقال: بالله مارأيت وجه ابنك قط، فقال: فكيف وقعت بأرض كنعان؟ فقال: جئت لصلة قرابة. أورده النقاش فى تفسيره، والله أعلم.

واختلفوا فى موضع البئر الذى أُدلى فيها يوسف؛ قال قتادة: هى بئر بيت المقدس. وقيل: إنها بئر بأرض الأردن، وقال مقاتل: بئر معروفة، كانت بين منزل يعقوب وبينها ثلاثة فراسخ، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه﴾ السيارة: هم القوم المسافرون، سُمُّوا سيارة لأنهم يسيرون فى الأرض. وقوله: ﴿فأرسلوا واردهم﴾ والوارد: هو الذى يقدم القوم ليستقى الماء من البئر. قال الأصمعى: تقول العرب: أدليت الدلو إذا أرسلتها فى البئر، ودليتها إذا نزعتها من البئر. وقوله ﴿قال (يابشراى)[1] هذا غلام﴾ فيه قولان: أحدهما – وهو أظهر القولين –: أن معنى قوله: ﴿يابشراى﴾ أى: أبشروا، هذا غلام. ذكره الفراء والزجاج.

والقول الثانى: أنه نادى صاحبه – وكان اسمه بشرى – فقال: يابشراى، هذا غلام أى: يافلان، هذا غلام. ذكره الأعمش والسدى.

---

(١) فى «ك»: يا بشرى.

جنة السنة

وفى القصة: أن البئر كانت على غير الطريق، ولكن القوم ضلوا الطريق حتى وقعوا عليها، فلما جاء الوارد وأرسل الدلو لطلب الماء، تعلق به يوسف، نزعوا على ظن أنه الماء. وروى ابن مجاهد، عن أبيه أن جدران البئر كانت تبكى على يوسف حتى أخرج منها. وفى القصة أيضا أن صاحب السيارة كان مالك بن دعرٍ، رجل من خزاعة. وقوله: ﴿وأسروه بضاعة﴾ معناه: أن الوارد ومن كان معه أسروه بضاعة عن أهل الرفقة، مخافة أن يطلبوا المشاركة فيه .

وقوله: ﴿بضاعة﴾ معناه: أنهم قالوا: نقول للقوم: إن أهل الماء استبضعونا هذا الغلام. والبضاعة: هى القطعة من المال، والبضع: هو القطع. ومنه قوله ﷺ فى فاطمة رضى الله عنها: «إنها بضْعة منى»(١) أى: قطعة منى. وهذا خبر ثابت .

وقوله: ﴿والله عليم بما يعملون﴾ ظاهر .

قوله تعالى: ﴿وشروه بثمن بخس دراهم معدودة﴾ أكثر أهل التفسير على أن الذين باعوه إخوته، وهو قول ابن عباس وعامة المتقدمين. وقوله «شروه» هو بمعنى: باعوه .

قال الشاعر:

وشريت بُردًا ليتنى … من بعد بُردٍ كنتُ هامَة

وفى القصة: أن القوم لما استخرجوا يوسف من البئر جاء إخوته وقالوا: هذا غلام أبق منَّا وهددوا يوسف حتى لم يعرف (حاله)(٢) وأقر ماقالوه ثم إنهم باعوه منهم .

والقول الثانى فى الآية: أن الذين باعوا يوسف هم الذين استخرجوه من البئر. والصحيح هو الأول .

وقوله: ﴿بثمن بخس﴾ البخس فى اللغة: هو النقص، ومعنى البخس هاهنا: هو الحرام؛ سمى الحرام بخسًا لأنه مبخوس البركة. هذا قول الشعبى وغيره. وقال بعضهم: ﴿بثمن بخس﴾ أى: ذى ظلم. وعن ابن مسعود، وابن عباس أنهما قالا:

---

(١) متفق عليه من حديث المسور بن مخرمة، فرواه البخارى (٩/ ٢٣٨ رقم ٥٢٣٠)، ومسلم (١٦/ ٣–١٦/ ٣–٦ رقم ٢٤٤٩).

(٢) فى «ك»: حالوه.

جنة السنة

بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ

بثمن بخس: زيوف. وقيل: بثمن بخس أى: قليلا.

اختلفوا، كم كان الثمن؟ قال مجاهد: كان [اثنين وعشرين](١) درهمًا، والإخوة أحد عشر رجلا، فاقتسموا وأخذ كل واحد درهمين سوى يهوذا فإنه لم يأخذ شيئًا. وعن ابن عباس قال: باعوه بعشرين درهمًا. وقيل: [باعوه](٢) بأربعين.

قوله ﴿دراهم معدودة﴾ يعنى: أنهم عدوها عدًّا ولم يزنوها وزنا لقلتها. وقال: إنهم كانوا لايزنون مادون الأوقية وهو أربعون درهما.

وقوله: ﴿وكانوا فيه من الزاهدين﴾ يعنى: (أنهم)(٣) لم يكن لهم رغبة فى يوسف؛ لأنهم لم يعرفوا كرامته على الله. وقيل: إنهم كانوا فى الثمن من الزاهدين على معنى أنه لم يكن قصدهم الثمن؛ إنما قصدهم تبعيد يوسف عن أبيه.

وقوله تعالى: ﴿وقال الذى اشتراه من مصر لامرأته أكرمى مثواه﴾ فى القصص: أن مالك بن دعر قدم به مصر وعرضه على البيع فاشتراه قطيفير صاحب أمر الملك وخازنه، وقيل: قنطور، وكان يسمى العزيز ولم يك أحد بمصر يسُمى باسمه كرامة وتشريفًا، فروى أنه اشتراه بعشرين دينارًا ونعلين وحُلة. وذكر وهب بن منبه أنه لما عرض على البيع تزايد الناس فى ثمنه حتى بلغ ثمنه: وزنه ذهبًا ووزنه فضة ووزنه مسكا ووزنه حريرًا، وكان وزنه أربعمائة رطل ومائتا (مَنٍّ)(٤)». قال وهب: وكان ابن ثلاث عشرة سنة فى ذلك الوقت. وقد بيَّنَّا أن على قول بعضهم: كان ابن سبع عشرة سنة. قال كعب وغيره: كان من أحسن الناس وجها، كان على صورة آدم حين خلقه

(١) فى «الأصل و ك». اثنان وعشرون، وهو خطأ.

(٢) فى «الأصل»: باعوا.

(٣) فى «الأصل»: أنه.

(٤) والمن: كيل أو ميزان، أو رطلان. انظر القاموس المحيط (٤/ ٢٨٨).

الله تعالى قبل أن يواقع المعصية. وفي بعض الآثار: «أن يوسف أُعطى شطر الحسن»[١]. وهو غريب، وقيل: إنه انتزع إلى جدته سارة، وكانت سارة أُعطيت سدس الحُسن.

وقوله: ﴿لامرأته﴾ قيل: كان اسمها: راغيل. وقيل: كان اسمها: زليخة.

وقوله: ﴿أكرمى مثواه﴾ معناه: أكرميه فى المطعم والملبس والمقام. والمثوى فى اللغة: موضع الإقامة، ويقال: ثوى بالمكان إذا أقام.

وقوله ﴿عسى أن ينفعنا﴾ يعنى: نبيع بالربح إن أردنا البيع، أو ينفعنا بالخدمة إن لم نبعه. وقوله ﴿أو نتخذه ولدا﴾ يعنى: أو نعتقه ونتبناه. وقد ثبت عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه برواية أبى إسحاق، عن أبى الأحوص، عنه أنه قال: أفرس الناس ثلاثة: العزيز فى يوسف حين قال لامرأته: «أكرمى مثواه عسى أن ينفعنا» وابنة شعيب فى موسى - عليه السلام - حيث قالت: «ياأبت استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين» [وأبو بكر فى عمر رضى الله عنهما][٢] حيث استخلفه.

وقوله: ﴿وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض﴾ معناه: كما خلصناه من الهلاك ونجيناه من ظلمة البئر كذلك مكناه فى الأرض؛ والأرض هاهنا: أرض مصر، وقوله: (﴿مكناه﴾)[٣] أى (بالتهليل)[٤] وبسط اليد ورفع المنزلة إلى أن بلغ مابلغ.

وقوله: ﴿ولنعلمه من تأويل الأحاديث﴾ قد بينا من قبل. وقوله: ﴿والله غالب على أمره﴾ فيه قولان؛ أحدهما: أن الله غالب على أمره لايمنعه منه مانع، ولايرده عما يريد راد.

---

(١) هو فى صحيح مسلم فى حديث الإسراء (٢/ ٢٧٨ رقم ١٦٢) ومسند أحمد (٣/ ٢٨٦) من حديث أنس به. ورواه الطبرى (١٢/ ١٢٢ - ١٢٣)، والحاكم (٢/ ٥٧٠) وصححه على شرط مسلم، وابن أبى حاتم، وابن مردويه كما فى الدر المنثور (٤/ ١٨) من حديث أنس أيضًا بلفظ: «أعطى يوسف وأمه شطر الحسن».

(٢) من «ك». وفى «الأصل»: وأبو بكر رضى الله عنه فى عمر.

(٣) فى «الأصل»: مكناه.

(٤) كذا «بالأصل وك». ولعل الصواب: بالتمليك، فرسمهما قريب.

تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن

والقول الثانى : والله غالب على أمر يوسف بالتدبير والحياطة حتى يبلغه منتهى علمه فيه. وقوله : ﴿ولكن أكثر الناس لايعلمون﴾ ظاهر.

قوله تعالى : ﴿ولما بلغ أشده﴾ الأكثرون على أن الأشد : ثلاث وثلاثون سنة وإليها تنتهى، يعنى : قوة الشباب. وقيل : ثلاثون سنة. وقيل : من تمام [ثمانى عشرة](١) سنة إلى أربعين. وسئل مالك عن الأشد، فقال : هو الحلم.

وقوله ﴿آتيناه حكما وعلما﴾ أى : فقها وعقلا. وقيل : الحكم : النبوة، والعلم : هو الفقه فى الدين. والفرق بين الحكيم والعالم : أن العالم هو الذى يعلم الأشياء، والحكيم : هو الذى يعلم بما يوجبه العلم. وقيل : هو الذى يمنع نفسه عما يجهله ويسفهه، ومنه حكمة الدابة؛ لأنها تمنع الدابة عن الفساد. قال الشاعر :

أبنى حنيفة أحكموا سفهاءكم ... إنى أخاف عليكم أن أغضبا

يعنى : امنعوا سفهاءكم.

وقوله : ﴿وكذلك نجزى المحسنين﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى : ﴿وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه﴾ معنى المراودة : طلب الفعل، والمراد هاهنا : هو الدعاء إلى الفاحشة. وقوله : ﴿وغلقت الأبواب﴾ يعنى : أطبقت الأبواب واستوثقت منها، ويقال : إنها غلقت سبعة أبواب. وقوله : ﴿وقالت هيت لك﴾ معناه : هلم، وعلى هذا أكثر المفسرين. وقيل : معناه : تعال أنا لك. وقرئ : «هيت لك» أى : تهيأت لك. وأنكر الكسائى هذه القراءة. قال الشاعر فى قوله هَيت :

أبلغ أمير المؤمنـــ ... ــين أخا العراق إذا أتينا

أن العـــراق وأهلـــه ... عنـق إليـك فهيت هيتا

(١) من «ك»، وفى «الأصل» : ثمانية عشر.

جنة السنة

نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ

وقوله: ﴿قال معاذ الله﴾ معناه: قال: أعوذ بالله أى: أعتصم به إنه ربى.

[و](١) الأكثرون أنه أراد به العزيز؛ ومعناه: إنه سيدى. وقوله: ﴿إنه ربى أحسن مثواى﴾ أى: أكرم مثواى. وقوله: ﴿إنه لايفلح الظالمون﴾ أنه لايسعد الزناة ولا العصاة.

قوله تعالى: ﴿ولقد همت به وهم بها﴾ [الآية](٢)، الهم: هو المقاربة من الفعل من غير دخول فيه. وقوله: ﴿ولقد همت به﴾ همها: هو عزمها على المعصية والزنا، وأما هم يوسف: فاعلم أنه قد ثبت عن عبد الله بن عباس أنه سُئل عن قوله ﴿وهم بها﴾ قال: جلس منها مجلس الخاتن وحل هميانه. رواه ابن أبى مليكة، وعطاء وغيرهما. وعن مجاهد أنه قال: حلَّ سراويله وجعل يعالج ثيابه. وهذا قول أكثر المتقدمين؛ منهم: سعيد بن جبير، والحسن البصرى، والضحاك وغيرهم.

[و](١) قال أبو عبيد القاسم بن سلام: وقد أنكر قوم هذا القول؛ والقول ماقاله متقدمو هذه الأمة وهم كانوا أعلم بالله أن يقولوا فى الأنبياء من غير علم. وكذلك قال ابن الأنبارى، وزعم بعض المتأخرين أن الهمَّ (كان منها)(٣): هو العزيمة على المعصية، وأما الهم منه: كان خاطر القلب وشدة المحبة بالشهوة.

وفى القصة: أن المرأة قالت له: ما أحسن عينيك، فقال: هى أول ماتسيل من وجهى فى قبرى، فقالت: ماأحسن شعرك، فقال: هو أول ماينتشر فى قبرى، فقالت: إن فراش الحرير مبسوط فقم فاقض حاجتى، فقال: إذا يذهب نصيبى من الجنة، فقالت: إن الجُنينة عَطِشة فقم فاسقها، فقال: إن المفتاح بيد غيرى، قال: فجاء

---

(١) من «ك».

(٢) ليست في «ك».

(٣) فى «ك»: منها كان.

الشيطان ودخل بينهما وأخذ يحنكه وحنكها حتى همت به وهم بها، ثم إن الله تعالى تدارك عبده ونبيه بالبرهان الذى ذكره . وقال قطرب : معنى قوله : ﴿ وهم بها ﴾أى : وهم بها لولا أن رأى برهان ربه(١) .

وأنكر سائر النحاة عليه هذا القول، وقالوا : إن العرب لاتؤخر لولا عن الفعل، وإنما كلام العرب هو التقديم فحسب، فإنهم يقولون : لولا كذا لفعلت كذا، ولايقولون، فعلت كذا لولا كذا . وقال بعضهم : « وهم بها » أى : بضربها ودفعها عن نفسه، وهو تأويل بعيد . وقال بعض أهل التفسير : يحتمل أن ذلك القدر الذى فعله يوسف من الهم كان فى تلك الشريعة من الصغائر يجوز على الأنبياء . قال الحسن البصرى : إن الله تعالى لم يذكر ذنوب الأنبياء فى القرآن ليعيرهم بها؛ ولكن ذكرها ليبين موقع النعمة عليهم بالعفو، ولئلا ييأس أحد من رحمته . وقيل : إنه ابتلاهم بالذنوب ليتفرد بالطهارة والعزة، ويلقاه جميع الخلق يوم القيامة على انكسار المعصية . وقوله : ﴿ لولا أن رأى برهان ربه ﴾ أكثر أهل التفسير : أنه رأى يعقوب صلوات الله عليه [صكه](٢) فى صدره وهو يقول له : أتعمل عمل السفهاء وأنت فى ديوان الأنبياء؟!

وروى ليث، عن ابن عباس أنه قعد منها مقعد الرجل من امرأته فرأى كفًا بلا معصم ولاعضد مكتوب عليها : ﴿ وإن عليكم لحافظين كرامًا كاتبين ﴾(٣) ففزع وهرب، ثم إنه عاد، فظهر ذلك الكف مكتوبًا عليها : ﴿ ولاتقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا ﴾(٤) ففزع وهرب، ثم إنه عاد فرأى ذلك الكف أيضًا مكتوبًا عليها : ﴿ واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ﴾(٥) ففزع وهرب، ثم إنه عاد؛ فقال الله لجبريل : أدرك عبدى قبل أن يُواقع الخطيئة، فجاء ومسحه بجناحه حتى خرجت شهوته من أنامله .

(١) يعنى على التقديم والتأخير، أى : لولا أن رأى برهان ربه؛ لهم بها .
(٢) فى «الأصل» : صك .
(٣) الانفطار : ١٠ - ١١ .
(٤) الإسراء : ٣٢ .
(٥) البقرة : ٢٨١ .

جنة السنة

كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ

وقال جعفر بن محمد الصادق: معنى البرهان: أنه كان فى البيت صنم فقامت المرأة وسترته بثوب، فقال لها يوسف: لم فعلت هذا؟ فقالت: استحييت منه أن يرانى وأنا أواقع المعصية، فقال يوسف: أنا أحق أن أستحى من ربى، وهرب.

وقال محمد بن كعب القرظى: البرهان: هو أن الله تعالى أخطر بقلب يوسف حرمة الزنا، وشدة العقوبة عليه، فهرب وترك. وأورد النقاش أنه لما قرب منها رأى شعرة بيضاء فى أنفها فعافها وتركها. وهذا قول بعيد؛ والأصح من هذه الأقوال: الأول.

وقد رُوى أن يعقوب صلوات الله عليه لما تمثل له صك فى صدره وقال: يا يوسف أنت قبل أن تزنى كالطير فى جو السماء [ولاتطاق][(١)]، فإذا زنيت فأنت كالطير يسقط ويموت، وأنت قبل أن تزنى كالثور لايُطاق، فإذا زنيت صرت كالثور يهلك فيدخل النمل فى (أصول)[(٢)] قرنه.

وقوله: ﴿كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء﴾ السوء: هو الثناء القبيح، والفحشاء: هو مواقعة الزنا. فإن قيل: هذا دليل على أنه لم يهم بالزنا ولم يقصده، قلنا: لا، هذا بعد الهم. فإن قيل: أليس قد قال فى أثناء السورة: ﴿ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب﴾؟ [(٣)] قلنا: قد ثبت عن النبى ﷺ: «أن يوسف لما قال هذا، قال له جبريل: ولاحين هممت؟ فقال: وما أبرئ نفسى إن النفس لأمارة بالسوء»[(٤)].

قوله: ﴿إنه من عبادنا المخلصين﴾ قرئ: «المخلَصين» و«المخلِصين» ومعنى المخلِص: هو الذى يخلص الطاعة لله، ومعنى المخلَص: هو الذى أخلصه الله واختاره.

---

(١) فى الأصل: لايطاق.

(٢) فى «ك»: أول.

(٣) يوسف: ٥٢.

(٤) رواه البيهقى فى الزهد الكبير (ص ١٥٠/رقم ٣١٥) من حديث أنس، وعزاه السيوطى فى الدر (٤/ ٢٦) للحاكم فى التاريخ، وابن مردويه والديلمى، عن أنس. وقد روى من غير وجه، انظر الدر المنثور.

جنة السنة

وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ

قوله تعالى: ﴿[واستبقا](١) الباب﴾ رُوِىَ أن يوسف بادر الباب ليفتح ويخرج، والمرأة بادرت الباب لتمسك الباب فلا يخرج يوسف، فسبق يوسف وأدركته المرأة وأخذت بثوبه وشقته من دبر؛ وهذا معنى قوله: ﴿وقدت قميصه من دبر﴾ أى: شقت. وقوله: ﴿وألفيا سيدها لدا الباب﴾ يعنى: وجدا زوج المرأة عند الباب فبادرت المرأة ﴿قالت ماجزاء من أراد بأهلك سوءًا﴾ ثم خافت عليه أن يقتل فقالت: ﴿إلا أن يسجن أو عذاب أليم﴾ ضرب بالسياط، فلما سمع يوسف مقالتها ﴿قال هى راودتنى عن نفسى﴾ يعنى: هى طلبت منى الفاحشة. وقوله: ﴿وشهد شاهد من أهلها﴾ فيه قولان: أحدهما: أن الشاهد كان صبيا فى المهد قال هذا القول، وهذا قول أبى هريرة وسعيد بن جبير والضحاك، وهو إحدى الروايتين عن ابن عباس. قال أبو هريرة: «تكلم ثلاثة من الصبيان فى المهد: عيسى ابن مريم صلوات الله عليه (وصاحب)(٢) جريج وشاهد يوسف». والقول الثانى: أن الشاهد كان رجلا حكيمًا من قرابات المرأة وكان قائمًا مع زوجها فسمع الجلبة من وراء الباب ورأى شق القميص فقال القول وهو قوله تعالى: ﴿إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين...﴾ الآية.

وقوله: ﴿فلما رأى قميصه قد من دبر﴾ عرف أن الذنب لها ﴿قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم﴾ وفى القصة: أنه كان قليل الحميّة والغيرة، ثم قال ليوسف: ﴿يوسف أعرض عن هذا﴾ يعنى: لاتذكر هذا حتى يشيع، ثم قال للمرأة: ﴿واستغفرى لذنبك﴾ توبى إلى الله تعالى ﴿إنك كنت من الخاطئين﴾ ظاهر المعنى.

---

(١) فى «الأصل وك»: واستبق.

(٢) فى «ك»: ومبرئ.

جنة السنة

كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا

قوله تعالى: ﴿وقال نسوة فى المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه﴾ المدينة هاهنا: مدينة مصر، وقيل: إنها مدينة عين شمس.

وأما النسوة قالوا: هن خمس نسوة: امرأة حاجب الملك، وامرأة صاحب الدوابّ، وامرأة صاحب الطعام، وامرأة صاحب الشراب، وامرأة صاحب السجن. وقال بعضهم: هن نسوة من أشراف نسوة مصر.

وقوله: ﴿امرأة العزيز﴾ قيل العزيز: هو الممتنع بقدرته عن أن يضام فى أمره. وقوله: ﴿تراود فتاها عن نفسه﴾ فتاها هاهنا بمعنى: عبدها، والمعنى: أنها تطلب من عبدها [أن](١) يرتكب الفاحشة. وقوله ﴿قد شغفها حبا﴾ رُوىَ عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أنه قال: «شغفها حبا» أى: غلبها. ورُوىَ عنه أيضًا أنه قال: «شغفها حبا» أى: دخل الحب فى شغاف قلبها، وشغاف القلب: داخل القلب. وقيل: شغاف القلب: جلدة القلب؛ كأن الحب خرق الجلدة وأصاب القلب وغلب عليه. وقيل: شغاف القلب: [سويداء](٢) القلب. وقيل: حبة القلب. قال الشاعر:

ولا [وجد](٣) إلا دون وجدٍ وجدته ... أصاب شغاف القلب فالقلب مشغف

قرئ فى الشاذ: (شعفها)(٤) حبًا» ومعناه: ذهب الحب بها كل مذهب، ومنه: شعف الجبال أى: رءوسها.

وقوله: ﴿إنا لنراها فى ضلال مبين﴾ أى: فى خطأ ظاهر. ويقال: فى ضلال مبين يعنى: أنها تركت مايكون عليه أمثالها من الستر والعفاف.

---

(١) فى «الأصل» و«ك»: أنه.

(٢) فى «الأصل وك»: سويد.

(٣) فى «الأصل»: وجل، باللام.

(٤) فى «ك»: شقفها. وهو خطأ.

جنة السنة

لنراها في ضلال مبين ﴿٣٠﴾ فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن وأعتدت لهن متكأ وآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن

قوله: ﴿فلما سمعت بمكرهن﴾ أى: بتدبيرهن. وقد رُوى أنها أفشت إليهن سرها واستكتمتهن فأفشين ذلك؛ فلهذا سماه مكرًا. وقوله: ﴿وأرسلت إليهن﴾ أى: دعتهن. وقوله: ﴿وأعتدت لهن متكأ﴾ قال ابن عباس ومجاهد: المتكأ يتكئون على الوسائد. وقد رُوى عن النبى ﷺ أنه قال: «أما أنا فلا آكل متكئا»[(١)] وهذا مما اختاره الله تعالى له من التواضع، وأما الجبارون والعظماء فقد اعتادوا الأكل متكئين. وقيل: «وأعتدت لهن متكئا» أى: طعامًا وشرابًا واتكاء.

وقرئ فى الشاذ: «وأعتدت لهن متكا» والمتك: هو الأترج. ذكره ابن عباس ومجاهد. وقيل: إنه البزماورد. أورده الضحاك. وقيل: هو كل مايحز بالسكين. وفى القصة: أنها دعت أربعين امرأة من أشراف [نساء][(٢)] مصر وزينت بيتا بألوان الفواكه والوسائد وفرشت البسط. وقوله: ﴿وآتت كل واحدة منهن سكينًا﴾ أى: وأعطت كل واحدة منهن سكينا؛ وقد كانوا يأكلون اللحم جزًا بالسكين؛ والسنة هو النهش.

وقوله: ﴿وقالت اخرج عليهن﴾ أمرت يوسف بأن يخرج عليهن فخرج وقد أخذن السكاكين ليقطعن المأكول. وقوله: ﴿فلما رأينه أكبرنه﴾ فيه قولان: أحدهما: أعظمنه. والآخر: حضن. قال الشاعر:

نأتى النساء لدى[(٣)] أطهارهن ولا

نأتى النساء إذا أكبرن إكبارا

يعنى: إذا حضن. والأولى هو الأول. وأنكر أبو عبيدة أن يكون «أكبرن» بمعنى:

---

(١) رواه البخارى (٩/ ٤٥١ رقم ٥٣٩٨، ٥٣٩٩)، وأبو داود (٣/ ٣٤٨ رقم ٣٧٦٩)، والترمذى (٤/ ٢٤٠ رقم ١٨٣٠)، وابن ماجة (٢/ ١٠٨٦ رقم ٣٢٦٢)، وأحمد (٤/ ٣٠٨، ٣٠٩) كلهم من حديث أبى جحيفة.

(٢) فى «الأصل»: النساء.

(٣) فى «الأصل»: لدى، وفى لسان العرب (٥/ ١٢٦) وتفسير الطبرى (١٢/ ١٢٢): على.

جنة السنة

وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ

حضن .

وقوله ﴿ وقطعن أيديهن ﴾ الأكثرون على أن هذا خدش وجرحٌ بلا إبانة . وقال بعضهم : إنهن قطعن أيديهن على (تحقيق)[1] قطع اليد جملة . والأول أصح . يقال : قطع فلان يده إذا خدشها وجرحها .

وفى القصة : أنهن بهتن وذهبت عقولهن [و][2] قطعن أيديهن ولم يعلمن بذلك حتى سالت الدماء منهن وقوله : ﴿ وقلن حاش الله ﴾ وقرئ : « حاشا لله » ومعناه : [معاذ][3] الله أن يكون ﴿ ما هذا بشرًا ﴾ ومعناه : بشرًا مثل سائر البشر . وقرئ : « ماهذا مشتريا » أى : بعبد مشترى . وقوله : ﴿ إن هذا إلا ملك كريم ﴾ يعنى : ملك كريم على ربه . وقد روى أنس، عن النبى ﷺ أنه قال : « أُعطى يوسف شطر الحُسن »[4] . وعن ابن إسحاق - صاحب المعانى - قال : ذهب يوسف وأُمُّه بثلثى الحُسن .

وروى أبو سعيد الخدرى، عن النبى ﷺ فى قصة المعراج « أنه رأى يوسف فى السماء الثالثة، قال : فرأيت وجهه كالقمر ليلة البدر »[5] . ورُوِىَ أنه كان إذا مشى فى سكك مصر رُئِىَ لوجهه ضوء على الجدران . ورُوى أنه لما ملك، وكان إذا دخلت عليه امرأة غطى وجهه لئلا تفتتن به .

قوله تعالى : ﴿ قالت فذلكن الذى لمتننى فيه ﴾ الملامة هو الوصف بالقبيح على وجه التحقير، ومعنى قولها « فذلكن الذى لمتننى فيه » أن هذا هو الذى لمتننى فيه،

(١) فى « ك » : التحقيق .

(٢) ليست فى « الأصل ولا « ك » .

(٣) فى « الأصل » : معاذا .

(٤) تقدم قريبًا .

(٥) رواه الحاكم (٢ / ٥٧١)، والبيهقى فى الدلائل (٢ / ٣٩٣) من طريق أبى هارون العبدى، عن أبى سعيد .

وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ

ثم صرحت بما فعلت (وقالت)[1]: ﴿ولقد راودته عن نفسه﴾ وإنما صرحت بذلك لأنها علمت أنه لاملامة عليها منهن بعد ذلك وقد أصابهن ماأصابهن من رؤيته.

وقوله تعالى: ﴿فاستعصم﴾ أى: امتنع. وقوله: ﴿ولئن لم يفعل ماآمره ليسجنن﴾ يعنى: ليعاقبن بالحبس. وقوله: ﴿وليكونًا من الصاغرين﴾ أى: (ليكونن)[2] من المستحقرين والمستذلين. وعن وهب بن منبه: أن أولئك النسوة عشقنه وماتت جماعة منهن من عشقه.

قوله تعالى: ﴿قال رب السِّجن أحب إلىَّ﴾ وقرئ فى الشاذ: «رب السَّجن» وهو الحبس، والسِّجن موضع الحبس ﴿مما يدعوننى إليه﴾ يقال: لولم يقل هذا لم يبتل بالسجن. وفى بعض الأخبار: «البلاء موكل بالمنطق»، والأولى بالمرء أن يسأل الله العافية.

وقوله: ﴿مما يدعوننى إليه﴾ فيه قولان: أحدهما: أن الدعاء كان منها خاصة؛ لكنه أضاف إلى جميع النسوة خروجًا من التصريح إلى التعريض.

والقول الثانى: أنهن جميعا دعينه إلى أنفسهن.

وقوله: ﴿وإلا تصرف عنى كيدهن﴾ معناه: وإلا تصرف عنى شرهن ﴿أصب إليهن﴾ أى: أمل إليهن. قال الشاعر:

حتى متى تصبو ورأسك أشمط ... أظننت أن الموت باسمك يغلط

وقوله: ﴿وأكن من الجاهلين﴾ هذا دليل على أن المؤمن إذا ارتكب ذنبا يرتكب عن جهالة، وقيل معناه: وأكن من المذمومين كما يذم الإنسان بفعل مايقدم عليه جاهلًا.

(١) ليست فى «ك».

(٢) فى «ك»: ليكونا.

جنة السنة

إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ

قوله تعالى: ﴿فاستجاب له ربه﴾ أى: أجاب له ربه. وقوله: ﴿فصرف عنه كيدهن﴾ أى: شرهن ﴿إنه هو السميع العليم﴾ ظاهر المعنى.

قوله: ﴿ثم بدا لهم﴾ أى: ظهر لهم. وقوله: ﴿من بعد مارأوا الآيات﴾ هاهنا شق القميص، وكلام الطفل، وجز النساء أيديهن بالسكاكين، وذهاب عقولهن بما رأين من جماله. وقوله: ﴿ليسجننه حتى حين﴾ أى: ليحبسنه إلى مدة. قال عطاء: إلى حين: إلى أن تنقطع مقالة الناس.

قوله تعالى: ﴿ودخل معه السجن فتيان﴾ فى القصة: أن المرأة قالت لزوجها: قد فضحنى هذا الغلام العبرانى (فى الناس)(١)، فإما أن تأذن [لى](٢) أخرج وأعتذر من الناس، وإما أن تحبسه، فحبسه، ولما حبس حَبَس الملك بعد ذلك رجلين من خاصته؛ أحدهما: صاحب طعامه، والآخر: صاحب شرابه، ويقال: كان يسمى أحدهما: سرهم، والآخر: شرهم. وكان سبب حبسهما: أن الملك اتهم صاحب الطعام [أنه](٣): قصد سمه، وظن أيضًا أن صاحب الشراب مالأه على ذلك؛ وكان الملك هو الوليد بن مروان العمليقى، وقيل غير هذا الاسم.

وقوله: ﴿قال أحدهما إنى أرانى أعصر خمرًا﴾ ورُوى أن يوسف - عليه السلام - لما دخل السجن جعل يدعو إلى الله وينشر علمه، فرأى هذين الرجلين وهما مهمومان فسألهما عن شأنهما فذكرا أنهما صاحبا الملك، وأن الملك حبسهما، وقد رأيا رؤيا وقد غمهما ذلك، فقال لهما: قصا على مارأيتما، فقصا عليه رؤياهما؛ وهذا معنى قوله: ﴿قال أحدهما إنى أرانى أعصر خمرًا﴾. وفى القصة: أنه قال: رأيت حبلة عليها ثلاثة عناقيد فجنيتهن وعصرتهن خمرًا وسقيت منه الملك.

(١) ليست فى «ك».
(٢) من «ك».
(٣) فى «الأصل»: أى.

جنة السنة

رأسي خبزًا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين ﴿٣٦﴾ قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ذلكما مما علمني ربي إني تركت ملة

وقوله: ﴿أعصر خمرا﴾ العصر: هو الاعتماد باليد على مافيه مائية ليحلب عنه الماء. وقوله ﴿خمراً﴾: قيل: عنبا، قيل: هذا بلغة عمان، قال المعتمر: لقيت أعرابيا معه سلة فيها [عنب][(١)] فقلت: مامعك؟ قال: الخمر. وقال الشاعر:

ينازعنى به ندمان صدق (شواء)[(٢)] الطير والعنب الحقينا

وأراد بالعنب: الخمر. ويقال: معنى قوله: ﴿أعصر خمراً﴾ أى: عنب خمر. ويقال: معنى قوله: ﴿أعصر خمراً﴾ أى: عنبا؛ سماه خمرا باسم مايؤول إليه؛ تقول العرب: فلان يعصر الدبس ويطبخ الآجر يعنى: يعصر العنب للدبس، ويطبخ اللبن للآجر، قال الشاعر:

الحمد لله الجليل المنان صار الثريد فى رءوس العيدان

وقوله: ﴿وقال الآخر إنى أرانى أحمل فوق رأسى خبزاً تأكل الطير منه﴾ رُوِىَ أن الآخر قال: إنى أرانى كأنى أحمل ثلاث سلال من الخبر على رأسى وسباع الطير ينهش منه.

وقوله: ﴿نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين﴾ قال: كان يوسف عليه السلام إذا مرض فى السجن مريض عاده وقام عليه، وإذا افتقر إنسان جمع له شيئا، وإذا رأى مظلوما نصره، وإذا رأى حزينًا سلاه، وكان مع هذا يقوم الليل كله بالصلاة.

والقول الثانى: ﴿إنا نراك من المحسنين﴾ يعنى: من المحسنين لعبارة الرؤيا، والإحسان بمعنى العلم؛ يقال: فلان يحسن كذا، أى: يعلمه.

قوله تعالى: ﴿قال لايأتيكما طعام﴾ الآية، بدأ يوسف - صلوات الله عليه - قبل تعبير الرؤيا بإظهار المعجزة والدعاء إلى توحيد الله؛ فقوله: ﴿لايأتيكما طعام ترزقانه

---

(١) فى «الأصل»: عنبة.

(٢) فى «ك»: سوى.

جنة السنة

إِقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى

لا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: لاتدعوان بطعام من منازلكما إلا نبأتكما بقدره ولونه وطعمه والوقت الذى يصل إليكما فيه قبل أن يصل إليكما؛ وهذه المعجزة مثل معجزة عيسى - عليه السلام - وقوله: ﴿وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم﴾(١) .

والقول الثانى: أنه كان من رسم الملك إذا أراد أن يقتل إنسانًا يبعث إليه بطعام معروف عندهم، وإذا أراد أن يكرم إنسانًا بعث إليه بطعام معروف عندهم؛ فهذا معنى قوله: ﴿لايأتيكما طعام ترزقانه﴾ .

والقول الثالث: لايأتيكما طعام ترزقانه فى المنام إلا نبأتكما بتأويله فى اليقظة، فقالوا: من أين لك ذلك، أتتكهن أم تتنجم؟ فقال: لا؛ ولكن مما علمنى ربى. فهذا معنى قوله ﴿ذلكما مما علمنى ربى. وقوله: ﴿إنى تركت ملة قوم لايؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون﴾ ظاهر .

ثم قال: ﴿واتبعت ملة آبائى إبراهيم وإسحاق ويعقوب﴾ أظهر أنه نبى وأنه من ولد الأنبياء. وقوله: ﴿ماكان لنا أن نشرك بالله من شيء﴾ معناه: أن الله قد عصمنا من الإشراك به. وقوله: ﴿ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس﴾ يعنى به: مأقام من الدليل وبين من الهُدى. وقوله: ﴿ولكن أكثر الناس لايشكرون﴾ ظاهر المعنى.

ثم زاد فى الدلالة على التوحيد فقال: ﴿ياصاحبى السجن أأرباب متفرقون﴾ وسماهما: صاحبى السجن؛ لأنهما كانا فى السجن، وقوله ﴿أأرباب متفرقون﴾ أى: أَمْلاَك متباينون هذا [من](٢) ذهب، وهذا من فضة ،وهذا من نحاس، وهذا من خشب، وقيل: هذا أعلى، وهذا أوسط، وهذا أدنى، وقوله: ﴿خير أم الله الواحد القهار﴾ الواحد الغالب على كل شيء، والمراد: نفى الخيرية منهم أصلا، وقد ذكرنا

(١) آل عمران: ٤٩.

(٢) فى «الأصل وك»: ومن

جنة السنة

النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الآخَرُ

من قبل ثم زاد وقال: ﴿ماتعبدون من دونه﴾ أي: من دون الله ﴿إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم﴾ يعني: هذه الأصنام أسماء مجردة خالية عن المعنى. وقوله: ﴿ماأنزل الله بها من سلطان﴾ أي: حجة ﴿إن الحكم إلا لله﴾ ما الحكم إلا الله ﴿أمر ألا تعبدوا إلا إياه﴾ ظاهر المعنى. قوله: ﴿ذلك الدين القيم﴾ أي: الطريق المستقيم ﴿ولكن أكثر الناس لايعلمون﴾ ظاهر المعنى.

وفي القصة: أن صاحب السجن لما سمع منه ما سمع، ورأى منه مارأى أحبه حبًّا شديداً وجعله على أهل السجن، وكذلك أهل السجن أحبوه حتى كان الرجل يُخلى من السجن فيعود إليه، فرُوِيَ أن صاحب السجن قال له: أنا أحبك فقال: أنشدك الله أن تحبني - يعني: أن لاتحبني- فإن من أحبني يوقعني في البلاء، أحبتني عمتي فوقعت في بلاء، وأحبني والدي فألقيت في الجب، وأحبتني امرأة العزيز فحبست. ورُوِيَ أن صاحبي الملك قالا له هذه المقالة فأجابهما بهذا.

قوله: ﴿ياصاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمراً﴾ رُوِي أنه قال لصاحب الشراب: أما تأويل رؤياك: فإنك تدعى بعد ثلاثة أيام وترد إلى منزلتك من الملك.

وقوله: ﴿وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه﴾ قال: وأما أنت ياصاحب الطعام فتدعى بعد ثلاثة أيام وتصلب وتأكل الطير من رأسك؛ فرُوِيَ أنهما جميعا قالا: كذبنا مارأينا شيئا، فقال: ﴿قضي الأمر الذي فيه تستفتيان﴾ يعني: فُرِغ من الأمر وماقلت كائن؛ رأيتما أو لم ترياه. وقال أبو مجلز: الذي قال له: أنا لم أر شيئا هو صاحب الطعام خاصة. وقد رُوِي أنهما قد رأيا ماقالا حقيقة. قوله: ﴿قضي الأمر﴾ تتميم الكلام.

فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ

قوله تعالى: ﴿وقال للذى ظن أنه ناج منهما﴾ معناه: أنه (أيقن)[1] أنه ناج منهما ﴿اذكرنى عند ربك﴾ أى: عند سيدك، فرُوى أنه قال له: قل للملك: إن فى السجن رجلا مظلومًا قد طال حبسه. وقوله: ﴿فأنساه الشيطان ذكر ربه﴾ الأكثرون: معناه: فأنسى يوسفَ الشيطانُ ذكرَ ربه حتى استغاث بمخلوق مثله، وهذا قول ابن عباس وغيره.

والقول الثانى: أن الشيطان أنسى الرجل الذى خُلى من السجن ذكر يوسف لسيده.

وقوله: ﴿فلبث فى السجن بضع سنين﴾ الأكثرون: على أن بضع سنين هاهنا: سبع سنين، وقد كان لبث مِن قبل خمس سنين؛ فمكث فيه [اثنتى عشرة][2] سنة. وقال الأخفش: البضع: من الواحد إلى العشرة، وقيل: من ثلاث إلى التسع؛ فرُوىَ: أن الله تعالى بعث جبريل إليه، فقال له: قل يايوسف من حببك إلى أبيك؟ فقال: أنت يارب، فقال: من خلصك من الجب؟ قال: أنت يارب، قال: من صرف عنك السوء والفحشاء؟ قال: أنت يارب، قال: فما استحييت منى أن استعنت بمخلوق؟! وعزتى لأطيلن مكثك فى السجن. ورُوىَ أنه قال: يارب بحق آبائى اغفر لى ذنبى، فجاء جبريل وقال له: وأى حق لآبائك علىَّ؟! أما جدك إبراهيم: فقد جعلت النار عليه بردًا وسلامًا، وأما إسحاق: ففديته بكبش عظيم، وأما أبوك يعقوب: (فأعطيته)[3] اثنى عشر ابنا وأخذت منهم واحدًا، فما زال يبكى حتى ابيضت عيناه وجعل يشكونى، فقال يوسف: إلهى، بمنك القديم وفضلك العظيم وأياديك الكثيرة اغفر لى ذنبى، فغفر له. ورُوىَ عن الحسن البصرى أنه قال: دخل جبريل على

---

(١) فى «ك»: ألقى.

(٢) فى «الأصل و ك»: اثنا عشر، والصواب ماأثبتناه.

(٣) فى «ك»: فقد أعطيته.

جنة السنة

﴿٤٢﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ
خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوا

يوسف عليهما السلام فى السجن، فقال له: يوسف، ياأخ المنذرين ماتعمل بين المذنبين؟ فقال [له][(١)] جبريل: ياطيب ابن الطيبين يقول لك ربك: أما (استحييت)[(٢)] منى أن استعنت بمخلوق مثلك؟! وعزتى لأطيلن حبسك، فقال له يوسف عليه السلام: أهو راض عنى؟ فقال: نعم. فقال: إذا لا أبالى. ورُوىَ أنه قال لجبريل: مابلغ حزن أبى يعقوب؟ فقال: حزن سبعين ثكلى، فقال: وكيف أجره؟ فقال: أجر مائة شهيد.

قوله تعالى: ﴿وقال الملك إنى أرى سبع بقرات سمان [يأكلهن سبع عجاف][(٣)]﴾ الملك هاهنا: ملك مصر، والملك هو القادر الواسع المقدور فيما يرجع إلى السياسة والتدبير. وقوله: ﴿إنى أرى﴾ معناه: إنى أرى فى المنام. وقوله: ﴿بقرات﴾: البقر: حيوان معروف يصلح للكراب، ومنه (المثل)[(٤)]: الكراب على البقر؛ لأنه أقوم به.

وقوله: ﴿سمان﴾ معلوم المعنى.

ورُوىَ أن الملك رأى سبع بقرات سمان خرجن من البحر كأسمن مايكون من البقر، ثم خرج عقيبه سبع بقرات عجاف فى غاية الهزال والعجف، ثم إن العجاف ابتلعت السمان وأكلتها حتى لم يتبين على العجاف منها شىء، ثم رأى [﴿وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات﴾ أى:][(٥)] سبع سنبلات يابسة الْتَوَتْ على الخضر حتى غلبت عليها فلم يبق من خضرتها شىء. وقوله: ﴿ياأيها الملأ أفتونى فى رؤياى إن كنتم للرؤيا تعبرون﴾ الرؤيا (هو)[(٦)] مايتخيله الإنسان فى المنام، وقد بينا أن النبى ﷺ قال فى الرؤيا الصادقة: «تلك عاجل بشرى المؤمن»[(٧)] ورُوى عن النبى ﷺ أنه قال:

(١) من «ك».
(٢) فى «ك»: استقنت.
(٣) ليست فى الأصل.
(٤) فى «ك»: الملك، وهو خطأ، وذكر ابن منظور هذا المثل فى لسان العرب (١/٧١٥) مادة: كرب.
(٥) فى الأصل: ثم رأى سبع سنبلات خضر، ورأى.
(٦) ليست فى: «ك».
(٧) تقدم فى سورة يونس.

جنة السنة

أَضْغَاثُ أَحْلامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلامِ بِعَالِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ

«إذا تقارب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب»(١) وله معنيان: أحدهما: أن تقارب الزمان هو استواء الليل والنهار؛ والطباع عند استواء الليل والنهار أصح؛ فالرؤيا أصدق. والمعنى الثانى: أن تقارب الزمان هو تقارب الساعة. وقد رُوىَ فى بدء وحى النبى ﷺ: «أنه كان إذا رأى الرؤيا جاءت مثل فلق الصبح»(٢).

وقوله: ﴿إن كنتم للرؤيا تعبرون﴾ يقال: عبرت الرؤيا: إذا فسرتها، والتعبير هو التفسير هاهنا.

قوله تعالى ﴿قالوا أضغاث أحلام﴾ الضغث: كل ماقبض عليه من الأخلاط من الحشيش وغيره. ومعنى الآية: رُوىَ عن قتادة أنه قال: أضغاث أحلام أى: أخلاط أحلام. وعن مجاهد قال: أهاويل أحلام، وقيل: أباطيل أحلام. وقوله: ﴿ومانحن بتأويل الأحلام بعالمين﴾ (ومعناه)(٣): ومانحن بتأويل الأحلام (التى)(٤) وصفتها هذه بعالمين.

قوله: ﴿وقال الذى نجا منهما وادَّكر بعد أمة﴾ أى: مدة، [و](٥) فى القصة: أن الملك جمع السحرة والكهنة والمعبرين وقص عليهم رؤياه، فلما عجزوا عن تعبيرها اهتم همًّا شديداً، فتذكر الغلام الساقى حال يوسف عليه السلام وقد كان فجئ بقوله، فجثى بين يدى الملك وقال: إن فى السجن رجلًا محبوسًا وهو يعبر الرؤيا، وذكر قصته؛ فهذا معنى قوله: ﴿وقال الذى نجا منهما واذَّكر بعد أمة﴾ والأمة هاهنا بمعنى الحين؛ وقد بينا أنه حبس سبع سنين بعد ماعبر رؤيا صاحب الملك. وعن وهب

(١) متفق عليه من حديث أبى هريرة، فرواه البخارى (١٢/ ٤٢٢/ رقم ٧٠١٧)، ومسلم (١٥/ ٢٩ - ٣٣ رقم ٢٢٦٣).

(٢) متفق عليه من حديث عائشة، رواه البخارى (١/ ٣٠ رقم٣)، ومسلم (٢/ ٢٥٩-٢٦٨ رقم ١٦٠).

(٣) ليست فى «ك».

(٤) فى «ك»: الذى.

(٥) من «ك».

جنة السنة

بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً

بن منبه قال: مكث يوسف فى السجن سبع سنين، ومكث أيوب فى البلاء سبع سنين. وقُرئ فى الشاذ: «وادكر بعد أَمَه» بالهاء؛ ومعناه: بعد نسيان. وقوله: ﴿أنا أنبئكم بتأويله﴾ معناه: أنا آتيكم بتأويله ﴿فأرسلون﴾ يعنى: أرسلنى أيها الملك إليه.

وقوله: ﴿يوسف أيها الصديق﴾ فى الآية اختصار، ومعناه: أن الملك أرسله إلى يوسف، وهو قال: يوسف أيها الصديق، والصديق: (الكثير للصدق)[1]. وقوله: ﴿أفتنا﴾ معناه: أجبنا ﴿فى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات﴾ هذا ذكر تقصيص الرجل رؤيا الملك على يوسف.

وقوله: ﴿لعلى أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون﴾ فيه قولان: أحدهما: لعلى أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون تأويل الرؤيا. والثانى [معناه][2]: لعلى أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون منزلتك ودرجتك فى العلم .

قوله تعالى: ﴿قال تزرعون سبع سنين دأبًا﴾ هذا خبر بمعنى الأمر؛ ومعناه: ازرعوا سبع سنين، يعنى: على عادتكم؛ والدأب: العادة. وقوله ﴿فما حصدتم﴾ الحصاد معلوم. وقوله: ﴿فذروه فى سنبله﴾ أمرهم أن يتركوا الحنطة فى السنابل ليكون أبقى على الزمان. وقوله: ﴿إلا قليلا مما تأكلون﴾ يعنى: مما تدرسون وتأكلون؛ فكأنه أمرهم أن يحفظوا الأكثر ويأكلوا بقدر الحاجة .

وقوله: ﴿ثم يأتى من بعد ذلك سبع شداد يأكلن﴾ سمى السنين المجدبة شداداً لشدتها على الناس. وقوله: ﴿يأكلن ماقدمتم لهن﴾ معناه: (يفنين)[3] ويهلكن

(١) كذا فى «الأصل».

(٢) من «ك».

(٣) فى «ك»: يفتتن.

جنة السنة

مِمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي

ماقدمتم لهن، وهذا على طريق التوسع والمجاز؛ فإن السنين لاتأكل شيئا، وإن القوم فى السنين يأكلون. وقوله: ﴿إلا قليلا مما تحصنون﴾ يعنى: تحرزون؛ ومعناه: تحرزون للبذر.

وقوله: ﴿ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس﴾ الغياث هاهنا: هو الخصب والسعة. وقوله ﴿وفيه يعصرون﴾ قرئ بقراءتين: «يعصرون» و«تُعْصَرُون» ومعناه: يعصرون الزيت من الزيتون، ومن العنب العصير، ومن السمسم الدُّهن. هذا قول ابن عباس ومجاهد .

وقيل: يعصرون: ينجون. قال الشاعر:

وصادياً يستغيث غير مغاثٍ ... ولقد كان عصرة المنجود

ولقد كان عصرة المنجود يعنى : المنجاة. وقيل: يعصرون: ينزل عليهم المطر من السحاب، قال الله تعالى ﴿وأنزلنا من المعصرات ماء ثَجَاجًا﴾[١].

قوله تعالى ﴿وقال الملك ائتونى به﴾ فى الآية اختصار أيضًا فإن الرجل رجع إلى الملك وقص عليه تأويل الرؤيا ثم قال الملك: ائتونى به. وقوله: ﴿فلما جاءه الرسول﴾ قال: ﴿ارجع إلى ربك﴾ إلى سيدك ﴿فاسأله مابال النسوة اللاتى﴾ أى: ماحال النسوة اللآتى ﴿قطعن أيديهن﴾ على مابينا من قبل، ولم يصرح بذكر امرأة العزيز أدبًا واحترامًا. وقوله: ﴿إن ربى بكيدهن عليم﴾ أى: بحيلهن ومكرهن عليم .

واعلم أنه قد صح عن النبى ﷺ أنه قال: «لو لبثت فى السجن مثل مالبث يوسف ثم جاءنى الداعى لأجبت»[٢] وفى بعض الروايات أن النبى ﷺ قال: «رحم الله أخى يوسف؛ لقد كان ذا حلم وأناة، ولو كنت مكانه ثم دعيت لبادرت»[٣] .

(١) النبأ: ١٤.
(٢) متفق عليه من حديث أبى هريرة وقد تقدم فى أول السورة.
(٣) رواه الطبرى فى التفسير (١٢/١٣٩)، وابن مردويه – كما فى الدر المنثور (٤/٢٥) – عن أبى هريرة.

جنة السنة

قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي

فإن قيل: أيش قصد يوسف عليه السلام من رد الرسول وذكر النسوة، وقد مضى على ذلك الزمان الطويل؟

الجواب: المراد أنه أن لاينظر إليه الملك بعين التهمة ويصير إليه وقد زال الشكوك عن أمره فقال ماقال هذا.

قوله (تعالى) ﴿قال ماخطبكن إذ راودتن يوسف﴾ رُوىَ أن الملك بعث إلى النسوة وفيهن امرأة العزيز فدعا بهن وقال لهن هذه المقالة، وقوله: ﴿ماخطبكن﴾ أى: ما (حالكن)(١)؟ وقيل: ما أمركن؟ وقوله: ﴿إذ راودتن يوسف عن نفسه﴾ خاطبهن بهذه المقالة، والمراد: امرأة العزيز خاصة، وقيل: إن امرأة العزيز راودته عن نفسه وسائر النسوة أمرنه بالطاعة لها؛ فلهذا قال: إذ راودتن يوسف عن نفسه. وقوله: ﴿قلن حاش لله﴾ معاذ الله ﴿ماعلمنا عليه من سوء﴾ يعنى: ماعلمنا عليه من تهمة ولاخيانة. وقوله: ﴿قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه﴾ وفى القصة: أن النسوة لما أخبرن ببراءة يوسف عما قرن به أقبلن على امرأة العزيز يقررنها. ورُوىَ أنها خافت أن يُقبلن عليها ويشهدن عليها فأقرت وقالت: الآن حصحص الحق. معناه: تبين الحق. وقيل: معناه: الآن ظهر الأمر بعد الانكتام. قال الشاعر:

ألا مبلـــغ عني خِـــداشًا بأنه ... كذوب إذا مـــاحصحص الحق ظالم

﴿أنا راودته عن نفسه﴾ ظاهر المعنى.

قوله: ﴿وإنه لمن الصادقين﴾ قوله تعالى: ﴿ذلك ليعلم﴾ اختلفوا على أن هذا قول من؟ الأكثرون أنه قول يوسف؛ ومعناه: ذلك ليعلم العزيز ﴿أنى لم أخنه بالغيب

(١) فى «ك»: بالكن.

جنة السنة

كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ

وأن الله لايهدى كيد الخائنين﴾ ومعناه: إنه لايُوضح ولايرشد كيد الخائنين. فإن قال قائل: كيف دخل قول يوسف فى وسط هذا الكلام، وإنما المذكور كلام جرى بين الملك والنسوة؟!

قلنا: اعتراض كلام آخر بين كلام. جائز على لغة العرب؛ قال الله تعالى فى قصة سليمان حكاية عن بلقيس: ﴿قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون﴾(١) كلام الله تعالى اعترض فى الوسط ومنهم من قال: وفى [الآية](٢) تقدير من التقديم والتأخير، معناه: ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن إن ربى بكيدهن عليم؛ ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب وأن الله لايهدى كيد الخائنين، ثم يرتب على هذا فى المعنى قوله: ﴿ماخطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه﴾.

قوله تعالى: ﴿وما أبرئ نفسى﴾ الآية. رُوىَ: «أن جبريل عليه السلام قال ليوسف حين قال: ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب. [فقال له](٣): ولا حين هممت»(٤). ورُوىَ أنه قال: حين حللت التكة. فقال يوسف: (وما أبرئ نفسى)(٥) ﴿إن النفس لأمارة بالسوء﴾ يعنى: إن النفس كثيرة الأمر بالسوء؛ السوء هاهنا هو المعصية. وقوله: ﴿إلا مارحم ربى﴾ قيل: إلا من رحم ربى، وفيه معنيان؛ أحدهما: أنه أشار إلى حالة العصمة عند رؤية البرهان. والقول الثانى: إلا من رحم ربى: هم الملائكة؛ فإن الله تعالى لم يركب فيهم الشهوة وخلقهم على العصمة من الهَم وغيره.

(١) النمل: ٣٤.
(٢) ليست فى «ك».
(٣) فى «الأصل»: فقاله.
(٤) تقدم قبل عدة أحاديث.
(٥) ليست فى «ك».

جنة السنة

لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ

وقوله: ﴿إن ربى غفور رحيم﴾ ظاهر.

قوله تعالى: ﴿وقال الملك ائتونى به أستخلصه لنفسى﴾ معناه: أجعله خاصًا لنفسى لايشركنى فيه أحد ﴿فلما كلمه﴾ فى الآية اختصار أيضًا فرُوِىَ أنه ذهب الرسول ودعاه فقام واغتسل ولبس ثيابا (نضافا)(١) وجاء إلى الملك. وقوله: ﴿فلما كلمه﴾ فى القصة أن الملك طلب منه أن يعيد تعبير الرؤيا ليسمع منه شفاهاً، فقص عليه، فهذا معنى قوله: ﴿فلما كلمه﴾ وقيل: إن الملك كان يعلم سبعين لغة من لغات الناس فكلم يوسف بتلك اللغات فأجابه يوسف بها كلها وزاد (لسان)(٢) العبرية والعربية ولم يكن الملك يعلم ذلك، فقال: ﴿إنك اليوم لدينا مكين أمين﴾ والمكانة: هى الجاه والحشمة والدرجة الرفيعة، وقوله: ﴿أمين﴾ أى: صادق.

قوله تعالى: ﴿قال اجعلنى على خزائن الأرض﴾ اختلفوا أن يوسف عليه السلام لم طلب هذا؟ قال (بعضهم)(٢): إنما طلب ذلك لأنه عرف أن ذلك؛ وصله إلى وصول أهله إليه من أبيه وإخوته وغيرهم، ومنهم من قال: إنما طلب ذلك لأنه عَرف أنه أقوم الناس بالقيام بمصالح الناس فى السنين الشداد، فطلب لهذا المعنى.

وقوله: ﴿اجعلنى على خزائن الأرض﴾ الأرض هاهنا: أرض مصر، والخزائن: هى خزائن الطعام والأموال. وقال ربيع بن أنس: «اجعلنى على خزائن الأرض» أى: على خراج مصر ودخلها.

﴿إنى حفيظ عليم﴾ أى: حفيظ للخزائن، عليم بوجوه مصالحها. وفى بعض التفاسير: «إنى حفيظ عليم» أى: كاتب حاسب. فإن قيل: هل يجوز أن يتولى المسلم من يد كافر عملا؟

قلنا: قد قالوا: إنه إذا علم أن الكافر يخليه والعمل بالحق يجوز أن يتولى. وقد

---

(١) كذا فى «الأصل و ك».

(٢) ليست فى «ك».

جنة السنة

مكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ وَلا نُضِيعُ أَجْرَ

رُوى أن ملك مصر لم يكن طاغيا ظالما، وإنما كان رجلا عفيفا فى دينه، وإنما الطاغى الظالم كان فرعون موسى. وفى القصة: أن الملك مكث سنة لايولِّيه ثم ولَّاه. وفى بعض الغرائب من الأخبار برواية أنس عن النبى ﷺ: «أن يوسف لو لم يطلب يولِّيه فى الحال، ولكنه لما طلب أخر الملك سنة»(١). فإن قال قائل: أيجوز للإنسان أن يزكى نفسه وقد قال يوسف عليه السلام: «إنى حفيظ عليم»؟

قلنا: يجوز إذا كان فى ذلك مصلحة عامة. وقيل: إنه يجوز (إذا عُرف أنه)(٢) لايلحقه بذلك آفة وأَمن العُجب على نفسه. وعن بعض الأئمة: لايضر المدح من عرف نفسه. وقد قال عليه السلام: «أنا سيد ولد آدم ولافخر»(٣) والخبر بطوله .

قوله تعالى: ﴿وكذلك مكنا﴾ رُوِىَ أن الملك ولاه ماطلب بعد سنة وتَوَّجَهُ بتاج مُرصع بجواهر وأجلسه على سرير الذهب واعتزل الأمر كله، وفوض إليه، ودانت له الملوك وُسمِّى بالعزيز. وفى القصة أيضا: أن امرأة العزيز مات زوجُها فزوجها الملك من يوسف - عليه السلام - وولدت له ولدين. وفى بعض الروايات: أنها وقفت على طريق يوسف عليه السلام ونادت: سبحان من جعل الملوك عبيداً بمعصيتهم، وجعل العبيد ملوكًا بطاعتهم .

قوله تعالى: ﴿[مكنا](٤)﴾ ومعناه: ملكنا وبسطنا ﴿ليوسف فى الأرض﴾ يعنى: أرض مصر ﴿يتبوأ منها حيث يشاء﴾ أى: ينزل منها حيث يشاء ﴿نصيب

(١) عزاه الزيلعى فى تخريج الكشاف (٢/١٧٣) للثعلبى من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس، ومن طريقه الواحدى فى تفسيره الوسيط، وقال الحافظ ابن حجر فى تلخيصه: وهذا إسناد ساقط.

(٢) فى «ك»: أنه إذا عرف.

(٣) رواه الحاكم (٢/٦٠٤ - ٦٠٥) من حديث جابر وقال: صحيح الإسناد، وتعقبه الذهبى فى تلخيصه وقال: لا والله! القاسم متروك تالف، وعبيد ضعفه غير واحد، ومشاه أبو حاتم.

قلت: وروى من حديث أنس، وأبى سعيد الخدرى، وعبد الله بن عمرو وواثلة وغيرهم. انظر تخريج الكشاف للزيلعى (٢/١٦٨ -١٧٢). وهوجزء من حديث الشفاعة فى الصحيحين بلفظ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيام ولا فخر...».

(٤) فى «الأصل وك»: مكناه.

جنة السنة

﴿الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾

برحمتنا ﴾ معناه: (نصيب بنعمتنا)[١] ﴿من نشاء ولانضيع أجر المحسنين﴾ ظاهر المعنى.

قوله: ﴿ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا﴾ معناه: ثواب الآخرة خير للذين آمنوا.
وقوله: ﴿وكانوا يتقون﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه﴾ قال أصحاب الأخبار: لما نصب الملك يوسف - عليه السلام - للقيام بالأمر، وتدبير مال مصر دبر فى جمع الطعام أحسن التدبير بنى الحصون والبيوت الكبيرة، وجمع فيها طعامًا للسنين المجدبة، وأنفق منها بالمعروف حتى مضت السنون المخصبة ودخلت سنون القحط، فرُوِىَ أنه كان دبر فى [طعام][٢] الملك وحاشيته مرةً واحدة وهو نصف النهار، فكلما دخلت سنة القحط كان أول من أخذه الجوع هو الملك فنادى بنصف الليل: يايوسف، الجوع، الجوع. وفى بعض الأخبار أنه كان يقدر لكل اثنين طعام اثنين وكان يقدم جميعه بين يدى الواحد فلا يأكل إلا نصفه، فلما دخلت سنة القحط (قدم طعام اثنين بين يدى واحد فقدّم فأكل جميعه وطلب زيادة فعرف يوسف عليه السلام أنه دخلت سنة القحط)[٣]، والله أعلم. قالوا: ودخلت السنة الأولى بهول وشدة لم يعهد الناس مثله، وكان كلما جاءت سنة أخرى كانت أهول وأشد، فلما كانت السنة الثانية وصل القحط إلى كنعان - وهو منزل يعقوب وأولاده - فاحتاجوا إلى الطعام حاجة شديدة فدعا بنيه وقال لهم: بلغنى أن بمصر ملكًا صالحًا يبيع الطعام فتجهزوا واذهبوا إليه لتشتروا منه الطعام، قال: فأرسلهم وهم عشرة نفر وحبس [ابنه بنيامين][٤] عنده فقدموا مصر، فهذا معنى قوله: ﴿وجاء إخوة يوسف﴾. وقوله: ﴿فعرفهم﴾

(١) ليست فى «ك».
(٢) فى «الأصل»: الطعام.
(٣) سقط من «ك».
(٤) فى «الأصل»: ابن يامين.

جنة السنة

﴿فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ

قال ابن عباس ومجاهد: عرفهم بأول ما نظر إليهم، وقال الحسن: لم يعرفهم حتى تعرفوا إليه. ومعنى الآية: فعرفهم بالتعريف؛ والمعرفة: تبين الشيء بما لو شوهد لميز بينه وبين غيره. وقوله: ﴿وهم له منكرون﴾ يعنى: أنهم لم يعرفوه؛ والإنكار إبطال المعرفة بالقول، فإن قال قائل، كيف عرفهم ولم [يعرفوه](١) وهم إخوة؟!

والجواب من وجوه: قال عطاء بن أبى رباح: كان عليه تاج الملك وكان قاعدا على سرير الملك فلم يعرفوه. وذكر الكلبى أنه كان على زى ملوك مصر والأعاجم.

والقول الثانى: أنه كلمهم من وراء ستر فلم يعرفوه لهذا وعرفهم؛ لأنه أبصرهم ولم يعرفوه؛ لأنهم لم يبصروه، وهذا أضعف الأقوال.

والقول الثالث: أنهم كانوا تركوه صغيراً، وكان بين أن باعوه وبين أن دخلوا عليه أربعون سنة فلم يعرفوه لهذا. وهذا قول حسن. وأما هو فكان تركهم رجالًا.

والقول الرابع: أن يوسف كان يتوقع قدومهم عليه فلما [جاءوا](٢) عرفهم، وأما الاخوة ما ظنوا أنه يصل إلى ما وصل إليه [فأنكروه](٣) لهذا.

قوله ﴿ولما جهزهم بجهازهم﴾ الآية، الجهاز: هو فاخر المتاع الذى ينقل من بلد إلى بلد؛ ومعنى التجهيز ها هنا: هو أنه باع منهم الطعام وسلمه إليهم وسهل لهم الرجوع إلى بلدهم.

وقوله: ﴿قال ائتونى بأخ لكم من أبيكم﴾ فى القصة: أنهم لما دخلوا عليه خلا بهم فى البيت وقال: إنى استربت بحالكم فأخبرونى من أنتم؟ فقالوا: نحن بنو رجل صديق، فقال: ومن هو؟ قالوا: يعقوب، فاستخبرهم عن حاله، فذكروا أنه كان له اثنا

(١) فى «الأصل وك»: يعرفوهم.

(٢) فى «الأصل وك»: جاء.

(٣) فى «الأصل وك»: فأنكروا.

جنة السنة

تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا

عشر ابنًا وأنه هلك واحد منهم فى البرية، (وحبس)(١) واحدًا وهو أخوه لأمه ليستأنس به، فقال: أنا مستريب بكم، فإن كنتم صادقين فاحملوا ذلك الأخ معكم لتزول الريبة عن حالكم. وقيل: إنه قال لهم لما قصت القصة عليه، قصتى مثل قصتكم أيها القوم وقد فقدت أخًا لى من أمى وأنا شديد الحزن عليه وقد نغص فراقه علىَّ ملكى فأحب أن تحملوه إلىَّ لأشكو إليه حزنى ويشكو إلىَّ حزنه، فبهذا الطريق قال: ائتونى بأخ لكم من أبيكم.

وفى بعض (التفاسير)(٢): أنهم ذكروا إيثار يعقوب بنيامين) و(أخاه)(٣) فى المحبة فأحب أن يرى بنيامين لينظر هل هو موضع الإيثار؟.

وقوله: ﴿ألا ترون أنى أوفى الكيل﴾ يعنى: أتم الكيل ولا أبخسه. وقوله: ﴿وأنا خير المنزلين﴾ قال مجاهد: أنا خير المضيفين، وكان قد أحسن ضيافتهم.

قوله تعالى: ﴿فإن لم تأتونى به فلا كيل لكم عندى﴾ قال الحسن: إن لم تأتونى به فلا طعام لكم عندى إن جئتم. وقوله: ﴿ولاتقربون﴾ أى: لاتقربوا بلادى ولا دارى.

قوله تعالى:: ﴿قالوا سنراود عنه أباه﴾ معناه: سنطلب إلى أبيه أن يرسله معنا. وقوله: ﴿وإنا لفاعلون﴾ أى: مجتهدون.

قوله: ﴿وقال لفتيته﴾ قرئ بقراءتين: «لفتيانه» و «لفتيته» والفتى: هو الشباب الكامل فى القوة، والفتية والفتيان ها هنا: الغلمان. وقوله: ﴿اجعلوا بضاعتهم فى رحالهم﴾ يقال: إن بضاعتهم كانت دراهم حملوها لشراء الطعام. وعن بعضهم: أن بضاعتهم كانت ثمانية جرب من سَويق المقل. والأصح هو الأول. وقوله: ﴿فى رحالهم﴾ الرحل ها هنا: وعاء المتاع. وقيل: فى جواليقهم. وقوله: ﴿لعلهم يعرفونها

(١) فى «ك»: وجلس.

(٢) فى «ك»: الطريق.

(٣) فى «ك»: أخوه.

انقلبوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٦٤﴾

إذا انقلبوا إلى أهلهم لعلهم يرجعون ﴾ فيه قولان : أحدهما : لعلهم يعرفون كرامتهم علينا، وإحساننا إليهم فيحملهم ذلك على الرجوع .

والقول الثانى : لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم – يعنى : البضاعة – فيرجعون لرد البضاعة نفيا للغلط . واختلف القول فى أنه لِمَ رد بضاعتهم عليهم؟

فأحد الأقوال : ما بينا، وهو أن يكون ذلك حثًّا لهم على الرجوع . والثانى : أنه عرف أن الدراهم كانت قليلة عندهم فرد الدراهم عليهم ليكون عونًا لهم على شراء الطعام . والثالث : أنه استحيا أن يعطى أباه وإخوته بالثمن مع شدة حاجتهم وسعة الأمر عليه .

قوله تعالى : ﴿ فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل ﴾ إن لم نحمل أخانا معنا . والثانى : أنه كان أعطى باسم كل واحد منهم وقرًا، ولم يعط باسم بنيامين شيئا، وقال : احملوه لأعطى باسمه؛ فهذا معنى قوله :﴿ منع منا الكيل ﴾ أى : منع منا الكيل لبنيامين؛ والمَعنيُّ بالكيل هو الطعام؛ لأنه يُكال . وقوله : ﴿ فأرسل معنا أخانا نكتل ﴾ أى : نكيل الطعام، وقيل : نكتل له . وقوله : ﴿ وإنا له لحافظون ﴾ ظاهر .

قوله تعالى : ﴿ قال هل ءآمنكم عليه ﴾ الآية، معنى هذا : كيف آمنكم عليه وقد فعلتم بيوسف ما فعلتم . وقوله : ﴿ فالله خير حافظا ﴾ قرئ : « حفظا » و « حافظا » ومعناه : حفظ الله خير من حفظكم، وحافظ الله خير من حافظكم .

قوله : ﴿ وهو أرحم الراحمين ﴾ ظاهر .

قوله تعالى : ﴿ ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم رُدّت إليهم ﴾ يعنى : ما حملوا من الدراهم ﴿ قالوا يا أبانا ما نبغى ﴾ فيه قولان : أحدهما : أى شىء نطلب؟ على طريق الاستفهام؛ قاله قتادة . وحقيقته : أنهم ذكروا ليعقوب عليه السلام إحسان الملك

جنة السنة

وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَن يُحَاطَ

إليهم وإكرامه إياهم، [وحثوه](١) بذلك على إرسال بنيامين، فلما فتحوا المتاع ووجدوا البضاعة قالوا: أى شيء نطلب بالكلام، هذا هو العيان فى الإحسان والإكرام.

والقول الثانى: أن «ما» ها هنا للنفى؛ ومعناه: لانطلب منك مالا لنشرى به الطعام ﴿هذه بضاعتنا ردت إلينا﴾ هذا المال قد رُدَّ إلينا فنحمله ونشترى به الطعام. والقول الأول أصح.

وقوله: ﴿ونمير أهلنا﴾ يقال: مار أهله إذا حمل لهم الطعام من بلد إلى بلد؛ والميرة: هو الطعام المحمول. وقوله: ﴿ونحفظ أخانا﴾ يعنى: مما تخاف عليه. وقوله: ﴿ونزداد كيل بعير﴾ قال مجاهد: البعير ها هنا: هو الحمار، قال:؛ هو لغة، وكانوا أصحاب حُمر ولم يكن لهم إبل. والأصح أنه البعير المعروف. وقوله: ﴿ونزداد﴾ إنما قالوا هذا لأنه كان يُعطى حمل بعير باسم كل رجل ولايزيد؛ فهذا معنى قوله: ﴿ونزداد كيل بعير﴾. قوله: ﴿ذلك كيل يسير﴾ فيه معنيان: أحدهما: ذلك كيل قليل؛ يعنى: ما حملناه قليل لايكفينا وأهلنا، فأرسل معنا أخانا [نكتل](٢) ليكثر ما نحمله من الطعام. والمعنى الثانى: ذلك كيل يسير أى: هين على من يكتاله.

قوله تعالى: ﴿قال لن أرسله معكم﴾ فى القصة: أن الإخوة جهدوا أشد الجهد وضاق الأمر على يعقوب وقومه فى الطعام فلم يجد بُدًّا من إرسال [بنيامين](٣) معهم فقال: ﴿لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله﴾ الموثق: هو العهد المؤكد بالقسم، وقيل: المؤكد بإشهاد الله على نفسه. وقوله: ﴿لتأتننى به إلا أن يحاط بكم﴾ فيه قولان، أحدهما: إلا أن تهلكوا جميعا. والآخر: إلا أن يأتيكم أمر من السماء ليس لكم به قوة.

---

(١) فى «الأصل وك»: حسنوه.

(٢) ليست فى «الأصل».

(٣) فى «ك»: ابنه يامين.

جنة السنة

بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن

وقوله: ﴿ فلمّا آتوه موثقهم ﴾ يعنى: أعطوه ﴿ قال الله ﴾ تعالى ﴿ على ما نقول وكيل ﴾ قال يعقوب: الله على ما نقول وكيل؛ والوكيل هو القائم بالتدبير، وقيل: وكيل أى: شاهد، [وقيل: شهيد، أى: شاهد] وقيل: حفيظ.

قوله تعالى: ﴿ وقال يا بنى لاتدخلوا من باب واحد ﴾ أكثر المفسرين [على](١) أنه خاف العين: لأنه كانوا أُعطوا جمالا وقوة وامتداد قامة، هذا قول ابن عباس وغيره من المفسرين؛ والعين حق. وقد رُوى عن النبى ﷺ أنه كان يعوّذ الحسن والحسين فيقول: «أعيذكما بكلمات الله [التامة](٢) من كل شيطان [و](١) هامة، ومن كل عين لامّة»(٣).

وفى الباب أخبار كثيرة، وفى بعض الآثار. «العين حق، تدخل الجمل القدر والرجل القبر»(٤).

وفى الآية قول آخر: وهو أنه خاف عليهم ملك مصر إذا رأى قوتهم واجتماعهم أن يحبسهم أو يقتلهم. وحُكِىَ عن إبراهيم النخعى أنه قال: كان يرجو يعقوب أن يروا يوسف ويجدوه فقال: ﴿ وادخلوا من أبواب متفرقة ﴾ لعلكم (تجدون)(٥) يوسف [أو](٦) تلقونه. والصحيح هو الأول.

وقوله: ﴿ وما أغنى عنكم من الله من شيء ﴾ معناه: إن كان الله قضى فيكم [قضاء](٧) فيصيبكم [قضاؤه](٨) مجتمعين كنتم أو متفرقين؛ ومعنى «أغنى»

(١) من «ك». (٢) فى «الأصل»: التامات، وما أثبتناه من «ك».

(٣) رواه البخارى (٦/ ٤٧٠ رقم ٣٣٧١)، وأبو داود (٤/ ٢٣٥ رقم ٤٧٣٧)، والترمذى (٤/ ٣٤٦-٣٤٧ رقم ٢٠٦٠)، وابن ماجة (٢/ ١١٦٤ رقم ٣٥٢٥)، وأحمد (١/ ٢٣٦، ٢٧٠) كلهم من حديث ابن عباس.

(٤) رواه ابن عدى فى الكامل (٥/ ١٨٥)، (٦/ ٤٠٧-٤٠٨)، وأبو نعيم فى الحلية (٧/ ٩٠)، والخطيب (٩/ ٢٤٤) عن جابر، وقال ابن عدى: ولم يحدث عن محمد بن المنكدر من حديث الثورى عنه إلا معاوية، وقال أبو نعيم: غريب من حديث الثورى، تفرد به معاوية. وقال الذهبى فى الميزان (٢/ ٢٧٥): منكر. والشطر الأول منه متفق عليه من حديث أبى هريرة. وانظر المقاصد الحسنة (ص ٤٧٠).

(٥) فى «ك»: تجدوا. (٦) فى «الأصل»: و. (٧) ليست فى «ك». (٨) ليست فى «الأصل».

جنة السنة

شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلاَّ حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلا تَبْتَئِسْ بِمَا

أى: أدفع. وفى الخبر: الحذر لايرد القدر. وقوله: ﴿إن الحكم إلا لله﴾ هذا تفويض يعقوب عليه السلام أموره إلى الله؛ والحكم: هو الفصل بين الخصوم بموجب العلم من البشر، ومن الله صنع بموجب الحكمة ﴿عليه توكلت﴾ يعنى: به وثقت وعليه اعتمدت

﴿وعليه فليتوكل المتوكلون﴾ معناه: وبه يثق الواثقون.

قوله تعالى: ﴿ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم﴾ يعنى: من الأبواب المتفرقة قيل: إن المدينة مدينة الفرما(١)، و(كانت)(٢) لها أربعة أبواب، كانت مدينة العريش. وقوله ﴿ما كان يغنى عنهم من الله من شيء﴾ معناه: ما كان يدفع عنهم من الله من شيء، وهذا الحق تحقيق لما ذكره يعقوب من قوله: ﴿وما أغنى عنكم من الله من شيء﴾. وقوله: ﴿إلا حاجة فى نفس يعقوب قضاها﴾ يعنى: إلا مراداً ليعقوب عليه السلام ذكره وجرى الأمر على ذلك. وقوله: ﴿وإنه لذو علم لما علمناه﴾ قال أهل التفسير: معناه: وأنه كان يعمل ما يعمل عن علم، لا عن جهل. ومنهم من قال: وإنه لذو علم بسبب تعليمنا إياه ﴿ولكن أكثر الناس لايعلمون﴾ لأنهم لم يسلكوا طريق العلم.

قوله: ﴿ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه﴾ آوى إليه: ضم إليه، ومعناه: أنزله مع نفسه. وفى القصة: أنه أنزل كل أخوين من أم بيتاً، فبقى بنيامين وحده فقال: انزل معى، وكان كل أخوين من أم على حدة. وقوله: ﴿قال إنى أنا أخوك﴾

(١) انظر معجم البلدان (٤ / ٢٩٠).

(٢) فى «ك»: كان.

جنة السنة

كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ

فيه قولان: أحدهما: أنه أسرّ إليه أنه أخوه. والآخر: أنه قال: أنا لك مكان أخيك الهالك. ذكره وهب وغيره. وقوله: ﴿فلا تبتئس بما كانوا يعملون﴾ معناه: فلا تحزن بما عملوا مع أخيك، فإني لك بدل أخيك، فرُوِىَ أنه قال له بنيامين: ومن يجد أخًا مثلك أيها الملك؛ ولكنك لست من يعقوب؛ فحينئذ ذكر أنه أخوه حقيقة.

قوله تعالى: ﴿فلما جهزهم بجهازهم﴾ قد ذكرنا. وقوله: ﴿جعل السقاية﴾ السقاية: هى الإناء الذى يشرب به. واختلفوا أنها من أيش كانت؟ قال ابن عباس: كانت من زبرجد. وقال مجاهد: كانت من فضة مُرصَّعة بالجوهر، وقيل: كان من ذهب. وعن بعضهم: أنه كان (إناء)[1] مستطيلا شبه المكوك وله رأسان وفى وسطه مقبض، فكان يكال من أحد الرأسين ويشرب من (الرأس)[2] الآخر، وكان لايكال إلا به لعزَّة الطعام، وكان يسمع لها صوت: قد كيل فىَّ كذا.

وقوله: ﴿فى رحل أخيه﴾ أى: فى وعاء أخيه بين طعامه. وقوله: ﴿ثم أذن مؤذن﴾ رُوِىَ أنه تركهم حتى ذهبوا منزلا، وقيل: حتى أصحروا وخرجوا من العمارة، ثم بعث من خلفهم من استوقفهم وقال: ﴿أيتها العير إنكم لسارقون﴾ والعير: هم أصحاب الحمير. وقيل: قد يذكر ويراد به الإبل. فإن قال قائل: كيف استجاز يوسف أن ينسبهم إلى السرقة ولم يسرقوا؟

الجواب عنه من وجوه: أحدها معناه: إنكم لسارقو يوسف من أبيه، وعملتم كما يعمل السراق. والثانى: أن الرجل قال من غير أمر يوسف، فإنه حين فقد الصاع ظن أنهم سرقوا. والثالث: أن هذه هفوة من يوسف عليه السلام. وقد قالوا: إنه عُيِّر ثلاث عيرات: الأولى: حين هم بامرأة العزيز إلى أن رأى البرهان، والثانى حين قال للساقى: اذكرنى عند ربك، والثالث: هذا؛ وهو أنه نسب إخوته إلى السرقة.

والقول الأول أجود الأقاويل، ويقال: إنه كان واضَعَ مع بنيامين، وقال ما قال بالمواضعة،[3] والله أعلم.

---

(١) ليست فى «ك».

(٢) فى «الأصل وك»: أحد الرأس.

(٣) المواضعة: الاتفاق، وتواضع القوم على الشيء: اتفقوا عليه. انظر لسان العرب (٨/٣٩٧) مادة: وضع.

جنة السنة

﴿قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا فَمَا

قوله: ﴿قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون﴾ رُوِىَ أنهم وقفوا وقالوا للقوم: ماذا تطلبون؟

قوله: ﴿قالوا نفقد صواع الملك﴾ قرأ يحيى بن يعمر: «صَوغ الملك» بالغين المعجمة [و][1] الصوغ من الذهب أو الفضة، والصواع يذكر ويؤنث، [و][1] الصواع: هو السقاية التى ذكرها فى الآية الأولى. وقيل: إنه كان يكون بين يدى الملك، فإذا احتيج إليه أخذ.

وقوله :﴿ولمن جاء به حمل بعير﴾ يعنى: ولمن رده حمل بعير من الطعام.

وقوله: ﴿وأنا به زعيم﴾ أى: كفيل، والزعيم والكفيل والضمين بمعنى واحد، ويسمى الرئيس زعيمًا؛ لأنه كفل أمور القوم زعيم يقوم بمصالحهم ويتكلم عنهم. فإن قيل: أتجوز الكفالة بالمجهول عندكم وهذه كفالة بالمجهول؟ قلنا: لاتجوز، ويحتَمل أن حمل البعير كان معلومًا قدره عندهم. والثانى: أن هذه جعالة ولم تكن كفالة، وعندنا تجوز مثل هذه الجعالة.

قوله تعالى: ﴿قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الأرض﴾ يعنى: والله ما جئنا لنفسد فى الأرض أى: لنسرق فى ملك مصر ﴿وما كنا سارقين﴾ فى بلادنا فنسرق فى بلادكم. فإن قال قائل: كيف قالوا: لقد علمتم وكان (من جوابهم)[2] أن يقولوا: نحن لانعلم؟ (قلنا)[3]: إنما قالوا ذلك؛ لأنهم كانوا جماعة لهم قوة وشدة ولم يكونوا يظلمون أحدًا من الطريق ولايتركون دوابهم تدخل فى حرث أحد، ورُوِىَ أنهم دخلوا مصر حين دخلوا وقد جعلوا الأكمة على رءوس دوابهم لئلا تفسد شيئًا.

وجواب آخر: أنهم إنما قالوا هذا لأنهم ردوا البضاعة المحمولة فى رحالهم قالوا: فلو

(١) فى «الأصل»: وهو.
(٢) هكذا فى «الأصل وك»، والأولى أن يقال: حرى بهم.
(٣) فى «ك»: قالوا: إنما قلنا. ولعله خطأ من الناسخ.

جَزَاؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن

كنا سارقين مارددنا البضاعة؛ لأن من يطلب شيئًا ليسرقه لايخلى شيئًا وقع فى يده.

فإن قيل: كيف جاز فى العربية أن يقول القائل: (تالله، ولايجوز أن يقول: تالرحمن وتالرحيم)[1]؟ قلنا: لأن التاء بدل البدل؛ فإن الأصل فى القسم حرف الباء ثم أبدلت الواو بالتاء فلما كانت بدل البدل ضعفت عن التصرف واقتصرت على الاسم الذى هو الأصل فى القسم عادة ولسانا وهو «الله».

قوله تعالى: ﴿قالوا فما جزاؤه إن كنتم كاذبين﴾ معناه: فما جزاء السارق إن كنتم كاذبين بقولكم إنا لم نسرق؟

قوله: ﴿قالوا جزاؤه من وجد فى رحله فهو جزاؤه﴾ استعباد السارق من وُجد فى رحله (فهذا)[2] الجزاء جزاؤه؛ فيكون الثانى تأكيداً للأول. وفى الأول حذف على عادة كلام العرب، والقول الثانى: قالوا: جزاؤه من وجد فى رحله فالسارق جزاؤه؛ فهو كناية عن السارق، ومعنى جعله جزاء: أنه يُسترَقُّ ويُستعبد. واعلم أنه كان من سُنَّة يعقوب: أن من سرق شيئا استُرِقَّ سنة، وكان حكم ملك مصر أن يضرب ويغرَّم ضعفى قيمته، [فمراد][3] يوسف أن يحبس أخاه عنده فردَّ الحكم فى السرقة إليهم فذكروا من حكم السرقة بما عرفوه فى شريعة يعقوب عليه السلام، فأخذ يوسف عليه السلام بذلك وحصل مراده من حبس أخيه.

وقوله: ﴿كذلك نجزى الظالمين﴾ يعنى: أن إخوة يوسف قالوا: كذلك نجزى السُّراق عندنا.

قوله تعالى: ﴿فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه﴾ رُوِىَ أن المؤذن فتش عن أوعيتهم، ورُوِىَ أنه ردَّ جماعتهم إلى يوسف - عليه السلام -

(١) فى «ك»: بالله، ولايجوز أن يقول: بالرحمن، وبالرحيم. كلهم بالباء، وهو خطأ.
(٢) فى «ك»: فهو.
(٣) فى «الأصل وك»: فما راد.

وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ قَالُوا إِن يَسْرِقْ

فأمر بتفتيش أوعيتهم بين يديه. وفي القصة: أن ذلك الرجل كان كلما فتش وعاء ولم يجد الصاع استغفر الله وأظهر التوبة فلما بقى رحل بنيامين قال: ما أظن أن هذا أخذ شيئا قالوا: والله لانتركك حتى تفتش وعاءه فتطيب أنفسنا ونفسك، ففتش وعاءه واستخرج الصاع فبقوا منكسرين مستحيين ونكسوا رءوسهم خجلا وقالوا لبنيامين: ما هذا يا ابن راحيل؟! فقال: والله ما سرقت، فقالوا: كيف وقد وجد الصاع فى رحلك؟! فقال: وضع الصاع فى رحلى من وضع البضاعة فى رحالكم. قال: وأخذوا بنيامين رقيقًا عبداً. وفي القصة: أن ذلك الرجل أخذ برقبته ورده إلى يوسف كما يرد السُّرَّاق. وقوله: ﴿كذلك كدنا ليوسف﴾ معناه: دبرنا ليوسف، وقيل: صنعنا ليوسف. وقال ابن الأنبارى: أردنا ليوسف؛ وأنشد قول الشاعر

كادت وكدت وذاك خير إرادة ... لو عاد من لهو الصبابة ما مضى

فإن قيل: ما معنى قوله: ﴿كذلك﴾ وأيش هذه الكاف، والكاف للتشبيه؟ الجواب عنه: أن هذا منصرف إلى قول يعقوب فى أول السورة: ﴿فيكيدوا لك كيداً﴾(١) وكان كيدهم: أنهم أخذوه من أبيه بحيلة وألقوه فى الجُبِّ فقال الله تعالى: كما كادوا فى أمر يوسف: ﴿كدنا ليوسف﴾ فى أمرهم؛ والكيد من الخلق هو: الحيلة، ومن الله: التدبير بالحق. وقوله: ﴿ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك﴾ معناه: ما كان يوسف ليجازى أخاه فى حكم الملك، وقيل: فى عادة الملك. قال الشاعر:

أقول وقد درأتُ لها وضينى ... أهـذا دينـه أبدًا ودينى

و «ما» ها هنا للنفى. وقوله: ﴿إلا أن يشاء الله﴾ معناه: إلا بمشيئة الله يعنى: فعل ما فعل بمشيئة الله تعالى. وقوله: ﴿نرفع درجات من نشاء﴾ قال هذا فى هذا الموضع؛ لأنه رفع درجة يوسف على درجتهم فى العلم والملك و العقل وغيره. وقيل:

(١) يوسف: ٥

جنة السنة

فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا

نرفع درجات من نشاء بالتوفيق والعصمة. وقوله: ﴿ وفوق كل ذى علم عليم ﴾ قال ابن عباس: وفوق كل عالم عالم إلى أن ينتهى العلم إلى الله. وقرأ ابن مسعود: «وفوق كل عالم عليم».

قوله تعالى: ﴿ قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل ﴾ أرادوا بأخيه من قبل: يوسف - عليه السلام - واختلف القول فى أنه أيش سرق؟

قال سعيد بن جبير وقتادة: كان عند جده إلى أمه صورة تعبد فأخذها سرًا وألقاها لئلا تُعبَدَ. والقول الثانى: أنه كان يأخذ الطعام من مائدة أبيه سرا فيعطيه المساكين.

والقول الثالث: أنه كان عند عمته تربيه، فأراد يعقوب أن ينتزعه منها فشدت عمته تحت ثيابه منطقة، وادعت أنه سرقها لتحبسه عند نفسها ويُترَكَ عندها؛ فإنها كرهت أن يؤخذ منها وكانت أحبته حبًّا شديدًا، ذكره ابن إسحاق.

وقوله: ﴿ فأسرها يوسف فى نفسه ﴾ فإن قال قائل: إلى أين يرجع قوله: ﴿ فأسرها يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم ﴾؟ قلنا: ليس لهذا مذكور سابق، ومعناه: أسر الكلمة فى نفسه، وتلك الكلمة أنه قال: ﴿ أنتم شر مكانا ﴾، ولم يصرح بهذا القول. وقوله: ﴿ شر مكانا ﴾ يعنى: شر صنيعًا. وحقيقة معناه: أنه لم يكن من يوسف سرقة صحيحة، وقد كانت منكم سرقة صحيحة؛ وهو سرقتكم يوسف من أبيه.

وقوله: ﴿ والله أعلم بما تصفون ﴾ يعنى: والله أعلم أن أخاه قد سرق أو لم يسرق.

قوله تعالى: ﴿ قالوا يا أيها العزيز إن له أبا شيخًا كبيرًا ﴾ فى القصة: أنهم غضبوا غضبًا شديدًا لهذه الحالة، وكان يهوذا إذا غضب لم يقم لغضبه شىء، وإذا صاح [فكل][1] امرأة حامل سمعت صياحه ألقت ولدها، وكان مع هذا إذا مسَّه أحد من

(١) فى «الأصل»: فكلما، وفى «ك»: ألقت الحامل حملها إذا سمعت صياحه.

جنة السنة

فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ

ولد يعقوب [سكن](١) غضبه، وقيل: إن هذا كان صفة شمعون من أولاد يعقوب؛ فرُوِىَ أنه قال لإخوته: كم يكون من عدد الأسواق بمصر؟ فقالوا: عشرة أسواق، فقال: اكفونى أنتم الأسواق وأنا أكفكم الملك، أو قال: اكفونى أنتم الملك وأنا أكفكم الأسواق، قال: فدخلوا على يوسف فقال له يهوذا: أتردن علينا أخانا أو لأصيحن صيحة تلقى كل حامل ولدها فى هذه البلدة، وكان عند يوسف ابن له صغير قائم عنده فقال: اذهب وخذ بيد ذلك الرجل وائتنى به، فذهب وأخذ بيده فسكن غضبه، فقال لإخوته: والله إن ها هنا بذراً من بذر يعقوب، فقال له الابن الصغير: ومَن يعقوب وأنا لا أدرى يعقوب ولا ولده؟. ورُوِىَ أنه غضب ثانيًا فقام إليه يوسف وركضه برجله وأخذ بتلابيبه فوقع على الأرض وقال: معشر العبرانيين تظنون أن لا أحد أشد منكم، ذكر هذا كله السدى وغيره، فلما صار أمرهم إلى هذا خضعوا وذلوا وقالوا: ﴿ يأيها العزيز إن له أبًاشيخًا كبيرًا ﴾.

والعز: منع الضيم أو الضير بسعة السُلطان والقدرة، والعزيز: هو المنيع بما حَصَل له من واسع المقدور.

قوله: ﴿ إن له أبًا شيخًا كبيرًا فخذ أحدنا مكانه ﴾ معناه: خذ أحدنا بدله، ونصب شيخًا على نعت قوله: ﴿ أبًا ﴾

وقوله: ﴿ إنا نراك من المحسنين ﴾ يعنى: إنا نراك من المحسنين إلينا، وإحسانه إليهم بتوفية الكيل، وحسن الضيافة، ورد البضاعة، وغيره.

قوله تعالى: ﴿ قال معاذ الله ﴾ أعتصم بالله ﴿ أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذا لظالمون ﴾ معلوم المعنى، ومعناه: أن نأخذ البرىء بدل الجانى، فإن أخذنا فإنا ظالمون.

قوله تعالى: ﴿ فلما استيأسوا منه ﴾ فى القصة: أنه لما استخرج الصاع وعاد الإخوة إليه دعا بالصاع ونقره بقضيب فى يده فطن الصاع.

---

(١) فى «الأصل»: فسكن.

جنة السنة

كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ

فقال: ياقوم إن هذا الصاع ليخبرني بخبر، قالوا: ومايخبرك أيها الملك؟ فقال: إنه يخبرني أنكم كنتم (اثنى)[1] عشر إخوة وأنكم أخذتم أخًا لكم من أبيكم وألقيتموه في الجبّ وبعتموه من بعد، قال: فجعل ينظر بعضهم إلى بعض فقام بنيامين وسجد له، وقال: صَدَق صاعك (أيها الملك)[2]، سله: أحى أخى أو لا؟، فنقر الصاع ثانيًا وطن فقال: إنه يقول: هو حى، وستراه. فقال: سله من سرق الصاع؟ فقال: هو غضبان - يعنى الصاع - ويقول: كيف تسألنى وقد رأيت فى يد من كنت؟! أورده النقاش وأبو الحسين بن فارس وغيرهما، والله أعلم.

ومعنى قوله: ﴿فلما استيأسوا منه﴾ أى: تيأسوا منه، وقال أبو عبيدة: استيأسوا: استيقنوا أن الأخ لا يرد إليهم، وأنشد:

أقول لهم بالشِّعب إذ يأسروننى ... ألـم تيأسـوا أنى ابن فارس زهدم

يعنى: ألم تعلموا. وقوله ﴿خلصوا نجيا﴾ يعنى: انفردوا يتناجون، ويتشاورون فى أمر أخيهم، ومعنى ﴿خلصوا﴾: أنه لم يكن معهم غيرهم. تقول العرب: قوم نجى. قال الشاعر:

حتى إذا ماالقوم كانـوا أنجيـة ... واختلطت أحوالهم كالأرشية

وقوله: ﴿قال كبيرهم﴾ قال ابن عباس: هو يهوذا ولم يكن أكبرهم فى السن، ولكن كان فى العقل أكبرهم، وقال مجاهد: هو شمعون وكانت له الرئاسة على إخوته، وقال قتادة: هو الروبيل وكان أكبرهم فى السن.

وقوله: ﴿ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقًا من الله﴾ قد بينا معنى الموثق. وقوله: ﴿ومن قبل ما فرطتم فى يوسف﴾ يعنى: قصرتم وتركتم عهد أبيكم.

(١) فى «ك»: اثنا.

(٢) ليست فى «ك».

جنة السنة

الْحَاكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ارْجِعُوا إِلَىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴿٨١﴾ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ

وقوله: ﴿فلن أبرح الأرض﴾ يعنى: لن أبرح أرض مصر ﴿حتى يأذن لى أبى﴾ يعنى: يدعونى أبى ﴿أويحكم الله لى﴾ أى: يرد أخى إلىَّ، وقيل: يحكم اللَّه لى بالسيف فأقاتلهم وأسترد أخى ﴿وهو خير الحاكمين﴾ يعنى: وهو خير الفاصلين.

قوله تعالى: ﴿ارجعوا إلى أبيكم﴾ الآية: امضوا إلى أبيكم ﴿فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق﴾ وحكى عن ابن عباس أنه قرأ: «إن ابنك سُرِّق» وفيه معنيان: أحدهما: اتهم بالسرقة. والآخر: علم منه السرقة. وقوله :﴿وما شهدنا إلابما علمنا﴾ يعنى: إلا بما رأينا فإنا رأينا إخراج الصاع من متاعه. وقوله: ﴿وماكنا للغيب حافظين﴾ فيه قولان: أحدهما: ماكنا لليله ونهاره وذهابه ومجيئه حافظين، وإنما كنا نعلم من حاله مادام عندنا، والقول الثانى يعنى: أنا لوعلمنا أنه سيسرق ماحملناه مع أنفسنا فنحن لم نعلم هذا الغيب .

قوله تعالى :﴿واسأل القرية التى كنا فيها﴾ يعنى: أهل القرية التى كنا فيها. ﴿والعير التى أقبلنا فيها﴾ يعنى: وأهل العير التى أقبلنا فيها، أى: كنا فيها.

وقوله: ﴿وإنالصادقون﴾ ظاهر. فإن قال قائل: كيف استجاز يوسف - عليه السلام - أن يعمل كل هذا بأبيه ولم يخبره بمكانه ولم يرسل إليه أحدًا، ثم حبس أخاه عنده وقد عرف شدة وجده عليه ، وهذا أعظم من كل عقوق، وفيه قطع الرحم وقلة الشفقة؟ الجواب عنه: قد أكثر الناس فى هذا، والصحيح أنه عمل ماعمل بأمر الله تعالى، وأمره الله تعالى بذلك ليزيد فى بلاء يعقوب ويضاعف له الأجر، ويرفع درجته [فيلحقه][1] فى الدرجة بابائه الماضين. وقيل: إنه لم يظهر نفسه للإخوة؛ لأنه لم يأمن عليهم أن يدبروا، فى ذلك تدبيرا ويكتموا عن أبيهم، والصحيح هو الأول .

قوله تعالى: ﴿قال بل سولت لكم أنفسكم أمرًا﴾ فى الآية اختصار؛ لأنهم رجعوا

(١) فى «الأصل»: فيلحقه له.

جنة السنة

جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾

وذكروا لأبيهم بما علمهم كبيرهم، ثم إن يعقوب قال ماقال، ومعنى التسويل هاهنا: أن زينت لكم أنفسكم حمل أخيكم إلى مصر لتطلبوا نفعًا عاجلا.

قوله تعالى: ﴿فصبر جميل﴾ أى: فصبرى صبر جميل. والصبر: حبس النفس عما تنازع إليه النفس وقد بينا معنى الجميل. وقوله: ﴿عسى الله أن يأتينى بهم جميعًا﴾ يعنى: يوسف وأخاه بنيامين ويهوذا. وفى القصة: أن ملك الموت - عليه السلام - زار يعقوب فقال له: أيها الملك الطيب ريحه، الحسن صورته هل قبضت روح ولدى فى الأرواح؟ فقال: لا. فسكن يعقوب على ذلك، وعلم أنه حى وطمع فى رؤيته. وقوله: ﴿إنه هو العليم الحكيم﴾ معناه: العليم بمكانهم، الحكيم فى تدبيرهم.

قوله تعالى: ﴿وتولى عنهم وقال يأسفى على يوسف﴾ الآية. روى أن بنامين لما حبسه يوسف اشتد الأمر على يعقوب غاية الشدة وبلغ الحزن [به نهايته][(١)]، ولم يملك بعد ذلك الصبر، فجزع، فهذا معنى قوله: ﴿وتولى عنهم﴾ أى: أعرض عنهم ﴿وقال يا أسفى﴾ وروى أنس بن مالك - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ: «أن بعض إخوان يعقوب زاره فقال له: يايعقوب، ما الذى أعمى عينيك وقوس ظهرك؟ فقال: أعمى عينى كثرة البكاء على يوسف، وقوس ظهرى شدة الحزن على بنيامين، فبعث الله تعالى إليه جبريل - عليه السلام - وقال: يايعقوب أتشكونى إلى خلقى؟! فبعد ذلك دخل بيته ورد بابه، و﴿قال إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله﴾»[(٢)] ومعنى

---

(١) فى «الأصل وك»: بنهايته.

(٢) رواه الطبرانى فى الصغير (٢/١٠٣-١٠٤ رقم٨٥٧)، وفى الأوسط - كما فى مجمع البحرين (٧/٣٧-٣٨ رقم٣٣٤١)، وابن أبى الدنيا فى الفرج بعد الشدة (ص٢٨-٢٩ رقم٨٩)، والحاكم فى المستدرك (٢/٣٤٨). وقال الهيثمى فى المجمع (٧/٤٣): رواه الطبرانى فى الصغير والأوسط. عن شيخه محمد بن أحمد الباهلى البصرى وهو ضعيف جدا. وقال ابن كثير فى التفسير (٢/٢٨٨):وهذا حديث غريب فيه نكارة.

جنة السنة

قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٨٥﴾
قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَا بَنِيَّ

قوله: ﴿ياأسفى﴾ ياحزن على يوسف، والأسف: شدة الحزن. وقوله: ﴿وابيضت عيناه من الحزن﴾ يعنى: غلب البياض على الحدقة وذهبت الرؤية. ونسبه إلى الحزن؛ لأنه كان يبكى لشدة الحزن، وعمى لشدة البكاء. وقوله: ﴿فهو كظيم﴾ أى: ممسك على حزنه لايبثه ولايذكره للناس .فهذا بعد أن نهاه الله عن ذلك على مابينا.

قوله تعالى: ﴿قالوا تا لله تفتأ تذكر يوسف﴾ يعنى: لاتزال تذكر يوسف، و«لا» محذوفة، وقوله: ﴿حتى تكون حرضًا﴾ قال ثعلب - أحمد بن يحيى - الحرض: كل شيء لاينتفع به، قال مجاهد: الحرض مادون الموت، وقال الفراء: الحرض هو الذى فسد جسمه وعقله، وقال أبو عبيدة: الحرض هو الذى أذابه الحزن. وقيل: هو المدنف البال، والأقوال متقاربة.

وعن أنس بن مالك أنه قرأ: «حتى تكون حُرْضًا» والحرض: الأشنان، ومعناه: حتى تصير كعود [الأشنان][(١)]، وقوله: ﴿أو تكون من الهالكين﴾ أى: من الميتين.

قوله تعالى: ﴿قال إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله وأعلم من الله مالاتعلمون﴾ قد بينا الخبر [الوارد][(٢)] فى هذا برواية أنس. والبث: الهم، ﴿وحزنى إلى الله﴾، وروى أنه قال: يارب، أما ترحمنى، قد أخذت منى كذا وكذا - وجعل يعدد - رُدَّ إلى ريحانتى (فأشمها شمة ثم افعل)[(٣)] بى ما أردت ولا أبالى، فأوحى الله - تعالى - إليه: أن اسكن وفرغ روعك فسأردهما إليك. وفى الآثار المسندة عن الحسن البصرى أنه قال: بكى يعقوب ثمانين سنة وماجف له دمع، ولم يكن على وجه الأرض أحد أكرم على الله منه. قوله: ﴿وأعلم من اللّه ما لاتعلمون﴾ يعنى: أعلم من حياة يوسف مالا تعلمون، وقيل: أعلم من تحقيق رؤيا يوسف مالا تعلمون، فإن قال قائل:

(١) فى «ك»: الإنسان. وهو خطأ.

(٢) فى «الأصل وك»: الواردة.

(٣) فى «ك»: ثم أشمها شمة فافعل.

جنة السنة

كيف بكى يعقوب كل هذا البكاء وحزن هذا الحزن، وهل أصيب إلا بفقد ولد واحد، أفما كان عليه أن يسلم الأمر إلى الله تعالى ويصبر؟ الجواب عنه: أنه امتحن فى هذا بما لم يمتحن به غيره، ولم يسأل عن يوسف مع طول الزمان، وكان [ابتلاؤه](١) فيه أنه لم يعلم حياته فيرجو رؤيته، ولم يعلم موته فيسأل عنه، وكان يوسف من بين سائر الإخوة خصَّ بالجمال الكامل (والعقل)(٢) وحسن الخلق وسائر مايميل القلب إليه. وروى عن الحسن البصرى أنه مات أخوه فبكى عليه بكاء شديداً فسئل عن ذلك؟ فقال: سبحان من لم يجعل الحزن عاراً على أهله، وقرأ قوله تعالى: ﴿إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله﴾. وروى حبيب بن أبى ثابت قال: لماكبر يعقوب وطال عليه الحزن سقط حاجباه على عينيه من الكبر فكان يرفعهما بخرقة، فدخل عليه بعض جيرانه وقال: ماالذى بلغ بك مابلغ ولم تبلغ سن أبيك بعد؟ قال: طول الزمان وكثرة [الأحزان](٣)، فبعث الله إليه جبريل - عليه السلام - وقال: يايعقوب، شكوتنى إلى خلقى؟! فقال: خطيئة فاغفرها لى يارب. فغفرها الله له، وكان بعد ذلك إذا سئل عن حاله قال: «إنما أشكو بثى وحزنى إلى اللّه» وعن وهب بن منبه: أن الله تعالى أوحى إلى يعقوب - عليه السلام - فقال: أتدرى لم عاقبتك وفرقت بينك وبين ولدك؟ قال: يارب لا، فقال: لأنك ذبحت شاة وشويتها وقترت على جارك وأكلت ولم تطعمه؛ وقد روى أنس، عن النبى ﷺ قريبا من هذا أورده الحاكم أبو عبد الله. وفى خبر أنس: «أن اللّه تعالى قال ليعقوب: اتخذ طعاماً وادع إليه المساكين، ففعل وكان بعد ذلك إذا تغدٰ أمر من ينادى: من أراد الغداء فليأت يعقوب، وإذا أفطر أمر من ينادى: من أراد أن يفطر فليأت يعقوب، فكان يتغدى معه القوم الكثير، ويتعشى معه القوم الكثير من المساكين»(٤).

وفى القصة: أن سبب ابتلاء يعقوب أنه ذبح عجلا بين يدى أمها وهى تخور. وعن عبدالله بن يزيد وابن أبى فروة: أن يعقوب - عليه السلام - كتب كتاباً إلى

(١) فى «الأصل وك»: ابتلى.

(٢) فى «ك»: فى العقل.

(٣) فى «الأصل»: الإخوان. وهو خطأ.

(٤) هو جزء من الحديث السابق.

اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا

يوسف حين حبس بنيامين: بسم الله الرحمن الرحيم من يعقوب إسرائيل الله بن إسحاق ذبيح الله ابن إبراهيم خليل الله إلى ملك مصر أما بعد: فإنا أهل بيت (وُكل)[1] بنا البلاء، أما جدى إبراهيم فشدت يداه ورجلاه وألقى فى النار فجعلها الله عليه بردًا وسلامًا؛ وأما أبى إسحاق فشدت يداه ورجلاه ووضع السكين على حلقه ففداه الله بكبش، وأما أنا فابتليت بفراق أحب أولادى إلىَّ وكنت أتسلى بأخيه من أمه وقد حبسته وزعمت أنه سرق، والله ما أنا بسارق ولم ألد سارقًا فإن رددته إلىَّ وإلادعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك. فلما بلغ (إليه الكتاب)[2] بكى بكاءً شديداً وأظهر نفسه على مايَرِد.

قوله تعالى: ﴿يابنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف﴾ التحسس: طلب الشىء بالحاسة، ومعناه: اطلبو وابحثوا عن خبر يوسف وأخيه.

وقوله: ﴿ولا تيأسوا من رَوْح اللَّه﴾ فى الشاذ قرئ «:من رُوح الله» (وعن أبى بن كعب أنه قرأ: «من رحمة الله» والروح مأخوذ من الريح، وهو فى الحقيقة ما يستراح به. وقيل: من روح الله)[3] أى: من فرج الله، قاله أبو عمرو بن العلاء، وقيل: من رحمة الله، وقيل: من فضل اللَّه.

وقوله: ﴿إنه لاييأس من روح اللَّه إلا القوم الكافرون﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿(فلما دخلوا عليه)[3] قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر﴾ يعنى: الجوع والحاجة. وقوله: ﴿وجئنا ببضاعة مزجاة﴾ قال ابن عباس: كانت دراهمهم زيوفًا فى هذه الكرة، ولم تك تنفق فى الطعام فهذا معنى المزجاة، وعن مجاهد وقتادة: مزجاة: قليلة يسيرة، وقال مقاتل: كانت بضاعتهم حبة الخضراء، وعن الكلبى قال: كانت بضاعتهم الحبال وخلق الغرائر، وقيل: كانت سويق المقل.

---

(١) فى «ك»: وكنا.
(٢) فى «ك»: الكتاب إليه.
(٣) سقط من «ك».

جنة السنة

وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ

وقال (كعب)(١) : كانت عشرة دنانير . وقيل : كان متاع الأعراب من الصوف والأقط وغيره . وقوله : ﴿ فأوف لنا الكيل ﴾ معناه : أتم كما كنت تتم كل مرة . وقوله : ﴿ وتصدق علينا ﴾ أى : بما بين النافق والكاسد . وقيل : تصدق علينا بالتجوّز . قال الشاعر :

تصدق علينا يا ابن عفان واحتسب وأمِّرْ علينا الأشعرى لياليا

يعنون : أبا موسى الأشعرى، وقيل : وتصدق علينا بإطلاق أخينا، وعن مجاهد قال : يكره أن يقول الرجل : اللهم تصدق علىّ ؛ لأن الصدقة إنما تكون ممن يبتغى الثواب . فإن قال قائل : كيف قالوا : وتصدق علينا، والصدقة لاتحل للأنبياء؟ الجواب : أن سفيان ابن عُيينة قال : قد كانت حلالا لهم، ولأنا بينا أن المراد منه التجوز والمحاباة، وهذا جائز بالاتفاق . وقوله : ﴿ إن الله يجزى المتصدقين ﴾ لم يقولوا : يجزيك ؛ لأنهم لم يثقوا بإيمانه، فقالوا : إن الله يجزى المتصدقين على الإطلاق لهذا .

قوله تعالى : ﴿ قال هل علمتم مافعلتم بيوسف وأخيه ﴾ روى أنهم [لما] قالوا هذا وسمعه يوسف أدركته الرقة، فقال لهم هذا القول : هل [علمتم](٢) مافعلتم أى : ماصنعتم بيوسف وأخيه، والذى فعلوا بأخيه هو التفريق بينهما ولم يذكر مافعلوا بيعقوب دفعًا لحشمته وتعظيمًا له . وقوله : ﴿ إذ أنتم جاهلون ﴾ معناه : إذ أنتم آثمون عاصون، وعن ابن عباس قال : إذ أنتم صبيان، وعن الحسن قال : إذ أنتم شبان ومعكم جهل الشبان، وفى القصة : أنه لما قال هذا القول تبسم فرأوا ثناياه منظومًا كاللؤلؤ فعرفوه وقالوا : ﴿ أئنك لأنت يوسف ﴾ وقال بعضهم : قالوا هذا على التوهم ولم يكونوا تيقنوا بعد حتى قال لهم : أنا يوسف . وقوله : ﴿ أنا يوسف وهذا أخى ﴾

---

(١) فى « ك » : مقاتل.

(٢) ليست فى « الأصل و ك ».

جنة السنة

مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ

حكى الضحاك أن فى قراءة ابن مسعود :«وهذا أخى بينى وبينه قربى». وقوله: ﴿قد منَّ اللهَ علينا﴾ أى: أنعم الله علينا ﴿إنه من يتق ويصبر فإن الله لايضيع أجر المحسنين﴾ معناه: من يتق عن المعاصى ويصبر على الطاعات والمصائب. وعن إبراهيم النخعى قال: من يتق الزنا ويصبر على العزوبة .

قوله تعالى: ﴿قالوا تالله لقد آثرك الله علينا﴾ يعنى: فضلك اللّه علينا ﴿وإن كنا لخاطئين﴾ وماكنا إلا خاطئين، وقيل: وقد كنا خاطئين، والفرق بين خطأ وأخطأ أن خطأ: خطأ إذا تعمد، وأخطأ: خطأ إذا كان غير متعمد .

قوله تعالى: ﴿قال لاتثريب عليكم اليوم﴾ التثريب هو التَّعْيير ذكره ثعلب وغيره، وقيل: لاتثريب عليكم اليوم أى: لاعقوبة عليكم اليوم بعد اعترافكم بالذنب، قال الشاعر:

فعفوت عنكم عفو غير مثرب ... وتركتكم لعقاب يومٍ سرمد

وقوله: ﴿اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿اذهبوا بقميصى هذا﴾ روى أن الله تعالى لما جعل النار على إبراهيم بردًا وسلامًا أنزل عليه قميصًا من حرير الجنة فأعطاه إبراهيم إسحاق، وأعطاه إسحاق يعقوب فجعله يعقوب فى (قصبة)[1] وشد رأسها وعلقها فى عنق يوسف - عليه السلام - وكان يكون فى عنقه، فلما كان هذا الوقت بعث الله جبريل - عليه السلام - أن افتح القصبة: وابعث إليه بالقميص فإنه لا يمسه مبتلى إلا عوفى، ولا سقيم إلا صح وبرأ، فبعث بذلك القميص إلى يعقوب، فهذا معنى قوله تعالى: ﴿اذهبوا بقميصى هذا﴾ وفى القصة أن يهوذا قال: أنا أذهب بالقميص إليه فإنى

(١) فى «ك»: قصته. وهو خطأ.

جنة السنة

أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ

ذهبت بالقميص ملطخًا بالدم إليه، فأعطاه وخرج حافيًا [حاسرًا](١) يعدو ومعه سبعة أرغفة فلم يستوفها حتى بلغ كنعان، وقيل: إنه بعث على يد غيره، [وقال](٢): ﴿فألقوه على وجه أبى يأت بصيراً﴾ قال الفراء: يرجع بصيراً، وقال غيره: يعد بصيراً؛ قال الحسن: لم يعلم أنه يعود بصيراً إلا بعد أن أعلمه الله ذلك.

وقوله: ﴿وأتونى بأهلكم أجمعين﴾ أى: جيئونى بأهلكم أجمعين.

قوله تعالى: ﴿ولما فصلت العير﴾ يعنى: انفصلت من مصر وخرجت. قوله: ﴿قال أبوهم إنى لأجد﴾ فى القصة: أن ريح الصبا استأذنت من ربها أن تأتى بريح يوسف إلى يعقوب - عليهما السلام - فهى التى جاءت بريح يوسف، والصبا: ريح تأتى من قبل المشرق إذا هبت على الأبدان لينتها ونعمتها وطيبتها، وهيجت الأشواق إلى الأحباب والحنين إلى الأوطان، قال الشاعر:

أيا جَبَلَىْ نعمان بالله خليا سبيل الصَّبا يَخْلُصْ إلى نسيمها

فإن الصبا ريح إذا ما تنسمت على قلب محزون تجلت همومها

وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «**نصرت بالصبا، وأهلكت عاد بالدبور**»(٣) وروى أن القميص لما نشر هاجت منه ريح الجنة [فشمها](٤) يعقوب - عليه السلام- فعلم أنها جاءت من قبل قميص يوسف؛ لأنه لم يكن فى الأرض شيء من الجنة سواه.

وقوله: ﴿لولا أن تفندون﴾ معناه: لولا أن تضعفوا رأى، وقيل: لولا أن تسفهونى، وقيل: لولا أن تنسبونى إلى الخوف والجهل.

قال الشاعر:

(١) فى «الأصل وك»: خاسراً.
(٢) فى «الأصل وك»: وقالوا.
(٣) تقدم فى تفسير سورة الأعراف.
(٤) فى «الأصل»: فسمعها، وفى«ك»: فسمع.

جنة السنة

﴿٩٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ

يا صاحبيَّ دعا الملامة واقصرا طال الهوى وأطلتما التفنيدا

قوله تعالى: ﴿قالوا تالله إنك لفى ضلالك القديم﴾ هذا قول بنى بنيه، فإن بنيه كانوا بمصر، ومعناه: تالله إنك لفى خطئك القديم، والخطأ: هو الذهاب عن طريق الصواب؛ فإنه كان عندهم أن يوسف قد مات، وكانوا يرون يعقوب قد لهج بذكره فإنه كان يخرج من بيته فيلقاه الرجل ومعه شيء يحمله فيقول: ضعه واسمع منى حديثى، وكان يلقاه الخادم والجارية فيقول معه مثل هذا القول، وكانوا يظنون به خرفا وخطأً عظيمًا، فهذا معنى قولهم: إنك لفى ضلالك القديم، وقيل: إنك لفى [شقائك][(١)] القديم، والشقاء هاهنا بمعنى التعب، وقيل: فى غفلتك القديمة، وقيل: فى محبتك القديمة؛ قال الحسن البصرى: فكان هذا عقوقًا (عظيما)[(٢)] منهم.

قوله تعالى: ﴿فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه﴾ ومعناه: ألقى القميص على وجهه. وقوله: ﴿فارتد بصيراً﴾ أى: عاد بصيرا ورجع بصيراً، فروى أنه عادت قوته فى الحال، وذهبت [الغشاوة][(٣)] وزال البياض الذى كان بعينه، وفتح عينيه كأحسن ما يكون، و ﴿قال﴾ لبنيه وبنى بنيه: ﴿ألم أقل لكم إنى أعلم من الله ما لا تعلمون﴾ وهذا دليل على أنه قد كان قال لهم: إنَّ يوسف حى، وإنى أرجو رؤيته. (وقيل)[(٢)]: ﴿إنى أعلم من الله ما لا تعلمون﴾ يعنى: من تحقيق رؤيا يوسف ما لا تعلمون، وفى بعض الأخبار أنه قال للبشير: ليس عندى شيء أعطيك ولكن هون الله عليك سكرات الموت. وروى أنه لما جاءه خبر يوسف قال للبشير: على أى دين تركت يوسف؟ قال: على دين الإسلام، قال: الآن تمت النعمة.

قوله تعالى: ﴿قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين﴾ هذا دليل على أنهم عملوا ما عملوا وكانوا بالغين.

(١) فى «الأصل»: شقاء.

(٢) ليست فى «ك».

(٣) فى «الأصل»: الحناوة.

جنة السنة

لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ

قوله تعالى: ﴿قال سوف أستغفر لكم ربى﴾ روى عن عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - وجماعة من التابعين أنهم قالوا: أخر الدعاء إلى السحر وهو الوقت الذى يقول الله تعالى: هل من داع (فيستجاب)[1] له؟ هل من سائل فيعطى سؤله»؟ (الخبر)[2] «هل من مستغفر فيغفر له؟[3]» والقول الثانى: أنه أخر إلى ليلة الجمعة حكى هذا عن ابن عباس، وقد روى فى بعض الأخبار مرفوعًا إلى النبى ﷺ[4]. وعن عطاء بن ميسرة الخراسانى قال: الحاجة إلى الشباب أسرع إجابة من الحاجة إلى الشيوخ، فإن يوسف - عليه السلام - قال: لاتثريب عليكم اليوم، يغفر الله لكم ولم يؤخر، وحين طلبوا من يعقوب سَوَّفَ وأخَّر. وفى القصة: أن يعقوب كان يصلى من الليل ويقوم يوسف خلفه ويقوم بنوه خلف يوسف ويستغفرون لهم هكذا عشرين سنة إلى أن نزل الوحى بمغفرتهم، وقوله: ﴿إنه هو الغفور الرحيم﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى ﴿فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه﴾ روى أن يوسف بعث بمائتى راحلة وجهاز كثير ليأتوا بيعقوب وقومه، قال مسروق: كانوا ثلاثة وتسعين من بين رجل وامرأة، وروى: اثنان وسبعين وهو الأشهر. قال أهل الأخبار: ولما خرج موسى ببنى إسرائيل من مصر كان قد (بلغ)[5] عددهم ستمائة ألف مقاتل وسبعين ألفًا، والذرية ألف ألف وسبعمائة ألف وكذا فى القصة أنهم جاءوا فلما قربوا من مصر

(١) فى «ك»: فأستجيب.
(٢) فى «ك»: الخير.
(٣) هو حديث النزول المشهور، وهو متفق عليه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه، رواه البخارى فى صحيحه (٣/ ٣٥-٣٦ رقم ١١٤٥)، ومسلم (٦/ ٥٣ - ٥٧ رقم ٧٥٨).
(٤) رواه الطبرى فى التفسير (١٣/ ٤٢)، وأبى الشيخ كما فى الدر المنثور (٤/ ٤٠) عن ابن عباس مرفوعًا. وهو فى حديث ابن عباس فى حفظ القرءان الذى فى جامع الترمذى.
(٥) فى «الأصل»: بلغهم.

جنة السنة

﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِن قَبْلُ

خرج يوسف ليلقاهم مع الجند، وروى أنه حمل الملك الأكبر مع نفسه، فلما وصلوا إلى يعقوب قالوا ليعقوب: هذا ابنك قد جاء، قال: فأراد يوسف أن يبدأه بالسلام، فقال جبريل: لا حتى يبدأ يعقوب بالسلام، فقال (يعقوب:)(١) السلام عليك يامذهب الأحزان، وقد روى أنهما نزلا وتعانقا، وفى بعض القصص أنهما مشيا فتقدمه يوسف بخطوة، فجاء جبريل وقال له: أتتقدم على أبيك لا أخرج من ذريتك نبيا أبدا، وفى بعض القصص: أن يوسف كان فى أربعة آلاف من الجند، وقد قيل غيره. وقوله: ﴿آوى إليه أبويه﴾ أى: ضم إليه أبويه، والأكثرون أن أبويه أى: أباه وخالته، وقال الحسن البصرى: هو أبوه وأمه وقد كانت حية، وفى بعض التفاسير: أن الله تعالى بعث أمه وأحياها حتى جاءت مع يعقوب إلى مصر، والله أعلم.

وقوله: ﴿وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين﴾ اختلفوا فى [معنى](٢) المشيئة هاهنا، قال بعضهم: ادخلوا آمنين من الجواز ﴿إن شاء الله﴾، وقد كانوا لايدخلون قبل ذلك لمصر إلا بجواز(٣)، وقيل: فى الآية تقديم وتأخير ومعناه: سوف أستغفر لكم ربى إن شاء الله وقال: ادخلوا مصر آمنين.

قوله تعالى: ﴿ورفع أبويه على العرش﴾ الرفع: هو النقل إلى العلو، وضده الوضع، والعرش: سرير الملك، وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال: «اهتز العرش لموت سعد بن معاذ» قيل: أراد به سريره (الذى حمل عليه وليس بشىء؛ لأن الكلام خرج على وصف التكريم، ولا كرامة فى اهتزاز سريره الذى حمل عليه)(١)، وفى بعض الروايات: «اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ»(٤) فالعرش فى هذا الخبر هو العرش المعروف واهتزازه استبشاره لإقبال روح سعد بن معاذ. ويجوز أن يكون المراد

---

(١) ليست فى «ك».
(٢) فى «الأصل»: المعنى.
(٣) فى «ك»: الجواز.
(٤) متفق عليه من حديث جابر بن عبد الله، رواه البخارى (٧/١٥٤/رقم٣٨٠٣)، ومسلم (١٦/٣٢-٣٣/رقم٢٤٦٦). وعند البخارى الاختلاف فى لفظ الحديث المذكور هنا.

جنة السنة

قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ

بذكر العرش أهل العرش من الملائكة، والله أعلم.

وقوله: ﴿وخروا له سجداً﴾ معناه: وقعوا له ساجدين، واختلفوا فى هذه السجدة فالأكثرون أنهم سجدوا له، [و](١) كانت السجدة سجدة المحبة لا سجدة العبادة، وهو مثل سجود الملائكة لآدم – عليه السلام – قال أهل العلم: وكان ذلك جائز فى الأمم السالفة، ثم إن الله تعالى نسخ ذلك فى هذه الشريعة وأبدل بالسلام، وقال بعضهم: إنهم سجدوا لله لا ليوسف، وإنما خروا له سجداً؛ لأنه كان قدامهم فحصل سجودهم إليه كما يسجد إلى المحراب والجدار، والصحيح هو الأول، هكذا قاله أهل العلم، والدليل عليه أنه كان فى رؤياه: ﴿إنى رأيت أحد عشر كوكبا و الشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين﴾(٢)، فالشمس والقمر أبواه، وأحد عشر كوكبًا هم إخوته.

فإن قال قائل: كيف جاز السجود لغير الله؟ وإذا جاز السجود لغير الله فلم لاتجوز العبادة لغير الله؟ والجواب: أن العبادة نهاية التعظيم، ونهاية التعظيم لاتجوز إلا لله؛ وأما السجود: نوع تذلل وخضوع بوضع الخد على الأرض وهو دون العبادة، فلم يمتنع جوازه للبشر كالانحناء.

وقال بعضهم: ﴿وخروا له سجداً﴾ السجود ها هنا هو الانحناء وعبر عنه بالسجود، وأما حقيقة السجود فلم تكن. وأولى الأقاويل هو الأول والله أعلم.

قوله: ﴿وقال يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل﴾ [تفسير](٣) رؤياى من قبل ﴿قد جعلها ربى حقا﴾ أى: صدقًا ﴿وقد أحسن بى﴾ أى: أنعم علىَّ ﴿إذ أخرجنى من السجن﴾ فإن قال قائل: كيف لم يقل: إذ أخرجنى من الجب، وكانت المحنة عليه والبلية فى الجب أكثر منها فى السجن؟ الجواب عنه: أنه أعرض عن ذكر

(١) ليست فى «الأصل وك».

(٢) يوسف: ٤.

(٣) فى «الأصل وك»: وتفسير.

جنة السنة

أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾
رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ
وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ

الجب تكرمًا لأن[١] لايخجل الإخوة عنه، وكان قد قال: ﴿لاتثريب عليكم اليوم﴾[٢] وفى إعادته تثريب وملامة، ولأن النعمة عليه فى الإخراج من السجن كانت أكثر؛ لأنه أخرج من الجب وجُعل عبداً، وأخرج من السجن وجُعل ملكًا. قوله: ﴿وجاء بكم من البدو﴾ البدو: بسيط من الأرض يسكنه أهل الماشية بماشيتهم، وقد كان يعقوب وأولاده أهل مواشي وعمد، والعمد: الخيام، فلهذا قال: وجاء بكم من البدو. وقوله: ﴿من بعد أن نزغ الشيطان﴾ معناه: من بعد أن أفسد الشيطان ﴿بينى وبين إخوتى﴾ بالحسد. وقوله: ﴿إن ربى لطيف لما يشاء﴾ اللطيف هو: الرفيق، ويقال معنى الآية: إن ربى لطيف (بمن)[٣] يشاء. وحقيقة اللطيف هو الذى يوصل الإحسان إلى غيره برفق. وقوله: ﴿إنه هو العليم الحكيم﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿رب قد آتيتنى من الملك﴾ الملك هو: اتساع المقدور لمن له السياسة و التدبير، وأدخل كلمة «من» وهى للتبعيض؛ لأنه كان من يد ملك مصر، وقيل: «من» للتجنيس ها هنا، قال محمد بن على الباقر: ملك يوسف اثنتين وسبعين سنة. وقال غيره: ثمانين سنة. وقوله: ﴿وعلمتنى من تأويل الأحاديث﴾ يعنى: علم الرؤيا. وقوله ﴿فاطر السموات والأرض﴾ معناه: يا فاطر السموات والأرض. وقوله: ﴿أنت ولى فى الدنيا والآخرة﴾ يعنى: أنت تلى أمرى فى الدنيا والآخرة. وقوله: ﴿توفنى مسلمًا﴾ معناه: ثبتنى على الإسلام عند الوفاة.

قال قتادة: ولم يسأل نبى من الأنبياء الموت سوى يوسف عليه السلام، وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «لايتمنين أحدكم الموت لضر نزل به ولكن ليقل: اللهم

(١) فى «ك»: لأنه.

(٢) يوسف: ٩٢.

(٣) في «ك»: لما.

أحينى ما دامت الحياة خيراً لى، وتوفنى إذا كانت الوفاة خيراً لى »[١] وفى القصة: أن يوسف لما جُمع له شمله وأوصل الله إليه أبويه وأهله اشتاق إلى ربه فقال هذا القول. وقد قال الحسن البصرى: عاش بعد هذا سنين كثيرة. وقال غيره: لما قال هذا القول لم يمض عليه أسبوع حتى توفى. وأما خبر وفاة يعقوب - صلوات الله عليه - فقد قال أصحاب الأخبار: إن يعقوب عاش عند يوسف أربعًا وعشرين سنة بأغبط حال وأهنأ عيش ثم أدركته الوفاة فدعا بنيه وقال: يا بنى، ﴿ما تعبدون من بعدى﴾[٢] الآية، وقد ذكرنا فى سورة البقرة، وأوصى يوسف - عليه السلام - أن يحمله إلى الأرض المقدسة ويدفنه بجنب أبيه إسحاق ففعل ذلك. وقالوا: عاش يعقوب مائة وسبعًا وأربعين سنة، وأما يوسف فإنه عاش بعد أبيه سنتين، وقيل: أكثر من ذلك، والله أعلم، وتوفى وهو ابن مائة وعشرين سنة فدفنوه فى نيل مصر: (لأن أهل مصر تشاحنوا عليه وطلب أهل كل محلة أن يُدفن فى محلتهم رجاء بركته، ثم اتفقوا أن يدفن فى نيل مصر)[٣] ليجرى الماء عليه وتصل بركته إليهم كلهم. وعن عكرمة: أنه دفن فى [الجانب][٤] الأيمن من النيل فأخصب ذلك الجانب وأجدب الجانب الآخر فاتفقوا على أن جعلوه فى تابوت من حديد - وقيل: من رخام - ودفنوه فى وسط النيل، وقدروا ذلك بسلسلة عندهم فأخصب الجانبان، وكان يوسف أوصى إخوته أنهم إذا خرجوا من مصر أخرجوه مع أنفسهم، فلما كان زمن موسى أخرجه موسى مع نفسه إلى الأرض المقدسة ودفنه بقرب آبائه؛ وفى القصص أن عجوزاً دلتهم على قبر يوسف وأن تلك العجوز سألت موسى مرافقته فى الجنة به حتى دلت، فنزل الوحى على موسى بأن يعطيها ذلك.

وروى الكلبى، عن أبى صالح، عن ابن عباس: أن الله تعالى لما جمع بين يعقوب ويوسف قال له يوسف: يا أبتاه حزنت علىَّ حتى انحنى ظهرك، وبكيت علىَّ حتى

---

(١) متفق عليه من حديث أنس، رواه البخارى (١١/ ١٥٤ / رقم ٦٣٥١)، ومسلم (١٧/ ١٢ - ١٣/ رقم٢٦٨٠).
(٢) البقرة: ١٣٣ .
(٣) سقط من «ك».
(٤) فى «الأصل، وك»: جانب.

جنة السنة

نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾

عمي بصرك، أما علمت أنا كنا نلتقي يوم القيامة؟ فقال: يابني، خشيت أن يسلب دينك فلا نلتقي يوم القيامة. وقوله: ﴿وألحقني بالصالحين﴾ يعني: من آبائي وهم: إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب.

قوله تعالى: ﴿ذلك من أنباء الغيب﴾ يعني: من أخبار الغيب.

قوله: ﴿نوحيه إليك﴾ أي: نلقيه إليك بالوحي. وقوله: ﴿وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون﴾ هذا منصرف إلى إخوة يوسف ومكرهم حين أخذوه من أبيه، وفائدة الآية: أنك إنما علمت هذا بتعليمنا إياك ووحينا إليك.

وقوله تعالى: ﴿وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين﴾ روى أن قريشًا واليهود سألوا النبي عن قصة يوسف، فلما أخبرهم بها على ما كان يوافق التوراة، ولم يكن في نفسه قارئًا طمع أن يسلموا فلم يسلموا؛ فحزن لذلك فقال الله تعالى: ﴿وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين﴾ معناه: وما أكثر الناس بمؤمنين وإن حرصت على إيمانهم.

قوله تعالى: ﴿وما تسألهم عليه﴾ أي: على التبليغ ﴿من أجر﴾ أي: من جُعل وقوله: ﴿إن هو إلا ذكر للعالمين﴾ أي: عظة للعالمين.

قوله - تعالى -: ﴿وكأين من آية﴾ معناه: وكم من آية. وقوله: ﴿في السموات﴾ السموات: سقوف الأرض بعضها على بعض طبقا طبقا ﴿والأرض﴾ هي موضع سكنى الآدميين، وأما الآيات في السموات (كما)[1] بينا من قبل، وذلك من شمسها وقمرها ونجومها ودوران الفلك بها، واستوائها من غير عمدٍ وغير ذلك، وقد زعم بعض أهل العلم أنه يجوز للإنسان أن يتعلم علم النجوم بقدر ما يعرف به

---

(١) في «ك»: ما.

جنة السنة

وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ

من آيات السماء، وأما آيات الأرض معلومة أيضا [وهى][1] : شجرها ونباتها وجميع ما فيها وما يخرج منها. وقوله: ﴿ يمرون عليها وهم عنها معرضون ﴾ معناه: أنهم يعرضون عنها مع مشاهدتها ولايستدلون بها على وحدانية الله.

قوله تعالى: ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴾ فإن قيل: كيف يجوز اجتماع الإيمان مع الشرك فى الواحد؟ الجواب من وجوه: أحدها: أن معناه ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله ﴾ أى: وما يُقر أكثرهم بالله إلا وهم مشركون بقلوبهم وضمائرهم.

والثانى: أن مشركى مكة كانوا إذا قيل لهم: من خلقكم؟ قالوا: الله، وإذا قيل لهم: من يرزقكم؟ قالوا: الله، وإذا قيل لهم: من خلق السموات والأرض؟ قالوا: الله ثم مع ذلك يعبدون الأصنام، وبعضهم يقول: إن الملائكة بنات الله، وبعضهم يقول: الأصنام شفعاؤنا عند الله، فالقول الأول: هو الإيمان، [وليس][2] المراد من الإيمان هو حقيقة الإيمان الذى يصير به الإنسان مؤمنًا، وإنما المراد ما بينا.

والقول الثالث: أن معنى شركهم هو شركهم فى التلبية، فإنهم كانوا يقولون: لبيك اللهم لبيك، لاشريك لك إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك.

قوله تعالى: ﴿ أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله ﴾ قيل: قطعة من عذاب الله، وقيل: عقوبة محللة من عذاب الله. وقوله: ﴿ أو تأتيهم الساعة بغتة ﴾ أى: فجأة، والبغتة: وقوع الشىء من غير توقع سابق. قال الشاعر:

ولكنهم باتوا ولم أدر بغتة ... وأفظع شىء حين يفجؤك البغت

وقوله: ﴿ وهم لايشعرون ﴾ أى: لايعلمون.

(١) في «الأصل وك»: وهو. (٢) ليست فى «الأصل» ولا «ك».

جنة السنة

اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ

قوله تعالى: ﴿قل هذه سبيلى أدعو إلى الله﴾ أى: طريقى، والسبيل يذكر ويؤنث، قال الشاعر:

تمنى رجال أن أموت وإن أمت ... فتلك سبيل لست فيها بأوحد

وقوله: ﴿على بصيرة﴾ أى: على (يقين)(١)، والبصيرة هى المعرفة التى يُميز بها بين الحق والباطل. وقوله: ﴿أنا ومن اتبعنى﴾ معناه: أدعو إلى الله أنا، ومن اتبعنى يدعون أيضا إلى الله، وقال بعضهم: تم الكلام عند قوله ﴿أدعو إلى الله﴾ ثم استأنف وقال: ﴿على بصيرة أنا ومن اتبعنى﴾. وقوله: ﴿وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾ يعنى أقول: سبحان الله، وما أنا من المشركين.

قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحى إليهم من أهل القرى﴾ قال الحسن البصرى: لم يبعث الله نبيا من بدو، وإنما بعث الله الأنبياء من الأمصار والقرى. وقال أيضا: لم يبعث الله نبيا من الجن ولا من النساء، وقيل: لم يبعث الله نبيا من البادية لغلظهم وجفائهم، وأما أهل الأمصار فهم [أحن](٢) قلوبا وأذكى وأفطن فى الأمور؛ فلهذا بعث الله الأنبياء منهم. وقوله: ﴿أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾ ظاهر المعنى.

وقوله: ﴿ولدار الآخرة﴾ معناه: والحال فى الدار الآخرة، وللإنسان حالان: الحال الأولى، والحال الآخرة، وقيل: «ولدار الآخرة» هذا إضافة الشيء إلى نفسه كقولهم: ﴿خير للذين اتقوا﴾ يوم الخميس، ويوم الجمعة، قال الشاعر:

أتمدح فَقْعَسًا وتذم عبسًا؟! ... ألا لله أمك من هجين!!

ولو فَزَّت عليك ديار عبس ... عرفت الذل عرفان اليقين

(١) فى «ك»: على تيقن.

(٢) فى «الأصل و ك»: أحد.

جنة السنة

قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ

أضاف العرفان إلى اليقين: وقوله: ﴿ أفلا تعقلون ﴾ أفلا تفقهون.

قوله تعالى: ﴿ حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا ﴾ قرئ بقراءتين بالتشديد والتخفيف، قرأ أهل الكوفة بالتخفيف، والآية مشكلة إذا قرئت بالتخفيف؛ لأن القائل يقول: كيف ظن الرسل أنهم قد كُذِبُوا، ولايجوز هذا على الأنبياء. وكانت عائشة تنكر هذه القراءة، وتقول: إنما هو «كُذِّبوا» بالتشديد، يعنى: أن الرسل ظنوا أن من آمن بهم كذبوهم لشدة المحنة والبلاء عليهم، وتطاول المدة بهم، هذا رواه الزهرى عن عروة عن عائشة. وعن قتادة: أن الظن ها هنا بمعنى اليقين، ومعناه: وأيقن الرسل أن القوم كذبوهم تكذيبا لايرجى بعده إيمانهم، وهو تأكيد لقوله: ﴿ حتى إذا استيأس الرسل ﴾ لأن معناه: حتى إذا استيأس الرسل من إيمان قومهم، أى: أيسوا، وأما القراءة بالتخفيف هذه قراءة صحيحة، وهى منقولة عن على وعن عبد الله بن مسعود وابن عباس وكثير من الصحابة.

وفى معناه قولان: أحدهما: ما روى عن ابن عباس أنه قال: ضعفت قلوب الرسل - وقد كانوا بشراً - بتطاول الزمان وكثرة الإمهال، وقد قال الله تعالى فى موضع آخر: ﴿ وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ﴾(١) وقوله: ﴿ متى نصر الله ﴾(١): استبطاء، أو قالوا هذا من ضعف البشرية.

والقول الثانى - وهو الصحيح - وهو منقول أيضاً عن ابن عباس أن معنى الآية: وظن من آمن بالرسل، أن الرسل قد كذبوا بالتخفيف، أو ظن القوم الذين بعث إليهم أن الرسل قد كذبوا بالتخفيف، وقرأ مجاهد: «وظنوا أنهم قد كَذَبَوا» ومعناه كما ذكرنا فى القول الثانى: أن ظن القوم أن الرسل قد كذبوا.

وقوله: ﴿ [جاءهم](٢) نصرنا ﴾ ظاهر المعنى. وقوله: ﴿ فنجى من نشاء ﴾ المشيئة واقعة على المؤمنين. وقوله: ﴿ ولايرد بأسنا ﴾ أى: عذابنا ﴿ عن القوم المجرمين ﴾ أى:

(١) البقرة: ٢١٤.

(٢) في «الأصل»: وجاءهم.

كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُوْلِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ .

عن القوم الكفار . قوله – تعالى –: ﴿لقد كان فى قصصهم عبرة﴾ أى : دلالة وآية .

قوله :﴿لأولى الألباب﴾ أى : لأولى العقول .

وقوله : ﴿ما كان حديثًا يفترى﴾ أى : [يختلق](١) يعنى : قصة يوسف .

وقوله : ﴿ولكن تصديق الذى بين يديه﴾ يعنى : من التوراة والإنجيل .

وقوله : ﴿وتفصيل كل شيء﴾ يعنى : من الحلال والحرام، والأمر والنهى، والوعد والوعيد . وقوله : ﴿وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾ (معناه : بيان ونعمة لقوم يؤمنون)(٢) . والله أعلم بالصواب .

(١) في «الأصل و ك» : يختلط .

(٢) ليست فى «ك» .

جنة السنة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓمٓر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ ۝١ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ﴾

سورة الرعد

تفسير سورة الرعد، وهى مكية إلا آيتين: قوله تعالى: ﴿ولايزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة﴾[1] وقوله تعالى: ﴿ويقول الذين كفروا لست مرسلا﴾[2] الآية، فإنهما مدنيتان.

قوله تعالى: ﴿المر﴾ قالوا: معناه أنا الله أعلم وأرى، وقيل: إن الألف من الله، واللام من جبريل، والميم من محمد، والراء من إرسال الله إياه - يعنى محمداً ﷺ - وقد بينا من قبل غير هذا.

وقوله: ﴿تلك آيات الكتاب﴾ قد بينا فى سورة يوسف. وقوله: ﴿والذى أنزل إليك من ربك الحق﴾ الإنزال هو النقل من العلو إلى الأسفل، ومعنى الآية أن ما أهبط الله به جبريل عليك هو الحق، والحق ضد الباطل، وقيل: وضع الشيء فى موضعه على ما توجبه الحكمة. وقوله: ﴿ولكن أكثر الناس لايؤمنون﴾ يعنى من اليهود والنصارى والمشركين.

قوله تعالى: ﴿الله الذى رفع السموات بغير عمد﴾ العمد: جسم مستطيل يمنع المرتفع من الميلان، وفى معنى قوله: ﴿بغير عمد﴾ قولان: أحدهما، وهو الأصح: أن معناه: رفع السموات بغير عمد ﴿ترونها﴾ كذلك.

وقد قال أهل المعانى: لو كان للسموات عمد لرأيناها؛ لأن عمد الجسم الغليظ يكون بالجسم الغليظ، فلابد أن تُرى، وهذا قول مجاهد وقتادة وأكثر المفسرين.

وروى عن ابن عباس أنه قال: معنى الآية رفع السموات بغير عمد ترونها.

(١) الرعد: ٣١.
(٢) الرعد: ٤٣.

جنة السنة

الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِي

وقوله: ﴿ترونها﴾ راجع إلى العمد، كأنه قال: لها عمد لاترونها، وزعم أن لها عمداً على جبل قاف، وأن السماء عليها مثل القبة، وجبل قاف محيط بالدنيا، وهو من زبرجدة خضراء، والصحيح ما بينا.

وقوله: ﴿ثم استوى على العرش﴾ قد بينا المعنى. وقوله: ﴿وسخر الشمس والقمر﴾ معناه: ذلَّل الشمس والقمر فهما مذللان مقهوران يجريان على ما يريد الله. وقوله: ﴿كل يجرى لأجل مسمى﴾ أى: لمدة مضروبة. وقوله: ﴿يدبر الأمر﴾ التدبير من الله تعالى فعل الأشياء على ما يوجب الحكمة. وقوله: ﴿يفصل الآيات﴾ معناه يبين الدلالات. وقوله: ﴿لعلكم بلقاء ربكم توقنون﴾ تؤمنون.

قوله تعالى: ﴿وهو الذى مد الأرض﴾ الآية قد كانت الأرض مدرة مدوَّرة، فبسطها الله تعالى ومدها. وقوله: ﴿وجعل فيها رواسى﴾ أى: جبالا ثوابت.

وقوله: ﴿وأنهاراً﴾ الأنهار: مجارى الماء الواسعة. وقوله: ﴿ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين﴾ أى: صنفين اثنين أحمر وأصفر وحلو وحامض، وقيل: إن قوله ﴿اثنين﴾ تأكيد لقوله: ﴿زوجين﴾.

وقوله: ﴿يغشى الليل النهار﴾ معناه: يلبس النهار بظلمة الليل، ويلبس ظلمة الليل بضوء النهار. وقوله: ﴿إن فى ذلك لآيات﴾ لدلالات ﴿لقوم يتفكرون﴾ التفكر تصرف القلب فى طلب معانى الأشياء.

قوله تعالى: ﴿وفى الأرض قطع متجاورات﴾ فيه قولان: أحدهما: أن فيه حذفًا؛ فكأنه قال: «وفى الأرض قطع متجاورات وغير متجاورات، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿وسرابيل تقيكم الحر﴾(١) يعنى: وسرابيل تقيكم الحر والبرد.

---

(١) النحل: ٨١.

الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾

والقول الثانى: أنه ليس فى الآية حذف، وهو صحيح المعنى، وفى المتجاورات قولان: أحدهما: أن معناه أنها متجاورة فى الظاهر مختلفة فى المعنى، هذه سبخة وهذه عذبة، وهذه قليلة الريع، وهذه كثيرة الريع، وهذه مزرعة، وهذه مغرسة، وهذه لامزرعة ولامغرسة.

والقول الثانى: أن معناه: هذه عامرة، وهذه غامرة، وهذه صحارى وبرارى، وهذه جبال وأودية، فعلى هذا إذا قدرنا فى الآية متجاورات وغير متجاورات، فالمتجاورات هى الأرض العامرة المتصل بعضها ببعض، وغير المتجاوارات هى الأرض الخربة التى فيها الأودية والدكادك.

وقوله: ﴿وجنات من أعناب﴾ يعنى: بساتين من أعناب. وقوله: ﴿وزرع ونخيل﴾ معلوم المعنى. وقوله: ﴿صنوان وغير صنوان﴾ قرئ: «صُنوان» بالضم: والمعروف «صِنوان» بالكسر، وفى الآثار المسندة عن البراء بن عازب - رضى الله عنه - أنه قال: الصنوان هو النخل المجتمع، وغير الصنوان هو المتفرق، والمعروف فى اللغة أن الصنوان هى النخلات أصلها واحد، وغير صنوان هى النخلة الواحدة بأصلها.

وقوله: ﴿يسقى بماء واحد﴾ الماء جسم رقيق مائع يُشرب، به حياة كل نامٍ، قال الله تعالى: ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حى﴾(١) وفى الآية رد على أصحاب الطبيعة، فإن الماء واحد، والهواء واحد، والتراب واحد، والحرارة واحدة، والثمار مختلفة فى اللون والطعم، وقلة الريع وكثرة الريع، والطبيعة واحدة يستحيل أن توجب شيئين مختلفين؛ فدل هذا أن الجميع من الله تعالى.

فى جامع أبى عيسى الترمذى برواية أبى هريرة عن النبى ﷺ فى قوله: ﴿ونفضل

(١) الأنبياء: ٣٠.

وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥﴾

بعضها على بعض فى الأكل﴾ قال: «هذا حلو وهذا حامض، وهذا دقل وهذا فارسى».

وقوله: ﴿إن فى ذلك لآيات﴾ يعنى: الدلالات ﴿لقوم يعقلون﴾ يفهمون.
وأنشدوا فى الصنوان:

العلم والحلم خلتا كرم ... للمرء زين إذا هما اجتمعا
صنوان لايستتم حسنهما ... إلا بجمع ذا وذاك معا

وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال: «عم الرجل صنو أبيه»(١). معناه: أنه وأبوه من أصل واحد.

قوله تعالى: ﴿وإن تعجب فعجب قولهم﴾ العجب: تغير النفس برؤية المستبعد فى العادات، والخطاب للرسول ﷺ ومعناه: أنك تعجب؛ فعجب من إنكارهم النشأة الآخرة مع إقرارهم ابتداء الخلق من الله، وقد تقرر فى القلوب أن الإعادة أهون من الابتداء؛ فهذا موضع التعجب. وفى الأمثال: لاخير فيمن لايتعجب من العجب، وأرذل منه من يتعجب من غير عجب.

وقوله: ﴿أئذا كنا ترابا أئنا لفى خلق جديد﴾ هذا هو المعنى فى إنكارهم البعث.

وقوله: ﴿أولئك الذين كفروا بربهم﴾ جحدوا بربهم.

وقوله: ﴿وأولئك الأغلال فى أعناقهم﴾ الغل طوق تجمع به اليد إلى العنق وهذه الأغلال من نار. وقوله: ﴿وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة﴾ الاستعجال طلب تعجيل الأمر قبل مجيء (وقته)(٢)، وقد كان الله تعالى أخَّر عقوبة الاصطلام عن المشركين

(١) رواه مسلم (٧/ ٧٩/ رقم٩٨٣)، وأبو داود (٢/ ١١٥/ رقم ١٦٢٣)، وأحمد (٢/ ٣٢٢) وأصل الحديث بدون هذه اللفظة فى البخارى (٣/ ٣٨٨)، والنسائي (٥/ ٣٣ رقم ٢٤٦٤) كلهم من حديث أبى هريرة.
(٢) فى «ك»: وحيه وهو خطأ.

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ

كرامة للنبى ﷺ . والسيئة هاهنا هى العقوبة، والحسنة: العافية، ومعناه: أنهم يطلبون العقوبة بدلا من العافية، وقد دلَّ على هذا قوله تعالى: ﴿وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء﴾(١) وقوله تعالى: ﴿سأل سائل بعذاب واقع﴾(٢).

وقوله: ﴿وقد خلت من قبلهم المثلات﴾ روى عن مجاهد أنه قال: المثلات الأمثال، والأكثرون أن المثلات العقوبات، وقرأ الأعمش: «المَثْلات» بفتح الميم وكسر التاء، وحكى عنه أنه قرأ: «المُثْلات» بضم الميم وتسكين)(٣) الثاء، والمعانى متقاربة.

وقوله: ﴿وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم﴾ معناه: لذو تجاوز عن الناس على ظلمهم ﴿وإن ربك لشديد العقاب﴾ وفى بعض المسانيد عن سعيد بن المسيب «أن النبى ﷺ قال لما نزلت هذه الآية: لولا فضل الله وتجاوزه ما هنيء أحد العيش، ولولا وعيده وعقوبته لاتكل كل أحد»(٤).

قوله تعالى: ﴿ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه﴾ معناه: لولا أنزل عليه آية مما نقترحها، وإلا فالآيات قد كانت نازلة عليه.

وقوله: ﴿إنما أنت منذر﴾ مخوف أو مبلغ للوحى بالإنذار.

وقوله: ﴿ولكل قوم هاد﴾ فيه أقوال، الأكثرون أن معناه: ولكل قوم نبى يدعوهم إلى الله، والقول الثانى: ولكل قوم هادٍ، يعنى: محمداً ﷺ وقيل: الهادى هو الله.

قوله تعالى: ﴿الله يعلم ما تحمل كل أنثى﴾ معناه: الله يعلم ما تحمل كل أنثى

---

(١) الأنفال: ٣٢.
(٢) المعارج: ١.
(٣) فى «ك»: وسكون.
(٤) عزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/١٨٣) لابن أبى حاتم فى تفسيره، والثعلبى فى تفسيره، والواحدى فى تفسيره الوسيط.

الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ

من ذكر أو أنثى، أو سوى الخلق أو غير سويه، أو واحد أو اثنين أو أكثر.

قوله: ﴿ وما تغيض الأرحام وما تزداد ﴾ الغيض هو النقصان، هكذا قال مجاهد وغيره، وفى بعض الأخبار أن النبى ﷺ قال: «إذا كان المطر قيظًا، والولد غيظًا، وغاض الكرام غيضا، وفاض اللئام فيضا»(١) الخبر.

وفى غيض الأرحام وزيادتها ثلاثة أقوال: الأول: أنه النقصان عن سبعة أشهر، والزيادة على تسعة أشهر، والثانى أنه: النقصان بإسقاط السقط، والزيادة بتمام الخلق، والثالث: أنه النقصان بالحيض على الحمل، والزيادة بعدم الحيض على الحمل؛ فإن الولد ينتقص إذا اهراقت المرأة الدم على الحمل وتتم إذا لم تهرق. وعن مكحول أنه قال: دم الحيض غذاء الولد فى الرحم.

وقوله: ﴿ وكل شيء عنده بمقدار ﴾ أى: بتقدير.

وقوله تعالى: ﴿ عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال ﴾ يعنى: المتعال عما يقوله المشركون.

قوله تعالى: ﴿ سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ﴾ الآية معناه: يستوى فى علم الله المسر بالقول والجاهر به.

وقوله: ﴿ ومن هو مستخف بالليل ﴾ أى: مستتر بظلمة الليل وقوله: ﴿ وسارب بالنهار ﴾ أى: ظاهر ذاهب بالنهار، والسرب: الطريق، تقول العرب: خلِّ له سربه أى:

(١) رواه الطبراني في الأوسط كما في مجمع البحرين (٧/ ٢٩٥/ رقم٤٤٨٠) من حديث عائشة مرفوعاً، وتمامه: «ويجترئ الصغير على الكبير، واللئيم على الكريم».
وقال الطبراني: لا يروى عن عائشة إلا بهذا الإسناد، تفرد به مؤمل.
وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٣٢٨): رواه الطبراني في الأوسط، وفيه جماعة لم أعرفهم. و وروى هذا الكلام من حديث حذيفة بن اليمان في أثناء حديث طويل رواه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٥٨ - ٣٥٩) وقال: غريب من حديث عبد الله بن عبيد بن عمير، لم يروه فيما أعلم إلا فرج بن فضالة.

﴿١٠﴾ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ

طريقه، وزعم بعض أهل المعانى أن قوله: ﴿ومن هو مستخف بالليل﴾ أى: ظاهر بالليل، يقال: خفيت إذا ظهرت، وأخفيت إذا كتمت، قال الشاعر:

خفاهن من أنفاقِهن كأنما   خفاهُنَّ وَدْقٌ من سحابٍ مركب

وقوله: ﴿وسارب بالنهار﴾ أى مستكن بالنهار، يقال: أسرب الوحش إذا استكن، والقول الأول هو الأصح.

قوله تعالى: ﴿له معقبات من بين يديه ومن خلفه﴾ الآية، فى الآية أقوال، أظهرها: أن المعقبات: الملائكة، والمعقبات المتداينات، يعنى: يذهب بعضها ويأتى البعض فى عقبها، وقد صح برواية أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال: إن لله ملائكة يتعاقبون بينكم، ويجتمعون فى صلاة الفجر وصلاة العصر فيعرج الذين باتوا فيكم؛ فيقول الله لهم: كيف تركتم عبادى؟ فيقولون: أتيناهم وهم يصلون، وتركناهم وهم يصلون»(١).

القول الثانى هو ما روى عن عكرمة قال: الآية فى الأمراء وحرسهم.

والقول الثالث: ما روى عن ابن جريج أنه قال: الآية فى الذى يقعد عن اليمين والشمال يكتب، وذلك فى قوله تعالى: ﴿إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد﴾(٢).

وقوله: ﴿يحفظونه من أمر الله﴾ الأكثرون على أن قوله: ﴿من أمر الله﴾ ومعناه: أنهم يحفظونه بإذن الله، فإذا جاء القدر خلوا بينه وبينه، وفى بعض الآثار: «أن الله تعالى يوكل ملائكة بالنائم يحفظونه من الجن والهوام فإذا قصده شيء، قالوا: وراءك وراءك إلا شيئًا قدر أن يصيبه.

(١) متفق عليه، رواه البخاري (٦/ ٣٥٣/ رقم ٣٢٢٣)، ومسلم (٥/ ١٨٦ رقم ٦٣٢).

(٢) ق: ١٧.

جنة السنة

حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ

ورِوى عمرو بن أبى جندب: كنا عند سعيد بن قيس الهمدانى، فجاء عليٌّ يتوكأ على عنزة له، فقلنا له: يا أمير المؤمنين، أما تخاف أن يغتالك أحد؟ فقال: إن الله تعالى قد وُكِّل بابن آدم ملائكة يحفظونه، فإذا جاء القدر خلوا بينه وبينه.

وفى قوله: ﴿من أمر الله﴾ قول آخر، وهو أنه على المعنى التقديم والتأخير، وكأن الله تعالى قال: له معقبات من أمره يحفظونه من بين يديه ومن خلفه وقيل: من أمر الله: مما أمر الله به من الحفظ عنه. وعن ابن عباس أنه قرأ: «له معقبات من بين يديه ورقباء من خلفه». وقرئ فى الشاذ: «له معاقيب من بين يديه ومن خلفه».

وقوله: ﴿إن الله لا يغير ما بقوم﴾ معناه: لا يغير شيئًا بقوم من النعمة ﴿حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ بالمعصية.

وقوله: ﴿وإذا أراد الله بقوم سوءاً﴾ فى الآية رد على القدرية صريحا، ومعناه: بلاء وعذابا ﴿فلا مرد له﴾ أى: لا راد له. ﴿وما لهم من دونه من وال﴾ أى: من ولى يمنعهم وينصرهم، قال الشاعر:

ما فى السماء سوى الرحمن من وال

قوله تعالى: ﴿هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا﴾ البرق: نور مضىء شبه عمود من نار من اتقاد السحاب، والتفسير المعروف عن السلف أن البرق مخاريق بأيدى الملائكة من نار يسوقون بها السحاب إلى حيث شاء الله تعالى.

وقوله ﴿خوفا وطمعا﴾ فيه أقوال: أحدها أن الخوف من الصاعقة، والطمع فى نفع المطر.

والثانى: أن الخوف للمسافر، فإن عادة المسافر أن يتأذى بالمطر، والطمع للمقيم، لأن المقيم يرجو الخصب بالمطر.

بِحَمْدِهِ وَالْمَلائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي

والثالث: أن الخوف من المطر فى غير إبانه، وفى غير مكانه، والطمع إذا كان فى إبانه ومكانه من البلدان [فمنهم](١) إذا مطروا قحطوا، مثل مصرَ وغيره، وإذا لم يمطروا أخصبوا.

وفى بعض الأخبار عن النبى ﷺ «أن الله تعالى يقول: لو أن عبادى أطاعونى أسقيتهم المطر بالليل، وأطلعت عليهم الشمس بالنهار، ولم أسمعهم صوت الرعد»(٢).

وقوله: ﴿ وينشيء السحاب الثقال ﴾ يعنى: الثقال بالماء، وعن على رضى الله عنه أنه قال: السحاب غربال السماء. وعن ابن عباس أنه قال: إن الله تعالى خلق السحاب كل سبع سنين مرة.

وقوله: ﴿ ويسبح الرعد بحمده ﴾ أكثر المفسرين أن الرعد ملك، والمسموع من الصوت تسبيحه، وهذا مروى عن النبى ﷺ حين سأله اليهود عن الرعد، وذكر فيه أن الصوت هو زجره للسحاب(٣)، وقد حكى هذا عن ابن عباس وعلى ومجاهد وسعيد بن جبير والحسن. وعن قتادة قال: هذا عبد لله تعالى سامع مطيع.

(١) فى «الأصل وك»: أنهم.

(٢) رواه أحمد (٢/٣٥٩)، والطيالسى (ص٣٣٧/ رقم ٢٥٨٦)، والحاكم (٢/٣٤٩) وقال: صحيح الإسناد. وتعقبه الذهبى بقوله: بل صدقة واهٍ؛ والبيهقى فى الزهد (ص٢٨١ رقم ٧١٩)، كلهم عن أبى هريرة، وقال الهيثمى فى المجمع (٢/٢١٤): ومداره على صدقة بن موسى الدقيقى، ضعفه ابن معين وغيره، وقال مسلم بن إبراهيم: حدثنا صدقة الدقيقى وكان صدوقًا.

وذكر البيهقى له طريقاً آخر عن أبى سعيد (ص٢٨٠ - ٢٨١ رقم ٧١٨) وأشار إلى تخطئتها.

ورواه ابن الجوزى فى العلل (٢/٩٧١) من طريق الدارقطنى عن أبى سعيد وقال: الحديث غير ثابت.

(٣) رواه الترمذى (٥/٢٧٤/ رقم ٣١١٧) وقال: حسن غريب، والنسائى فى الكبرى (٥/٣٣٦ - ٣٣٧ رقم ٩٠٧٢)، وأحمد (١/٢٧٤)، وأبو الشيخ فى العظمة (ص ٢٦٥ رقم ٧٦٩) عن ابن عباس مرفوعًا.

وعزاه السيوطى فى الدر (٤/٥٨) لابن المنذر، وابن أبى حاتم؛ وابن مردويه، وأبى نعيم فى الدلائل، والضياء فى المختارة.

وفى الآثار: أن الإنسان إذا سمع الرعد ينبغى أن يقول: سبحان من سبحت له. روى هذا عن ابن الزبير وغيره، وعن عبد الله بن عباس قال: من قال إذا سمع صوت الرعد: سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهو على كل شيء قدير؛ فإن أصابته صاعقة فعليَّ ديته.

وعن محمد بن على الباقر قال: الصاعقة تصيب المسلم وغير المسلم ولاتصيب الذاكر.

وفى الرعد قول آخر، وهو أنه صوت اصطكاك الأجرام العلوية. والصحيح هو الأول، وقيل أيضًا: إن الرعد نطق السحاب، والبرق ضحكه.

وقوله ﴿والملائكة من خيفته﴾ يعنى: وتسبح الملائكة من خيفته. وعن ابن عباس أن لله تعالى ملائكة يبكون من خشيته من يوم خلقهم، وملائكة فى الركوع، وملائكة فى السجود، وملائكة فى التسبيح لايشغلهم عن ذلك شيء.

وقوله: ﴿ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء﴾ الصاعقة: هى العذاب المهلك، وهى تنزل من البرق فى بعض الأحوال فتحرق ما تصيبه، والآية نزلت فى شأن أربد بن ربيعة حين جاء إلى النبى ﷺ فقال: مم ربك؟ أمن در أو ياقوت أو من ذهب [أو من فضة](١)؟ فنزلت صاعقة من السماء فأحرقته، ورثاه أخوه لبيد بن ربيعة، فقال:

أخشى على أربَد الحتوف ولا ... أرهب نَوْءَ السماك والأسد

فجّعنى البرق والصواعق بالفا ... رس يوم الكريهة النجد

ويقال: إنه جاء مع عامر بن طفيل، وقصد الفتك بالنبى ﷺ فجفت يده على قائمة السيف، فلما خرج من عند رسول الله ﷺ أصابته صاعقة فى يوم صحو قائظ، فأما عامر فأصابته غُدة، ومات فى بيت سلولية، وجعل يقول: أغدة كغدة البعير وموت فى بيت سلولية.

وروى «أن يهوديا أتى النبى ﷺ وسأله: ممَّ ربك؟ فنزلت صاعقة وأحرقته».

(١) من «ك»:

جنة السنة

اللَّه وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١٣﴾ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي

وقوله: ﴿وهم يجادلون فى الله﴾ يعنى: يخاصمون ويقولون فى الله ما لايعلمون وقيل: وهم يجادلون فى الله: يكذبون بعظمة الله.

وقوله: ﴿وهو شديد المحال﴾ قال ابن عباس: شديد الحول، ومنه قوله: لا حول ولا قوة إلا بالله، وقيل: شديد المحال شديد الانتقام. وعن على - رضى الله عنه - شديد الأخذ. وقيل: شديد الإهلاك. وقيل: شديد المكر. وقال الشاعر:

فرع نبع يهتَزُّ فى غصن المجـ ... ـد عزيز الندى شديد المحال

وقرئ فى الشاذ: «شديد المَحال» بنصب الميم.

قوله تعالى: ﴿له دعوة الحق﴾ هى شهادة أن لا إله إلا الله، هذا روى عن ابن عباس وغيره، وقيل: دعوة الحق هو الدعاء بالإخلاص، والدعاء بالإخلاص لايكون إلا لله، ألا ترى أن الله تعالى قال: ﴿[فادعوا](١) الله مخلصين له الدين﴾(٢).

قوله: ﴿والذين يدعون من دونه﴾ يعنى: الأصنام ﴿لايستجيبون لهم بشىء﴾ يعنى: لايجيبون لهم شيئًا. وقوله: ﴿إلا كباسط كفيه إلى الماء﴾. فيه قولان: أحدهما: أنه كالقابض على الماء، ومن قبض على الماء لم يبق فى يده شىء. قال الشاعر:

فأصبحت (فيما)(٣) كان بينى وبينها ... من الودّ مثل القابض الماء باليد

والقول الثانى - وهو المعروف - أن قوله: ﴿كباسط كفيه إلى الماء﴾ يعنى: كالعطشان المشير بكفه إلى الماء، وبينه وبين الماء مسافة لايصل إليه؛ فهو يشير بكفه ويدعو بلسانه، ولايصل إليه؛ فكذلك من يدع الأصنام بدفع أو نفع لايصل إلى شىء بدعائه. وقوله: ﴿ليبلغ فاه﴾ يعنى: ليناله فاه ﴿وما هو ببالغه﴾ وما هو بنائله.

---

(١) في «الأصل وك»: ادعوا.

(٢) غافر: ١٤.

(٣) فى «ك»: ما.

جنة السنة

ضَلالٍ ﴿١٤﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ ﴿١٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لا يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ

وقوله: ﴿وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال﴾ يعنى: إلا فى خطأ وبطلان.

قوله تعالى: ﴿ولله يسجد من فى السموات والأرض طوعا وكرها﴾ يعنى: يسجد من فى السموات طوعًا، ويسجد من فى الأرض بعضهم طوعا وبعضهم كرها. والسجود هو الخضوع بالتذلل، وقيل: إن سجود الأشياء [هو](١) تذللها وتسخيرها لما أريد له وسخر له. وقوله: ﴿وظلالهم﴾ قالوا: ظل الكافر يسجد طوعا، والكافر يسجد كرها، وظل المؤمن يسجد طوعا، وكذا المؤمن يسجد طوعا، هذا هو القول المنقول عن السلف. وقيل: إن سجود الظل هو تسخيره وتذليله لما أريد له. وقيل: إن معنى قوله: ﴿وظلالهم﴾ أشخاصهم ﴿بالغدو والآصال﴾ بالبكر والعشايا.

قوله تعالى: ﴿قل من رب السموات والأرض﴾ معناه: قل يامحمد: من رب السموات والأرض؟ ثم أمره بالإجابة، وقال: ﴿قل الله﴾ وروى أنه إنما قال هذا للمشركين، عطفوا عليه، وقالوا: أجب أنت، فأمره الله، وقال: ﴿قل الله﴾ وإنما صحت هذه الإجابة معهم؛ لأنهم كانوا يقرون أن الله خالقهم وخالق السموات والأرض.

وقوله: ﴿قل أفاتخذتم من دونه أولياء﴾ معناه: أنكم مع إقراركم أن الله خالقكم وخالق السموات والأرض اتخذتم من دونه أولياء يعنى: الأصنام. ﴿لايملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا﴾ يعنى: أنهم عجزة، فإذا لم يملكوا لأنفسهم نفعا ولا ضرا، فكيف يملكون لكم؟.

وقوله: ﴿قل هل يستوى الأعمى والبصير﴾ ضرب مثلا للمؤمن والكافر والإيمان والكفر؛ فقال: ﴿قل هل يستوى الأعمى والبصير﴾؟ ﴿أم هل تستوى الظلمات

---

(١) من «ك». وفي «الأصل»: هي.

وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ

والنور﴾ أى: كما لايستوى الأعمى والبصير والظلمات والنور؛ فكذلك لايستوى المؤمن والكافر والإيمان والكفر.

وقوله: ﴿أم جعلوا لله شركاء﴾ يعنى: أجعلوا لله شركاء ﴿خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم﴾ أى: اشتبه ما خلقوه بما خلقه الله، ومعنى الآية: أنهم كما عرفوا أن الأصنام لاتخلق كخلق الله؛ فلا ينبغى أن تعبد كعبادة الله.

وقوله: ﴿قل الله خالق كل شيء﴾ ظاهر المعنى. وقوله ﴿وهو الواحد القهار﴾ الواحد: هو الشيء الذى لاينقسم، وقد يكون شيئين لاينقسم فى معنى، ويسمى واحد، مثل قولهم: دينار واحد؛ لأنه لاينقسم فى الدينارية. والقهار: الغالب الذى لايغلبه شيء، وفى بعض الأخبار: «سبحان من تعزز بقدرته وقهر عباده بالموت».

قوله تعالى: ﴿أنزل من السماء ماء﴾ هذا مثل ضربه الله فى القرآن، وضرب الأودية مثلاً للقلوب، فقوله: ﴿أنزل من السماء ماء﴾ أى: مطرا ﴿فسالت أودية بقدرها﴾ قرئ: «بقدْرها»، قرأها أبو الأشهب العقيلى، والمعنى: بقدرها من الصغر والكبر، وكذلك القلوب تحمل القرآن بقدرها من الضيق والسعة.

وقوله: ﴿فاحتمل السيل زبدا رابيا﴾ الزبد: هو الخبث الذى يظهر على وجه الماء، وكذلك على وجه القِدْر، وكذلك على فم البعير. وقوله: ﴿رابيا﴾ أى: طافيا عاليا تم المثل الأول ها هنا. ثم ذكر مثلا ثانيا، وهو قوله تعالى ﴿ومما يوقدون عليه فى النار﴾ ومن الذى توقدون عليه، الإيقاد: جعل النار تحت الشيء ليذوب.

وقوله: ﴿ابتغاء حلية﴾ معناه: لطلب الحلية، والذى أُوقد عليه ها هنا هو الذهب والفضة؛ لأن الحلية تطلب منهما. وقوله: ﴿أو متاع﴾ معناه: أو طلب متاع، وذلك من الصفر والنحاس وغيره يوقد عليها، والمتاع: هو الأوانى المتخذة من هذه الأشياء.

جنة السنة

﴿الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ (١٧) لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لافْتَدَوْا بِهِ أُوْلَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ﴾

وقوله: ﴿زبد مثله﴾ أى: زبد مثل زبد الماء ﴿كذلك يضرب الله الحق والباطل﴾ أى: كذلك يبين الله الحق والباطل بضرب المثل، ثم قال: ﴿فأما الزبد فيذهب جفاء﴾ يعنى ضائعا باطلا، يقال: أجفأتْ القدْرُ، إذا زبدت من جوانبها، وذهب الزبد. وذكر أبو زيد اللغوى أن رؤبة بن العجاج قرأ: «فأما الزبد فيذهب جُفَالا» والمعنى قريب من الأول.

وقوله: ﴿وأما ما ينفع الناس فيمكث﴾ يعنى: الماء والذهب والفضة والحديد والرصاص والصفر والنحاس. قوله: ﴿فيمكث فى الأرض﴾ أى: يبقى ولايذهب.

وقوله: ﴿كذلك يضرب الله الأمثال﴾ جعل هذا مثلا للحق والباطل فى القلوب، يعنى: أن الباطل كالزبد يذهب ويضيع ويهلك، والحق كالماء وكهذه الأشياء يمكث ويبقى فى القلوب، وقال بعضهم: هذا تسلية للمؤمنين، يعنى أن أمر المشركين كذلك الزبد، يُرى فى الصورة شيئا ثابتا وليس له حقيقة. وأمر المؤمنين كالماء المستقر فى مكانه، فله الثبات والبقاء، يقال: للباطل جولة، و للحق دولة.

قوله تعالى: ﴿للذين استجابوا لربهم الحسنى﴾ الآية، قد بينا أن الاستجابة والإجابة بمعنى واحد. وقوله: ﴿الحسنى﴾ الأكثرون أنها الجنة، وقيل: هو الرزق والعافية فى الدنيا والنعيم فى الآخرة، والحسنى فُعْلى من الحسن.

وقوله: ﴿والذين لم يستجيبوا له﴾ أى: لم يجيبوا له. وقوله: ﴿لو أن لهم ما فى الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به﴾ يعنى: لبذلوا ذلك افتداء من النار.

وقوله: ﴿أولئك لهم سوء الحساب﴾ رُوى عن إبراهيم النخعى أنه قال لفرقد: يافريقد، أتدرى ما سوء الحساب؟ هو أن يحاسب على جميع الذنوب ولايغفر منها شيئا. وقد صح عن النبى ﷺ برواية عائشة – رضى الله عنها –: «من نوقش الحساب

جنة السنة

جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٨﴾ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً

عُذِّب»(١) وفي رواية «هلك»(٢) وقيل: إن سوء الحساب هو أن لايقبل حسنة، ولايعفو عن سيئة. وقوله: ﴿ومأواهم جهنم﴾ أي: مستقرهم جهنم.

وقوله: ﴿وبئس المهاد﴾ أي: بئس ما مهدوا لأنفسهم أي: بئس ما مهد لهم.

قوله تعالى: ﴿أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى﴾ نزلت الآية في حمزة بن عبد المطلب وأبي جهل بن هشام، فالأول حمزة والثاني أبو جهل، وقيل: في عمار بن ياسر وأبي جهل.

وقوله: ﴿إنما يتذكر أولو الألباب﴾ أي: يتعظ أولو الألباب، ومعنى الآية: أن من يبصر الحق ويتبعه، ومن لايبصر الحق ولايتبعه لايستويان أبدا.

قوله تعالى: ﴿الذين يوفون بعهد الله﴾ ظاهر المعنى، وقيل: عهد الله تعالى ما أخذه الله تعالى من العهد على ذرية آدم حين أخذهم من صلبه.

وقوله: ﴿ولاينقضون الميثاق﴾ هو تحقيق الوفاء السابق.

وقوله: ﴿والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل﴾ يعني: يؤمنون بجميع الأنبياء، وقيل: يصلون الرحم ولايقطعونه.

وقوله: ﴿ويخشون ربهم﴾ أي: يخافون ربهم ﴿ويخافون سوء الحساب﴾ أي: يرهبون سوء الحساب، وسوء الحساب قد بيّنا.

وقوله: ﴿والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم﴾ يعني: صبروا على أمر الله [طلبا لرضا](٣) ربهم، وقيل: صبروا على الفقر، وعلى المصائب والبلايا، وقيل: صبروا عن

(١) متفق عليه، رواه البخاري (١١/ ٤٠٧ رقم ٦٥٣٦)، ومسلم (١٧/ ٣٠٢ - ٣٠٣ رقم ٢٨٧٦).
(٢) متفق عليه أيضًا، رواه البخاري (١/ ٤٠٧ رقم ١٠٣)، ومسلم (١٧/ ٣٠٣ رقم ٢٨٧٦).
(٣) في «الأصل وك»: طلب رضا.

جنة السنة

﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾﴾

المعاصي وقيل: صبروا عن شهوات الدنيا ولذاتها.

وقوله: ﴿ويدرءون بالحسنة السيئة﴾ يعني: يدفعون السيئة بالحسنة، وهو معنى قوله: ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾(١) ومعنى قوله عليه السلام: «إذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة تمحها». وفي الآية قول آخر وهو أن السيئة: الذنب. والحسنة: التوبة. ومعناه: يدفعون الذنب بالتوبة وفي الخبر: «ما من شيء أدرك لشيء من توبة حديثة لذنب قديم».

قوله: ﴿أولئك لهم عقبى الدار﴾ أي: الجنة، ومعناه: لهم عاقبة دار الثواب. قوله: ﴿جنات عدن يدخلونها﴾ أي: بساتين [للإقامة](٢).

وقوله: ﴿يدخلونها﴾ معناه معلوم. وقوله: ﴿ومن صلح من آبائهم﴾ أي: ويدخلها من صلح من آبائهم ﴿وأزواجهم وذرياتهم﴾ وفي الخبر: أن المؤمن يدخل الجنة، فيرى ذريته فيها، فيقول: متى دخلتم فيها؟ فيقولون: نحن منذ قديم ننتظرك، والله أعلم.

وقوله: ﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب﴾ يعني: من أبواب الجنة، وقيل: من أبواب القصور. وقوله: ﴿سلام عليكم﴾ يعني: يسلمون عليهم سلاما، وقيل: يقولون: قد سلمكم الله من الآفات التي كنتم تخافونه منها، وفي الآثار أنهم - يعني: الملائكة - يأتون بالتحف والهدايا من الله تعالى بقدر كل يوم من أيام الدنيا [ثلاث](٣) عشرة مرة. وقوله: ﴿بما صبرتم﴾ قد بينا. وقوله: ﴿فنعم عقبى الدار﴾ أي: نعم عاقبة الدار.

---

(١) هود: ١١٤.

(٢) في «الأصل وك»: إقامة.

(٣) في «الأصل وك»: ثلاثة.

جنة السنة

سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾ وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ

قوله تعالى: ﴿والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه﴾ ظاهر، وهذا وارد فى الكفار. وقوله تعالى: ﴿ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل﴾ يعنى: يؤمنون ببعض الأنبياء، ويكفرون بالبعض، وقيل: يقطعون الرحم.

وقوله: ﴿ويفسدون فى الأرض﴾ يعنى: يعملون فيها بالمعاصى. وقوله: ﴿أولئك لهم اللعنة﴾ أى: البعد من رحمة الله. وقوله: ﴿ولهم سوء الدار﴾ أى: سوء المنقلب لأن المنقلب: منقلب الناس إلى الدار.

قوله: ﴿الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ يعنى: يوسع على من يشاء، ويضيق على من يشاء. وقوله: ﴿وفرحوا بالحياة الدنيا﴾ الفرح: لذة فى القلب بنيل المشتهى، وهذا دليل على أن الفرح بالدنيا حرام منهى عنه.

قوله: ﴿وما الحياة الدنيا فى الآخرة إلا متاع﴾ يعنى: إلا قليل، ويقال: كمتاع الراكب، وقد صح عن النبى ﷺ أنه قال: «ما الدنيا فى الآخرة إلا كما يجعل أحدكم أصبعه فى اليم فلينظر بم يرجع»(١).

وقوله تعالى: ﴿ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه﴾ يعنون الآية المقترحة؛ فإن قال قائل: لم لايجوز أن يجيبهم إلى الآية المقترحة، ولعلها تكون سببا لإيمانهم؟ والجواب: أن الآية المقترحة لانهاية لها، وإن وجب فى المصلحة أن يجيب واحدا، وجب أن يجيب آخر، إلى ما يتناهى.

وقوله: ﴿قل إن الله يضل من يشاء﴾ ظاهر المعنى. وقوله: ﴿ويهدى إليه من أناب﴾ معناه: ويهدى إليه من يشاء بالإنابة، وفى الآية رد على القدرية، والله الهادى إلى الصواب بمنه.

(١) تقدم في تفسير سورة التوبة.

﴿اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ﴾

وقوله تعالى: ﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله﴾ أى: تسكن قلوبهم بذكر الله، وقيل: تستأنس قلوبهم بذكر الله، والسكون باليقين، والاضطراب بالشك، قال الله تعالى فى شأن المشركين: ﴿إذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لايؤمنون بالآخرة﴾(١) أى: اضطربت، وقال فى المؤمنين ﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله﴾.

وقوله: ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ معناه: ألا بذكر الله تسكن القلوب، وطمأنينة القلب بزوال الشك منه واستقرار اليقين فيه، فإن قال قائل: أليس الله تعالى قال: ﴿وجلت قلوبهم﴾(٢) فكيف توجل وتطمئن فى حالة واحدة؟ والجواب: أن الوجل بذكر الوعيد والعقاب، والطمأنينة بذكر الوعد والثواب، فكأنها توجل إذا ذكر عدل الله وشدة حسابه، وتطمئن إذا ذكر فضل الله وكرمه.

قوله تعالى: ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ معناه: وعملوا الطاعات. وقوله: ﴿طوبى لهم﴾ فيه أقوال: روى عن أبى هريرة وأبى أمامة وأبى الدرداء وعن ابن عباس برواية الكلبى أنهم قالوا: طوبى شجرة فى الجنة تظلل الجنان كلها.

وفى بعض الأخبار أن أصلها فى منزل النبى ﷺ وقصره، وفى كل قصر من قصور الجنة غصن منها، وعليها من جميع أنواع الثمر، وتقع عليها طيور كالبخت إذا رآها المؤمن واشتهى منها سقطت بين يديه، فيأكل منها ما شاء ثم تطير، وفى بعض الأخبار: أن رجلا لو ركب حُقًّا أو جذعًا، وجعل يطوف بأصلها لقتله الهرم، ولم يبلغ إلى الموضع الذى ابتدأ منه.

والقول الثانى: أن طوبى اسم الجنة، قال مجاهد: هى اسم الجنة بالحبشية. وعن عكرمة: طوبى لهم أى نعماء لهم، وعن إبراهيم النخعى: أى خير وكرامة لهم، وعن

---

(١) الزمر: ٤٥.

(٢) الأنفال: ٤، الحج: ٣٥.

جنة السنة

مَئَابِ ﴿٢٩﴾ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾

الضحاك: طوبى لهم أى: غبطة لهم. والأقوال متقاربة فى المعنى، قال الزجاج: طوبى فعلى من الطيب، ومعناها: العيش الطيب لهم.

وقوله: ﴿ وحسن مآب ﴾ أى: حسن منقلب.

قوله تعالى: ﴿ كذلك أرسلناك فى أمة ﴾ الآية. معنى كاف التشبيه ها هنا: إنا كما أرسلنا الأنبياء إلى سائر الأمم؛ كذلك أرسلناك إلى هذه الأمة.

قوله: ﴿ قد خلت من قبلها أمم ﴾ أى: قد مضت من قبلها أمم. قوله: ﴿ لتتلوا عليهم الذى أوحينا إليك ﴾ أى. لتقرأ عليهم الذى أوحينا إليك.

وقوله: ﴿ وهم يكفرون بالرحمن ﴾ فيه قولان: أحدهما: قال ابن جريج: الآية مدنية فى قصة الحديبية فإن سهيل بن عمرو لما جاء واتفقوا على أن يكتبوا كتاب الصلح، كتب على رضى الله عنه بسم الله الرحمن الرحيم، فقالوا: لانعرف الرحمن، اكتب كما نكتب نحن: باسمك اللهم ... القصة، فهذا معنى قوله: ﴿ وهم يكفرون بالرحمن ﴾.

والقول الثانى – وهو المعروف – أن الآية مكية، وسبب نزولها أن أبا جهل سمع النبى ﷺ وهو فى الحِجْر يدعو ويقول: «يا الله، يا رحمن». فرجع إلى المشركين، وقال: إن محمداً يدعو إلهين يدعو الله، ويدعو آخر يسمى الرحمن ولا نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية، وأنزل أيضا قوله تعالى: ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن ﴾(١).

وقوله: ﴿ قل هو ربى ﴾ يعنى قل: الرحمن ربى ﴿ لا إله إلا هو عليه توكلت ﴾ عليه اعتمدت وبه وثقت ﴿ وإليه متاب ﴾ يعنى: وإليه التوبة، والتوبة هى الندم على ما سلف من الجرائم مع الإقلاع عنها فى المستقبل.

---

(١) الإسراء: ١١٠.

جنة السنة

وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ بَل لِّلَّهِ الأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَيْئَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا

قوله تعالى: ﴿ولو أن قرآنا سيرت به الجبال﴾ روى أن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ: سل ربك أن يُسير هذه الجبال التى بمكة فتتسع أرضنا ونتخذ فيها المزارع، وسل ربك أن يقرب إلينا الشام، فإن إليه متاجرنا وقد أبعد عنا، وقالوا أيضا: سل ربك أن يخرج لنا الأنهار ويشق العيون فى الأرض لنغرس الأشجار، ونتخذ البساتين، وسل ربك أن يبعث لنا جماعة من الموتى فنسألهم عن أمرك، وأحى لنا قصيا؛ فإنه كان شيخًا مباركًا حتى نسأله عن أمرك. وفى بعض الروايات أنهم قالوا: سل ربك بالقرآن الذى أنزل عليك أن يفعل هذا فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿ولو أن قرآنا سيرت به الجبال﴾ معناه: ولو قضيت أن أسير الجبال بكتاب أو أقطع الأرض به أو أحيى به الموتى لفعلت بهذا القرآن.

فإن قيل: هذا الجواب الذى تقولون غير مذكور فى القرآن، وهذا زيادة؟

الجواب عنه، أن الجواب محذوف، والعرب تفعل مثل هذا، قال الشاعر:

فلو أنها نفس تموت سوية ... ولكنها نفس تساقط أنفسا

ومعناه: ولو أنها نفس واحدة لتسليت بها، ولكنها أنفس كثيرة. وذكر الفراء أن الجواب هو: ﴿ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى﴾ لم يؤمنوا؛ لما سبق فى علمنا من تركهم الإيمان.

معناه: أنا لو فعلنا بالقرآن الذى أنزل إليك ما سألوا، لم يؤمنوا أيضا. وقوله: ﴿بل لله الأمر جميعا﴾ معناه: بل لله الأمر جميعا فى هذه الأشياء؛ إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها.

وقوله: ﴿أفلم ييئس الذين آمنوا﴾ أكثر أهل المعانى على أن معناه: أفلم يعلم الذين آمنوا، وفى قراءة ابن عباس هكذا: «أفلم يتبين للذين آمنوا» وقد ورد هذا اللفظ بمعنى العلم فى لغة العرب، قال الشاعر:

جنة السنة

تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ

أقول لهم بالشعب إذ يأسرونني ... ألم تيئسوا أنى ابن فارس زهدم

وقال آخر:

ألم ييئس الأبطال أنى أنا ابنه ... وإن كنت عن أرض العشيرة نائيا

وأنكر الكسائى أن يكون هذا بمعنى العلم، وقال: إن العرب لاتعرف اليأس بمعنى العلم، قال: وإنما معنى الآية: أن أصحاب رسول الله ﷺ لما سمعوا هذا من المشركين طمعوا فى أن يفعل الله ما سألوا ويؤمنوا؛ فأنزل الله هذه الآية: ﴿أفلم ييئس الذين آمنوا﴾ يعنى: من الصحابة من إيمان هؤلاء القوم، وكل من علم شيئا فقد يئس عن خلافه وضده، وبعضهم قال معناه: أفلم يعلم الذين آمنوا من حال هؤلاء الكفار علما يوجب يأسهم عن إيمانهم، وقوله: ﴿أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا﴾ ظاهر المعنى.

وقوله: ﴿ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة﴾ أى نازلة وبلية، وقيل: إن القارعة ها هنا: سرايا رسول الله ﷺ ﴿أو تحل قريبا من دارهم﴾ يعنى: أو تحل السرية قريبا من دارهم، وقيل: أو تنزل أنت قريبا من دارهم.

﴿حتى يأتى وعد الله﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه يوم القيامة، والقول الثانى: أنه يوم بدر.

وقوله: ﴿إن الله لايخلف الميعاد﴾ ظاهر المعنى.

قوله: ﴿ولقد استهزئ برسل من قبلك﴾ الاستهزاء: طلب الهزء، وقد كان الكفار يسألون هذه الأشياء على طريق الاستهزاء، فأنزل الله تعالى هذه الآية تسليةً للنبى ﷺ، معناه: ولقد استهزئ برسل من قبلك يعنى: كما استهزءوا بك، فقد استهزئ برسل من قبلك. ﴿فأمليت للذين كفروا﴾ معناه: فأمهلت وأطلت المدة لهم، ومنه المَلَوان وهو الليل والنهار. وقوله: ﴿ثم أخذتهم فكيف كان عقاب﴾ معناه: ثم أخذتهم فى الدنيا بالقتل، وفى الآخرة بالنار فكيف كان [عقابى][1] لهم.

---

(١) فى «الأصل وك»: عقاب.

جنة السنة

كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ

قوله تعالى: ﴿أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت﴾ أكثر المفسرين أن قوله: ﴿أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت﴾ هو الله، والله تعالى لايجوز أن يسمى قائما على الإطلاق؛ لأن الشرع لم يرد به، ولأن القائم هو المنتصب، ويجوز أن يوصف بالقيام على التقييد، وهو أنه قائم على كل نفس بما كسبت، ومعنى قوله: ﴿قائم على كل نفس﴾: أنه المتولى لأحوالها وأعمالها وأرزاقها، وغير ذلك، وكذلك هو المتولى للمجازاة بكسب الخير والشر.

وقال بعضهم: معنى قوله: ﴿أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت﴾ أى: عالم بكسب كل نفس، قال الشاعر:

فلولا رجال من قريش أعزة ... سرقتم ثياب البيت والله قائم

أى: عالم. وقوله: ﴿أفمن﴾ معناه: أفمن كان هكذا كمن ليس بهذا الوصف.

وقوله: ﴿وجعلوا لله شركاء﴾ أى: وصفوا لله شركاء، وقوله: ﴿قل سموهم﴾ معناه: قل صفوهم بالصفات التى هى مستحقة لها، ثم انظروا هل هى أهل أن تعبد أو لا؟

قوله: ﴿أم تنبئونه بما لايعلم فى الأرض﴾ معناه: أم أنتم تنبئون الله بما لايعلم.

يعنى: تذكرون له شريكا وإلها آخر، وهو لايعلمه.

وقوله: ﴿أم بظاهر من القول﴾ يعنى أم تتعلقون بظاهر من القول لامعنى له، شبه المتجاهل الذى لايطلب حقيقة الأمر، وقيل: بظاهر من القول بباطل من القول: قال الشاعر:

وعيّرنى الواشون أنى أحبها ... وتلك شكاةٌ ظاهرٌ عنك عارها

أى: زائل، وحكى أن عبد الله بن الزبير أنشد هذا حين قيل له: يا ابن ذات النطاقين، وقصد القائل تعييره وذمه؛ فقال عبد الله بن الزبير:

وتلك شكاة ظاهر عنك عارها.

قوله: ﴿بل زُيّن للذين كفروا مكرهم﴾ أى: كفرهم. وقوله: ﴿وصدوا عن السبيل﴾ وقرئ: «وصُدوا» برفع الصاد، أى: فُعِل بهم ذلك. وقوله: ﴿وَصَدُّوا﴾

الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الأَحْزَابِ مَن

معناه: فعلوا هم ذلك، وقوله: ﴿ومن يضلل الله فما له من هاد﴾ ظاهر المعنى.

وقوله: ﴿لهم عذاب فى الحياة الدنيا﴾ قد بينا العذاب فى الدنيا.

﴿ولعذاب الآخرة أشق﴾ يعنى: أشد. وقوله: ﴿وما لهم من الله من واق﴾ أى: من يقى.

وقوله: ﴿مثل الجنة التى وعد المتقون﴾ قرئ فى الشاذ: «أمثال الجنة التى وعد المتقون» [و] المعروف: ﴿مثل الجنة﴾ وفيه قولان: أحدهما: صفة الجنة التى وعد المتقون، والقول الثانى: مثل الجنة التى وعد المتقون جنة ﴿تجرى من تحتها الأنهار أكلها دائم﴾ أى: لاينقطع ثمرها ونعيمها.

فإن قال قائل: قد قال ها هنا: ﴿أكلها دائم﴾ وقال فى موضع آخر: ﴿ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا﴾(١) فكيف التوفيق بين الآيتين؟

الجواب: أن الدوام بمعنى عدم الانقطاع، فإذا لم ينقطع ورزقوا بكرة وعشيًا، فهو دائم. وقوله: ﴿وظلها﴾ هذا فى معنى قوله تعالى: ﴿وظل ممدود﴾(٢).

وفى الأخبار: «أن ظل شجرة واحدة فى الجنة يسير الراكب فيها مائة عام لايقطعه(٣)». وقوله تعالى: ﴿تلك عقبى الذين اتقوا﴾ معناه: تلك عاقبة الذين اتقوا. وقوله: ﴿وعقبى الكافرين النار﴾ أى: عاقبة الكافرين النار.

---

(١) مريم: ٦٢.

(٢) الواقعة: ٣٠.

(٣) متفق عليه من حديث أبي هريرة، رواه البخاري (٦/٣٦٨ رقم ٣٢٥٢)، ومسلم (٧/ ٢٤٤ رقم ٢٨٢٦)، وروى من حديث سهل بن سعد، وأبي سعيد الخدري.

يُنكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ ﴿٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ

قوله تعالى: ﴿والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك﴾ الآية. روى أن [اليهود](١) الذين أسلموا كانوا يستقلون ذكر الرحمن فى القرآن مع كثرة ذكره فى التوراة، فلما كرر الله ذكر الرحمن فى القرآن فرحوا فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿والذين آتيناهم الكتاب يفرحون...﴾ الآية.

وقوله: ﴿ومن الأحزاب من ينكر بعضه﴾ الأحزاب: هم الذين تحزبوا على النبى ﷺ. وقوله: ﴿من ينكر بعضه﴾ يعنى: ذكر الرحمن؛ لأنهم كانوا لاينكرون ذكر الله، وقوله: ﴿قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به إليه أدعو وإليه مآب﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿وكذلك أنزلناه حكما عربيا﴾ فيه قولان: أحدهما: قرآنًا عربيًا؛ لأن فيه الأحكام، والآخر نبيا عربيا؛لأن النبى ﷺ كان منهم، والقرآن نزل بلغتهم.

وقوله: ﴿ولئن اتبعت أهواءهم﴾ الهوى: ميل الطبع لشهوة النفس. وأكثره مذموم. قوله: ﴿بعد ما جاءك من العلم﴾ يعنى: من القرآن ﴿مالك من الله من ولى ولا واق﴾ يعنى: من ناصر ولا حافظ.

قوله تعالى: ﴿ولقد أرسلنا رسلا من قبلك﴾ الآية، روى أن اليهود ذموا النبى ﷺ باستكثاره من النساء، وقالوا: هذا الرجل ليس له همة إلا فى النساء، فأنزل الله تعالى هذه الآية: وقيل: إن المشركين قالوا هذا؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية﴾ ويقال: إنه كان لداود مائة امرأة، وقد صح الخبر فيه عن النبى ﷺ، ودل عليه الكتاب. وكان لسليمان [ألف](٢) امرأة

(١) فى «الأصل وك»: يهود.

(٢) فى «الأصل، وك»: مائة.

جنة السنة

لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ

فى الصحيح، ثلثمائة امرأة، وسبعمائة سرية؛ فهذا معنى قوله: ﴿وجعلنا لهم أزواجا وذرية﴾ وكذلك عامة الأنبياء تزوجوا وولد لهم.

وقوله: ﴿وما كان لرسول أن يأتى بآية إلا بإذن الله﴾ أى: إلا بأمر الله ﴿لكل أجل كتاب﴾ معناه: لكل أجل أجله الشرع كتاب أثبت فيه. وقيل: هذا على التقديم والتأخير، ومعناه: لكل كتاب أجل ومدة، ومعناه الكتب المنزلة وقيل: لكل أجل كتاب، أى: لكل قضاء قضاه الله تعالى وقت يقع فيه، وكتاب أثبت فيه.

قوله تعالى: ﴿يمحوا الله ما يشاء ويثبت﴾ فيه أقوال: روى عن ابن عباس أنه يمحو الله ما يشاء من الشريعة، أى: ينسخ. ويثبت ما يشاء، فلا ينسخ. وحكى عنه أيضا برواية سعيد بن جبير قال: ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت﴾ إلا الشقاوة والسعادة والحياة والموت، وعن عمر وعبد الله بن مسعود - رضى الله عنهم - أنهما قالا: يمحو الشقاوة والسعادة أيضا، ويمحو الأجل والرزق، ويثبت مايشاء. وكان عمر يقول: اللهم إن كنت كتبتنى شقيا فامحه واكتبنى ما تشاء سعيدا، فإنك قلت: ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت﴾. وفى بعض الآثار أن الرجل يكون قد بقى له من عمره ثلاثون سنة فيقطع رحمه، فيرد إلى ثلاثة أيام، والرجل يكون قد بقى له من عمره ثلاثة أيام فيصل رحمه فيمد إلى ثلاثين سنة. وقد ورد خبر يؤيد قول ابن عباس فى أنه لايمحى الشقاوة والسعادة والأجل والرزق، روى حذيفة بن أسيد عن النبى ﷺ أنه قال: «إذا وقعت النطفة فى الرحم، ومضى عليها خمس وأربعون ليلة، قال الملك: يا رب، أذكر أم أنثى؟ فيقضى الله، ويكتب الملك، فيقول: يارب، أشقى أم سعيد؟ فيقضى الله تعالى، ويكتب الملك، فيقول: يارب ما الأجل؟ وما الرزق؟ فيقضى الله تعالى ويكتب الملك ثم لايزاد فيه ولاينقص. ذكره مسلم فى الصحيح[1].

(١) مسلم (١٦/ ٢٩٧ - ٢٩٩ رقم ٢٦٤٥)، ورواه أحمد (٤/ ٦-٧)، والحميدي (٢/ ٣٦٤ رقم ٨٢٦)، والآجري في الشريعة (ص١٨٢ - ١٨٣)، وابن أبي عاصم في السنة (ص٧٩، ٨٠ رقم ١٧٩، ١٨٠)، والطبراني في الكبير (٣/ ٧٤- ١٧٥ رقم ٣٠٣٦)، و(٣/ ١٧٧- ١٧٨ رقم ٣٠٤٣).

جنة السنة

وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ

وفى الآية قول آخر، وهو قول الحسن: ﴿يمحو الله ما يشاء﴾ أى: يمحو من حضر أجله ويثبت ما يشاء من لم يحضر أجله، وفى الآية قول رابع: أن المراد منه أن الحفظة يكتبون جميع أعمال بنى آدم، فيمحو الله منها ما يشاء، وهو ما لاثواب عليه ولا عقاب، ويثبت ما يشاء وهو الذى يستحق عليه الثواب والعقاب، وقيل: ﴿يمحو الله ما يشاء﴾ أى: يمحو ما يشاء لمن عصاه فختم أمره بالطاعة، ويثبت بالمعصية لمن أطاع، وختم أمره بالمعصية. والمنقول عن السلف هى الأقوال التى ذكرناها قبل هذا القول.

وقوله: ﴿وعنده أم الكتاب﴾ معناه: وعنده أصل الكتاب، وأصل الكتاب: هو اللوح المحفوظ. وفى بعض الأخبار «أن الله تعالى ينظر فى الكتاب الذى عنده لثلاث ساعات يبقين من الليل؛ فيمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء، ويبدل ما يشاء ويقرر ما يشاء»(١).

وقوله تعالى: ﴿وإما نرينك بعض الذى نعدهم﴾ الآية. بعض الذين نعدهم، أى: قبل وفاتك ﴿أو نتوفينك﴾ وقبل أن نريك ذلك ﴿فإنما عليك البلاغ﴾ أى: التبليغ ﴿وعلينا الحساب﴾ يوم القيامة.

قوله تعالى: ﴿أو لم يروا أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها﴾ أكثر المفسرين على أن المراد من هذا هو فتح ديار الشرك، وسمى ذلك نقصانا؛ لأنه إذا زاد فى دار الإسلام فقدنقص من دار الشرك، وهذا قول ابن عباس وقتادة وجماعة. وعن ابن عباس - فى رواية أخرى - قال: هو موت الأخيار والعلماء. وحكى ذلك عن مجاهد. وقيل: ننقصها من أطرافها بخرابها، والساعة تقوم وكل الأرض خربة، ويقال فى منثور

(١) رواه الطبرى (١٣/ ١١٤)، والبزار - كما فى مختصر زوائده - (٢/ ٤٣٠ رقم ٢١٥٠)، و (٢/ ٤٦٢ رقم٢٢١٨) وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/ ١٥٨): رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط، والبزار بنحوه، وفيه زيادة بن محمد الأنصارى وهو منكر الحديث: وأعاده فى (١٠/ ٤١٥).

جنة السنة

﴿يَحْكُمُ لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٤٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٤٣﴾﴾.

الكلام: الأشراف على الأطراف ليقرب منهم الأضياف. وقوله: ﴿والله يحكم لامعقب لحكمه﴾ أى: لاراد ولاناقص لحكمه ﴿وهو سريع الحساب﴾ معلوم.

قوله تعالى: ﴿وقد مكر الذين من قبلهم﴾ المكر: إيصال المكروه إلى الإنسان من حيث لايشعر. قوله: ﴿فلله المكر جميعا﴾ أى عند الله جزاء مكرهم جميعا. وقيل: إن الله خالق مكرهم جميعا. وقوله: ﴿يعلم ما تكسب كل نفس﴾ ظاهر المعنى ﴿وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار﴾ لمن عاقبة الدار، والآية تهديد ووعيد. وقوله: ﴿ويقول الذين كفروا لست مرسلا﴾ ظاهر المعنى. وقوله: ﴿قل كفى بالله شهيدا﴾ أى: شاهدا ﴿بينى وبينكم﴾.

وقوله: ﴿ومن عنده علم الكتاب﴾ قال قتادة: هو عبد الله بن سلام، وقيل: عبد الله بن سلام وسلمان الفارسى وتميم الدارى، وعلى هذا جماعة من التابعين، وأنكر الشعبى وعكرمة وجماعة هذا القول، وقالوا: السورة مكية، وعبد الله بن سلام أسلم بالمدينة، وأيضا فإن الله تعالى كيف يستشهد بمخلوق، وإنما المراد منه هو الله تعالى. وقد قرأ ابن عباس: «ومِنْ عِنْدِهُ عِلْمُ الكتاب» وهذا يبين أن المراد [منه](١) هو الله تعالى.

وعنى عبد الله بن سلام نفسه، قال : أنا المراد بالآية.

وعن الحسن ومجاهد أن المراد هو الله.

وسعيد بن جبير قال: هو جبريل - عليه السلام - والصحيح أحد القولين الأولين، والله أعلم.

---

(١) من «ك».

جنة السنة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنَ

تفسير سـورة إبراهيـم

وهى مكية إلا قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا﴾[1] إلى قوله: ﴿فإن مصيركم إلى النار﴾[2] والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿آلر﴾ معناه: أنا الله أرى، وقيل معناه: أنا الله الرحمن.

وقوله: ﴿كتاب أنزلناه إليك﴾ معناه: هذا كتاب أنزلناه إليك.

وقوله: ﴿لتخرج الناس من الظلمات إلى النور﴾ معناه: من الضلالة إلى الهدى، ومن الكفر إلى الإيمان ومن الغواية إلى الرشد، وقيل: من البدعة إلى السنة.

والظلمة اسوداد الجو بما يمنع من البصر، والنور: بياض شعاعى يحصل به الإبصار. قوله: ﴿بإذن ربهم﴾ أى: بأمر ربهم، وقيل: بعلم ربهم.

وقوله: ﴿إلى صراط العزيز الحميد﴾ الصراط هو الدين، والعزيز الحميد هو الله تعالى. ومعنى العزيز: الغالب، ومعنى الحميد: هو المستحق للحمد فى أفعاله؛ لأنه إما متفضل أو عادل.

وقوله: ﴿الله الذى﴾ قرئ بالرفع والخفض، فمن قرأ بالخفض فهو مسبوق على قوله: ﴿العزيز الحميد﴾، ومن رفع فعلى تقدير هو الله.

وقوله: ﴿له ما فى السموات وما فى الأرض﴾ يعنى: له ملك السموات والأرض.

وقوله: ﴿وويل للكافرين﴾ الويل: وادٍ فى جهنم، وقيل: إنه دعاء الهلاك. ﴿من

(١) إبراهيم: ٢٨.
(٢) إبراهيم: ٣٠.

جنة السنة

عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُوْلَئِكَ فِي ضَلالٍ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ

عذاب شديد ﴾ أى: عذاب عظيم.

قوله: ﴿ الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ﴾ معناه: الذين يؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة، ومعنى الإيثار: هو طلب الدنيا من غير نظر للآخرة، وذلك بأن يأخذ من حيث يجد، ولايبالى أنه حرام أو حلال. وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال: «يأتى على الناس زمان لايبالى المرء أخذ الدنيا بحلال أو بحرام»(١).

وقوله: ﴿ ويصدون عن سبيل الله ﴾ يعنى: يمتنعون عن قبول دين الله، ويمنعون الناس عن قبوله. ﴿ ويبغونها عوجًا ﴾ العوج فى الدين، والعوج فى الرمح والحائط، ومعنى الآية: ويطلبون دين الله زيغًا، وقيل: ويطلبون سبيل الله جائرين عن القصد، وقيل: يطلبون لمحمد الهلاك، ويقال: إن الكناية راجعة إلى الدنيا، ومعناه: يطلبون الدنيا على طريق الميل عن الحق، وذلك هو بجهة الحرام على ما قلناه.

وقوله: ﴿ أولئك فى ضلال بعيد ﴾ أى: فى خطأ طويل.

قوله تعالى: ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ﴾ والحكمة فى هذا: هو أنه إذا أرسله بلسان قومه عقلوا قوله، وفهموا عنه، فإن قال قائل: إن الله تعالى بعث النبى ﷺ إلى كل الخلق على ما قال: «بعثت إلى الأحمر والأسود»(٢) ولم يُبعث بلسان كل الخلق؟.

والجواب عنه: أن سائر الخلق تبع العرب فى الدعوة، وقد بعث بلسانهم ثم إنه بعث بالرسل إلى الأطراف يدعونهم إلى الله، وتُرْجِمَ لهم قوله ﷺ.

(١) رواه البخارى (٤/ ٣٤٧ رقم ٢٠٥٩)، والنسائى (٧/ ٢٤٣ رقم ٤٤٥٤)، وأحمد (٢/ ٤٥٢) وابن حبان فى صحيحه - الإحسان - (١٥/ ١٢٠ رقم٢٧٢٦)، والبيهقى فى الكبرى (٥/ ٢٦٤)، وفى الدلائل (٦/ ٥٣٥) كلهم من حديث أبى هريرة بنحوه.

(٢) رواه مسلم (٥/ ٥/رقم٥٢١) من حديث جابر، ورواه البخارى أيضًا (١/ ٥١٩رقم٣٣٥) بلفظ: «وبعثت إلى الناس عامة». وفى الباب عن غير واحد من الصحابة.

لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي

وقوله: ﴿ليبين لهم﴾ معناه ما بيَّنا. وقوله: ﴿فيضل الله من يشاء و يهدى من يشاء﴾ ظاهر المعنى.

وقوله: ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور﴾ يعنى: من الكفر إلى الإيمان.

وقوله: ﴿وذكرهم بأيام الله﴾ روى عن أُبيٍّ بن كعب أنه قال: معناه: بنعم الله. وفى بعض المسانيد نقل هذا مرفوعًا إلى النبى ﷺ (١). والقول الثانى: بأيام الله أى: بنقم الله. وقال بعضهم: بوقائع الله، يعنى: بما أوقع بالأمم الماضية، يقال: فلان عارف بأيام العرب، أى: بوقائعهم.

وقوله: ﴿إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾ الصبار: كثير الصبر، والصبر: حبس النفس عما تنازع إليه النفس، وقد روى عن الشعبى أنه قال: الصبر نصف الإيمان، والشكر نصفه، واليقين هو الإيمان كله. والشكور: هو الكثير الشكر.

وقوله تعالى: ﴿وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم﴾ الآية أى: منة الله عليكم.

قوله: ﴿إذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب﴾ قد بينا فى سورة البقرة.

وقوله تعالى: ﴿ويذبحون أبناءكم﴾ قال فى موضع بغير الواو، وقال ها هنا بالواو، وذكر الواو يقتضى أنه سبق الذبح عذاب آخر، وترك ذكر الواو يقتضى أن

(١) هو فى حديث موسى والخضر الطويل المتفق عليه، ولكن هذه اللفظة انفرد بها مسلم (١٥/ ٢٠٥ رقم ٢٣٨٠)، والنسائى فى الكبرى (٦/ ٣٧١ رقم ١١٢٦٠)، و (٦/ ٣٨٧ - ٣٨٩ رقم ١١٣٠٧).

جنة السنة

ذَلِكُم بَلاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ

العذاب هو الذبح.

وقوله: ﴿ويستحيون نساءكم﴾ يعنى: يتركون قتل النساء، وفى الخبر: «اقتلوا شيوخ المشركين، واستحيوا شرخهم»(١). ﴿وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم﴾ قيل: إن البلاء هو المحنة، وقيل: إن البلاء هو النعمة، وموضع النعمة فى الإنجاء من البلاء، وقيل معناه: اختبار من الله عظيم.

وقوله تعالى: ﴿وإذ تأذن ربكم﴾ أى: أعلم ربكم، والتأذين: الإعلام، والأذين والمؤذن هو المعلم، قال الشاعر:

ولم (تشعر)(٢) بضوء الصبح حتى سمعنا فى مساجدنا الأذينا

وقوله: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾ الشكر هو الاعتراف بالنعمة على وجه الخضوع للمنعم. وقد حكى عن داود ﷺ أنه قال: يارب، كيف أشكرك ولم أؤد شكرك إلا بنعمة جديدة علىّ. فقال: ياداود، الآن شكرتنى.

وروى أن النبى ﷺ قال له رجل: أوصنى يارسول الله، فقال: «عليك بالشكر فإنه زيادة»(٣). ومعنى الآية: لئن شكرتمونى بالتوحيد لأزيدنكم نعمة الآخرة على نعمة الدنيا. وقيل: لئن شكرتم بالطاعة لأزيدنكم فى الثواب.

وقوله: ﴿ولئن كفرتم﴾ جحدتم. ﴿إن عذابى لشديد﴾ لعظيم.

قوله تعالى: ﴿وقال موسى إن تكفروا أنتم ومن فى الأرض جميعًا فإن الله لغنى حميد﴾ أى: غنى عن خلقه، حميد فى فعله.

قوله تعالى: ﴿ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم﴾ أى: خبر الذين من قبلكم.

(١) تقدم تخريجه. (٢) فى «ك»: يشعر.

(٣) أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب الشكر (ص١٥٠/رقم١٦٥) بإسناده عن سفيان، قال: حدثنى رجل من أسناننا، أن النبى ﷺ أوصى رجلا بثلاث...» فذكره.

جنة السنة

بَعْدِهِمْ لا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا

﴿قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لايعلمهم إلا الله﴾ روى عن عبد الله بن مسعود – رضى الله عنه – أنه قرأ هذه الآية، ثم قال: كذب النسابون، ونقل بعضهم هذا مرفوعا إلى النبى ﷺ »[(١)]. وعن عبد الله بن عباس أنه قال: بين إبراهيم وبين عدنان جد الرسول ثلاثون قرنا لايعلمهم إلا الله. وعن عروة بن الزبير قال: وما وراء عدنان إلى إبراهيم – عليه السلام – لايعلمهم إلا الله، وعن مالك بن أنس أنه كره أن ينسب الإنسان نفسه أبًا أبًا إلى آدم، وكذلك فى حق الرسول ﷺ كان يكره؛ لأنه لايعلم أولئك الآباء أحد إلا الله.

وقوله: ﴿جاءتهم رسلهم بالبينات﴾ أى: بالدلالات الواضحات. وقوله: ﴿فردوا أيديهم فى أفواههم﴾ روى عن عمرو بن ميمون عن عبد الله بن مسعود قال: عضوا أيديهم غيظاً، قال الشاعر:

لو أن سلمى أبصرت التخددى ورقـــة فى عظـــم ســـاقى ويدى
وبعـــد أهـــلى وجفـــاء عـــودى عضت مـن الوجـد أطراف اليـد

وقال آخر:

قـــد أفنـــى أناملـــه غيظـــه فأمسى يعض عـلى الوظيفا

والقول الثانى فى الآية: أن الأنبياء لما قالوا: نحن رسل الله، وضع الكفار أيديهم على أفواههم أن اسكتوا، نقله الكلبى وغيره.

والقول الثالث: أن معنى الآية أنهم كذبوا الرسل فى أقوالهم، يقال: رددت قول فلان فى فيه إذا كذبته.

والقول الرابع: أن الأيدى هاهنا هى النعم، ومعناه: ردوا ما لو قبلوا كانت آيادى ونعماً.

---

(١) رواه ابن سعد فى الطبقات (١/٤٧)، وابن عساكر (٣/٥١-٥٢ رقم ٥٦٢).
وقال الشيخ الألبانى في الضعيفة (٢/١٤٤ رقم ١١١): موضوع.

جنة السنة

كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّىٰ قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ

وقوله: ﴿في أفواههم﴾ يعني: بأفواههم، ومعناه: بألسنتهم تكذيبًا. وأشرق الأقاويل هو القول الأول، والقول الثالث محكى عن ابن عباس.

وقوله: ﴿وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به﴾ أى: جحدنا بما أرسلتم به.

وقوله: ﴿وإنا لفى شك مما تدعوننا إليه مريب﴾ أى: مرتاب، والشك هو التردد بين طرفى نقيض.

قوله تعالى: ﴿قالت رسلهم أفى الله شك﴾ معناه: ليس فى الله شك، وهذا استفهام بمعنى نفى ما اعتقدوه. وقوله: ﴿فاطر السموات والأرض﴾ خالق السموات والأرض. وقوله: ﴿يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم﴾ قال أبو عبيدة: «من» صلة، ومعناه: ليغفر لكم ذنوبكم.

وقوله: ﴿ويؤخركم إلى أجل مسمى﴾ إلى حين استيفاء آجالكم. وقوله: ﴿قالوا إن أنتم إلا بشرٌ مثلنا تريدون أن تصدونا﴾ أى: تمنعونا. ﴿عما كان يعبد آباؤنا﴾ ظاهر المعنى. وقوله: ﴿فأتونا بسلطان مبين﴾ أى: بحجة [ومعجزة][1] بينة، والسلطان ها هنا: هو البرهان الذى يرد المخالف إلى الحق.

قوله تعالى: ﴿قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم﴾ أى: ما نحن إلا بشر مثلكم. ﴿ولكن الله يمن على من يشاء من عباده﴾ يعنى: ينعم على من يشاء من عباده بالنبوة، وقيل: بالتوفيق والهداية.

وقوله: ﴿وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان﴾ أى: بحجة ومعجزة. ﴿إلا بإذن الله﴾

(١) من «ك».

جنة السنة

﴿وَمَا لَنَا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن

أى: بأمر الله. ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿وما لنا ألا نتوكل على الله﴾ معناه: وأى شيء لنا فى ألا نتوكل على الله؛ وقد عرفنا أنه لاينال شيء بجهد إلا بعد أن يقضيه الله تعالى ويقدره.

وقوله: ﴿وقد هدانا سبلنا﴾ أى: أرشدنا إلى سبل الحق.

وقوله: ﴿ولنصبرن على ما آذيتمونا﴾ والآية تعليم المؤمنين وإرشادُهم إلى الصبر على أذى مخالفى الحق. قوله: ﴿وعلى الله فليتوكل المتوكلون﴾ ظاهر المعنى.

وقوله: ﴿وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن فى ملتنا﴾ قد بينا هذا فى سورة الأعراف، وهو فى قوله تعالى: ﴿أو لتعودن فى ملتنا﴾.(١)

وقوله: ﴿فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين﴾ أى: المشركين.

وقوله: ﴿ولنسكننكم الأرض من بعدهم﴾ يعنى: نجعل ديارهم موضع سكناكم، وهذا فى معنى قوله تعالى: ﴿وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم﴾(٢).

وقوله: ﴿ذلك لمن خاف مقامى﴾ الفرق بين المَقام والمُقام: أن المَقام موضع الإقامة، والمُقام فعل الإقامة. فإن قيل: كيف يكون لله مَقام، وقد قال: ﴿ذلك لمن خاف مقامى﴾؟ قلنا: أجمع أهل التفسير أن معناه: ذلك لمن خاف مقامه بين يدى، وهو مثل قوله تعالى: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾(٣).

وقوله: ﴿وخاف وعيد﴾ أى: عقابى.

قوله تعالى: ﴿واستفتحوا﴾ معناه: واستنصروا، وفى الخبر: «أن النبى ﷺ يستفتح بصعاليك المهاجرين»(٤) أى: يستنصر من الله بحقهم.

(١) الأعراف: ٨٨.
(٢) إبراهيم: ٤٥.
(٣) الرحمن: ٤٦.
(٤) تقدم فى سورة البقرة، وهو مرسل.

جنة السنة

وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن

وقوله: ﴿وخاب كل جبار عنيد﴾ وخاب أى: خسر، وقيل: و هلك كل جبار. والجبار هو الذى لايرى فوقه أحد، والجبرية طلب العلو بما لاغاية وراءه، وهو وصف لايصح إلا لله، وأما فى وصف الخلق فهو مذموم، وقيل: الجبار هو الذى يجبر الخلق على مراده. وأما العنيد: هو المعاند للحق.

قوله تعالى: ﴿من ورائه جهنم﴾ الأكثرون معناه: من أمامه جهنم. قال الشاعر:

ومن ورائك يوم أنت بالغـه ... لا حاضر معجز عنه ولاباد

يعنى: من أمامك، وقال أبو عبيدة: قوله: ﴿من ورائه جهنم﴾ يعنى: من بعده جهنم. وقوله: ﴿ويسقى من ماء صديد﴾ معناه: من ماء هو صديد. والصديد ما يسيل من الكفار من القيح والدم، والأصل فى الصديد هو الماء الذى يخرج من الجرح مختلطا بالدم والقيح، وقيل: من ماء صديد أى: من ماء كالصديد.

وقوله: ﴿يتجرعه﴾ أى: يشربه جرعة جرعة من مرارته وشدته. وفى الحديث أن النبى ﷺ قال: «إذا أدناه من وجهه شوى وجهه وسقطت فروة رأسه، وإذا شربه تقطعت أمعاؤه، وخرجت الأمعاء من دبره»(١).

وقوله: ﴿ولايكاد يسيغه﴾ يعنى: لايسيغه، وقيل معناه: يكاد لايسيغه، ويسيغه؛ ليغلى فى جوفه. وقوله: ﴿ويأتيه الموت من كل مكان﴾ قال إبراهيم التيمى: من كل شعرة من جسده، وقيل: يأتيه الموت من قدامه ومن خلفه، ومن فوقه ومن تحته، وعن يمينه وعن شماله.

وقوله: ﴿وما هو بميت﴾ يعنى: عليه شدة الموت ولايموت، وهو فى معنى قوله

(١) رواه الترمذى (٤/٦٠٨/رقم ٢٥٨٣) وقال: غريب، وهكذا قال محمد بن إسماعيل، عن عبيد الله بن بسر، ولا نعرف عبيد الله بن بسر إلا فى هذا الحديث. ورواه النسائي فى الكبرى (٦/٣٧١-٣٧٢ رقم ١١٢٦٣)، وأحمد (٥/٢٦٥)، والطبرى فى التفسير (١٣/١٣١)، والطبرانى فى الكبير (٨/١٠٦ رقم٧٤٦٠)، والحاكم (٢/٣٥١،٣٦٨ - ٣٦٩) وصححه على شرط مسلم، والبيهقى فى البعث (ص٢٩٢ - ٢٩٣ رقم٦٠٢)، وأبو نعيم فى الحلية (٨/١٨٢) كلهم من حديث أبى أمامة رضى الله عنه.

جنة السنة

كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ

تعالى: ﴿لايموت فيها ولايحيى﴾[١]. وقوله: ﴿ومن ورائه عذاب غليظ﴾ أي: شديد، والعذاب الغليظ هو الخلود في النار.

قوله تعالى: ﴿مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم﴾ وموضع المثل في قوله: ﴿كرماد اشتدت به الريح﴾ يعني: ذهبت الريح المشتدة به.

وقوله: ﴿في يوم عاصف﴾ فيه معنيان:

أحدهما: أنه وصف اليوم بالعاصف؛ لأن فيه العصوف، كما يقال: يوم حار ويوم بارد، أي: فيه الحر والبرد، قال الشاعر:

يومين غيمين ويومًا شمسا

والمعنى الثاني: في يوم عاصف أي: في يوم عاصف الريح، قال الشاعر:

ويضحك عرفان الدروع جلودنا إذا جاء يوم مظلم الشمس (كاسف)[٢]

أي: كاسف[٢] الشمس.

وقوله: ﴿لايقدرون مما كسبوا على شيء﴾ لأن أعمالهم قد ذهبت وبطلت كالرماد الذي ذهبت به الريح العاصف.

وقوله: ﴿ذلك هو الضلال البعيد﴾ الخطأ الطويل.

قوله تعالى: ﴿ألم تر أن الله خلق السموات والأرض بالحق﴾ معنى خلق السموات والأرض بالحق: ما نصب فيها من الدلائل على وحدانيته وسائر صفاته.

وقوله: ﴿إن يشأ يذهبكم﴾ يعني: إن يشأ يهلككم. ﴿ويأت بخلق جديد﴾ أي: بقوم آخرين، وهو في معنى قوله تعالى: ﴿وإن تتولوا يستبدل قومًا غيركم﴾[٣]

---

(١) الأعلى: ١٣.

(٢) في «ك»: كاشف.

(٣) محمد: ٣٨.

جنة السنة

وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ

قيل فى التفسير: قوما أطوع لله منكم. وقوله: ﴿ وما ذلك على الله بعزيز ﴾ أى: شديد؛ وذلك لأن الأشياء كلها سهلة هينة فى القدرة، ولايصعب على الله شيء من الأشياء وإن جل وعظم.

قوله تعالى: ﴿ وبرزوا لله جميعًا ﴾ أى: خرجوا من قبورهم إلى الله جميعا.

وقوله: ﴿ فقال الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعًا ﴾ معنى الذين استكبروا: يعنى تكبروا على الناس، وتكبروا عن الإيمان، وهم القادة والرؤساء.

وقوله: ﴿ إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون ﴾ كنا لكم تبعًا، أى: أتباعًا ﴿ فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء ﴾ أى: دافعون عنا من عذاب الله من شيء.
وقوله: ﴿ قالوا لو هدانا الله لهديناكم ﴾ معناه: لو هدانا الله لدعوناكم إلى الهدى، فلما أضلنا دعوناكم إلى الضلالة.

وقوله: ﴿ سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ﴾ فى الآثار أنهم يقولون: قد جزع أقوام فى الدنيا؛ فنجوا فنحن نجزع لننجوا، فيجزعون مدة مديدة فلا يرون نجاة، فيقولون: قد صبر أقوام فى الدنيا، فنحن نصبر لننجوا، فيصبرون مده مديدة، فلايرون نجاة فيقولون بعد ذلك: سواء علينا أجزعنا أم صبرنا.

قوله: ﴿ مالنا من محيص ﴾ أى: منجى ومخلص، ويقال: يجزعون مائة سنة، ويصبرون مائة سنة، ويقال: فلان وقع فى حيص بيص، وحاص وباص إذا وقع فى أمر لامخلص عنه.

قوله تعالى: ﴿ وقال الشيطان لما قضى الأمر ﴾ قوله: ﴿ لما قضى الأمر ﴾ دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار. وفى بعض الآثار: «أنه يوضع لإبليس منبر من نار فيصعد عليه ويخطبهم»[1] وذلك حين يتعلقون به، ويقولون: أنت فعلت بنا هذا.

---

(١) رواه الطبرى فى تفسيره (١٣/ ١٣٤) عن الحسن قوله. وزاد السيوطى فى الدر (٤/ ٨٥) فعزاه لابن أبى حاتم، وابن المنذر.

الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا

وقوله: ﴿إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم﴾ ووعد الحق هو الذى يقع الوفاء [به][1]. وقوله: ﴿ووعدتكم فأخلفتكم﴾ هو ما لايقع به الوفاء، وقيل: إنه يقول لهم: قلت لكم لابعث ولا جنة ولا نار، وغير ذلك.

وقوله: ﴿وما كان لى عليكم من سلطان﴾ معناه: أنى لم آتكم بحجة فيما دعوتكم إليه. وقوله: ﴿إلا أن دعوتكم﴾ هذا استثناء منقطع، ومعناه: ولكن دعوتكم أى: زينت لكم. قوله: ﴿فاستجبتم لى﴾ أى: أجبتم لى. وقوله: ﴿فلا تلومونى ولوموا أنفسكم﴾ يعنى: لاتعودوا باللائمة على، وعودوا باللائمة على أنفسكم.

وقوله: ﴿ما أنا بمصرخكم وما أنتم بِمُصْرِخِيِّ﴾ معناه: ما أنا بمعينكم وما أنتم بمعينى، وقيل [معناه][2]: ما أنا بمنجيكم وما أنتم بمنجى، وقرأ حمزة: «وما أنتم بِمُصْرِخِيِّ» بكسر الياء[3]، وأهل النحو لايرضون هذه القراءة، وذكر الفراء شعرًا يدل على قراءة حمزة. قيل: إنه لغة بنى يربوع. والشعر:

قال لهـا هل أنت ياباغيِّ ... قالت له ما أنت بالمرضى

وقوله: ﴿إنى كفرت بما أشركتمونِ من قبل﴾ فيه قولان: أحدهما: إنى كفرت بجعلكم إياى شريكًا فى عبادة الله وطاعته، والقول الثانى: إنى كفرت قبل أن أشركتمونى فى عبادته، يعنى: كفرت قبل كفركم.

وقوله: ﴿إن الظالمين لهم عذاب أليم﴾ أى: وجيع.

---

(١) المثبت يقتضيه السياق؛ لأن الفعل «وفَّى» يتعدى بحرف الجر، وقد جاء على الصواب بعد ذلك.

(٢) من «ك».

(٣) النشر فى القراءات العشر (٢/٢٩٨ - ٢٩٩).

﴿الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾

قوله تعالى: ﴿وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الأنهار﴾ قد بينا. ﴿خالدين فيها﴾ مقيمين فيها أبداً. ﴿بإذن ربهم﴾ بأمر ربهم.

قوله: ﴿تحيتهم فيها سلام﴾ وفى المُحَيِّى بالسلام ثلاثة أقوال:

أحدها: أن المحيى بالسلام هو الله تعالى، والآخر: هم الملائكة، والثالث: أن المحيى بالسلام بعضهم على بعض.

قوله تعالى: ﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة﴾ المَثَلُ قول سائر لتشبه شيء بشيء فى المعنى. وقوله: ﴿كلمة طيبة﴾ أجمع المفسرون على أن الكلمة الطيبة ها هنا: لا إله إلا الله.

وقوله: ﴿كشجرة طيبة﴾ أكثر أهل التفسير على أن الشجرة الطيبة هاهنا: هى النخلة، وقد بينت برواية ابن عمر عن النبى ﷺ أنه قال لأصحابه: «أخبرونى عن شجرة هى مثل المؤمن؟ فوقعت الصحابة فى شجر البوادى. قال ابن عمر: ووقع فى نفسى أنها النخلة، ثم إنَّ النبى ﷺ قال: هى النخلة. قال ابن عمر: فذكرت لأبى أنه كان وقع فى نفسى كذا، فقال: لو كنت قلته كان أحب إلىّ من حمر النعم»(١).

وفى بعض الأخبار عن النبى ﷺ أنه قال: «أكرموا النخلة فإنها عمتكم»(٢).

ومعناه: أنها خلقت من فضل طينة آدم.

---

(١) متفق عليه، رواه البخارى (١/ ٢٢٧ رقم١٣١)، ومسلم (١٧/ ٢٢٤-٢٢٧ رقم ٢٨١١).

(٢) رواه أبو يعلى فى مسنده (١/ ٣٥٣ رقم٤٥٥)، وابن حبان فى المجروحين (٣/ ٤٤-٤٥)، والعقيلى فى الضعفاء (٤/ ٢٥٦)، وابن عدى فى الكامل (٦/ ٤٣١-٤٣٢) وقال: وهذا الحديث عن الأوزاعى منكر، وعروة بن رويم، عن على ليس بالمتصل، ومسرور بن سعيد غير معروف، لم أسمع بذكره إلا فى هذا الحديث، ورواه أبو نعيم فى الحلية (٦/ ١٣٣) وقال: غريب من حديث الأوزاعى عن عروة، تفرد به مسرور بن سعيد. كلهم من حديث على بن أبى طالب - رضى الله عنه - وأخرجه ابن الجوزى فى الموضوعات (١/ ١٨٣-١٨٤).

كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ

والقول الثانى: أن الشجرة الطيبة شجرة فى الجنة، وقد حكى هذا عن ابن عباس، وقيل: إنَّ الشجرة الطيبة شجرة جوز الهندى.

وقوله: ﴿أصلها ثابت﴾ أى: ثابت فى الأرض. وقوله: ﴿وفرعها فى السماء﴾ أى: أعلاها فى السماء.

وقوله: ﴿تؤتى أكلها كل حين﴾ الحين فى اللغة هو الوقت، وفى معنى الحين أقوال: قال ابن عباس: ستة أشهر؛ لأنها من حين ضرابها إلى حين إطلاعها، وقال مجاهد: الحين ها هنا هو سنة كاملة؛ لأن النخلة تثمر كل سنة.

وعن سعيد بن المسيب قال: أربعة أشهر لأنها من حين ظهورها إلى حين إدراكها، وقال بعضهم: شهران؛ لأنه من حين يؤكل إلى حين يصرم.

والقول الخامس: أنه غدوة وعشية؛ لأن ثمر النخلة يؤكل منها أبدًا، إما رطبًا، وإما تمرًا وإما بسرًا.

وقوله: ﴿بإذن ربها﴾ أى: بأمر ربها. وقوله: ﴿ويضرب الله الأمثال للناس﴾ موضع المثل أن الإيمان ثابت فى القلب، والعمل صاعد إلى السماء، كالنخلة ثابت أصلها فى الأرض، وفروعها مرتفعة إلى السماء، موضع المثل فى قوله: ﴿تؤتى أكلها كل حين﴾ لأن فائدة الإيمان وبركته لاتنقطع أبدًا، بل تصل إلى المؤمن فى كل وقت، كما أن نفع النخلة وبركتها تصل إلى حاجتها فى كل وقت.

واستدل بعضهم على أن النخلة تشبه الآدمى؛ لأنها محتاجة إلى اللقاح، كالآدمى لايولد له حتى يلقح. قوله: ﴿لعلهم يتذكرون﴾ أى: يتعظون.

قوله تعالى: ﴿ومثل كلمة خبيثة﴾ الكلمة الخبيثة هى الشرك. وقوله: ﴿كشجرة خبيثة﴾ اختلفوا فيها، قال أنس بن مالك: هى الحنظلة، وعن ابن عباس قال: هى الثوم، وقيل: إنها الكشوثا(١)، وهى العشقة(٢).

(١) هو نبت يتعلق بالأغصان ولا عرف له فى الأرض. (ترتيب القاموس: ٤/ ٥٣).
(٢) والعشقة: شجرة تخضر ثم تدق وتصغر. (لسان العرب: مادة عشق).

وقوله: ﴿اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار﴾ أى: اقتلعت من فوق الأرض. وقوله: ﴿ما لها من قرار﴾ أى: مالها من ثبات، وحقيقة المعنى أنه ليس لها أصل ثابت فى الأرض، ولا فرع يصعد إلى السماء، وموضع المثل معلوم.

قوله تعالى: ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت﴾ القول الثابت: كلمة التوحيد وهى لا إلا إلا الله، وقال: ﴿يثبت الله﴾ لأنه هو المثبت للإيمان فى قلوب المؤمنين.

وقوله: ﴿فى الحياة الدنيا﴾ يعنى: قبل الموت. وقوله ﴿[و] فى الآخرة﴾ أى: فى القبر، وعليه أكثر أهل التفسير، وقد ثبت ذلك عن النبى ﷺ برواية البراء بن عازب[(١)]، وهو قول عبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس، وجماعة من الصحابة.

واعلم أن سؤال القبر ثابت فى السنة، والإيمان به واجب، وقد وردت فيه الأخبار الكثيرة، روى أبو سعيد الخدرى: «أن النبى ﷺ كان فى جنازة، فذكر لأصحابه أنه يدخل على الرجل فى قبره ملكان ويسألانه، فيقولان: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ قال: فأما المؤمن فيقول: ربى الله، ودينى الإسلام، ونبى محمد ﷺ. فيفتح له باب إلى النار، فيقال له: هذا كان مكانك لو قلت غير هذا، ثم يفتح له باب إلى الجنة، ويفسح له فى قبره مدّ البصر. وأما الكافر فيقول الملكان له: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيقول: لا أدرى، فيقولان: لادريت ولا تليت، ثم يفتح له باب إلى الجنة، فيقولان: هذا مكانك لو أجبت، ثم يفتح له باب إلى النار، ويضيق عليه القبر حتى تختلف أضلاعه، ويضربانه بمطرقة من نار فيصيح صيحة يسمعها كل الخلائق إلا الثقلين»[(٢)].

(١) متفق عليه، رواه البخارى (٣/٢٧٤رقم١٣٦٩)، ومسلم (١٧/٢٩٧رقم ٢٨٧١).

(٢) رواه أحمد فى مسنده (٣/٤٢٣)، وابن أبى عاصم فى السنة (ص٤٠٣ – ٤٠٥ رقم ٨٦٥) والطبرى فى التفسير (١٣/١٤٢). وعزاه السيوطى فى الدر (٤/٩٠) لابن أبى الدنيا فى ذكر الموت، والبزار، وابن مردويه، والبيهقى فى عذاب القبر، وقال: بسند صحيح. وقال الهيثمى فى المجمع (٣/٥٠): رواه أحمد والبزار، ورجال أحمد رجال الصحيح.

جنة السنة

وفى بعض الأخبار: «أن النبى ﷺ قال: لو نجا أحد من عذاب القبر لنجا سعد بن معاذ، ولقد ضمه القبر ضمة أو ضمتين»(١) وروى أن النبى ﷺ قال لعمر: «كيف بك إذا أتاك ملكان...» الخبر. فقال: يارسول الله، ومعى عقلى؟ قال: نعم. قال: أكفيهما إذًا»(٢).

وقيل: إن عذاب القبر ثلاثة أثلاث: ثلث من ترك الاستنزاه من البول، وثلث من الغيبة، وثلث من المشى بالنميمة. والله أعلم.

وفى الآية قول آخر: أن الحياة الدنيا هى القبر، وفى الآخرة هى القيامة، والقول الأول أصح.

وقوله: ﴿ويضل الله الظالمين﴾ معناه: أنه لايهدى المشركين إلى هذا الجواب، ولايلقنهم إياه. وقوله: ﴿ويفعل الله ما يشاء﴾ من التوفيق والخذلان والتثبيت وترك التثبيت.

قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرًا﴾ الآية [فيها](٣) ثلاثة

---

(١) رواه أحمد فى المسند (٦/ ٥٥، ٩٨)، والبغوى فى الجعديات [١٦٠١]، والطحاوى فى المشكل [٢٧٤]، [٢٧٥]، وابن حبان فى صحيحه - الإحسان (٧/ ٣٧٩ رقم٣١١٢) من طريق نافع عن صفيه عن عائشة، وبعضهم قال: عن نافع عن امرأة ابن عمر عن عائشة. ورواه أحمد فى السنة (ص٢٤٦ رقم١٣٣٧) والطحاوى فى المشكل رقم [٢٧٣] من طريق آخر عن نافع عن عائشة. وقال الهيثمى فى المجمع (٣/ ٤٩) رواه أحمد عن نافع عن عائشة، وعن نافع عن إنسان عن عائشة، وكلا الطريقين رجالهما رجال الصحيح. ولهذا الحديث شاهد من حديث ابن عمر، ومن حديث ابن عباس.

(٢) رواه ابن أبى داود فى البعث والنشور (ص٢١/ رقم٧)، والبيهقى فى الاعتقاد (ص٢٢٢-٢٢٣) من حديث عمر بن الخطاب، وعزاه السيوطى فى الدر (٤/ ٩٣) للحاكم فى التاريخ، والبيهقى فى عذاب القبر. وعزاه الحافظ ابن رجب فى أهوال القبور (ص١٤-١٥) للخلال فى كتاب السنة من حديث عمر أيضًا، وقال: فى إسناده ضعف، ثم قال: وخرجه الإسماعيلى من وجه آخر فيه ضعف أيضًا عن عمر، ثم قال: وقد روى حديث عمر هذا من وجوه آخر مرسلة.

قلت: رواه الآجرى فى الشريعة (ص٣٦٦-٣٦٧) عن عطاء مرسلاً. ورواه البيهقى فى عذاب القبر عن ابن عباس - كما فى الدر المنثور (٤/ ٩٢) وعزاه السيوطى فى الدر أيضًا (٤/ ٩٣) لابن أبى الدنيا عن أبى هريرة مختصرًا.

(٣) فى «الأصل وك»: فيه.

﴿الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾

أقوال: أحدها: أنهم كفار قريش، والآخر: أنهم قادة المشركين ببدر، قاله ابن عباس، والثالث: روى عن علي - رضى الله عنه - أنه سئل عن هذه الآية فقال: هم الأفجران بنو المغيرة وبنو أمية: فأما بنو المغيرة فقُتلوا يوم بدر، وأما بنو أمية فمتعوا إلى حين.

وقوله: ﴿وأحلوا قومهم دار البوار﴾ أى: دار الهلاك، وهى جهنم قال الشاعر:

إن لقيمـــا وإن قتـــلا وإن لقمان حيث باروا[١]

يعنى: هلكوا. وقوله: ﴿جهنم يصلونها [وبئس][٢] القرار﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿وجعلوا لله أندادا﴾ أى: شركاء وأمثالا، قال حسان بن ثابت شعرا:

أتهجـــوه ولست له بند فشركما لخـــير كما الفداء

واعلم أن الله ليس له ضد ولا ند. أما الند الذى هو المثل فمعلوم، وأما الضد فلأن فيه معنى من المثلية، والله ليس له مثل بوجه ما.

وقوله: ﴿ليضلوا عن سبيله﴾ إنما نسب إليهم الضلالة، لأنهم سبب فى (الضلال)[٣]، وهذا كما يقول القائل: فتنتنى الدنيا؛ نسب الفتنة إلى الدنيا، لأنها سبب فى الفتنة. وقوله: ﴿ليضلوا عن سبيله﴾ ظاهر المعنى.

وقوله: ﴿قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار﴾ قال ابن عباس: لو أن كافراً كان فى أشد بؤس وضر لايهدأ ليلا ولا نهاراً، كان ذلك نعيماً فى جنب ما يصير إليه فى الآخرة، ولو أن مؤمناً كان فى أنعم عيش، كان ذلك بؤساً فى جنب ما يصير إليه فى الآخرة.

وقوله: ﴿فإن مصيركم إلى النار﴾ أى: مرجعكم إلى النار.

---

(١) كذا !.

(٢) فى «الأصل و ك»: فبئس.

(٣) فى «ك»: الضلالة.

﴿٣٠﴾ قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴿٣١﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ

وقوله تعالى: ﴿ قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة ﴾ هذا خبر بمعنى الأمر، أى: أقيموا الصلاة. وقوله: ﴿ وينفقوا مما رزقناهم سرًّا وعلانية ﴾ يعنى: جهرًا وغير جهر. وقيل: نفلا سرًّا، وفرضًا جهرًا.

وقوله: ﴿ من قبل أن يأتى يوم لابيع فيه ﴾ قال أبو عبيدة: يعنى لا فداء فيه ﴿ ولا خلال ﴾ أى: لا مخالة ولا صداقة، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿ الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين ﴾(١).

قوله تعالى: ﴿ الله الذى خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقا لكم ﴾ ظاهر المعنى.

وقوله: ﴿ وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره ﴾ أى: بعلمه وإذنه.

وقوله: ﴿ وسخر لكم الأنهار ﴾ أى: ذلل لكم الأنهار تجرونها حيث شئتم.

وقوله: ﴿ وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ﴾ وذلك لكم، وتسخير الشمس والقمر هو جريانهما على وتيرة واحدة فيما يعود إلى مصالح العباد.

وقوله: ﴿ دائبين ﴾ معناه: أنهما لايفتران ولايقفان، والدأب فى الشىء هو الجرى على عادة واحدة.

وقوله: ﴿ وسخر لكم الليل والنهار ﴾ ظاهر المعنى. وقوله: ﴿ وآتاكم من كل ما سألتموه ﴾ قرئ بقراءتين، المعروف: ﴿ من كلِّ ما سألتموه ﴾، ويقرأ: « من كلٍّ ما سألتموه » بالتشديد والتنوين، فالقول المعروف معناه: يعنى من كل الذى سألتموه.

فإن قال قائل: نحن نسأله أشياء ولايعطينا؟ والجواب: أن جنسه يُعطى الآدميين

---

(١) الزخرف: ٦٧.

جنة السنة

﴿٣٣﴾ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ

وإن لم يعطه على التعيين؛ فاستقام الكلام على هذا، وقيل معناه: من كل ما سألتموه، ولم تسألوه. وأما القراءة الثانية، فمعنى «ما» هو النفى، ومعناه: أعطاكم أشياء لم تسألوها، فإن الله تعالى أعطانا الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم والرياح، وما أشبه ذلك ولم نسأله شيئا منها.

وقوله: ﴿وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها﴾ قال أبو العالية: معناه: لاتطيقوا عدها، وقيل: لاتطيقون شكرها.

وقوله: ﴿إن الإنسان لظلوم كفار﴾ يعنى: ظالم لنفسه كافر بربه، ويقال: إن هذه الآية نزلت فى أبى جهل خاصة، ويقال: إنها نزلت فى جنس الكفار، ويجوز أن يذكر الإنسان ويراد به جنس الناس، قال الله تعالى: ﴿والعصر إن الإنسان لفى خسر﴾(١) وقيل: [الظالم](٢) هو الذى يشكر غير من أنعم عليه، والكافر هو الذى يجحد منعمه.

قوله: ﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا﴾ أجمعوا أن البلد هو مكة، وقوله: ﴿آمنا﴾ أى: ذا أمن.

وقوله: ﴿واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام﴾ معناه: بعدنى وبنىَّ من عبادة الأصنام، فإن قال قائل: قد كان إبراهيم معصوما عن عبادة الأصنام، فكيف يستقيم سؤاله لنفسه، وقد عبد كثير من بنيه الأصنام، فأين الإجابة؟

الجواب: أما فى حق إبراهيم، فالدعاء لزيادة العصمة والتثبيت، وأما فى حق البنين فيقال: إن الدعاء لبنيه من الصلب، ولم يعبد أحد منهم الصنم، وقيل: إن دعاءه لمن كان مؤمنًا من بنيه.

(١) العصر: ١ – ٢.

(٢) فى «الأصل وك»: الظلم.

﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ

وقوله: ﴿رب إنهن أضللن كثيراً من الناس﴾ نسب الضلالة إليهن لما بينا من المعنى. وقوله: ﴿فمن تبعنى فإنه منى﴾ أى: من أهل دينى.

وقوله: ﴿ومن عصانى فإنك غفور رحيم﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أنه قال هذا قبل أن يعلمه الله أنه لايغفر الشرك.

والآخر: أن المراد من العصيان هو ما دون الشرك.

قوله تعالى: ﴿ربنا إنى أسكنت﴾ يعنى: أنزلت. قوله تعالى: ﴿من ذريتى﴾ الذرية ها هنا إسماعيل عليه السلام وأمه هاجر.

وفى القصة: أنه حمل هاجر وإسماعيل وهو طفل يرضع، وكانوا ثلاثتهم على البراق، فجاء بهم إلى موضع البيت، وهى مدرة حمراء، فقال له جبريل: ها هنا أُمرت. فأنزل إسماعيل وأمه فى موضع الحجر، ومضى راجعًا إلى الشام، فنادته هاجر: ياخليل الله، إلى من تكلنا؟ قال: إلى الله تعالى. قالت: قد قبلنا ذلك، والقصة فى هذا معروفة.

وقوله: ﴿بواد غير ذى زرع﴾ قال هذا لأن مكة بين جبلين، وهى واد.

وقوله: ﴿عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة﴾ سماه محرَّمًا؛ لأنه يحرم عنده ما لايحرم عند غيره.

وقوله: ﴿فاجعل أفئدة من الناس﴾ الأفئدة جمع الفؤاد، قال ابن عباس: لو قال «أفئدة الناس» لزاحمتكم [فارس] (١) والروم، وفى رواية: الترك والديلم، وفى رواية عن غيره: لحجت اليهود والنصارى والمجوس.

وقوله: ﴿تهوى إليهم﴾ أى: تحن إليهم، قال السدى معناه: أَمِلْ قلوبهم إلى هذا

(١) فى «الأصل»: الفارس.

يشكُرُونَ ﴿٣٧﴾ ربَّنا إنَّكَ تعلَمُ ما نُخفِي وما نُعلِنُ وما يخفَىٰ على اللَّهِ من شيْءٍ في الأَرْضِ ولا في السَّماءِ ﴿٣٨﴾ الْحمْدُ للَّهِ الَّذي وهَبَ لي على الْكِبَرِ إسْماعيلَ وإسْحاقَ إنَّ ربِّي لَسمِيعُ الدُّعاءِ ﴿٣٩﴾ ربِّ اجْعلْنِي مُقيمَ الصَّلاةِ ومن ذُرِّيَّتي ربَّنا وتقَبَّلْ دُعاءِ

لموضع؛ فإن الإنسان يميل مع قلبه حيث مال.

وقوله: ﴿وارزقهم من الثمرات﴾ فى بعض الأخبار: أن الله تعالى قلع قرية من الشام بأشجارها وأرضها فوضعها بمكان الطائف. وقوله: ﴿لعلهم يشكرون﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ربنا إنك تعلم ما نخفى وما نعلن وما يخفى على الله من شيء فى الأرض ولا فى السماء﴾ ظاهر المعنى.

وقوله: ﴿الحمد لله الذى وهب لى على الكبر إسماعيل وإسحاق﴾. فى القصة: أن إسماعيل ولد له وهو ابن تسع وتسعين سنة، وإسحاق ولد له بعد ذلك بثلاث عشرة سنة. ويقال: إن إسماعيل ولد له بعد أن بلغ سنه مائة [وسبع][1] عشرة سنة. وقوله: ﴿إن ربى لسميع الدعاء﴾ ظاهر المعنى.

قوله: ﴿ربِّ اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى﴾ يعنى: ممن يقيم الصلاة بحدودها وأركانها، ويحافظ عليها. قوله: ﴿ومن ذريتى﴾ معناه: واجعل من ذريتى من يقيمون الصلاة. قوله: ﴿ربنا وتقبل دعاء﴾ أى: واستجب دعائى.

قوله: ﴿ربنا اغفر لى ولوالدى﴾ قرأ سعيد بن جبير: ﴿ولوالدَىَّ﴾، وقرأ إبراهيم النخعى ويحيى بن يعمر: «ولوالدتى»، والمعروف: ﴿ولوالدى﴾.

فإن قال قائل: كيف استغفر لوالديه ولم يكونا آمنا؟

والجواب عنه: قد قيل: إن أمه قد أسلمت، وأما الوالد فإنما استغفر له قبل أن يتبين له أنه مقيم على الشرك، وقد بينا هذا من قبل، وقيل: ولوالدى آدم وحواء، وقيل: نوح وأم إبراهيم.

---

(١) فى «الأصل وك»: مائة وسبعة عشر سنة، وهو خطأ، والصواب: مائة وسبع عشرة سنة.

جنة السنة

﴿٤٠﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤١﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي

وفى تفسير الدمياطى : أن قوله : ﴿ ولوالدى ﴾ أى : لولدى، قال ابن فارس : ويجوز هذا فى اللغة، وهو أن يذكر الوالد بمعنى المولود، كما يقال : ماء دافق أى : مدفوق. وقوله : ﴿ وللمؤمنين ﴾ ظاهر المعنى.

وقوله : ﴿ يوم يقوم الحساب ﴾ أى : يوم يحاسب الله الخلق.

قوله تعالى : ﴿ ولاتحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون ﴾ الآية. الغفلة معنى يمنع الإنسان من الوقوف على حقيقة الأمور. وروى عن ابن عباس أنه قال : هذه الآية تعزية للمظلوم وتسلية له، وتهديد للظالم.

وقوله : ﴿ إنما يؤخرهم ﴾ معناه : إنما يمهلهم. وقوله : ﴿ ليوم تشخص فيه الأبصار ﴾ يعنى : من الدهش والحيرة وشدة الأمر، ومعنى تشخص أى : ترتفع وتزول عن أماكنها.

وقوله : ﴿ مهطعين ﴾ الأكثرون أنّ معناه مسرعين، وقال أبو العباس أحمد بن يحيى الثعلب : الإهطاع هو النظر فى (الذل والخضوع)(١) . وقيل : مهطعين أى : مديمى النظر لايطرفون. ومعنى الإسراع الذى ذكرنا هو أنهم لايلتفتون يمينًا ولاشمالا، ولايعرفون مواطن أقدامهم، وليس لهم همة ولانظر إلى ما يساقون إليه.

وقوله : ﴿ مقنعى رءوسهم ﴾ يقال : أقنع رأسه أى : رفعه، وأقنع رأسه إذ خفضه، فإن كان المراد هو الرفع فمعناه : أن أبصارهم إلى السماء ينظرون ماذا يرد عليهم من الله تعالى، وإن حمل الإقناع على خفض الرأس فمعناه : مطرقون ناكسون، قال الشاعر :

نغض رأسى نحوه وأقنعا ... كأنما يطلب شيئا أطمعا

وقال المؤرج : رفعوا رءوسهم حتى كادوا يضعونها على أكتافهم.

---

(١) كذا، والأليق للسياق : فى ذل وخضوع. وانظر لسان العرب (مادة : هطع).

جنة السنة

رءُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ

وقوله: ﴿لايرتد إليهم طرفهم﴾ يعنى: لايرجع إليهم طرفهم، فكأنه ذهلهم ما بين أيديهم فلا ينظرون لشىء سواه.

وقوله: ﴿وأفئدتهم هواءٌ﴾ قال أبو عبيدة: متخرقة لاتعى شيئًا، وقال قتادة: خرجت قلوبهم عن صدورهم حتى بلغت الحناجر من شدة ذلك اليوم وهوله فهذا معنى قوله: ﴿وبلغت القلوب الحناجر﴾(١) فعلى هذا قوله: ﴿وأفئدتهم هواء﴾ أى: خالية، ومنه سمى الجو هواء لخلوه، وقيل: خالية عن العقول؛ فكأنها ذهبت من الفزع والخوف.

وقال سعيد بن جبير: «وأفئدتهم هواء» أى: مترددة لاتستقر فى مكان، وقيل: هواء أى: متخربة من الجبن والفزع. قال حسان بن ثابت:

ألا أبلغ أبا سفيان عنى   فأنت مجوّف نخب هواء

حقيقة المعنى من الآية أن القلوب زائلة عن أماكنها، والأبصار شاخصة من هول ذلك اليوم.

وقوله: ﴿وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب﴾ يعنى: خوّف الناس.

قوله: ﴿فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب﴾ معناه: أمهلنا.

وقوله: ﴿إلى أجل قريب﴾ هذا سؤال الرجعة، كأنهم سألوا ردهم إلى الدنيا.

وقوله: ﴿نجب دعوتك ونتبع الرسل﴾ ظاهر المعنى. وقوله: ﴿أو لم تكونوا أقسمتم﴾ أى حلفتم فى الدنيا. وقوله: ﴿من قبل ما لكم من زوال﴾ يعنى: ليس لكم بعث ولا جزاء ولا حساب.

وقوله: ﴿وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم﴾ أى: ظلموا أنفسهم

---

(١) الأحزاب: ١٠.

جنة السنة

وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ

فأهلكناهم. وقوله: ﴿وتبين لكم كيف فعلنا بهم﴾ يعني: عرفتم عقوبتنا إياهم.

وقوله: ﴿وضربنا لكم الأمثال﴾ أي: الأشباه، ومعناه: بينا أن مثلكم كمثلهم.

قوله تعالى: ﴿وقد مكروا مكرهم﴾ أي: كادوا كيدهم.

وقوله: ﴿وعند الله مكرهم﴾ أي: عند الله جزاء مكرهم.

وقوله: ﴿وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال﴾ قرئ بقراءتين: «لِتَزول» و«لَتَزُول»(١) قرأه الكسائي وحده بنصب اللام.

أما قوله: ﴿لِتزول﴾ - بكسر اللام وعليه الأكثرون - معناه: وما كان مكرهم لتزول منه الجبال، يعني: أن مكرهم لايزيل أمر محمد ﷺ الذي هو ثابت كثبوت الجبال.

وقيل: إن معنى الآية بيان ضعف كيدهم ومكرهم، وأنه لايبلغ هذا المبلغ، وأما قوله: «وإن كان مكرهم لَتزُول» بنصب اللام الأول ورفع الثاني معناه: أن مكرهم لو بلغ في العظم بمحمد يزيل الجبال لم يقدروا على إزالة أمر محمد ﷺ. وقرأ عمر وابن مسعود وابن عباس وجماعة: «وإن كاد مكرهم لتزول منه الجبال». وعن أبي بن كعب أنه قرأ: «ولولا كلمة الله لزال بمكرهم الجبال».

وعن علي رضي الله عنه في معنى الآية: وهو أنها نزلت في نمروذ حين قال: لأصعدن السماء، واتخذ النسور وجوّعها ثم اتخذ تابوتًا، ونصب خشبات في أطرافها، وجعل على رءوسها اللحم، ثم ربط قوائم النسور على الخشبات وخلاها، فاستعلت النسور، وقد جلس نمروذ في التابوت مع حاجبه، وقيل: مع غلام له، وللتابوت بابان: باب من أعلى، وباب من أسفل، وقال: فلما صعدت النسور في السماء، ومضى على ذلك يوم، قال لغلامه: افتح الباب السفلي، فإذا الأرض

(١) النشر في القراءات العشر (٢ / ٣٠٠).

جنة السنة

إنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ

كاللجة، فقال: افتح الباب الأعلى فإذا السماء كما هى، ثم مرّ [يوم][1] آخر، فقال: افتح الباب الأسفل ففتح فإذا الأرض كالدخان، فقال: افتح الباب الأعلى ففتح فإذا السماء كما هى، فأمر غلامه حتى يصوّب رءوس النسور والخشبات، فجاء التابوت إلى جانب الأرض وله هدة عظيمة، فخافت الجبال أنه جاء من السماء أمر، وكادت تزول عن أماكنها[2]، فهذا معنى قوله: ﴿وإن كان مكرهم لَتزولُ﴾ – بنصب اللام الأولى ورفع الثانى –﴿منه الجبال﴾.

وفى الآية قول آخر – وهو قول قتادة – أن معناها: وإن كان شركهم لتزول منه الجبال، وهو معنى قوله تعالى ﴿تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدًا أن دعوا للرحمن ولدًا﴾.[3]

قوله تعالى: ﴿فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله﴾ قيل: هذا من المقلوب ومعناه: مخلف رسله وعده. قوله: ﴿إن الله عزيز ذو انتقام﴾ قد بينا المعنى.

قوله تعالى: ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا﴾ قال ابن مسعود: تبدل هذه الأرض بأرض بيضاء كالفضة لم يسفك عليها دم، ولم يعمل فيها بخطيئة، وأما السماء تبدل بسماء من ذهب.

والقول الثانى: قاله أبو جعفر محمد بن على الباقر ومحمد بن كعب: أنه تبدل الأرض بأرض من خبزة يأكلون منها، وقرأ أبو جعفر: ﴿وما جعلناهم جسدًا لا يأكلون الطعام﴾[4] والقول المعروف فى الآية أن تبديل الأرض هو تغييرها من هيئة إلى هيئة، كالرجل يقول لغيره: تبدلت بعدى، أى: تغيرت هيئتك وحالك. وتغيير الأرض بتسيير جبالها، وطم أنهارها، وتسوية أوديتها، وقلع أشجارها وجعلها قاعًا

(١) فى «الأصل وك»: يومًا بالنصب، وهو خلاف الجادة.

(٢) وهذه من الغرائب التى نقلت عن بنى إسرائيل.

(٣) مريم: ٩٠ – ٩١.

(٤) الأنبياء: ٨.

جنة السنة

صفصفًا لا ترى فيها عوجًا ولا أمتًا، وأما تبديل السموات بتغيير حالها، وذلك بتكوير شمسها وقمرها، وانتثار نجومها، وكونها مرة كالدهان، وهو الأديم الأحمر، ومرة كالمهل، وقيل: إن معنى التبديل هو أنه يجعل السموات جنانًا والأرضين نيرانًا، وقد صح عن النبي ﷺ برواية مسروق عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «يارسول الله، قوله تعالى: ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض﴾ أين يكون الناس حينئذ؟ فقال عليه السلام: على الصراط»(١) وإذا ثبت هذا فالأولى هو هذا القول.

أخبرنا بهذا الحديث أبو على الحسن بن عبد الرحمن الشافعى، قال أبو الحسين بن فارس، قال أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ، قال: حدثنا جدى محمد بن عبد الله، قال: نا سفيان بن عيينة، عن داود بن أبى هند، عن الشعبى، عن مسروق، عن عائشة عن النبى ﷺ ... الخبر.

وقوله: ﴿وبروزا لله الواحد القهار﴾ معناه: وخرجوا من قبورهم لله الواحد القهار يحكم فيهم بما أراد.

قوله: ﴿وترى المجرمين يومئذ مقرنين فى الأصفاد﴾ يقال: صفده إذا قيده، وأصفده إذا أعطاه، قال الأعشى:

تضيفته يومًا فأكرم مقعدى ... وأصفدنى على الزمانة قائدًا

أصفدنى أى: أعطانى. وقوله: ﴿مقرنين﴾ أى: مجعولين بعضهم مع بعض فى السلاسل والأقياد، وقيل: إنه يقرن كل كافر مع شيطان فى كل سلسلة وقيد، ذكره الكلبى، ويقال: تجمع رجلاه إلى عنقه ويغل، فهو معنى قوله: ﴿مقرنين فى الأصفاد﴾.

(١) رواه مسلم فى صحيحه (١٧ / ١٩٦ رقم٢٧٩١)، والترمذى (٥ / ٢٩٦ رقم٣١٢١)، وابن ماجة (٢ / ١٤٣٠ رقم ٤٢٧٩)، وأحمد(٦ / ٣٥)، والدارمى (٢ / ٤٢٣- ٤٢٤ رقم ٢٨٠٩)، والحاكم فى المستدرك (٢ / ٣٥٢)، وابن حبان فى صحيحه - الإحسان - (١٦ / ٣٨٧ رقم ٧٣٨).

قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾

وقوله: ﴿سرابيلهم من قطران﴾ أى: قميصهم من قطران، والقطران ما تهنأ به الإبل، وقرأ ابن عباس وعكرمة: «من قطِرٍ آن» أى: من صُفر مذاب، (قال)[1]: انتهى حره. وقيل: من نحاس مذاب قد انتهى حره. قال أهل المعانى: وإنما ذكر أن قميصهم من قطران؛ لأن النار إليه أسرع اشتعالا.

وقوله: ﴿وتغشى وجوههم النار﴾ معناه: وتعلو وجوههم النار، وقيل: تصلى.

وقوله: ﴿ليجزى الله كل نفس بما كسبت﴾ يعنى: ما كسبت من خير وشر.

وقوله: ﴿إن الله سريع الحساب﴾ معناه: سريع المجازاة، وحقيقة الحساب إحصاء ما عمله الإنسان من خير أو شر ليجازى عليه.

قوله تعالى: ﴿هذا بلاغ للناس﴾ يعنى: هذا القرآن، وهذا الذى أنزلته عليك بلاغ للناس، أى: فيه تبليغ للناس. قوله: ﴿ولينذروا به﴾ أى: [و][2] ليخوفوا به.

وقوله: ﴿وليعلموا أنما هو إله واحد﴾ أى: ليستدلوا بهذه الآيات على وحدانية الله تعالى.

وقوله: ﴿وليذكر أولو الألباب﴾ معناه: وليتعظ أولو الألباب -أى أولو العقول-، وفى بعض التفاسير: أن هذه الآية نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه. والله أعلم.

---

(١) كذا فى «الأصل وك»: ولعلها: قد، كما فى العبارة التى تليها.

(٢) من «ك».

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ ۝١ رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾

تفسير سورة الحجر

وهي مكية

قوله تعالى: ﴿الٓر﴾ معناه: أنا الله أرى، وقيل: «الٓر»، و«حم» و«ن» هو الرحمن. ﴿تلك آيات الكتاب﴾ معناه: هذه آيات الكتاب.

﴿وقرآن مبين﴾ معناه: أنه يبين الحلال من الحرام، والحق من الباطل، فإن قال قائل: القرآن هو الكتاب، والكتاب هو القرآن، فأيش فائدة الجمع بينهما؟

الجواب: أن كل واحد منهما يفيد معنى لايفيده الآخر، فإن الكتاب هو ما يكتب، والقرآن هو ما يجمع بعضه إلى بعض، وقيل: إن المراد من الكتاب هو التوراة والإنجيل، والقرآن هو الذى أنزله الله تعالى على محمد ﷺ.

قوله تعالى: ﴿ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾ اعلم أن كم للتكثير، وربّ للتقليل، ويقال: ربَّما بالتشديد، وربما بالتخفيف، وربتما بالتاء بمعنى واحد. قال الشاعر:

ماوىّ يا ربتما غارةٍ شعواءَ كاللذعة بالميسم[(١)]

وقد فصل بعضهم بين ربَّ ورُبما، قال: رُبَّ تدخل على الاسم، ورُبما على الفعل، فقال: رُبَّ رجل جاءنى، ويقال: رُبما جاءنى.

واختلف القول فى الحال الذى يتمنى الكفار هذا، -والوُدّ هو التمنى- [فالقول][(٢)] الأول: أنه فى حال المعاينة، وهذا قول الضحاك.

والقول الثانى: أنه يوم القيامة، والقول الثالث - وهو الأشهر -: أنه حين يخرج

(١) نسبه ابن منظور لابن الأعرابى. انظر لسان العرب (١/ ٤٠٩).

(٢) فى «الأصل وك»: بالقول.

جنة السنة

﴿٢﴾ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ

الله المؤمنين من النار. وفى الأخبار المسندة برواية أبى موسى الأشعرى عن النبى ﷺ قال: «يدخل الله قومًا - من أهل القبلة النار مع الكفار فيمكثون فيها ما شاء الله؛ فيقول الكفار لهم: أنتم مسلمون، فيقولون: نعم، فيقول الكفار: ما أغنى عنكم إسلامكم شيئًا، وأنتم معنا فى النار، فيقولون: نحن أذنبنا ذنوبا فأخذنا بها، فيسمع الله تعالى ذلك كله، فيقول: أخرجوا من النار من كان مسلمًا - وفى رواية: من قال لا إله إلا الله - فيخرجون، فحينئذ يتمنى الكفار لو كانوا مسلمين»(١). وفى بعض الروايات: «أن الكفار إذا قالوا للمسلمين هذه المقالة؛ يغضب الله تعالى لقولهم، فيقول: أخرجوا...، على ما بينا.

فإن قال قائل: إذا كانت ربما للتقليل، فكيف يقلُّ تمنيهم هذا، ونحن نعلم حقيقة أن كلهم يتمنون هذا، وأنّ هذا التمنى منهم يكثر؟

والجواب: أن العرب قد تذكر هذا اللفظ وتريد به التكثير، يقول القائل لغيره: ربما تندم على هذا الفعل، وهو يعلم أنه يكثر منه الندم عليه، ويكون المعنى: إنك لو ندمت قليلا لكان القليل من الندامة يكفيك للاجتناب عنه، فكيف الكثير؟!.

والجواب الثانى: أن شغلهم بالعذاب لايفرغهم للندامة، وفى بعض الآحايين ربما يقع لهم هذا الندم، ويخطر ببالهم.

قوله تعالى: ﴿ذرهم يأكلوا ويتمتعوا﴾ الآية. هذا تهديد ووعيد، والأكل معلوم، وأما التمتع هو التلذذ بطلبه حالا بعد حال (كالتعرّب)(٢) هو طلبه حالا بعد حال.
قوله: ﴿ويلههم الأمل﴾ أى: يشغلهم الأمل عن الآخرة.

---

(١) رواه الطبرى فى التفسير (١٤/٣)، وابن أبى عاصم (٢/٣٩١ - ٣٩٢ رقم ٨٤٣) وقال الشيخ الألبانى: صحيح. والحاكم (٢/٢٤٢) وصحح إسناده، والبيهقى فى البعث والنشور (ص٦٧ - ٦٨ رقم٨٥). وقال الهيثمى فى المجمع (٧/٤٨): رواه الطبرانى، وفيه خالد بن نافع الأشعرى، قال أبو داود: متروك؛ قال الذهبى: هذا تجاوز فى الحد، فلا يستحق الترك؛ فقد حدث عنه أحمد بن حنبل، وغيره. وبقية رجاله ثقات. وعزاه السيوطى فى الدر (٤/١٠٤) لابن أبى حاتم، وابن مردويه أيضًا.

(٢) كذا، وفى «ك»: كالتقرب.

إلاَّ ولَها كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤﴾ ما تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا ومَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴿٥﴾ وقَالُوا يا أَيُّهَا
الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلائِكَةِ إن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ
﴿٧﴾ مَا نُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ إلاَّ بِالْحَقِّ ومَا كَانُوا إذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ إنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ

قوله: ﴿فسوف يعلمون﴾ تهديد آخر، وقد قال بعض أهل العلم: «ذرهم» تهديد. وقوله: ﴿فسوف يعلمون﴾ تهديد آخر، فمتى يهنأ العيش بين تهديدين؟.

قوله تعالى: ﴿وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم﴾ أى: أجل مضروب لايتقدم عليه ولايتأخر عنه. وقوله: ﴿ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون﴾ معناه: أن العذاب المضروب لايتقدم على وقته، ولايتأخر عن وقته، وقيل: هذا فى الموت أنه لايتقدم ولايتأخر عن وقته.

قوله تعالى: ﴿وقالوا يا أيها الذى نزل عليه الذكر إنك لمجنون﴾ الذكر هو القرآن. وقوله: ﴿إنك لمجنون﴾ خطابهم مع النبى ﷺ.

وقوله: ﴿يا أيها الذى نزل عليه الذكر﴾ إنما قالوه على طريق الاستهزاء؛ لأنهم لو قالوا ذلك على طريق التحقيق لآمنوا به.

قوله تعالى: ﴿لوما تأتينا بالملائكة﴾ أى: هلاّ تأتينا بالملائكة، قال الشاعر:

تعدون (قعر)[1] النيِّب أفضل مجدكم … بنى (طوطبرى)[1] لولا الكمىُّ المقنعا

أى: هلا تعدون الكمىّ المقنعا.

وقوله: ﴿إن كنت من الصادقين﴾ معناه: أنك نبى.

قوله تعالى: ﴿ما ننزل الملائكة إلا بالحق﴾ الحق الذى تنزل به الملائكة هو الوحى، وقبض [أرواح][2] العباد، وإهلاك الكفار، وكتبة الأعمال، وما أشبه ذلك.

وقوله: ﴿وما كانوا إذًا منظرين﴾ أى: مؤخرين، وقد كان الكفار يطلبون إنزال

---

(١) كذا فى «الأصل وك» وفى تفسير القرطبى (١٠/ ٤١): عقر، ضوطرى.

(٢) فى الأصل وك»: الأرواح.

جنة السنة

وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لا

الملائكة عيانا، فأجابهم الله تعالى بهذا، ومعناه: أنهم لو نزلوا عيانًا زال الإمهال عن الكفار وعذبوا فى الحال.

قوله تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر﴾ يعنى: القرآن ﴿وإنا له لحافظون﴾ فيه قولان: أحدهما: أنا نحفظ محمداً، والآخر: أنا نحفظ القرآن، وهو الأليق بظاهر اللفظ، ومعنى حفظ القرآن أنه يمنع من الزيادة فيه أو النقصان عنه، قال الله تعالى ﴿لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه﴾(١) والباطل هو إبليس، ومعناه: أن إبليس لايقدر أن يزيد فيه ماليس منه، ولا أن ينقص عنه ما هو منه.

قوله تعالى: ﴿ولقد أرسلنا من قبلك فى شيع الأولين﴾ الشيعة: هم القوم المجتمعة المتفقة كلمتهم، ومعناه هاهنا: فى أمم الأولين.

وقوله: ﴿وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون﴾ هذا تسلية للنبى ﷺ، ومعناه: أنهم كما استهزءوا بك فقد استهزئ بالأنبياء من قبلك.

وقوله تعالى: ﴿كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين﴾ قال الحسن: كذلك نسلك الشرك فى قلوب المجرمين، ونسلك، أى: ندخل، وقال مجاهد: نسلك التكذيب، ومعنى كاف التشبيه، أى: كما فعلنا بالكفار من قبل هؤلاء، كذلك نفعل بهؤلاء الكفار. وقد قال بعضهم: إن معنى قوله: ﴿كذلك نسلكه﴾ أى: نسلك القرآن، ومعناه: أنه لما أعطاهم ما يفهمون به القرآن، فكأنه سلك القرآن فى قلوبهم. والمنقول عن السلف هو القول الأول، وهو ردٌّ على القدرية صريحًا.

وقوله: ﴿لايؤمنون به﴾ يعنى بالنبى ﷺ والقرآن. ﴿وقد خلت سنة الأولين﴾ أى: مضت سنة الأولين، وسنة الأولين: هوالإهلاك عند تكذيب الأنبياء.

---

(١) فصلت: ٤٢.

جنة السنة

يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلاَّ مَنِ

قوله تعالى: ﴿ولو فتحنا عليهم بابا من السماء﴾ ظاهر المعنى. وقوله: ﴿فظلوا فيه يعرجون﴾ يقال: ظل يفعل كذا إذا فعله نهارًا، وبات يفعل كذا إذا فعله ليلا.

وقوله: ﴿يعرجون﴾ يصعدون، يقال: عَرَجَ يَعْرُج إذا صعد، وعَرِجَ يَعْرَجُ إذا صار أعرج، واختلف القول فى المعنى بقوله: ﴿فظلوا﴾ الأكثرون على أنهم الملائكة، والقول الآخر أنهم المشركون. وقوله: ﴿لقالوا إنما سكرت أبصارنا﴾ قرئ بقراءتين «سُكِّرَتْ» «سُكِرَتْ» مخفف، فمعنى التخفيف أى: سحرت، ومعنى التشديد أى: سدت وأخذت، وقيل: عميت، قال عمرو بن العلاء: هو مأخوذ من السُكر، يعنى: كما أن السُكْر يغطى على عقولنا، كذلك هذا غُطى على أبصارنا. وقوله: ﴿بل نحن قوم مسحورون﴾ أى: مخدوعون، وقيل معناه: عمل فينا السحر.

قوله تعالى: ﴿ولقد جعلنا فى السماء بروجًا﴾ البروج: هى النجوم الكبار، وهو مأخوذ من الظهور، يقال: تبرجت المرأة إذا ظهرت. ويقال: إنها المنازل، ويقال: إنها البروج الإثنا عشر، ويقال: إنها السبع السيارة، وعن عطية العوفى: أنها قصور فى السماء عليها الحرس. قوله: ﴿وزيناها للناظرين﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿وحفظناها من كل شيطان رجيم﴾ ذكر الكلبى أن السموات لم تكن محفوظة من الشياطين قبل عيسى، فلما بعث عيسى - عليه السلام - حفظت ثلاثة من السموات، فلما بعث محمد ﷺ حفظت السموات كلها. وقوله: ﴿رجيم﴾ أى: مرجوم، وقيل: أى: ملعون، وقيل: شَتِيم.

وقوله تعالى: ﴿إلا من استرق السمع﴾ فى الأخبار: أن الشياطين يركب بعضهم بعضًا إلى السماء الدنيا، ويسترقون السمع من الملائكة؛ فترجمهم الكواكب فتقتل

جنة السنة

البعض وتخبل البعض»(١) .واختلف القول فى أنهم متى يسترقون السمع؟ فأحد القولين :أنهم يسترقون السمع من الملائكة فى السماء، والقول الآخر: أنهم يسترقون السمع من الملائكة فى الهواء. وأما معرفة ملائكة السماء بالأمر فباستخبارهم ملائكة أهل السماء الثانية، هكذا يستخبر أهل كل سماء من أهل السماء [التى](٢) فوقهم، حتى يصلوا إلى حملة العرش فيخبرون بما قضاه الله تعالى من الأمر، ويرجع الخبر من سماء إلى سماء حتى يصل إلى السماء الدنيا، ثم الشياطين يسترقون على ما قلنا من قبل.

وقوله: ﴿فأتبعه شهاب مبين﴾ الشهاب هو الشعلة من النار، فإن قال قائل: نحن لانرى ناراً، وإنما نرى نوراً أو نجماً ينقض.

والجواب: أنه يحتمل أنه ينقض نوراً، فإذا وصل إليه صار ناراً، أو يحتمل أنه يرى من بعد المكان أنه نجم وهو نار، وقيل: إن النجم ينقض فيرمى الشيطان ثم يعود إلى مكانه. واعلم أن هذا لم يكن ظاهراً فى زمن الأنبياء قبل الرسول ﷺ، ولم يذكره شاعر من العرب قبل زمان النبى ﷺ، وإنما روى هذا فى ابتداء أمر النبى ﷺ، وكان ذلك أساساً لنبوته ﷺ، وإنما ذكر الشعراء ذلك فى زمانه ﷺ، قال الشاعر:

كأنه كوكب فى إثر عفرية ... مسومٌ فى سواد الليل منقضب

قوله تعالى: ﴿والأرض مددناها﴾ معناه: بسطناها، ويقال: إنها مسيرة خمسمائة سنة فى مثلها، دحيت من تحت الكعبة.

وقوله: ﴿وألقينا فيها رواسى﴾ أى: جبالا ثوابت، وقد كانت الأرض تميل إلى أن أرساها الله بالجبال.

---

(١) رواه البخارى (٨/ ٢٣١ رقم٤٧٠١)، والترمذى (٥/ ٣٣٧ رقم٣٢٢٣)، وابن ماجة (١/ ٦٩-٧٠ رقم١٩٤) من حديث أبى هريرة.

(٢) فى «الأصل وك»: الذى

مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا

وقوله: ﴿وأنبتنا فيها من كل شيء موزون﴾ أى: معلوم، ويقال: من كل شيء موزون معناه: من الحديد والرصاص والنحاس والذهب والفضة وكل ما يوزن.

وقوله: ﴿وجعلنا لكم فيها معايش﴾ قيل: إنها المطاعم والمشارب والملابس، وقيل: إنها ما يعيش به المرء فى الدنيا، قال جرير شعراً:

تطالبنى معيشة آل زيد ... ومن لى (بالمرقق والصناب)[1]

الضباب من الآجار، وغير ذلك من (اللوامخ)[2]. ﴿ومن لستم له برازقين﴾ معناه: جعلنا فيها معايش لكم، وجعلنا فيها من لستم (فيها)[3] برازقين، وهى الدواب والطيور والوحوش. وفى الآية قول آخر: وهو أنا جعلنا لكم فيها معايش، وجعلنا لكم أيضاً الدواب والطيور والأنعام، وكفيناكم رزقها، فإن قال قائل: قد قال: «ومن لستم له برازقين»، و«مَنْ» إنما تقال فيمن يعقل لافيمن لايعقل؟.

والجواب عنه: أن العبيد والمماليك قد دخلوا فى هؤلاء، والعرب إذا جمعت بين من يعقل وبين من لايعقل غلّبت من يعقل.

قوله تعالى: ﴿وإن من شيء إلا عندنا خزائنه﴾ يعنى: مفاتيح خزائنه ،وقيل: إنها نفس الخزائن، ومعنى الخزائن أنه إذا قال: كن كان.

قوله: ﴿وما ننزله إلا بقدر معلوم﴾ أى: إلا بقدر معلوم فى وقت معلوم، ويقال: إنه لاتنزل قطرة من السماء إلا ومعها ملك يسوقها حيث يريد الله، والله أعلم.

---

(١) والبيت أورده ابن منظور فى اللسان (١ / ٥٣١)، وفيه: ومن لى بالصلائق والصناب. وفسر ابن منظور الصناب بأنه صباغ يتخذ من الخردل والزبيب.

(٢) كذا فى «الأصل وك»، ولعله: اللوامج، وهو مايتعلل به قبل الغداء، (ترتيب القاموس: مادة اللمج).

(٣) فى «ك»: له.

مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ

قوله تعالى: ﴿وأرسلنا الرياح لواقح﴾ قال أبو عبيدة: ملاقح واحدتها ملقحة، وقال غيره: هى لواقح واحدها لاقح، ومعنى اللاقح أنها تحمل الماء، ومعنى الملقح أنها تمر على السحاب والأرض فتلقحه، وإلقاح السحاب هو أن يلقى إلى السحاب ما يحمل به الماء، وقيل: إنها تلقح الأشجار أيضا.

وقال ابن مسعود: إن الريح تحمل الماء فتجريه السحاب؛ فتدر السحاب، كما تدر اللقحة، وعن عبيد بن عمير أنه قال: تجيء الريح المبشرة فتقم الأرض قمًّا، ثم تجيء الريح المنشأة فتنشئ السحاب نشئًا، ثم تجيء الريح المؤلفة فتؤلف السحاب بعضه إلى بعض، ثم تجيء الريح اللاقحة فتلقح السحاب.[١] (وفى)[٢]: أن لقح الرياح؛ الجنوب.

وفى بعض الآثار: «ما هبت ريح الجنوب إلا وأنبعت عينا غرقة غَدقة»، وأما الريح العقيم هى التى لاتلقح وتأتى بالعذاب.

وقوله: ﴿وأنزلنا من السماء ماءً فأسقيناكموه﴾ يعنى: أعطينا لكم بها سقيًا، يقال: أسقى فلانا إذا جعل له سقيًا، وسقى فلانا إذا أعطاه ما يشرب.

وقوله: ﴿وما أنتم له بخازنين﴾ يعنى: أنه فى خزائننا، وليس فى خزائنكم، وقيل: وما أنتم له بمانعين ولا دافعين (أى: أردتموه)[٣].

قوله تعالى: ﴿وإنا لنحن نحيى ونميت ونحن الوارثون﴾ ظاهر المعنى. وقوله: والوارث فى صفات الله أنه الباقى بعد هلاك الخلق أجمعين، وقيل معناه: أن مصير

(١) الأثر رواه ابن جرير (١٤ / ١٥)، وفيه: فتلقح الجر، ثم تلا الآية.

(٢) كذا فى «الأصل وك». ولعلها: وقيل.

(٣) كذا فى «الأصل وك»: وفى سياق الكلام خطا أو سقط، ومعنى الآية ولستم بخازنى الماء الذى أنزلناه من السماء فأسقيناكموه، فتمنعوه من أسقيه؛ لأن ذلك بيدى وإلىّ، فأسقيه من أشاء وأمنعه من أشاء. (تفسير ابن جرير ١٤ / ١٦).

جنة السنة

الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ

الخلق إليه.

قوله تعالى: ﴿ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين﴾ قال الشعبى: معناه: ولقد علمنا الأولين منكم والآخرين، ويقال معناه: علمنا المتقدمين منكم بالطاعة، والمتأخرين منكم بالمعصية، وقيل: علمنا من خلقنا منكم ومن سنَخْلُقُهُ من بعد. وعن الربيع بن أنس «أن النبى ﷺ حضّ الناس على الجماعة فتقدم بعضهم، وتأخر البعض لكثرة الجمع؛ فأنزل الله تعالى: ﴿ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين﴾»(١).

ويقال معناه: ولقد علمنا المستقدمين منكم فى حق القتال، وعلمنا المستأخرين عنه. وفى الآية خبر مسند برواية أبى الجوزاء عن ابن عباس: «أن امرأة كانت تحضر الجماعة، وهى من أحسن النساء وجهًا، فكان قوم يتقدمون لئلا يرونها، وقوم يتأخرون. فإذا ركعوا نظروا إليها من تحت آباطهم؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية». أورده أبو عيسى الترمذى فى جامعه(٢).

قوله تعالى: ﴿وإن ربك هو يحشرهم﴾ يعنى: يحشرهم إلى القيامة. وقوله: ﴿إنه حكيم عليم﴾ أى: حكيم فى تدبيره، عليم بخلقه

قوله تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإٍ مسنون﴾ الصلصال هو

(١) ذكره الواحدى فى أسباب النزول (ص٢٠٧).

(٢) جامع الترمذى (٥/ ٢٧٦ – ٢٧٧ رقم٣١٢٢)، ورواه النسائى (٢/ ١١٨ رقم٨٧٠) وابن ماجة (١/ ٣٣٢/ رقم١٠٤٦)، والطبرى (١٤/ ١٨) والطبرانى فى الكبير (١٢/ ١٧١ رقم ١٢٧٩١)، والحاكم (٢/ ٣٥٣) وقال صحيح الإسناد، وابن حبان – الإحسان – (٢/ ١٢٦ رقم٤٠١). والبيهقى فى الكبرى (٣/ ٩٨) وقال الترمذى: وروى جعفر بن سليمان هذا الحديث عن عمرو بن مالك، عن أبى الجوزاء نحوه ولم يذكر فيه عن ابن عباس، وهذا أشبه أن يكون أصح من حديث نوح. وقال ابن كثير فى تفسيره (٢/ ٢٥٠): وهذا الحديث فيه نكارة شديدة .. ثم قال: فالظاهر أنه من كلام أبى الجوزاء فقط.

جنة السنة

﴿٢٦﴾ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ

الطين اليابس الذى إذا حرِّك صلصل أى: صوّت، قال الشاعر:

وقاع ترى الصلصال فيه ودونه ... بقـــاع تلال بالعـــرى والمناكـــب

ويقال: الصلصال المنتن، يقال: صَلَّ اللحم إذا أنتن، وذكر الكلبى عن ابن عباس: أن الصلصال هو الطين الرطب، ويقال: إذا جرى الماء على الأرض الطينة، ثم انحسر الماء وتشققت الأرض حتى يُرى مثل الخزف، فهو صلصال.

وقوله: ﴿من حمإٍ مسنون﴾ الحمأ: الحمأة، وهى الطين الأسود، والمسنون: المتغير المنتن، كذلك قاله مجاهد. وقال بعضهم: المسنون المصبوب، وهذا يشبه القول الذى بيّنا أن الصلصال هو الطين الرطب، وفى الآثار: أن الحسن كان يسن الماء على وجهه سنا، أى: يصب.

وفى الآية قول ثالث: وهو أن المسنون هو المصبوب على قالب وصورة، وفى بعض (التفاسير)[١]: أن الله تعالى خَمَّر طينة آدم، وتركه حتى صار متغيراً أسود منتنًا، ثم خلق آدم منها.

قوله: ﴿والجآن خلقناه من قبل من نار السموم﴾ يُقال: الجآن هو إبليس، ويُقال: الجآن أبو الجن، كما أن آدم أبو البشر، وأما إبليس هو أبو الشياطين، وفى الجن مؤمنون وكافرون، ويحيون ويموتون.

وأما الشياطين فليس فيهم مسلم، ويموتون إذا مات إبليس، وذكر وهب بن منبه: أن من الجن من يولد لهم، ويأكلون ويشربون بمنزلة الآدميين، ومن الجن من هم بمنزلة الريح لايتوالدون، ولايأكلون، ولايشربون، والله أعلم.

وقوله: ﴿من نار السموم﴾ أى: من الريح الحارة، والسموم: ريح حارة تدخل فى مسام الإنسان فتقتله، و يقال: إن السموم بالنهار والحرور بالليل، ويقال: إن السموم

---

(٢) فى «ك»: الآثار.

جنة السنة

بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ

بالليل والنهار جميعًا، وقيل: نار السموم لهيب النار.

وفى بعض الآثار عن عبد الله بن مسعود: أن هذا السموم الذى نراه جزء من سبعين جزءًا من سموم جهنم. ويقال: من نار السموم أى: من نار جهنم.

قوله تعالى: ﴿وإذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشرا من صلصال من حمإٍ مسنون﴾ قد ذكرنا. قوله تعالى: ﴿فإذا سويته﴾ أى: صورته. وقوله: ﴿ونفخت فيه من روحى﴾ الروح: جسم لطيف يحيا به الإنسان، [وأضافها][(١)] إلى نفسه تشريفًا وتكريمًا.

وقوله: ﴿فقعوا له ساجدين﴾ أى: اسقطوا له ساجدين.

قوله تعالى: ﴿فسجد الملائكة كلهم أجمعون﴾ فى بعض التفاسير: أنه قال لجماعة من الملائكة: اسجدوا لآدم فلم يفعلوا؛ فجاءت نارٌ وأحرقتهم جميعًا[(٢)]، ثم قال لجماعة آخرين: اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس.

وقوله: ﴿كلهم أجمعون﴾ فيه سؤال معروف، وهو أنه يُقال: لما قال ﴿فسجد الملائكة﴾؟ فأيش فائدة قوله: ﴿كلهم أجمعون﴾؟.

والجواب: أن الخليل وسيبويه زعما أن هذا تأكيد بعد تأكيد، (وذكر)[(٣)] المبرد أن قوله: ﴿فسجد الملائكة﴾ كان من المحتمل أن بعضهم سجد؛ فذكر كلهم ليزيل هذا الإشكال، ثم كان يحتمل أنهم سجدوا فى أوقات مختلفة؛ فذكر أجمعون ليزيل الالتباس.

وقوله: ﴿إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين﴾ ظاهر المعنى. قوله تعالى:

---

(١) فى «الأصل، وك»: أضاف.

(٢) وهذا باطل بنص الكتاب والسنة والإجماع، فالملائكة خلق من خلق الله يفعلون ما يؤمرون.

(٣) فى «ك»: وزعم.

جنة السنة

السَّاجدين ﴿٣١﴾ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجدين ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾

﴿قال يا إبليس مالك ألا تكون مع الساجدين﴾ معناه: لِمَ لَمْ تسجد وقد أمرتك؟ قوله: ﴿قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإٍ مسنون﴾ معناه: أنى أفضل منه؛ لأنه طينى، وأنا نارى، والنار تأكل الطين.

وفى بعض الآثار: «أن الله تعالى خلق الملائكة من نور العزة، وخلق الجآن من النار، وخلق آدم من التراب»(١).

فإن قال: إذا كان عندكم أن إبليس من الملائكة، وقد خلقوا من النور، فكيف قال إبليس خلقتنى من نار؟

والجواب عنه: أن إبليس كان من قبيلة من الملائكة خلقوا من النار، وقد ذكرنا فى سورة البقرة.

قوله: ﴿قال فاخرج منها فإنك رجيم وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين﴾ ظاهر المعنى، ويقال: إن إبليس ملعون السماء والأرض، وإن أهل السماء يلعنونه، كما أن أهل الأرض يلعنونه.

قوله تعالى: ﴿قال رب فأنظرنى إلى يوم يبعثون﴾ أى: فأمهلنى إلى يوم البعث، وأراد الملعون ألا يموت؛ فأجابه الله تعالى وقال: ﴿إنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم﴾ أى: الوقت الذى يموت فيه الخلائق، ويقال: إن مدة موت إبليس أربعون سنة، وهو ما بين النفختين. وقال أهل المعانى: إن إبليس لما سأل الإمهال لم تكن إجابة الله إياه كرامةً له، بل كانت زيادة له فى شقائه وبلائه.

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه (١٨/١٦٧رقم٢٩٩٦)، وأحمد فى مسنده (٦/١٥٣، ١٦٨)، وابن حبان – الإحسان – (١٤/٢٥ – ٢٦رقم٦١٥٥)، والبيهقى فى الأسماء والصفات (ص ٣٨٥ – ٣٨٦) من حديث عائشة بنحوه.

جنة السنة

قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ

قوله تعالى: ﴿قال رب بما أغويتنى﴾ الأكثرون على أن معناه: بما أضللتنى، وقيل: بما خيبتنى من رحمتك، وقيل: بما أهلكتنى، ويقال: بما نسبتنى إلى الغواية، وهو تأويل باطل عند أهل السنة.

وقوله: ﴿لأزينّن لهم فى الأرض﴾ معناه: لأزينن لهم حب الدنيا والغواية. وقوله: ﴿ولأغوينهم أجمعين﴾ أى: لأضلنهم أجمعين، والمراد من إغواء إبليس تسببه إلى الغواية.

قوله تعالى: ﴿إلا عبادك منهم المخلصين﴾ والمخلصين: ظاهر المعنى، وقد بينا من قبل.

قوله تعالى: ﴿قال هذا صراط علىّ مستقيم﴾ أكثر أهل المعانى على أن الآية للتهديد والوعيد، كالرجل يقول لغيره: طريقك علىّ، مسيرك إلىّ، أى: لا تفلت منى. وهذا فى معنى قوله تعالى: ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾(١) أى: على طريق الخلق.

والقول الثانى فى الآية: أن معنى قوله: ﴿هذا صراط علىّ﴾ أى: إلىّ.

وقوله ﴿مستقيم﴾ أى: بأمرى وإرادتى.

والقول الثالث: صراط على مستقيم أى: علىَّ استقامته بالبيان والبرهان والتوفيق والهداية، وقرأ الحسن وابن سيرين: «هذا صراطٌ عَلِيٌّ مستقيم» أى: رفيع، وعبّروا عنه: رفيع من أن ينال، مستقيم من أن يمال، وقال الشاعر فى الصراط بمعنى الطريق:

أمير المؤمنين على صراط ... إذا اعوج الموارد مستقيم

قوله تعالى: ﴿إن عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين﴾ هذا تحقيق لقوله تعالى فيما سبق: ﴿إلا عبادك منهم المخلصين﴾.

---

(١) الفجر: ١٤.

الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ ﴿٤٦﴾

قوله تعالى: ﴿وإن جهنم لموعدهم أجمعين﴾ يعنى: موعد إبليس ومن تبعه للخلود فيها.

قوله تعالى: ﴿لها سبعة أبواب﴾ روى عن على - رضى الله عنه - أنه قال: سبعة أبواب بعضها فوق بعض، وقال ابن جريج: النار سبعة دركات: أولاها جهنم، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم سقر، ثم الجحيم، ثم الهاوية.

وقوله: ﴿لكل باب منهم جزء مقسوم﴾ أى: لكل دركة قوم يسكنونها بقدر ذنوبهم. وفى بعض الآثار: أن فى الدركة الأولى [المسلمين](1) - يعنى: الذين أُدخلوا النار بقدر ذنوبهم ثم يخرجون منها - وفى الثانية النصارى، وفى الثالثة اليهود، وفى الرابعة [الصابئين](1)، وفى الخامسة المجوس، وفى السادسة أهل الشرك، وفى السابعة [المنافقين](1).

قوله تعالى: ﴿إن المتقين فى جنات وعيون﴾ أى: فى بساتين وأنهار.

قوله: ﴿ادخلوها بسلام أمنين﴾ يعنى: يقال لهم: ادخلوها بسلام آمنين، والسلام هو السلامة، والأمن من الموت والخروج.

قوله تعالى: ﴿ونزعنا ما فى صدورهم من غل﴾ فى الأخبار المسندة عن النبى ﷺ قال: «يُحبس المؤمنون على قنطرة بين النار والجنة فيقتص لبعضهم من بعض، حتى إذا هذبوا ونقوا، وخرج الغل من قلوبهم، أمر بهم إلى الجنة»(2). وأما الغل فقد قيل: إنه الشحناء والعدواة، وقيل: إنه الحقد والحسد والخيانة، قال الشاعر:

جزى الله عنا جمرة ابنة نوفل ... جزاء مغِلّ بالأمانة كاذب

(1) وردت هذه الكلمات الثلاث بالرفع فى «الأصل وك»، والصواب بالنصب على أنها اسم لأنّ.

(2) تقدم فى تفسير سورة الأعراف، وهو فى صحيح البخارى وغيره.

وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ

أى: خائن. وفى بعض الآثار: أن أهل الجنة يصلون إلى باب الجنة والغل فى صدورهم، فإذا دخلوا يذهب الغل كله عن صدورهم. ومن المعروف عن على - رضى الله عنه - أنه قال: إنى أرجو أن أكون وطلحة والزبير من الذين قال الله تعالى: ﴿ونزعنا ما فى صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين﴾.

وقوله: ﴿على سرر متقابلين﴾ أى: لاينظر بعضهم إلى قفا بعض، وفى بعض الأخبار عن النبى ﷺ: «أن المؤمن فى الجنة إذا ودَّ أن يلقاه أخاه المؤمن سار سرير كل واحد منهما إلى صاحبه، ويلتقيان ويتحدثان، ثم ينصرف كل واحد منهما إلى منزله»(١).

قوله تعالى: ﴿لايمسهم فيها نصب﴾ أى: تعب. قوله: ﴿وما هم منها بمخرجين﴾ هذا أنص آية فى القرآن على الخلود؛ هكذا قال أهل العلم.

قوله تعالى: ﴿نبئ عبادى أنّى أنا الغفور الرحيم﴾ روى أن النبى ﷺ خرج على الصحابة، وهم يضحكون، فقال لهم: «أتضحكون، وبين أيديكم النار؛ فجاء جبريل بهذه الآية وقال: يقول لك ربك: يا محمد، لم تقنط عبادى؟»(٢).

---

(١) رواه البزار - كما فى مختصر الزوائد - (٢/ ٤٨٦ - ٤٨٧رقم٢٢٧٠)، وابن أبى الدنيا فى صفة الجنة (ص٧٦رقم٢٣٩)، وابن أبى حاتم فى العلل (٢/ ٢٢٠) عن أبيه قوله: من حديث أنس، والعقيلى فى الضعفاء (٢/ ١٠٣). ونقل ابن أبى حاتم فى العلل (٢/ ٢٢٠) عن أبيه قوله: هذا حديث منكر، وسعيد مجهول. وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/ ٤٢٤): ورجاله رجال الصحيح غير سعيد بن دينار والربيع بن صبيح، وهما ضعيفان، وقد وثقا.

(٢) رواه البزار فى مسنده (٦/ ١٧٤رقم٢٢١٦) والطبرانى فى الكبير (١٣/ ١٠٤ رقم ٢٤٨) من حديث عبدالله بن الزبير، وقال البزار: وهذا الحديث لانعلم أحداً يرويه بهذا اللفظ عن النبى ﷺ إلا ابن الزبير، ولا نعلم له إلا هذا الطريق، ولا نعلم أن مصعب بن ثابت سمع من ابن الزبير. وقال الهيثمى فى المجمع (٧/ ٤٩): رواه الطبرانى، وفيه موسى بن عبيدة، ضعيف. وعزاه السيوطى فى الدر (٤/ ١١٤) لابن مردويه أيضًا. ورواه الطبرى فى تفسيره (١٤/ ٢٧) عن رجل من الصحابة.

جنة السنة

الْعَذَابُ الأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا لا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ

وقوله: ﴿ أنى أنا الغفور الرحيم وأن عذابى هو العذاب الأليم ﴾ ظاهر المعنى. وروى أبو هريرة عن النبى ﷺ أنه قال: «لو يعلم المؤمن ما عند الله من الرحمة ما تورع عن ذنب، ولو يعلم الكافر ما عند الله من العقوبة لنخع نفسه». وأورد مسلم فى صحيحه ما هو قريب من هذا(١).

قوله تعالى: ﴿ ونبئهم عن ضيف إبراهيم ﴾ قيل معناه: عن أضياف إبراهيم، وقد بينا عدد الملائكة الذين كانوا أضيافه. وقوله: ﴿ إذ دخلوا عليه فقالوا سلامًا ﴾ أى: سلموا سلامًا.

وقوله: ﴿ قال إنا منكم وجلون ﴾ وسبب وجل إبراهيم منهم؛ أنه قَرَّب إليهم الطعام فلم يأكلوه، وقد كانوا إذا لم يأكل الضيف استرابوا به. ﴿ قالوا لاتوجل ﴾ أى: لاتخف، قال الشاعر:

لعمرك لا أدرى وإنى لأوجل　　　على أينا تعدو المنية أول

وقوله: ﴿ إنا نبشرك بغلام عليم ﴾ معناه: غلام فى صغره، عليم فى كبره، وهو إسحاق. وقوله تعالى: ﴿ قال أبشرتمونى ﴾ الأصل: أبشرتموننى؛ فأسقط إحدى النونين واكتفى بالكسرة. وقوله: ﴿ على أن مسنى الكبر ﴾ يعنى: على حال الكبر، وهذا على طريق التعجب، وكذلك قوله: ﴿ فبم تبشرون ﴾ على طريق التعجب، وليس على طريق الشك والإنكار.

قوله تعالى: ﴿ قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين ﴾ الحق: وضع الشىء فى موضعه على ما تدعو إليه الحكمة، والقنوط هو اليأس، ومعنى الحق ها هنا هو الصدق.

---

(١) متفق عليه بنحوه، رواه البخارى (١١/ ٣٠٧رقم٦٤٦٩)، ومسلم (١٧/ ١١٠رقم٢٧٥٥)، وقد تقدم.

جنة السنة

﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ
﴿٥٧﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلاَّ آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾
إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ
قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا

قوله تعالى: ﴿قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون﴾ يعنى: إلا الكافرون، والقنوط من رحمة الله كبيرة من الكبائر كالأمن من مكر الله.

قوله تعالى: ﴿قال فما خطبكم أيها المرسلون﴾ قد ذكرنا معناه فى سورة هود. قوله تعالى: ﴿قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين﴾ أراد به قوم لوط. وقوله: ﴿إلا آل لوط﴾ المراد منه لوط وبناته ومن آمن به، وقد ذكرنا. وقوله: ﴿إنا لمنجوهم أجمعين﴾ هذا استثناء من الاستثناء، فالاستثناء الأول من المهلكين، والثانى من المنجين، فبقى المستثنى بالاستثناء الثانى فى المهلكين وهو امرأته، وهذا مثل ما يقول الرجل لك: على عشرة إلا أربعة إلا ثلاثة، فالمستثنى بالاستثناء الثانى (بقى)[1] فى المقر به بالإقرار الأول، فيصير كأنه استثنى درهمًا، ويجب تسعة دراهم.

وقوله: ﴿قدرنا﴾ أى: حكمنا. وقوله: ﴿إنها لمن الغابرين﴾ أى: من الباقين فى العذاب، قال الشاعر:

لاتكسع الشول بأغبارها إنك لاتدرى من الناتج

أى: ببقاياها، وفى الأحاديث: «يذهب أهل العلم وتبقى غبرات فى أوعية سوء» أى: بقايا.

قوله تعالى: ﴿فلما جاء آل لوط المرسلون﴾ ظاهر المعنى. قوله تعالى: ﴿قال إنكم قوم منكرون﴾ لأنه لم يعرفهم. قوله تعالى: ﴿قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون﴾ أى: يشكون، وفى القصة: أن لوطًا كان يتوعدهم بالعذاب، فلا يصدقونه فهو فى معنى قوله: ﴿بما كانوا فيه يمترون﴾.

(١) فى «ك»: نفى.

لَصَادِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي إِن

وقوله: ﴿وآتيناك بالحق وإنا لصادقون﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿فأسر بأهلك﴾ سرى وأسرى بمعنى واحد. وقوله: ﴿بقطع من الليل﴾ أى: بقطعة من الليل. وقوله: ﴿واتبع أدبارهم﴾ هذا دليل على أن الله تعالى أمره أن يقدم أهله، ثم يمضى فى إثرهم.

وقوله: ﴿ولايلتفت منكم أحد﴾ أمرهم بترك الإلتفات حتى لايرتاعوا من العذاب إذا نزل بقومهم، وقيل: إن الله تعالى جعل ذلك علامة لمن ينجو من آل لوط، فإن المرأة التفتت لما سمعت الهدَّة فهلكت.

وقوله: ﴿وامضوا حيث تؤمرون﴾ يقال: أمروا أن يمضوا إلى «زغر»، وهى بلدة بالشام، وقيل: إلى أرض الأردن وفلسطين.

قوله تعالى: ﴿وقضينا إليه ذلك الأمر﴾ قد ذكرنا أن القضاء بمعنى الفراغ ومعناه: أنا حكمنا وأبرمنا الأمر الذى أمرناه فى قوم لوط. وقوله: ﴿أن دابر هؤلاء﴾ أى: أصل هؤلاء، وقيل: آخر هؤلاء ﴿مقطوع مصبحين﴾ يعنى: حين يدخلون فى الصبح.

قوله تعالى: ﴿وجاء أهل المدينة يستبشرون﴾ يعنى: يبشر بعضهم بعضًا لما يرجون من ارتكاب الفاحشة.

قوله تعالى: ﴿قال إن هؤلاء ضيفى فلا تفضحون﴾ الفضيحة: فعل يُفعل بالمرء يلزمه به العار (والأنفة)(١) ﴿فاتقوا الله ولا تخزون﴾ فالخزى بمعنى الفضيحة.

قوله تعالى: ﴿قالوا أو لم ننهك عن العالمين﴾ معناه: أو لم ننهك أن تضيف

---

(١) كذا!.

جنة السنة

كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ

أحدًا، وقيل: أو لم ننهك عن العالمين، يعنى: إدخال الغرباء فى المدينة، فإنك إن أدخلتهم (نركب منهم)[١] الفاحشة. ﴿قال هؤلاء بناتى إن كنتم فاعلين﴾ قد بينا.

وقوله: ﴿لعمرك إنهم لفى سكرتهم يعمهون﴾ قال ابن عباس: وعيشك، وقيل: وحياتك. وعن ابن عباس أنه قال: ما خلق الله خلقًا أكرم عليه من محمد ﷺ، فإن الله تعالى لم يقسم بحياة أحد إلا بحياة محمد ﷺ. وقوله: ﴿لفى سكرتهم يعمهون﴾ أى: فى ضلالتهم يترددون.

قوله تعالى: ﴿فأخذتهم الصيحة مشرقين﴾ يقال: أشرقت الشمس إذا طلعت، فإن قيل: قد قال قبل هذا: ﴿مصبحين﴾[٢]، وقال هاهنا: ﴿مشرقين﴾ فكيف وجه الجمع؟

الجواب من وجهين: أحدهما: أن ابتداء العذاب كان من الصبح، وتمامه عند الإشراق.

والجواب الثانى: أن الإشراق هاهنا بمعنى الإصباح، وهو جائز فى كلام العرب.

وقوله: ﴿فجعلنا عاليها سافلها﴾ قد بينا.

وقوله: ﴿وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل﴾ قد بينا.

وقوله: ﴿إن فى ذلك لآيات للمتوسمين﴾ أى: للناظرين المعتبرين.

وقيل للمتفرسين، وهم الذين يعلمون[٣] الناس [بسيماهم][٤] على ما يريهم الله منها.

---

(١) كذا! ولعل الصواب: نرتكب معهم.

(٢) الحجر: ٦٦.

(٣) فى «ك»: يعرفون.

(٤) فى «الأصل»: بسماتهم. والمثبت من «ك».

لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِن كَانَ

وقد روى عن النبى ﷺ: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله» رواه عطية عن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ، ذكره أبو عيسى الترمذى فى جامعه(١).

وروى ثابت عن أنس عن النبى ﷺ أنه قال: «من أمتى قوم يعلمون الناس بالتوسم»(٢).

وقوله: ﴿وإنها لبسبيل مقيم﴾ أى: بطريق واضح لايخفى ولايندرس، وسماه مقيماً لثبوت الآيات فيه، وقد كانوا يمرون عليها عند مضيّهم إلى الشام ورجوعهم. وقوله: ﴿إن فى ذلك لآية للمؤمنين﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين﴾ قال أهل المعانى: «إن» للتأكيد، وكذا اللام فى قوله ﴿لظالمين﴾ ومعنى الآية: وقد كان أصحاب الأيكة ظالمين. والأيكة هى الغَيْضَةُ، وقيل: هى الشجر الملتف، وقال قتادة: كان شجرهم دَوْماً، وقال بعضهم: كانت أشجارهم مثمرة يأكلون منها رطباً بالصيف ويابساً بالشتاء، وقد قال فى موضع آخر: ﴿ليكة﴾(٣) فيه قولان: أحدهما: أن الأيكة وليكة بمعنى واحد.

والآخر: أن الأيكة اسم البلاد، وليكة اسم القرية، قال أهل التفسير: وكان رسولهم شعيب النبى ﷺ، وبعث إلى أهل مدين وإلى أهل الأيكة، فأما أهل مدين

---

(١) جامع الترمذى (٥/٢٧٨-٢٧٩رقم٣١٢٧) وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه، وقد روى عن بعض أهل العلم. ورواه الطبرى فى التفسير (١٤/٤٦)، والخطيب فى تاريخه (٣/١٩١) وقال: وهو غريب من حديث عطية العوفى عن أبى سعيد، لانعلم رواه عنه غير عمرو بن قيس الملائى، وتفرد به محمد بن كثير عن عمرو؛ وهو وهم، والصواب ما رواه سفيان، عن عمرو بن قيس الملائى، قال: كان يقال: «اتقوا فراسة المؤمن...» ورواه ابن الجوزى فى الموضوعات (٣/١٤٦).

(٢) رواه الطبرى فى التفسير (١٤/٤٦)، والبزار - كما فى مختصر زوائده - (٢/٥٠٦ رقم ٢٣٠٢)، والطبرانى فى الأوسط - كما فى مجمع البحرين - (٨/٢٢٢رقم٥٠٠٤)، والقضاعى فى مسند الشهاب (٢/١١٦-١١٧رقم١٠٠٥،١٠٠٦). وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/٢٧١): رواه البزار، والطبرانى فى الأوسط، وإسناده حسن. وحسَّن إسناده أيضاً السخاوى فى المقاصد (ص٦٠).

(٣) الشعراء: ١٧٦.

أَصْحَابُ الأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم

أهلكوا بالصيحة، وأما أهل الأيكة فأهلكوا بعذاب [الظلة](١).

وفى القصة: أنه أصابهم حر شديد فى منازلهم، ومنع الله تعالى الريح عنهم، وشدّد الحر عليهم، وكانوا كذلك أياما، ثم اضطرم عليهم الوادى نارا فهلكوا أجمعين. ويقال: إنهم هلكوا غمًّا؛ وهذا معنى قوله: ﴿ فانتقمنا منهم ﴾.

وقوله: ﴿ وإنهما لبإمام مبين ﴾ أى: بطريق واضح، وسمى الطريق إماماً؛ لأنه يؤتم به ويتبع، والكناية فى قوله: ﴿ وإنهما ﴾ تنصرف إلى قرية قوم لوط وقرية أصحاب الأيكة، وهذه البلاد بين الحجاز والشام، وقد كانت قريش يمرون عليها فى أسفارهم.

قوله تعالى: ﴿ ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين ﴾ «الحجر»: ديار ثمود. وقوله: ﴿ المرسلين ﴾ المراد به صالح - عليه السلام - وقوله: ﴿ و آتيناهم آياتنا ﴾ قال ابن عباس: الآيات فى الناقة: خروجها من الصخرة، وكبرها وقرب ولادتها وغزارة لبنها، فقد كانوا يحلبونها ما يكفيهم يومًا. وقوله: ﴿ فكانوا عنها معرضين ﴾ ظاهر المعنى.

قوله: ﴿ وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين ﴾ أى: آمنين من الوقوع عليهم، وقيل: (عليهم)(٢) آمنين من الخراب، وقيل: آمنين من العذاب.

وقوله: ﴿ فأخذتهم الصيحة مصبحين ﴾ أى: حين دخلوا فى الصبح.

وقوله: ﴿ فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون ﴾ أى: ما دفع عنهم ما كانوا يكسبون.

---

(١) فى «الأصل وك»: الظلمة، وهو خطأ. وهو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة ﴾ الشعراء: ١٨٩، وانظر الدر (٤/ ١١٦).

(٢) كذا فى «الأصل وك»، والأولى حذفها، وأراها كررت من الناسخ بالتى قبلها، والله أعلم.

مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا

قوله تعالى: ﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾ أى: لإظهار الحق، ووجه اتصال هذا بما قبله فى المعنى أنهم لما كذبوا بالحق أهلكناهم؛ لأنا ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق، وقيل: معنى الحق هو جزاء المحسن بإحسانه، وجزاء المسيىء بإساءته.

قوله تعالى: ﴿وإن الساعة لآتية﴾ أى: فيظهر الجزاء بالإحسان و الإساءة.

وقوله: ﴿فاصفح الصفح الجميل﴾ أى: أعرض عنهم من غير جزع ولا شكوى.

قال ابن عباس: هذا قبل نزول آية السيف، ثم نسخ بآية السيف. وقوله: ﴿إن ربك هو الخلاّق العليم﴾ يعنى: الخالق العليم بخلقه.

قوله تعالى: ﴿ولقد آتيناك سبعًا من المثانى والقرآن العظيم﴾ اختلف القول فى هذا، فروى عن عمر وعلى وعبد الله بن مسعود – فى إحدى الروايتين – ومجاهد وقتادة أنهم قالوا: هى فاتحة الكتاب، وقد ثبت هذا عن النبى ﷺ برواية آدم بن أبى إياس عن ابن أبى ذئب عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «الحمد لله: أم الكتاب، والسبع المثانى، والقرآن العظيم».

قال الشيخ الإمام الأجل شيخ الإسلام أبو المظفر: أخبرناه المكى بن عبد الرزاق الكشميهنى قال: أنا جدى أبو الهيثم محمد بن المكى، قال: أنا الفربرى، قال: أنا محمد بن إسماعيل البخارى عن آدم بن أبى إياس...» الخبر(١).

وقد اختلفوا فى بسم الله الرحمن الرحيم، فقال على وابن عباس: إنها الآية السابعة، وقال أبو هريرة ومجاهد وقتادة: إنها ليست بآية منها، والآية السابعة قوله: ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾(٢).

وروى أبى بن كعب أن النبى ﷺ قال: «أُنزلت علىّ سورةٌ؛ ما أنزلت فى التوراة

(١) رواه البخارى فى صحيحه (٨/ ٢٣٢رقم٤٧٠٤).

(٢) الفاتحة: ٧.

والإنجيل مثلها، وهى أم القرآن، والسبع المثانى، والقرآن العظيم الذى أعطيته» ذكره أبو عيسى الترمذى فى جامعه(١).

والقول الثانى فى الآية: أن السبع المثانى هى السبع (الطُّوَلُ)(٢) وواحدة الطُّوَل طُولَى، وهى البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف ويونس وهذا هو المنقول، وهو قول عبد الله بن عباس - فى رواية سعيد بن جبير - وهو قول الحسن البصرى وجماعة من التابعين.

وفى الآية قول ثالث: وهو أن السبع المثانى: الأمر، والنهى، والبشارة، والنذارة، وضرب الأمثال، وتعداد النعم، وأنباء القرون السالفة.

وأما معنى المثانى: فإذا حملنا الآية على الفاتحة، فمعناه: أنها تثنى فى كل ركعة، وقيل: لأن فيها الثناء على الله تعالى، فهنا تكون «من» للتجنيس لا للتبعيض، فهذا مثل قوله تعالى: ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾(٣) وذكر بعضهم أن معنى الآية: ولقد آتيناك سبعًا من القرآن الذى هو مثانى، وسمى القرآن مثانى؛ لأنه تثنى [فيه](٤) الأحكام والقصص والأمثال والعبر؛ فتكون على هذا «من» للتبعيض، وأما على القول الذى قلنا أن سبع المثانى هى السبع (الطُّوَلُ)(٥) فإنما سماها مثانى؛ لأنه يثنى فيها الأخبار و الأمثال والعبر والقصص.

وأما قوله: ﴿والقرآن العظيم﴾ المراد منه سائر القرآن سوى الفاتحة، وفى هذا شرف عظيم للفاتحة؛ لأنه خصها بالذكر والإمتنان عليه بها، ثم ذكر سائر القرآن، وعلى القول الثانى: القرآن العظيم هو السبع (الطُّوَل)(٥) وغيرها، وخص السبع

(١) جامع الترمذى (٥/١٤٣ رقم ٢٨٧٥) وقال: حسن صحيح. ورواه النسائى (٢/١٣٩رقم٩١٤)، وفى الكبرى (٦/٣٥١ رقم١١٢٠٥)، وأحمد فى مسنده (٢/٤١٢-٤١٣)، وعبد الله فى زوائد المسند (٥/١١٤)، وابن خزيمة فى صحيحه (١/٢٥٢ رقم٥٠٠،٥٠١) وابن حبان - الإحسان - (٣/٥٣ رقم٧٧٥)، والحاكم (١/٥٥٧) وصححه على شرط مسلم.

(٢) فى «ك»: الطوال.

(٣) الحج: ٣٠.

(٤) فى «الأصل وك»: فيها.

(٥) فى «ك»: الطوال.

مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلا

(الطُّوَل)[(١)] بالذكر تشريفا لها، قال الشاعر:

نشدتكم بمنزل الفرقان أم الكتاب السبع من المثانى

(ثنتين)[(٢)] من آى من القرآن

قوله تعالى: ﴿لاتمدّن عينيك إلا ما متعنا به أزواجًا منهم﴾ وجه اتصال هذا بما قبله أنه لما منَّ عليه بالقرآن، نهاه عن الرغبة فى الدنيا والنظر إلى زينتها، ومزاحمة أهلها عليها، وروى أبو عبيد أن سفيان بن عيينة قال فى معنى قوله ﷺ: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن»[(٣)] أى: لم يستغن بالقرآن، ثم تأول هذه الآية ﴿ولقد آتيناك سبعًا من المثانى والقرآن العظيم، لاتمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجًا منهم﴾ على هذا.

وفى الخبر عن النبى ﷺ أنه قال: «من أوتى القرآن فظن أن أحداً أعطى أفضل مما أعطى فقد صغَّر عظيمًا وعظَّم صغيرًا»[(٤)].

وقوله: ﴿أزواجًا منهم﴾ معناه: أصنافًا منهم، وهم اليهود والنصارى وسائر المشركين، وقيل: إنهم الأغنياء.

وقوله: ﴿ولاتحزن عليهم﴾ يعنى: لاتغتم على ما فاتك من مشاركتهم فى الدنيا،

(١) فى «ك»: الطوال.

(٢) فى «ك»: ثنتان.

(٣) رواه البخارى (١٣/ ٥١٠ رقم٧٥٢٧) من حديث أبى هريرة. ورواه أبو داود (٢/ ٧٤ رقم١٤٦٩)، وأحمد (١/ ١٧٥)، وابن حبان ـ الإحسان ـ (١/ ٣٢٧ رقم١٢٠)، والحاكم (١/ ٥٦٩) من حديث سعد بن أبى وقاص، وقال الحاكم: صحيح الإسناد.

(٤) رواه ابن عدى فى الكامل (٢/ ٣٧٨) فى ترجمة حمزة بن أبى حمزة النصيبى، من حديث ابن مسعود، وروى له حديثا آخر مع هذا ثم قال: وهذان الحديثان عن زيد بن رفيع، ليس يرويهما غير حمزة هذا، ولحمزة أحاديث صالحة، وكل مايرويه أو عامته مناكير موضوعة، والبلاء منه ليس ممن يروى عنه، ولا ممن يروى هو عنهم. وروى من حديث عبد الله بن عمرو، رواه إسحاق بن راهويه ومن طريقه رواه الطبرانى فى معجمه، كما فى تخريج الكشاف للزيلعى (٢/ ٢١٧ ـ ٢١٨).

تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَا

وفى بعض التفاسير عن أبى رافع: «أن رسول الله ﷺ أتاه ضيف فلم يك عنده ما يقدمه إليه؛ فبعث إلى يهودى يستقرض منه طعاما إلى هلال رجب، فقال اليهودى: والله لا أعطينه إلا برهن، فقال رسول الله ﷺ: أنا أمين الله فى السماء والأرض، ولو باعنى أو أسلفنى لقضيته ثم بعث بدرعه فرهنها منه؛ فأنزل الله تعالى: ﴿لاتمدن عينيك إلى ما متعنا به﴾(١)

وقوله: ﴿ واخفض جناحك للمؤمنين﴾ أى: ألن جانبك للمؤمنين.

وقوله تعالى: ﴿وقل إنى أنا النذير المبين﴾ للحق(٢).

قوله تعالى: ﴿كما أنزلنا على المقتسمين﴾ فإن قال قائل: ما معنى الكاف هاهنا، وهى للتشبيه؟ والجواب عنه: أن معناه أنذركم عذابا ينزل بكم، كما أنزلنا على المقتسمين من العذاب، ويقال: إن الكاف صلة، ومعناه: وقل إنى أنا النذير المبين ما أنزلنا على المقتسمين.

وأما معنى المقتسمين فيه أقوال: أحدها: أنهم اليهود والنصارى، ومعنى الاقتسام منهم أنهم آمنوا ببعض الكتب وكفروا بالبعض، وهذا قول ابن عباس.

والقول الثانى: أنهم قريش، ومعنى الاقتسام أنهم فرقوا القول فى رسول الله ﷺ فقال بعضهم: هو كاهن، وقال بعضهم: هو ساحر، وبعضهم: هو شاعر.

والقول الثالث: ذكر الفراء أن أهل مكة بعثوا بقوم فى طرق الواردين إلى مكة أيام الموسم حتى يقولوا لمن لقيهم من الواردين إلى مكة: لاتقربوا محمداً، وكانوا يسألونهم عن حاله؛ فيقول بعضهم: هو كاهن، ويقول بعضهم: هو مجنون، ويقول

---

(١) رواه الطبرى (١٦/ ١٦٩)، والطبرانى فى الكبير (١/ ٣٣١ رقم٩٨٩) والواحدى فى أسباب النزول (ص٢٢٩). وقال الهيثمى فى المجمع (٤/ ١٢٩): رواه الطبرانى فى الكبير، والبزار، وفيه موسى بن عبيدة الربذى، وهو متروك.

(٢) كذا فى «الأصل وك»، ولعلها: للخلق.

جنة السنة

بعضهم: هو ساحر، وبعضهم يقول: هو شاعر، ومعنى الاقتسام: أنهم اقتسموا طرق مكة، وهذا قول معروف ذكره مجاهد وقتادة وغيرهما.

وقوله: ﴿الذين جعلوا القرآن عضين﴾ قال أبو عبيدة: عضين مأخوذ من الإعضاء، (وزعم)(١) الفراء: أنه من العضاة. وقال الكسائي: يجوز أن يكون منهما، ومعنى الآية أنهم جعلوا القرآن أبعاضًا وأجزاءً، فقال بعضهم: إنه أساطير الأولين، وقال بعضهم: إنه كهانة، وما أشبه هذا.

وفي الآية قول آخر: وهو أن معنى قوله: ﴿عضين﴾ يعني: سموه سحرًا، والعضة هي السحر، فتكون العضة والعضين بمعنى واحد، مثل عزة وعزين، قال الشاعر:

وليس دين الله بالمعضى

أي: بالمتفرق.

قوله تعالى: ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون﴾ روى أنس عن النبي ﷺ أنه قال: «هو قول لا إله إلا الله»(٢)، وعن أبي العالية الرياحي قال: إن جميع (الخلق)(٣) يسألون عن شيئين: عن التوحيد، وعن إجابة المرسلين. وقيل: إن معنى قوله: ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون﴾ يعني: جميع الأعمال التي يعملونها الداخلة تحت التكليف.

قوله تعالى: [﴿فاصدع بما تؤمر﴾](٤) قال القتيبي معناه: اظهر بما تؤمر، وأَبِنْ

---

(١) في «ك»: وذكر.

(٢) رواه الترمذي (٥/٢٧٨ رقم٣١٢٦)، والطبري (١٤/٤٦)، والطبراني في الدعاء (٣/١٤٩٣-١٤٩٤/رقم ١٤٩١، ١٤٩٢، ١٤٩٣). وقال الترمذي: هذا حديث غريب، إنما نعرفه من حديث ليث بن أبي سليم، وقد روى عبد الله بن أدريس، عن ليث بن أبي سليم، عن بشر، عن أنس نحوه، ولم يرفعه.

(٣) في «ك»: الخلائق.

(٤) ليس في «الأصل وك».

أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾

غير مراقب لأحد، وقد كان رسول الله ﷺ مختفيًا إلى [أن][1] أنزل الله تعالى هذه الآية، وأمره بالظهور، وقال بعضهم: معنى قوله: ﴿ فاصدع بما تؤمر ﴾ أى: أفرق بالقرآن بين الحق والباطل، وذكر مجاهد أن معنى قوله: ﴿ فاصدع ﴾ أى: اجهر بالقرآن، وقد كان يقرأ (مُسِرًّا)[2] خوفًا من المشركين؛ فأمره الله تعالى بالجهر وألا يبالى بهم.

والصدع فى اللغة مأخوذ من الظهور، ومنه الصديع اسم للصبح، قال الشاعر:

كأنهن ربابة وكأنه ... يَسَرٌ يفيض على القداح ويصدع

قوله تعالى: ﴿ وأعرض عن المشركين ﴾ أى: عن جوابهم؛ لأن السفيه لايسافه معه إلا سفيه.

قوله تعالى: ﴿ إنا كفيناك المستهزئين ﴾ قال ابن عباس: المستهزئون خمسة نفر: وهم الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، والأسود بن عبد يغوث، والأسود بن المطلب، وعدى بن قيس، وقد ضم بعضهم إلى هؤلاء الحارث بن الطلاطلة، والحارث بن غيطلة، والمروى عن ابن عباس ما بينا، فروى: «أن جبريل كان واقفًا مع النبى ﷺ فمرَّ بهما هؤلاء القوم رجلا رجلا، وكان جبريل يقول للنبى ﷺ: ما قولك فى هذا

(١) من «ك».

(٢) فى «ك»: سِرًّا.

﴿الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ

لرجل؟ فيقول النبى ﷺ: بئس عبد الله هذا، فيقول جبريل: كفيناكه فهلكوا، أما الوليد بن المغيرة فمرّ بسهم فتعلق بردائه فذهب يجلس فقطع أكحله فنزف فمات، وأما العاص بن وائل فمرّ على شوكة فخدشت ساقه، فتساقط من ذلك لحمه ومات، وأما الأسود بن عبد يغوث فضُرِب بغصن من شوك على وجهه فسالت حدقتاه ومات، وجعل يقول: استجيبت فىّ دعوة محمد، وأما عدى بن قيس، والأسود بن المطلب، فإن أحدهما قام من الليل فلسعته حية فمات، وأما الآخر فأصابه عطش، فمازال يشرب حتى انشقّ بطنه وهلك»(١)؛ فهذا هو معنى كفاية المستهزئين.

قوله تعالى: ﴿الذين يجعلون مع الله إلهًا آخر﴾ وصفهم بالشرك وعبادة الأوثان. وقوله: ﴿فسوف يعلمون﴾ تهديد ووعيد.

قوله تعالى: ﴿ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون﴾ فهذا تسلية [للنبى](٢) ﷺ، قد روى فى بعض التفاسير: أن الله تعالى لما أنزل فى القرآن سورة العنكبوت وسورة النمل وسورة الذباب وسورة النحل، وكانوا يجتمعون ويقولون

---

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط - كما فى مجمع البحرين - (٦/ ٤٦-٤٧رقم٣٣٥٤)، والبيهقى فى الدلائل (٢/ ٣١٦-٣١٨)، وأبو القاسم الأصبهانى فى الدلائل (٢/ ٥٥٤-٥٥٨رقم٥٨)، وقال الهيثمى فى المجمع (٧/ ٥٠): رواه الطبرانى فى الأوسط، وفيه محمد بن الحكيم النيسابورى، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.

(٢) فى «الأصل»: النبى. والمثبت من «ك».

جنة السنة

﴿ الْيَقِينُ (٩٩) ﴾

استهزاء: يقول هذا إلى سورة النمل، ويقول هذا إلى سورة الذباب، ويقول هذا إلى سورة العنكبوت، ويقول هذا إلى سورة النحل، وما أشبه ذلك؛ فأنزل الله تعالى ﴿ولقد نعلم أنه يضيق صدرك بما يقولون﴾ وهذا هو الاستهزاء المذكور فى الآية المتقدمة.

وقوله: ﴿فسبح بحمد ربك﴾ والتسبيح: هو الثناء على الله بالتبرئة والتنزيه من العيوب، وقيل: فصلِّ بأمر ربك، وفى رواية عائشة – رضى الله عنها –: «أن النبى ﷺ كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة»(١). وقوله: ﴿وكن من الساجدين﴾ أى: من المصلين. قوله تعالى: ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ أى: الموت.

فإن قال قائل: أما كان يكفى قوله: ﴿واعبد ربك﴾ فما فائدة قوله: ﴿حتى يأتيك اليقين﴾؟.

قلنا: لو اقتصر على قوله: ﴿واعبد ربك﴾ لكان إذا عبد مرة خرج عن موجب الأمر، فقال: ﴿حتى يأتيك اليقين﴾ ليدوم عليها إلى أن يموت، وهذه الآية فى معنى الآية التى ذكرها من بعد، وهى فى مريم، وهى قوله تعالى: ﴿وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا﴾(٢).

(١) رواه أبو داود (٢/٣٥رقم١٣١٩)، وأحمد (٥/٣٨٨)، والطبرى (١/٢٠٥)، والخطيب فى تاريخه (٦/٢٧٤) كلهم من حديث حذيفة. ولم أجده من حديث عائشة.

(٢) مريم: ٣١.

وفى الأخبار المسندة برواية جبير بن نفير عن النبى ﷺ أنه قال: «ما أمرنى الله بجمع المال، وأن أكون من التاجرين، ولكن أمرنى بالصلاة، وأن أكون من الساجدين، وأن أعبد ربى حتى يأتينى اليقين»(١).

(١) رواه أبو نعيم فى الحلية (٢/١٣١) من طريق جبير بن نفير عن أبى مسلم الخولانى عن النبى ﷺ مرسلا، وعزاه السيوطى فى الدر (٤/١٢٢) لسعيد بن منصور، وابن المنذر، والحاكم فى تاريخه، وابن مردويه، والديلمى، عن أبى مسلم الخولانى مرسلا. وأخرجه ابن عدى فى الكامل (٥/٢٥٧)، ومن طريقه أخرجه السهمى فى تاريخ جرجان (ص٣٤٢) من حديث ابن مسعود مرفوعًا. وعزاه السيوطى (٤/١٢٢) لابن مردويه أيضًا. ورواه ابن عدى أيضًا (٣/٦٩) من حديث أبى الدرداء.

جنة السنة

بسم الله الرحمن الرحيم

أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ

تفسير سورة النحل

وهى مكية سوى ثلاث آيات من آخرها، وهى قوله تعالى: ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به﴾(١) إلى آخر السورة، وقيل: إن قوله: ﴿ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد فتنوا﴾(٢) الآية مدنية أيضًا، وهذه السورة تسمى سورة النعم، وقيل: سورة الآلاء.

قوله تعالى: ﴿أتى أمر الله﴾ أى: دنا وقرب، كالرجل يقول لغيره: أتاك الخبر، أو أتاك الغوث إذا دنى منه، ويقال: إن معناه سيأتى أمر الله، وهذا مثل ما يقول القائل: إذا أكرمتنى أكرمتك أى: أكرمك. واختلفوا فى معنى قوله: ﴿أمر الله﴾ فالأكثرون على أن المراد منه عقوبته وعذابه للمكذبين الجاحدين.

والقول الثانى: أن المراد من أمر الله هو الفرائض والأحكام، ذكره الضحاك، وهذا قول ضعيف. وزعم الكلبى وغيره أن المراد منه القيامة.

وقوله: ﴿فلا تستعجلوه﴾ الاستعجال طلب الشيء قبل حينه، ومعناه: لاتطلبوه قبل وقته، وروى عن أبى بكر الصديق - رضى الله عنه - أنه قال: لما نزل قوله: ﴿أتى أمر الله﴾ رفع الكفار رءوسهم، وظنوا أنها قد أتت حقيقة، فلما قال: ﴿فلا تستعجلوه﴾ خفضوا رءوسهم. وفى بعض الأخبار: «أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿أتى أمر الله﴾ قام رسول الله ﷺ فزعًا، فقال جبريل: فلا تستعجلوه»(٣)، قد ذكره مقاتل فى تفسيره.

وقوله: ﴿سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ معناه: تعاظم بالأوصاف الحميدة عما يصفه به (المشركون)(٤). قوله تعالى: ﴿ينزل الملائكة بالروح من أمره﴾ روى

(١) النحل: ١٢٦.
(٢) النحل: ١١٠
(٣) عزاه السيوطى فى الدر (٤/ ١٢٣) لابن مردويه، عن ابن عباس.
(٤) فى «ك»: المشركين، وهو خطأ.

مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ

مجاهد عن ابن عباس: أن الروح خلق من خلق الله تعالى على صور بنى آدم، وليسوا بالملائكة، لاينزل الله ملكًا إلا ومعه روح، والقول الثانى: أن الروح هو الوحى؛ لأنه تقع به حياة القلوب، كالروح تقع بها حياة الأبدان، وقيل: إنها النبوة، وقيل: إنها الرحمة.

وقوله: ﴿على من يشاء من عباده﴾ يعنى: من النبيين والمرسلين.

وقوله: ﴿أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون﴾ معناه: مُرُوهم بقول لا إله إلا الله منذرين ومخوفين لهم بالعذاب؛ يقولوا أو لم يقولوا. فقوله: ﴿فاتقون﴾ أى: فخافون.

قوله تعالى: ﴿خلق السموات والأرض بالحق﴾ أى: لإظهار الحق. وقوله تعالى: ﴿تعالى عما يشركون﴾ أى: ارتفع عما يشركون.

قوله تعالى: ﴿خلق الإنسان من نطفة﴾ يقال: إنه نزلت هذه الآية فى أُبىّ بن خلف، والصحيح أنها عامة فى الكل. وقوله: ﴿من نطفة فإذا هو خصيم مبين﴾ أى: مخاصم مفصح عما فى ضميره بالخصومة، والخصومة: قد تكون حسنة، وقد تكون قبيحة؛ فالحسن منها ما كان لإظهار الحق، والقبيح ما كان لدفع الحق، ومعنى الآية بيان القدرة، و هى أن الله تعالى خلق النطفة من كائن بهذه الحالة، وقيل: إن المراد من الآية بيان النعمة، وقيل: إن المراد من الآية كشف قبيح ما فعلوا من جحدهم نعمة الله مع ظهورها عليهم.

قوله تعالى: ﴿والأنعام خلقها لكم فيها دفءٌ﴾ الدفء هو الحر المعتدل الذى يكون فى بدن الإنسان من الدِّثار. وأما معنى الآية: قال ابن عباس: الدفء هو اللبأس، وقال قتادة: ما يستدفأ به من الأصواف والأوبار، وما أشبه ذلك.

وقال بعضهم: الدفء هو النسل، وذكر الآمدى أن هذا من كلام العرب.

فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ

وقوله: ﴿ومنافع﴾ المنافع هى الركوب والنتاج، وسائر ما ينتفع به. وقوله: ﴿ومنها تأكلون﴾ هو التناول من لحمها ولبنها.

قوله تعالى: ﴿ولكم فيها جمال﴾ أى: زينة، قال السدى: الجمال: أنها إذا خرجت ورُئِيَتْ قيل: هذه إبل فلان.

وإنما خصّ [بقوله](١): ﴿حين تريحون وحين تسرحون﴾ الرواح فى الأنعام هو إذا جاءت من مراعيها إلى أفنية مُلاكها عشيا، والسراح هو إذا خرجت من الأفنية إلى المراعى بكرة؛ فإن قال قائل: لم قدم الرواح، والسراح هو المقدم؟ قلنا: لأن المالك يكون أعجب بها إذا راحت؛ ولأن المنافع منها إنما تؤخذ بعد الرواح.

وقوله: ﴿وتحمل أثقالكم﴾ الثقل: هو المتاع الذى يثقل حمله. وقوله: ﴿إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بِشِقِّ الأنفس﴾ أى: بجهد الأنفس ومشقتها، وقرئ: «بِشَقِّ الأنفس». واختلفوا فى البلد المذكور، قال بعضهم: هى مكة، وقال بعضهم: أى بلد كان فى العالم، فإن قال قائل: أى مشقة فى أن يركب دابة وطية ويسير عليها من بلد إلى بلد مع الزاد التام وأمن الطريق؟

والجواب: أن السفر لايخلو عن مشقة فى الجملة، والثانى: أن معنى الآية لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس، لولا هذه الدواب.

وقوله: ﴿إن ربكم لرءُوفٌ رحيم﴾ ظاهر المعنى. قوله تعالى: ﴿والخيل والبغال والحمير﴾ الآية حكى أنّ أبا عمرو بن العلاء سئل: لم سميت الخيل خيلا؟ فلم يذكر شيئًا، وكان ثمّ أعرابى حاضرا، فقال: سميت الخيل خيلا لاختيالها.

وقوله: ﴿لتركبوها﴾ زعم بعضهم أن ركوب الحمر الغرّة الحسان أبلغ فى الزينة من الخيل والبغال؛ لأن الله تعالى قال: ﴿لتركبوها وزينة﴾ عقيب ذكر الحمر، وهذا

(١) فى «الأصل وك»: وقوله: والمثبت يقتضيه السياق.

لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾

كقوله تعالى: ﴿ قالوا ادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها ﴾[١] دلَّ أن البصل أرذل من هذه الأشياء حيث ذكر قوله: ﴿ أتستبدلون الذى هو أدنى ﴾[١] عقيب ذكر البصل، وقيل: شرُّ الحمر الأسود القصير.

والأولى أن يقال: إن الجمال فى الخيل أكثر للحسن والعيان؛ ولأن الله تعالى بدأ بها بالذكر.

وقيل لخالد بن صفوان: مالك لاتركب الحمر؟ قال: هى بطيئة الغوث كثيرة الروث، إذا سار أبطأ وإذا وقف أدلى. ورُؤى مرة على حمار؛ فسئل عن ذلك فقال: أدب عليه دبيبًا، وألقى عليه حبيبا، ويمنعنى أن أكون جبارًا عنيدًا.

وقد ثبت أن رسول الله ﷺ ركب الفرس[٢] والبغل[٣] والحمار[٤]. وفى الآثار: أن الأنبياء من بنى إسرائيل كانوا يركبون الأُتُنَ. وعن ابن عباس أنه كره لحم الخيل؛ قال: لأن الله تعالى قال: ﴿ لتركبوها وزينة ﴾. وقد ثبت برواية جابر أن النبى ﷺ أذن فى لحوم الخيل»[٥]، وثبت أيضًا عن أسماء بنت أبى بكر الصديق أنها قالت: «أكلنا لحم فرس على عهد رسول الله ﷺ»[٦] فالأولى هو الإباحة، وعليه أكثر أهل العلم.

وقوله: ﴿ ويخلق ما لاتعلمون ﴾ قيل معناه: ويخلق ما لايخطر ببال أحد،

(١) البقرة: ٦١.

(٢) أما ركوبه الفرس، فمتفق عليه من حديث أنس، رواه البخارى (٥/ ٢٨٤ – ٢٨٥رقم ٢٦٢٧)، ومسلم (١٥/ ٩٧–٩٨رقم٢٣٠٧).

(٣) وركوبه البغل متفق عليه أيضًا من حديث البراء فى غزوة حنين، رواه البخارى (٦/ ٨١ رقم ٢٨٦٤) ومسلم (١٢/ ١٦٥–١٧٠رقم١٧٧٦).

(٤) وأما ركوبه الحمار فمتفق عليه أيضًا من حديث معاذ فى حق الله على العباد، رواه البخارى (٣/ ٣٥٩ – ٣٦٠رقم٧٣٧٣)، ومسلم (١/ ٣١٥ – ٣٢٠رقم٣٠).

(٥) متفق عليه، رواه البخارى (٩/ ٥٦٥رقم٥٥٢٠)، ومسلم (١٣/ ١٤٠–١٤١رقم١٩٤١).

(٦) متفق عليه، رواه البخارى (٩/ ٥٦٥ رقم٥٥١٩)، ومسلم (١٣/ ١٤٢ رقم ١٩٤٢).

جنة السنة

وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ

والإنسان قَلَّ ما يخلو فى يوم وليلة أن يرى شيئًا من خلق الله تعالى لم يره من قبل. وروى ابن السدى عن أبيه أن معنى قوله: ﴿ويخلق ما لاتعلمون﴾ أى: السوس فى النبات والحبوب. وفى بعض التفاسير: أن النبى ﷺ قال فى هذه الآية: «إن لله تعالى أرضا بيضاء خلقها، ومسافتها قدر مسيرة الشمس ثلاثين ليلة، وقد ملأها من خلق لم يعصوا الله طرفة عين؛ فقيل له: أهم من بنى آدم؟

فقال: إنهم لايعلمون أن الله تعالى خلق آدم، فقيل له: فكيف لايفتنهم إبليس؟

قال: إنهم لايعلمون أن لله فى خلقه إبليس»(١) وهذا خبر غريب، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿وعلى الله قصد السبيل﴾ قيل معناه: وعلى الله بيان الهدى من الضلالة، وقيل: بيان الحق بالآيات والبراهين، وهذا بحكم الوعد، ويقال: وعلى الله قصد السبيل أى: على الله الحكم بالعدل بين الخلق.

وقوله: ﴿ومنها جائر﴾ معناه: ومن السبيل جائر، وقرأ على وابن مسعود: «ومنكم جائر». أى: عادل عن الحق، قال الشاعر:

لما خلطت دماؤنا بدمائهم ... وقف الثقال بها (وجار)(٢) العادل

الثقال: البطر.

وقوله: ﴿ولو شاء لهداكم أجمعين﴾ ظاهر المعنى، وفيه رد على القدرية.

قوله تعالى: ﴿هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب﴾ أى: لكم منه ما تشربون.

وقوله: ﴿ومنه شجر فيه تسيمون﴾ أى: تسيمون المواشى فيها، والإسامة هى

---

(١) رواه بنحوه أبو الشيخ فى العظمة (ص٣٢٤ - ٣٢٥ رقم ٩٥٧)، وفى إسناده مسلمة بن على الخشنى، وهو متروك.

(٢) فى «ك»: وصار.

وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا

تخلية المواشى للرعى.

وقوله تعالى: ﴿ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون﴾ الآية. ظاهر المعنى.

وقوله تعالى: ﴿وسخر لكم الليل والنهار﴾ أى: ذلل لكم الليل والنهار، وقيل: سخر ضوء الشمس بالنهار ونور القمر بالليل.

وقوله: ﴿والنجوم مسخرات بأمره﴾ أى: مذللات بأمره. وقوله: ﴿إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾ ظاهر المعنى.

﴿وما ذرأ لكم فى الأرض﴾ أى: ما خلق لكم فى الأرض. وقوله: ﴿مختلفا **ألوانه**﴾ أى: صورته وهيئته. وقوله: ﴿إن فى ذلك لآية لقوم يذكرون﴾ أى: يعتبرون.

قوله تعالى: ﴿وهو الذى سخر البحر﴾ أى: ذلل البحر ﴿لتأكلوا منه لحمًا طريًا﴾ أى: السمك. وقوله: ﴿وتستخرجوا منه حلية تلبسونها﴾ يعنى: دُرًّا تتخذون منه لباسًا للتحلى.

وقوله: ﴿وترى الفلك مواخر فيه﴾ قال الحسن البصرى: مواقر - أى مملوءة - ويقال: مواخر أى: مقبلة مدبرة بريح واحدة، والمخر هو الشق، والسفينة تمخر الماء أى: تشقه، وفى الخبر أن النبى ﷺ قال: «إذا أراد أحدكم البول فليتمخر الريح»[1] أى:

(١) عزاه الحافظ فى تلخيص الحبير (١ / ١٨٩) لأبى عبيد فى غريبه، عن واصل مولى أبى عيينة قال: كان يقال به. وروى ابن أبى حاتم فى العلل (١ / ٣٦-٣٧ رقم٧٥) عن سراقة بن مالك، رفعه «إذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ... واستمخروا الريح ...» ونقل عن أبيه أنه قال: إنما يروونه موقوفًا، وأسنده عبد الرزاق بأخره.

جنة السنة

وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ

لينظر موضع هبوبها فليستدبرها، والمخر: صوت هبوب الريح عند شدتها.

وقوله: ﴿ولتبتغوا من فضله﴾ يعنى: للتجارة. وقوله: ﴿ولعلكم تشكرون﴾ يعنى: إذا رأيتم صنع الله فيما سخر لكم، وروى أن عمر - رضى الله عنه - كتب إلى عمرو بن العاص يسأله عن البحر؛ فقال: خلق عظيم يركبه خلق ضعيف، دود على عود، ليس إلا السماء والماء، إن مال غرق، وإن نجا برق، أى: دهش وتحير.

قوله تعالى: ﴿وألقى فى الأرض رواسى﴾ أى: جبالا ثوابت، وفى الآثار: أن الله تعالى لما خلق الأرض كانت تكفأ؛ فقالت الملائكة: إن هذه غير مقرة على ظهرها أحد؛ فأصبحوا وقد خلق الجبال فاستقرت وثبتت.

وقوله: ﴿أن تميد بكم﴾ أى: أن تميل بكم. وقوله: ﴿وأنهارا وسبلا﴾ يعنى: طرائق. وقوله: ﴿لعلكم تهتدون﴾ أى: لعلكم تهتدون بالطريق والجبال.

وقوله: ﴿وعلامات﴾ أى: ودلالات، وقيل: إن هذه العلامات هى الجبال. وقوله: ﴿وبالنجم هم يهتدون﴾ قال الفراء: بالجُدَّى والفرقدين، وقيل: وبالنجوم هم يهتدون، وعن قتادة قال: خلق الله النجوم لثلاثة أشياء: لزينة السماء الدنيا، ولرجم الشياطين، وليهتدى بها فى البحر والبر، فمن طلب منها علمًا غير هذا فقد أخطأ، وهذه الأشياء الثلاثة مذكورة فى القرآن.

قوله تعالى: ﴿أفمن يخلق كمن لايخلق﴾ قيل: أفمن ينعم كمن لاينعم. وقوله: ﴿أفلا تذكرون﴾ أى: أفلا تعتبرون.

قوله تعالى: ﴿وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها﴾ أى: تطيقوا عدها، وقيل: لاتطيقوا شكرها. وقوله: ﴿إن الله لغفور رحيم﴾ ظاهر المعنى.

يَدْعُونَ من دُونِ اللَّهِ لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ

قوله تعالى: ﴿والله يعلم ما تسرون وما تعلنون والذين يدعون من دون الله لايخلقون شيئًا﴾ أراد به الأصنام. وقوله: ﴿وهم يخلقون﴾ معناه: أن المخلوق لايكون إلها.

قوله تعالى: ﴿أموات غير أحياء﴾ فإن قيل: الصنم كيف يكون ميتًا ولم يكن حيا قط؟ الجواب: أن معناه: أنها كالأموات فى أنها لاتعقل.

وقوله: ﴿غير أحياء﴾ تأكيد للأول. وقوله: ﴿وما يشعرون أيان يبعثون﴾ أى: متى يبعثون؟ فإن قيل: هل للأصنام بعث؟ والجواب: أنه قد ذكر فى بعض التفاسير: أن الأصنام تبعث، وتجعل فيها الحياة، وتتبرأ من عابديها، وقد دلَّ على هذا القرآن فى مواضع، وقيل فى معنى الآية: وما تشعر الأصنام متى يبعث الكفار؟ وفى الآية قول ثالث: وهو أن معناها: وما يشعر الكفار متى يبعثون؟.

قوله تعالى: ﴿إلهكم إله واحد فالذين لايؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة﴾ أى: جاحدة، وهذا دليل على أن العبرة بجحد القلب وإنكاره.

وقوله: ﴿وهم مستكبرون﴾ أى: متكبرون، ويقال: إنه لاينكر الدين إلا متكبر.

قال الله تعالى: ﴿إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون﴾[(١)] وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «لايدخل الجنة أحد فى قلبه ذرة من كبر»[(٢)].

قوله تعالى: ﴿لاجرم﴾ معناه: حقًا ﴿أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه

(١) الصافات: ٣٥.

(٢) رواه مسلم (٢/١١٨ - ١١٩ رقم ٩١)، وأبو داود (٤/٥٩ رقم ٤٠٩١)، والترمذى (٤/٣١٧ - ٣١٨ رقم ١٩٩٨، ١٩٩٩) وقال: حسن صحيح - وزاد فى الموضع الثانى: غريب - وابن ماجة (٢/١٣٩٧ رقم ٤١٧٣)، وأحمد (١/٤١٢ و ٤١٦ و ٤٥١) وابن حبان (١/٤٦٠ رقم ٢٢٤)، والحاكم (١/٢٦) جميعهم من حديث ابن مسعود مرفوعًا بنحوه.

وقال الترمذى: وفى الباب عن أبى هريرة وابن عباس وسلمة بن الأكوع وأبى سعيد.

وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾

لايحب المستكبرين﴾ أى: المتكبرين.

قوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم﴾ معناه: وإذا قيل للكفار الذين تقدم ذكرهم: «ماذا أنزل ربكم»؟ ما الذى أنزل ربكم؟

وقوله: ﴿قالوا أساطير الأولين﴾ يعنى: أكاذيب الأولين، والأساطير واحدها أسطورة، وقيل: أقاصيص الأولين.

وقوله: ﴿وليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة﴾ الأوزار هى الذنوب.

وقوله: ﴿كاملة﴾ إنما ذكر الكمال؛ لأن البلايا والمحن التى تلحقهم فى الدنيا لاتكفر عنهم شيئًا، وكذلك ما يفعلونه بنية الحسنات.

وقوله: ﴿ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم﴾ ومن ذنوب الذين يضلونهم، وهم الأتباع.

فإن قال قائل: كيف يحملون أوزار الأتباع، والله تعالى يقول: ﴿ولاتزر وازرة وزر أخرى﴾(١)؟ والجواب عنه: يحملوا ذنوبهم بحكم الإغواء والدعاء إلى الضلال؛ فإنه روى عن النبى ﷺ أنه قال: «أيما داع دعا إلى الهدى (فاتبع)(٢)؛ فله أجره وأجر من عمل به إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أجورهم شيء، وأيما داع دعا إلى ضلالة فاتبع فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»(٣).

---

(١) الأنعام: ١٦٤، الإسراء: ١٥، فاطر: ١٨، الزمر: ٧.

(٢) ليست فى «ك».

(٣) رواه الطبرى فى تفسيره (١٤/ ٦٦) عن الربيع بن أنس مرسلاً، وعزاه السيوطى فى الدر (٤/ ١٣٠) لابن أبى حاتم أيضًا. وروى بنحوه من حديث أبى هريرة؛ رواه مسلم فى صحيحه (١٦/ ٣٤٧ رقم٢٦٧٤)، والترمذى (٥/ ٤٢ رقم ٢٦٧٤)، وابن ماجة (١/ ٧٥/ رقم٢٠٦)، وأحمد (٢/ ٣٩٧).

جنة السنة

وقوله: ﴿بغير علم﴾ معناه: أنهم رجعوا إلى محض التقليد من غير دليل، ومنهم من قال معناه: أنهم دعوهم إلى الضلال من غير حجة. وقوله: ﴿ألا ساء ما يزرون﴾ معناه: ألا بئس ما يحملون من الذنوب.

قوله تعالى: ﴿قد مكر الذين من قبلهم﴾ معناه: قد أشرك الذين من قبلهم، وقيل: المكر هو التدبير الفاسد.

وقوله: ﴿فأتى الله بنيانهم من القواعد﴾ وهذا مذكور على طريق التمثيل، يعنى: قلع الله مكرهم من أصله، وردّ وبال مكرهم وضرره عليهم، وإلا فليس ثم بنيان ولا أساس ولا سقف.

والقول الثانى فى الآية: أن الآية نزلت فى نمروذ بن كنعان لما بنى الصرح ليصعد إلى السماء، وفى القصة: أنه بنى قصراً طوله فى السماء فرسخان، وقيل: كان خمسة آلاف ذراع وزيادة شيء، وعرضه ثلاثة الاف ذراع؛ فبعث الله جبريل – عليه السلام – فرمى برأسه فى البحر، ثم خرّب الباقى؛ فسقط عليهم وهم تحته، فهذا معنى قوله: ﴿فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم﴾ وهذا محكى عن ابن عباس – رضى الله عنهما – .

فإن قيل: قال: ﴿فخر عليهم السقف من فوقهم﴾ فأيش معنى قوله: ﴿من فوقهم﴾ وقد فهم المعنى بقوله: ﴿فخرّ عليهم السقف﴾؟ والجواب: أن ذلك مذكور على طريق التأكيد مثل قوله تعالى: ﴿يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم﴾(١)، ومثل قوله: ﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم﴾(٢).

جواب آخر ذكره ابن الأنبارى وغيره: أن العرب تقول: خرّ على فلان بيوته، إذا سقطت، وإن لم يكن تحتها، فإذا قالت: خرّ على فلان بيته من فوقه يفهم أنه كان

(١) آل عمران: ١٦٧.

(٢) البقرة: ٧٩.

وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ

تحته. وقوله: ﴿وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون﴾ معناه: من الجهة التى كانوا آمنين منها. قوله تعالى: ﴿ثم يوم القيامة يخزيهم﴾ يعنى: يذلهم ويهينهم فيها. وقوله: ﴿ويقول أين شركاءى الذين كنتم تشاقون فيهم﴾ أى: تعادون المؤمنين فيهم.

فإن قيل: أين شركائى؟ وليس لله شريك، فكيف معنى الآية؟ والجواب أن معناها: أين شكائى فى زعمكم؟! ومنهم من قال: أين الذين كنتم تدعونهم شركاء؟!

وقوله: ﴿قال الذين أوتوا العلم﴾ يعنى: المؤمنين.

وقوله: ﴿إن الخزى اليوم والسوء على الكافرين﴾ معناه: أن العذاب اليوم والهوان على الكافرين.

قوله تعالى: ﴿الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم﴾ قال أهل التفسير: هذه نزلت فى قوم أسلموا بمكة، فلما هاجر النبى ﷺ لم يهاجروا، ثم إن المشركين لما هاجروا إلى بدر أخرجوهم مع أنفسهم، فلما رأوا النبى ﷺ وقلة من معه ظنوا أنهم يهلكوا على أيدى المشركين، فمكثوا مع الكفار فقتلوا يومئذ فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية: ﴿الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم﴾ معناه: فى حال ظلمهم أنفسهم بتركهم المهاجرة مع النبى ﷺ وخروجهم مع الكفار.

قوله: ﴿فألقوا السلم﴾ أى: استسلموا وانقادوا لملك الموت.

وقوله: ﴿ما كنا نعمل من سوء﴾ أى: ما كنا مشركين. وقوله: ﴿بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون﴾ معناه: أن الله عليم بأنكم عملتم عمل الكفار - وعمل الكفار هو ترك المهاجرة والخروج مع المشركين - وقد كان فى ابتداء الإسلام لا يقبل

اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي

الإسلام إلا مع الهجرة، فهؤلاء أسلموا ولم يهاجروا، فلم يقبل إسلامهم.

وقوله: ﴿فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها﴾ أي: مقيمين دائمين فيها، وهاهنا إضمار، وهو أنه يقال لهم: ادخلوا أبواب جهنم. وقوله: ﴿فلبئس مثوى المتكبرين﴾ يعنى: منزل الكافرين.

قوله تعالى: ﴿وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم﴾ فإن قيل: قد قال من قبل: ﴿وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطيرُ الأولين﴾(١) بالرفع وقال هاهنا: ﴿ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً﴾ بالنصب، فكيف وجه الآيتين؟

والجواب: أن معنى قوله: ﴿أساطيرُ الأولين﴾ أى: المنزل أساطيرُ الأولين، وقوله: ﴿قالوا خيراً﴾ معناه: أنزل ربنا خيراً. وقوله: ﴿للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة﴾ إحسانهم هو قول: لا إله إلا الله، وقوله: ﴿حسنة﴾ اختلف القول فيها:

قال ابن عباس: هى تضعيف الأجر إلى العشر فما زاد، وقال الضحاك: الحسنة هو النصر والفتح، وقال مجاهد: هو الرزق الحسن، وقال غيره: ما فتح الله على المسلمين من البلدان، وأفاء عليهم من الغنائم.

وقوله: ﴿ولدار الآخرة خير﴾ معناه: ولحال دار الآخرة خير.

وقوله: ﴿ولنعم دار المتقين﴾ أكثر المفسرين على أن المراد [منها](٢) الجنة، وروى عن الحسن البصرى أنه قال: هى الدنيا، والدنيا دار المتقين، ومنها يتزود إلى الآخرة، [و] فيها يُطلب رضا الله تعالى، وروى عن عمر - رضى الله عنه - أنه كان إذا فرق العطايا بين المهاجرين والأنصار قال: هذا لكم فى الدنيا وما ادخر الله لكم فى الآخرة.

---

(١) النحل: ٢٤.

(٢) فى «الأصل وك»: منه.

مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ

قوله تعالى: ﴿جنات عدن يدخلونها تجرى من تحتها الأنهار لهم فيها مايشاءون كذلك يجزى الله المتقين﴾ ظاهر.

قوله تعالى: ﴿الذين تتوفاهم الملائكة طيبين﴾ يعنى: طاهرين زاكين من الشرك، وقيل: معناه: أن وفاتهم تقع طيبة سهلة.

قوله: ﴿يقولون سلام عليكم﴾ يقال: إن المراد منه تسليم الملائكة، يبلغون سلام الله إليهم، وفى الأخبار: «أنهم يقولون لكل واحد منهم: السلام عليك يا ولى الله».(١) وعن ابن عباس – رضى الله عنهما –: أن الميت المؤمن يزف إلى الله كما تزف العروس. وقوله: ﴿ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون﴾ يعنى: يقال لهم: ادخلوا الجنة بإيمانكم وطاعتكم.

قوله تعالى: ﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة﴾ معناه: هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة بالموت؟ ﴿أو يأتى أمر ربك﴾ القيامة.

وفى بعض الآثار: أن أعوان ملك الموت ستة أملاك: ثلاثة يقبضون أرواح المؤمنين، وثلاثة يقبضون أرواح الكفار، وقيل: هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة بالعذاب والقتل للكفار، أو يأتى أمر ربك؟ يعنى: الموت. وقوله: ﴿كذلك فعل الذين من قبلهم﴾ يعنى: كذلك كفر الذين من قبلهم. وقوله: ﴿وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿فأصابهم سيئات ما عملوا﴾ معناه: فأصابهم وبال السيئات التى

---

(١) رواه الطبرى (١٤/ ٧٠) عن محمد بن كعب القرظى. وعزاه السيوطى فى الدر (٤/ ١٣١) لمالك، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وأبى الشيخ، فى العظمة، وأبى القاسم بن منده فى كتاب الأموال، والبيهقى فى الشعب.

جنة السنة

يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ

عملوا، وقيل: جزاء السيئات التى عملوا. وقوله: ﴿وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون﴾ معناه: نزل بهم، وأحاط بهم ما كانوا به يستهزئون.

قوله تعالى: ﴿وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء﴾.

ومعنى التحريم المذكور فى الآية هو ما حرموا من البحيرة والوصيلة والسائبة والحام، وقد احتجت القدرية بهذه الآية، ووجه احتجاجهم أن المشركين قالوا: لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا، [﴿ولا حرمنا من دونه من شيء﴾][(١)] ثم إن الله تعالى قال فى آخر الآية: ﴿كذلك فعل الذين من قبلهم﴾ ردًا وإنكارًا عليهم، فدل على أن الله تعالى لا يشاء الكفر، وأنهم فعلوا ما فعلوا بغير مشيئة الله.

والجواب عنه: ذكر الزجاج وغيره أنهم قالوا هذا القول على طريق الاستهزاء لا على طريق التحقيق، ولو قالوا على طريق التحقيق لكان قولهم موافقًا لقول المؤمنين، وهذا مثل قوله تعالى فى قصة شعيب: ﴿إنك لأنت الحليم الرشيد﴾[(٢)] فإنهم قالوا هذا على طريق الاستهزاء لا على طريق التحقيق، وكذلك قوله تعالى فى سورة يس: ﴿وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه﴾[(٣)] وهذا إنما قالوه على طريق الاستهزاء؛ لأنه فى نفسه قول حق يوافق قول المؤمنين، كذلك هاهنا قالوا ما قالوا على طريق الاستهزاء؛ فلهذا أنكر الله تعالى عليهم، وردَّ قولهم، والدليل على أن المراد من هذا ما ذكر من بعد وسنبين.

وقوله: ﴿فهل على الرسل إلا البلاغ المبين﴾ يعنى: ليس إليهم الهداية والإضلال، وإنما عليهم التبليغ.

(١) من «ك».

(٢) هود: ٨٧.

(٣) يس: ٤٧.

الْبَلاغُ الْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ

قوله تعالى: ﴿ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدو الله واجتنبوا الطاغوت﴾ أى: وحدوا الله واجتنبوا الأصنام. وقوله: ﴿فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة﴾ معناه: فمنهم من هداه الله للإيمان، ومنهم من وجبت عليه الضلالة، وتركه فى الكفر بالقضاء السابق، فهذه الآية تبين أن من آمن بمشيئة الله، وأن من كفر، كفر بمشيئة الله.

وقوله: ﴿فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ معناه: مآل أمر المكذبين ومرجعهم.

قوله تعالى: ﴿إن تحرص على هداهم﴾ الحرص: طلب الشيء بالجد والاجتهاد: وقوله: ﴿فإن الله لا يهدى من يضل﴾ قُرأ بقرائتين: قرأ أهل الكوفة: «لا يَهدى من يُضل» بفتح الياء الأولى وضم الثانية، وقرأ الباقون: «لا يهدى من يضل» بضم اليائين، أما القراءة الأولى فمعناه: لا يهدى الله من أضله، وأما القراءة الثانية فمعناه: فإن من يضله الله لا يُهدى، وقيل: لا يقدر أحد على هدايته، قالوا: وهذا أولى القراءتين. وقوله: ﴿وما لهم من ناصرين﴾ أى: مانعين من العذاب.

قوله تعالى: ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم﴾ جهد اليمين هو أن يحلف بالله الذى لا إله غيره. وقوله: ﴿لا يبعث الله من يموت﴾ هذا دليل على أنهم كانوا مستبصرين فى كفرهم.

وقوله: ﴿بلى وعداً عليه حقًّا﴾ معناه: ليس الأمر كما قالوا، ولكن الله يبعثهم، ثم قال: ﴿وعداً عليه حقا﴾ أى: واجبًا.

وقوله: ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ يعنى: أن وعد الله حق؛ فإنه إنما يعلمه

الْبَلاغُ الْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ

قوله تعالى: ﴿ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدو الله واجتنبوا الطاغوت﴾ أى: وحدوا الله واجتنبوا الأصنام. وقوله: ﴿فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة﴾ معناه: فمنهم من هداه الله للإيمان، ومنهم من وجبت عليه الضلالة، وتركه فى الكفر بالقضاء السابق، فهذه الآية تبين أن من آمن بمشيئة الله، وأن من كفر، كفر بمشيئة الله.

وقوله: ﴿فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ معناه: مآل أمر المكذبين ومرجعهم.

قوله تعالى: ﴿إن تحرص على هداهم﴾ الحرص: طلب الشيء بالجد والاجتهاد: وقوله: ﴿فإن الله لا يهدى من يضل﴾ قُرأ بقرائتين: قرأ أهل الكوفة: «لا يَهدى من يُضل» بفتح الياء الأولى وضم الثانية، وقرأ الباقون: «لا يهدى من يضل» بضم اليائين، أما القراءة الأولى فمعناه: لا يهدى الله من أضله، وأما القراءة الثانية فمعناه: فإن من يضله الله لا يُهدى، وقيل: لا يقدر أحد على هدايته، قالوا: وهذا أولى القراءتين. وقوله: ﴿وما لهم من ناصرين﴾ أى: مانعين من العذاب.

قوله تعالى: ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم﴾ جهد اليمين هو أن يحلف بالله الذى لا إله غيره. وقوله: ﴿لا يبعث الله من يموت﴾ هذا دليل على أنهم كانوا مستبصرين فى كفرهم.

وقوله: ﴿بلى وعدًا عليه حقًّا﴾ معناه: ليس الأمر كما قالوا، ولكن الله يبعثهم، ثم قال: ﴿وعداً عليه حقا﴾ أى: واجبًا.

وقوله: ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ يعنى: أن وعد الله حق؛ فإنه إنما يعلمه

حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلأَجْرُ الآخِرَةِ

المؤمنون دون الكفار.

قوله تعالى: ﴿ليبين لهم الذى يختلفون فيه﴾ يعنى: ليظهر لهم الحق فيما يختلفون فيه. وقوله: ﴿وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين﴾ يعنى: فى الدنيا.

قوله تعالى: ﴿إنما قولنا لشىء إذا أردناه﴾ فإن قيل: قد قلتم بأن المعدوم ليس بشىء، وقد جعل الله هاهنا المعدوم شيئًا حيث قال: ﴿إنما قولنا لشىء إذا أردناه﴾ ومعناه: أردنا تكوينه.

والجواب: أن الأشياء التى قدر الله كونها هى فى علم الله كالكائنة (القائمة)[1]؛ فاستقام قوله: ﴿إنما قولنا لشىء إذا أردناه﴾ وقيل: إن هذا على طريق المجاز، ومعناه: إنما يكون شيئًا إذا أردنا تكوينه.

وقوله: ﴿أن نقول له﴾ معناه: أن نقول لأجله: ﴿كن فيكون﴾ أى: كن فكان، وقرئ بقرائتين. «فيكونَ» بالنصب، «ويكونُ» بالرفع.

أما بالرفع معناه: فهو يكون، وأما بالنصب فهو منسوق على قوله: ﴿أن نقول﴾ وذلك يقتضى النصب.

قوله تعالى: ﴿والذين هاجروا فى الله من بعد ماظلموا﴾ قال أهل التفسير: نزلت الآية فى عمار، وبلال، وصهيب بن سنان، وخباب بن الأرت، وسالم مولى أبى حذيفة. وقوله: ﴿من بعد ما ظلموا﴾ يعنى: من بعد ماعذبوا وأوذوا.

وقوله: ﴿لنبوئنهم فى الدنيا حسنة﴾ قال ابن عباس والشعبى والحسن: هى المدينة، ويقال: هى قدم الصدق، وقيل: التوفيق والهداية.

---

(١) فى «ك»: التامة.

أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ

وقوله: ﴿ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون﴾ أى: أعظم لو كانوا يعلمون. وقوله: ﴿لو كانوا يعلمون﴾ منصرف إلى المشركين دون هؤلاء النفر، فإنهم كانوا يعلمون أن أجر الآخرة أكبر .

وقوله: ﴿الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون﴾ ظاهر المعنى، وهى نازلة فى هؤلاء الخمسة. قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم﴾ معناه: إلا رجالا من البشر نوحى إليهم، فإن المشركين كانوا ينكرون إرسال الآدميين، ويطلبون إرسال الملائكة على ماذكر الله تعالى ذلك فى غير موضع. وقوله: ﴿فاسألوا أهل الذكر﴾ يعنى: مؤمنى أهل الكتاب، وقيل: حملة أهل الكتابين، فإنهم كانوا لاينكرون هذا. وقوله: ﴿إن كنتم لاتعلمون﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿بالبينات والزبر﴾ اختلفوا فى أن قوله: ﴿بالبينات والزبر﴾ إلى ماذا يرجع؟ .

قال بعضهم معناه: وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا بالبينات والزبر، ومنهم من قال معناه: وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم بالبينات والزبر. ثم قال: ﴿فا سألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون﴾.

قوله: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مانزل إليهم﴾. وقد كان الرسول ﷺ مبينا للوحى، وقد قال أهل العلم: إن بيان الكتاب فى السنة. وقوله: ﴿ولعلهم يتفكرون﴾ يعنى: يتدبرون ويعتبرون .

قوله سبحانه وتعالى: ﴿أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض﴾ «مكروا السيئات» يعنى: فعلوا السيئات، وذلك جحدهم التوحيد وعبادتهم غير الله، وعملهم بالمعاصى، وقد قالوا: إن المكر فى هذا الموضوع هو السعى بالفساد، وما قلناه أفسد الفساد.

الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ

وقوله: ﴿أن يخسف الله بهم الأرض﴾ الخسف معلوم المعنى، وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «بينما رجل يتبختر فى حلة له فخسف به الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة»(١).

وحكى النقاش عن بعض أهل العلم مسنداً: أن قوماً تدافعوا الإمامة بعد ما أقيمت الصلاة فخسف الله بهم الأرض.

وفى بعض المسانيد عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «يفتح للناس معدن، ويبدو من الذهب أمثال البخت؛ فيميل الناس إليه فيخسف الله بهم وبالمعدن، فهم يتجلجلون فيها إلى يوم القيامة»(٢).

وقوله: ﴿أو يأتيهم العذاب من حيث لايشعرون﴾ أى: لايعلمون. قوله تعالى: ﴿أو يأخذهم فى تقلبهم﴾ قال ابن جريج: فى إقبالهم وإدبارهم، وقيل: فى ليلهم ونهارهم، وقيل: فى أسفارهم. وقوله: ﴿فماهم بمعجزين﴾ أى: بفائتين .

قوله تعالى: ﴿أو يأخذهم على تخوف﴾ قال ابن عباس: على تنقص، ومعنى التنقص فى هذا الموضع أنه يأخذهم الأول فالأول حتى يهلكهم .

والقول الثانى: أن معنى التخوف هو أن يأخذ قوماً ولا يأخذ آخرين، وتخوفهم بأخذ هؤلاء، قول الحسن والضحاك .

والقول الثالث: حكى عن الليث بن سعد أنه قال: سمعت أنه على عجل .

---

(١) متفق عليه من حديث أبى هريرة، وقد تقدم.

(٢) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وقد روى مسلم فى صحيحه (١٨ / ٢٦-٢٧ رقم ٢٨٩٤) حديثا قريبا منه عن أبى هريرة وليس فيه ذكر الخسف، ولفظه: «لاتقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب، يقتتل الناس عليه، فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون، ويقول كل رجل منهم: لعلى أكون أنا الذى أنجو».

جنة السنة

﴿ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ ﴾

وقوله: ﴿ فإن ربكم لرءوف رحيم ﴾ رحمته للكفار هي إمهالهم في العذاب .

قوله تعالى: ﴿ أو لم يروا إلى ماخلق الله من شيء يتفيأ ظلاله ﴾ يتحول ظلاله، وأما الفرق بين الفيء والظل: فيقال: إن الظل بالغداة، والفيء بالعشي، ويقال: إن معناهما واحد .

وقوله: ﴿ عن اليمين ﴾ أي: عن الأيمان؛ لأنه قد قال عقيبه: ﴿ والشمائل ﴾ والظل دائر من جوانب الإنسان، فمرة يكون عن يمينه، ومرة يكون عن شماله، ومرة يكون قدامه، ومرة يكون خلفه .

وقوله: ﴿ سجداً لله ﴾ أكثر السلف أن السجود ها هنا: هو الطاعة لله، وأن كل الأشياء ساجدة لله مطيعة من حيوان وجماد، وهذا محكي عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والحسن البصري، قال الحسن: يا ابن آدم، ظلك يسجد لله تعالى، وأنت لا تسجد، فبئس ما صنعت .

وذكر أبو عيسى الترمذي في جامعه برواية ابن عمر عن عمر - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال: أربع بعد الزوال قبل الظهر يعدلن مثلهن من السحر، وما من شيء إلا ويسجد لله في تلك الساعة، ثم تلا[١] قوله تعالى: ﴿ أو لم يروا إلى ماخلق الله من شيء يتفيأ ظلاله ﴾ الآية[٢].

قال الضحاك: المراد من سجود الظلال سجود الأشخاص، وذكر بعضهم أن معنى قوله: ﴿ سجداً لله ﴾ أي: خاضعة ذليلة خادمة فيما أريدلها بأصل الخلقة، والأشياء

---

(١) في «ك»: قرأ.

(٢) رواه الترمذي (٥/٢٧٩ رقم ٣١٢٨) وقال: غريب لانعرفه إلا من حديث علي بن عاصم، وعبد بن حميد في مسنده - كما في المنتخب منه ص٣٨ رقم ٢٤، وأبو الشيخ في العظمة ص٤٥٢ رقم ١٢٣٥، ١٢٣٦، والخطيب في تاريخه (١/٢٥٣).

جنة السنة

﴿وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ وَقَالَ اللَّهُ﴾

كلها مجبولة على ما أريد لها فى أصل الخلقة.

وذكر بعضهم: أنه إنما أضاف السجود إلى هذه الأشياء؛ لأنها تدعوا إلى السجود، فكأنها فى أنفسها ساجدة، والأصح هو القول الأول ثم الثانى.

وقوله: ﴿وهم داخرون﴾ أى: صاغرون.

قوله تعالى: ﴿ولله يسجد مافى السموات ومافى الأرض من دآبة﴾ المراد من الدابة ها هنا قالوا: هى الحيوان؛ لأن الحيوان من شأنه الدبيب، ويقال: ولله يسجد مافى السموات من الملائكة، ومافى الأرض من دابة.

فإن قال قائل: كيف يستقيم هذا المعنى، وقد قال بعده: ﴿والملائكة﴾؟

والجواب من وجهين: أحدهما: أنه خصهم بالذكر تشريفًا لهم.

والآخر: أن المراد من الملائكة المذكورين أخيرًا هم ملائكة الله فى الأرض، يعبدون الله تعالى ويسبحونه. وقوله: ﴿وهم لايستكبرن﴾ الاستكبار: طلب الكبر بترك الإذعان للحق.

قوله تعالى: ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ قال بعضهم معناه: يخافون عذاب ربهم من فوقهم، والقول الثانى- وهو الأصح - أن هذه صفة العلو [التى][1] تفرد الله بها، وهو كما وصف به نفسه من غير تكييف.

وقوله: ﴿ويفعلون مايؤمرون﴾ يعنى: أن الملائكة لايعصونه.

قوله تعالى: ﴿وقال الله لاتتخذوا إلهين اثنين﴾ فإن قال قائل: أيش معنى قوله: ﴿اثنين﴾ وقد قال: ﴿إلهين﴾؟

الجواب من وجهين: أحدهما: على طريق التأكيد، وهو مثل قوله تعالى: ﴿فصيام

(١) فى «الأصل وك»: الذى.

لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا

ثلاثة أيام فى الحج وسبعة إذا أرجعتم تلك عشرة كاملة﴾(١).

والجواب الثانى : أن الآية على التقديم والتأخير، ومعناها: وقال الله: لاتتخذوا الهين اثنين، إنما هو إله واحد. ﴿فإياى فارهبون﴾ يعنى: فخافون .

قوله تعالى: ﴿وله مافى السموات والأرض﴾ معلوم المعنى. وقوله: ﴿وله الدين واصباً﴾ أى: دائماً، هكذا قاله ابن عباس، والدين بمعنى الطاعة.

وحقيقة المعنى أن [طاعة](٢) غير الله تنقطع وتزول، وطاعة الله لاتزول ولاتنقطع، وقيل: واصباً أى: خالصاً، والوصب فى اللغة هو التعب، فيقال على هذا: أن معنى الآية أن الطاعات كلها لله، وإن كان فيها الوصب والتعب.

وقوله: ﴿أفغير الله تتقون﴾ أى: تخافون، وهذا استفهام على طريق الإنكار.

قوله تعالى: ﴿ومابكم من نعمة فمن الله﴾ معناه: ومايكن لكم من نعمة فمن الله، وفى بعض المسانيد برواية ابن عمر عن النبىﷺ أنه قال: «ما مس عبداً نعمة فعلم أنها من الله إلا وقد [شكر](٣) الله، وإن لم يحمده»(٤) .

وقوله: ﴿ثم إذا مسكم الضر﴾ قيل: القحط، وقيل: المرض. وقوله: ﴿فإليه تجأرون﴾ الجؤار هو الصوت على وجه الاستغاثة، ومنه جؤار البقر، ومعنى الآية أنكم تدعون الله مستغيثين. قال الشاعر:

(١) البقرة: ١٩٦.

(٢) فى «الأصل وك»: الطاعة.

(٣) فى «الأصل وك»: شكره. والمثبت يقتضيه السياق.

(٤) رواه ابن أبى الدنيا فى الشكر (ص ٨٧ رقم٤٧)، والحاكم (١/ ٥١٤)، كلاهما من حديث عائشة مرفوعاً بنحوه، وقال الحاكم: لا أعلم فى إسناده أحداً ذكر بجرح، ولم يخرجاه. وتعقبه الذهبى فى تلخيصه بقوله: بل قال ابن عدى: محمد بن جامع العطار لايتابع على أحاديثه. وعزاه السيوطى فى الدر (١/ ١٦٠) للخرائطى فى كتاب الشكر، والبيهقى فى شعب الإيمان.

مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ

يراوح في صلوات المليــك   فطوراً سجوداً وطوراً جؤارا

قوله تعالى: ﴿ثم إذا كشف الضرعنكم﴾ يعنى: مايضركم. وقوله: ﴿إذا فريق منكم بربهم يشركون﴾ أى: يكفرون.

قوله تعالى: ﴿ليكفروا بما آتيناهم﴾ معناه: أن حاصل أمرهم هو كفرهم بما آتيناهم من النعمة، وهذه اللام وأمثالها تسمى لام العاقبة، وقيل: إن النعمة هى الآيات التى أراها خلقه على وحدانيته.

وقوله: ﴿فتمتعوا﴾ أى: عيشوا المدة التى ضرب لكم فى طلب اللذة ﴿فسوف تعلمون﴾ عاقبة أمركم.

قوله تعالى: ﴿ويجعلون لما لايعلمون نصيبًا مما رزقناهم﴾ معناه: ويجعلون للأصنام نصيبًا مما رزقناهم، وهو معنى قوله تعالى: ﴿فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا﴾.(١) وقوله: ﴿لايعلمون﴾ يعنى: لايعلمون أنها تضرهم ولاتنفعهم.

وقوله: ﴿تالله لتسألن عما كنتم تفترون﴾ معناه: والله لتسألن، والسؤال سؤال إلزام الحجة، لاسؤال الاستعلام والاستفهام.

قوله تعالى: ﴿ويجعلون لله البنات﴾ هذا معنى قولهم: إن الملائكة بنات الله. وقوله: ﴿سبحانه﴾ هو بيان تنزيهه عن قولهم.

وقوله: ﴿ولهم مايشتهون﴾ أى: البنين، فإنهم كانوا يقولون له البنات، ولنا البنون. وقوله: ﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى﴾ كان أهل الجاهلية يودون الذكور من الأولاد، ويكرهون الإناث، ويقولون: إنهن لا يقاتلن، ولا يركبن الخيل، وكان الرجل منهم إذا دنت ولادة امرأته توارى من نادى قومه، فإن بشر بالابن ظهر، ويهنئه القوم،

(١) الأنعام: ١٣٦.

سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا

وإن بُشّر بالأنثى تغير واستخفى وربما يئدها؛ فهذا معنى قوله: ﴿يتوارى من القوم من سوء ما بشر به﴾ يعني: من كراهة ما بشر به.

وأما قوله: ﴿ظل وجهه مسوداً وهو كظيم﴾ معناه: تغير وجهه من الغم، تقول العرب: اسودّ وجه فلان، إذا تغير بما أصابه من الغم.

وقوله: ﴿وهو كظيم﴾ أي: ممتلئ حزنًا، وقال ابن عباس: حزين، وقال غيره: امتلأ حزنًا، فهو يكظمه، أي: يمسكه ولا يظهره.

وأما قوله: ﴿أيمسكه على هون﴾ قرأ الجحدري: «على هوان»، وقال الكسائي: الهون والهوان بمعنى واحد، وقالت الخنساء شعراً:

نهين النفوس ووهن النفوس   ليوم الكريهة أبقى لها

وقرأ عيسى بن عمر: «أم يدُسُّها في التراب» ويلزمه على هذه القراءة أن يقرأ: «أيَمْسِكُهَا»، وأما على القراءة المعروفة فإنها تنصرف إلى لفظة «ما»، وما بمعنى الذي.

وقوله: ﴿أم يدسه في التراب﴾ أي: يدفنه حيًّا، وعن قتادة قال: ربّ أنثى خير لأهلها من غلام، وفي بعض الأخبار عن النبي ﷺ أنه قال: «ما وضعت امرأة بنتا إلا وضع الملك يده على رأسها وقال: ضعيفة خرجت من ضعيفة، المنفق عليها معان إلى يوم القيامة»(١).

---

(١) رواه الطبراني في الصغير (١/ ٦١ رقم ٧٠)، ومن طريق الخطيب في المهروانيات (ص١٧٤ رقم ١٣٦) عن نبيط بن شريط مرفوعًا به وقال الخطيب: غريب، وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ١٥٩): رواه الطبراني في الصغير وفيه جماعة لم أعرفهم، وقال أيضًا عن نفس الإسناد في المجمع (١/ ١٥١): رواه الطبراني في الصغير وشيخه أحمد بن إسحاق بن إبراهيم بن نبيط كذبه صاحب الميزان وبقية إسناده لم أر من ذكر أحداً فيهم إلا الصحابي.

وعن أنس بن مالك رواه الطبراني في الأوسط كما في مجمع البحرين (٥/ ١٧٥ رقم ٢٨٧٢)، وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ١٥٩): رواه الطبراني في الأوسط عن شيخه لكن لم ينسبه عن عبد الله بن سليمان المصري ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات. =

جنة السنة

سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن

وقوله: ﴿ألا ساء ما يحكمون﴾ أى: بئس ما يحكمون، وحكمهم: وأد البنات وترك البنين.

قوله تعالى: ﴿للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء﴾ أى: صفة السوء، وقيل: عاقبة السوء. وقوله: ﴿ولله المثل الأعلى﴾ أى: الصفة العليا، وذلك مثل قولهم: عالم وقادر ورازق وحى، وغير هذا.

وقال مجاهد: «ولله المثل الأعلى» شهادة أن لا إله إلا الله، فإن قيل: قد قال فى موضع آخر: ﴿فلا تضربوا لله الأمثال﴾(١) وقال هاهنا: ﴿ولله المثل الأعلى﴾ فكيف وجه الجمع؟ والجواب أن معنى قوله: ﴿فلا تضربوا لله الأمثال﴾ أى: الأمثال التى هى الأشباه فإن الله تعالى لا شبه له، وأما قوله: ﴿ولله المثل الأعلى﴾ أى: الصفة العليا، وهذا جائز لكل أحد أن يقوله، بل واجب. وقوله: ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم﴾ أى: بكفرهم. وقوله: ﴿ما ترك عليها من دابة﴾ روى عن عبد الله بن مسعود أنه قال: إن الجُعَلَ فى جحره يعذب بذنب بنى آدم، وعن أبى هريرة أنه سمع رجلا يقول: إن الظالم لا يضر إلا نفسه، فقال له: بئسما قلت، إن الحُبَارَى(٢) تموت هزلا من ظلم الظالم.

وقال بعض أهل المعانى معنى الآية: لو أخذ الظالمين فأهلك الآباء انقطع النسل، ولم يوجد الأبناء فيهلك من فى الأرض.

= و رواه ابن الجوزى فى الموضوعات (٢/٢٧٥) من طريق أبى سعيد النقاش بسنده عن على. وقال: هذا حديث موضوع، قال النقاش: وضعه منصور بن الموفق. وقال ابن الجوزى: وفى الإسناد يمان بن عدى شهد أحمد أنه يضع. وانظر اللآلىء المصنوعة (٢/١٧٦)، وتنزيه الشريعة (٢/٢٠١).

(١) النحل: ٧٤.

(٢) وهو طائر طويل العنق من الفصيلة الحبارية.

جنة السنة

يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾
وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ
وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ

وقوله: ﴿ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى﴾ يعنى: إلى يوم القيامة. وقوله: ﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ويجعلون لله ما يكرهون﴾ يعنى: البنات. وقوله: ﴿وتصف ألسنتهم الكذب﴾ معنى الكذب المذكور هو قولهم: ﴿أن لهم الحسنى﴾.

وفى الحسنى قولان: أحدهما: أنها البنون، والآخر: أنها الجنة. وقوله: ﴿لا جرم أن لهم النار﴾ «لا» رد لقولهم. وقوله: ﴿جرم﴾ أى: حقًّا، وقيل: لا محالة أن لهم النار، وقيل: لابد، وقد بينا أن جرم بمعنى كسب، وذكرنا عليه الاستشهاد.

وقوله: ﴿وأنهم مُفْرَطُونَ﴾ أكثر القراء قرأوا بفتح الراء، وقرأ نافع: «مُفْرِطُونَ» بالكسر، وقرأ أبو جعفر المدنى: «مُفَرِّطُونَ» بتشديد الراء.

واختلف القول فى معنى قوله: ﴿مفرَطون﴾ بفتح الراء، قال سعيد بن جبير ومجاهد: منسيون، وعنهما: متروكون، وقيل: مضيعون، وعن الحسن البصرى: مقدِّمون إلى النار، ومنه الفارط، وهو الذى يتقدم إلى الماء، قال الشاعر:

استعجلونا فكانوا من صحابتنا ... كما تقدم فُراطٌ لوراد

وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «أنا فرطكم على الحوض»(١) أى: متقدمكم، واختار الكسائى وأبو عبيدة والفراء معنى قول مجاهد.

وأما قوله: «مفرِطون» بكسر الراء، هو من الإفراط، يعنى: مبالغون فى الإساءة، وأما قوله: «مفرِّطون» هو من التفريط، يعنى: أنهم مقصرون.

قوله تعالى: ﴿تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك﴾ يعنى: والله لقد أرسلنا إلى أمم

(١) متفق عليه من حديث جندب بن عبد الله، رواه البخارى (١١/ ٤٧٣ رقم٦٥٨٩)، ومسلم (١٥/ ٧٧-٧٨ رقم٢٢٨٩).

فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً

من قبلك. وقوله: ﴿فزين لهم الشيطان أعمالهم﴾ يعنى: كفرهم وجحودهم. وقوله: ﴿فهو وليهم اليوم﴾ سماه وليًا لهم لطاعتهم إياه. وقوله: ﴿ولهم عذاب أليم﴾ أى: مؤلم.

قوله: ﴿وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه﴾ الفرق بين التبيين والتمييز، أن فى التبيين طلب العلم، وليس فى التمييز طلب العلم، فإن الرجل يميز بين الجيد والردئ (مع علمه)[1] بهما.

وقوله: ﴿اختلفوا فيه﴾ أى: فى الكتاب. وقوله: ﴿وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾ معناه: أن الكتاب هدى ورحمة للمؤمنين، وقيل: إن الرسول هدى ورحمة للمؤمنين.

قوله تعالى: ﴿والله أنزل من السماء ماءً﴾ أى: المطر. وقوله: ﴿فأحيا به الأرض بعد موتها﴾ أى: بالنبات. وقوله: ﴿إن فى ذلك لآية لقوم يسمعون﴾ يعنى: يسمعون سماع التفهم.

قوله تعالى: ﴿وإن لكم فى الأنعام لعبرة نسقيكم﴾ قرئ بالنصب والرفع، أما بالنصب فمعلوم المعنى، وأما بالرفع فهو أن يجعل لكم سقيًا، قال الشاعر فى الفرق بينهما:

سقى قومى بنى مجد وأسقى ... نميرًا والقبائل من هلال

قوله: ﴿مما فى بطونه﴾ فإن قيل: كيف لم يقل: مما فى بطونها، والأنعام جمع؟ والجواب عنه: أن معناه: مما فى بطون كل واحد منها أو كل نوع منها، والعرب قد تحذف مثل هذا، قال الشاعر:

ألا ياسهيل فالقطيخ قد فسد ... وطاب ألبان اللقاح فبرد

---

(٢) فى «ك»: بعلمه.

نُسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا

أى: بردت.

وقوله: ﴿من بين فرث ودم﴾ الفرث هو ما يحصل فى الكرش من الثقل، ويقال: إن العلف الذى تأكله الدابة يتغير فى الكرش فيتحول لبنًا وفرثًا ودمًا فأعلاه دم، وأوسطه لبن، وأسفله فرث، ثم يميز الله تعالى بينهما، فيجرى كل واحد منها فى مجراه على حدة، (فيجعل)[1] اللبن فى الضرع، ويجعل الدم فى العروق، ويبقى الفرث فى الكرش، فهذا معنى قوله: ﴿من بين فرث ودم﴾.

وقوله: ﴿لبنًا خالصًا﴾ أى: ليس عليه لون الدم ولا رائحة الفرث. وقوله: ﴿سائغًا﴾ السائغ: ما يجرى فى الحلق على السهولة، وفى بعض الأخبار: ما غص أحد بلبن؛ لقوله: ﴿سائغًا﴾. وقوله: ﴿للشاربين﴾ ظاهر المعنى.

قوله: ﴿ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرًا﴾ اختلفوا فى السكر، فالمروى عن ابن عباس: أن السكر ما حرم من الثمر، والرزق الحسن ما حلَّ من الثمر، وعن مجاهد وقتادة وإبراهيم النخعى والشعبى: أن الآية منسوخة، وهذا قبل تحريم الخمر ثم حرمت.

وروى عن الشعبى أنه قال: السكر هو النبيذ، والرزق الحسن هو التمر والزبيب، وهذا قول من يبيح (النبيذ)[2]، وأما على قول ابن عباس فالمراد من الآية هو الإخبار عنهم، لا الإحلال لهم، وأولى الأقاويل أن قوله: ﴿تتخذون منه سكرًا﴾ منسوخ.

وفى بعض المسانيد أن النبى ﷺ قال: «لكم من العنب خمسة حلال: العصير، والزبيب، والخل، والرّب، وأن تأكلوه عنبًا»[3] والله أعلم بصحته. وقال الشاعر فى

(١) فى «ك»: فيجرى.

(٢) فى «ك»: البسر.

(٣) رواه العقيلى فى الضعفاء (١/ ٩٣)، والخطيب فى تاريخه (١/ ٢٨٢) من حديث أبى هريرة، وقال العقيلى: إسماعيل بن مسلم اليشكرى لايعرف بنقل الحديث، وحديثه منكر غير محفوظ.

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا

السكر:

بئس الضجيع وبئس الشرب شربهم ... إذا جرى فيهم المُزَّاء والسَّكَر

أى: المسكر. وقوله: ﴿إن فى ذلك لآية لقوم يعقلون﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿وأوحى ربك إلى النحل﴾ الآية، وأوحى ربك أى: ألهم ربك، والوحى فى اللغة هو إعلام الشىء فى السترة، وقد يكون ذلك بالكتابة، وقد يكون بالإشارة وقد يكون بالإلهام، وقد يكون بالكلام الخفى، وقال بعضهم معنى قوله: ﴿وأوحى ربك إلى النحل﴾ أى: جعل فى غرائزها ذلك، وقيل: أوحى بمعنى سخَّر، وذلل، وأصح الأقاويل هو الأول. وقوله: ﴿إلى النحل﴾ والنحل: ذباب العسل، وفى رواية ابن عمر عن النبى ﷺ أنه قال: «كل الذباب فى النار إلا النحل»(١) والخبر غريب.

وقوله: ﴿أن اتخذى من الجبال بيوتًا ومن الشجر﴾ أى: خلايا، وهى الأمكنة التى يضع النحل فيها العسل، ويقال: إنما يضع العسل فى أجواف الأشجار، وقد يضع على أغصان الأشجار، وقوله: ﴿ومما يعرشون﴾ يعنى: يبنون، وقد جرت عادة أهلها أنهم يبنون لها الأماكن فهى تأوى إليها بتسخير الله إياها لذلك.

قوله تعالى: ﴿ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك﴾ أى: طرق ربك، قال مجاهد: هى تسلك سبلها لا يتوعر عليها مكان.

(١) رواه عبد الرازق فى مصنفه (٤/٤٥١ رقم٨٤١٧)، والطبرانى فى الكبير (١٢/٣٨٩ رقم١٣٤٣٦)، وأعاده فى رقم (١٣٤٦٧، ١٣٤٦٨، ١٣٥٤٣، ١٣٥٤٤)، ورواه فى الأوسط - كما فى مجمع البحرين (٣/٣٠١ - ٣٠٢/رقم١٨٥٣)، والبزار - كما فى مختصر زوائده - (٢/٤٧٥ رقم٢٢٤٣)، وعزاه الحافظ فى المطالب العالية (٢/٢٩٦ رقم٢٢٨٧، ٢٢٨٨) لأبى يعلى. وقال الهيثمى فى المجمع (٤/٤٤): رواه الطبرانى فى الأوسط والكبير بأسانيد رجال بعضها ثقات كلهم، ورواه البزار باختصار. وفى الباب عن أبى هريرة، وابن مسعود، وابن عباس، وأنس.

وقوله: ﴿ ذُلُلا ﴾ يحتمل وجهين:

يحتمل أنه راجع إلى الطرق، يقال: سبيل ذلول، وسبل ذُلل، إذا كانت سهلة المسلك، ويحتمل أنه ينصرف إلى النحل، ومعناه: أنها مطيعة منقادة لما خلقت له، ويقال: إن للنحل يعسوبًا - وهو سيد النحل - إذا وقفت وقفت، وإذا سارت سارت، ويقال: «ذللا» يعني لأربابها؛ فإنه قد جرت العادة أن أربابها ينقلونها من مكان إلى مكان، فهي مسخرة لذلك.

وقوله: ﴿ يخرج من بطونها ﴾. فإن قال قائل: إنما يخرج من أفواهها لا من بطونها؟، والجواب عنه أنه إنما ذكر بطونها لأن الاستحالة تقع في بطونها؛ ولأنه يخرج من بطونها إلى أفواهها، ثم تسيل من أفواهها كهيئة الريق، وروى أن على بن أبى طالب - رضى الله عنه - مرّ على عبد الرحمن بن عتّاب بن أسيد، وهو مقتول يوم الجمل؛ فقال: هذا يعسوب قريش شفيت نفسى، وقتلت قومى، أشكو إلى الله عجرى وبجرى، أى: همومى وأحزانى.

وقوله: ﴿ شراب مختلف ألوانه ﴾ يعنى: أحمر، وأصفر، وأبيض. وقوله: ﴿ فيه شفاء للناس ﴾ لا يشكل على أحد أن فى العسل شفاء لبعض الأمراض، وقد يجعل فى المعجونات وكثير من الأدوية، وروى عن ابن عباس أنه قال: فيه شفاء للناس، أى: فى القرآن، والأظهر فى الآية هو القول الأول.

وروى أبو سعيد الخدرى: «أن رجلا أتى النبى ﷺ وذكر أن أخاه اشتكى بطنه فقال: اسقه عسلاً، فسقاه، فزاد الوجع، فعاد وذكر له؛ فقال: اسقه عسلا، فسقاه، فازداد وجعا، فعاد وذكر له ذلك؛ فقال: اسقه عسلاً، فسقاه فبرأ، فعاد وذكر ذلك للنبى ﷺ فقال: صدق الله، وكذب بطن أخيك»(١).

وعن على - رضى الله عنه - أنه قال: من اشتكى شيئًا فليأخذ من امرأته أربعة

(١) متفق عليه، رواه البخارى (١٠/١٤٦ رقم ٥٦٨٤)، ومسلم (١٤/٢٩٢ - ٢٩٣ رقم٢٢١٧).

﴿٦٩﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا

دراهم من مهرها وليشتر بها عسلا، وليخلطه بماء المطر وليشربه؛ فإن فيه شفاء.

وكان ابن عمر إذا أصابه وجع طلى على موضع الوجع بالعسل حتى الدمل: وعن أبى حرة أنه كان يكتحل بالعسل. وقوله: ﴿إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون﴾ أى: يتدبرون.

قوله تعالى: ﴿والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد إلى أرذل العمر﴾ يعنى: الهرم، وعن على - رضى الله عنه - أنه قال: إنه خمس وسبعون سنة، وقيل: ثمانون سنة، حكاه قطرب. وقيل: تسعون سنة، وعن عكرمة قال: من قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر، ومعناه: أنه لا يذهب عقله ولا يخرف، وقيل: إن الرد إلى أرذل العمر للكافرين؛ فإن الله تعالى قال: ﴿ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا﴾(١)

وقوله: ﴿لكيلا يعلم بعد علم شيئًا﴾ يعنى: ينتقص علمه وعقله، وهذا دليل على أنه قد يذكر الشيء، ويراد به الأغلب، فإنه إذا رُدَّ إلى أرذل العمر لا يذهب جميع علمه إذاً، وإنما يذهب أكثر علمه. وقوله: ﴿إن الله عليم قدير﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق﴾ معناه: بسط لهذا وضيق على هذا، وأكثر لهذا وقلل.

وقوله: ﴿فما الذين فضلوا برادِّى رزقهم على ما ملكت أيمانهم﴾ فى الآية رد على المشركين فى اتخاذهم الأصنام آلهة مع الله، ومعنى الآية: أن الأحرار المالكين منكم لا تسخو أنفسهم بدفع أموالهم إلى عبيدهم ليشاركوهم فى الملك، فيكونوا وهم سواء؛ فإذا لم ترضوا هذا لأنفسكم ؛ فأولى أن تنزهوا ربكم عنه، ونظير هذا ما ذكر فى سورة الروم: ﴿ضرب لكم مثلاً من أنفسكم﴾ إلى قوله: ﴿فأنتم فيه سواء﴾(٢).

(١) التين: ٥ - ٦.
(٢) الروم: ٢٨.

بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا

وقوله: ﴿أفبنعمة الله يجحدون﴾ يعنى: بأن أنعم عليكم جحدتموه، واتخذتم غيره إلها معه.

قوله تعالى: ﴿والله جعل لكم من أنفسكم أزواجًا﴾ فيه قولان: أحدهما: أن هذا فى آدم - عليه السلام فإن الله تعالى خلق حواء من بعض أضلاعه.

والقول الثانى: خلق من أنفسكم أزواجًا أى: من جنسكم أزواجًا.

وقوله: ﴿وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة﴾ فى الحفدة أقوال: روى عن عبد الله بن مسعود أنه قال: هم الأختان، وعنه أيضًا أنه قال: هم الأصهار، ومعنى الآية على هذا القول: وجعل لكم من أزواجكم بنين وبنات تزوجونهم؛ فيحصل لكم بسببهم الأختان والأصهار.

وعن ابن عباس - رضى الله عنه - ومجاهد وغيرهما أنهم قالوا: الخدم، وعن الحسن البصرى قال: الأعوان، وقيل: [أولاد][1] الأولاد، وقيل: بنو المرأة من غيره.

والحفد فى اللغة: هو الإسراع فى العمل، وفى دعاء القنوت: وإليك نسعى ونحفد أى: نسرع، وقال الشاعر:

حفد الولائد حولهن وأسلمت ... بأكفهن أزمة الأجمال

وقيل: إن البنين هم الكبار، والحفدة هم الصغار، ويقال: فى الآية تقديم وتأخير، ومعناه: وجعل لكم حفدة ومن أزواجكم بنين. وقوله: ﴿ورزقكم من الطيبات﴾ يعنى: من النعم الحلال.

وقوله: ﴿أفبالباطل يؤمنون﴾ وهذا على طريق الإنكار. وقوله: ﴿وبنعمة الله هم

(١) فى «الأصل»: الأولاد، والمثبت من «ك».

جنة السنة

﴿يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ شَيْئًا وَلا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْدًا مَّمْلُوكًا لاَّ يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن

يكفرون﴾ يعنى: بالإسلام هم يكفرون، وقيل: بمحمدهم يكفرون.

وقوله تعالى: ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقًا من السموات والأرض شيئًا ولا يستطيعون﴾ المراد من الآية ذكر عجز الأصنام عن إيصال نفع أو دفع ضر. وقوله: ﴿فلا تضربوا لله الأمثال﴾ أى: الأشباه، ومعناه: فلا تجعلوا لله شبهًا. ولا مثلا؛ فإنه لا شبه له، ولا مثل له. وقوله: ﴿إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ضرب الله مثلا عبدًا مملوكًا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقًا حسنًا فهو ينفق منه سرًا وجهرًا﴾ قال مجاهد والضحاك: ضرب المثل لنفسه وللصنم الذى عبد من دونه، فقوله: ﴿عبدًا مملوكًا﴾ أراد به الصنم. وقوله: ﴿ومن رزقناه منا رزقًا حسنًا﴾ ضرب مثلا لنفسه على معنى أنه الجواد الرازق الذى يعطى من حيث يعلمه العبد ومن حيث لا يعلمه.

وقال قتادة - وهو القول الثانى - هو ضرب مثلا للكافر والمؤمن، فقوله: ﴿عبدًا مملوكًا﴾ أراد به الكافر، وقوله: ﴿ومن رزقناه منا رزقًا حسنًا﴾ أراد به المؤمن، وقيل: إن القول الأول أليق بظاهر الآية؛ لأنه إنما سبق ذكر الأصنام، (وتأخر ذكر الأصنام)[1].

ومن نصر القول الثانى استدل على صحته بقوله: ﴿عبدًا مملوكًا﴾ والصنم لا يسمى عبدًا، وفى بعض الروايات عن ابن عباس أن الآية فى رجلين بأعيانهما: أما الذى رزقه الله رزقًا حسنًا، فهو ينفق منه سرًا وجهرًا، هو عمرو بن هشام، وأما [العبد][2] المملوك فهو هو مولاه أبو الجواب، وكان يأمره بالإيمان ويمتنع، أورده

---

(١) كذا فى «الأصل وك» والأولى حذفها.

(٢) فى «الأصل»: عبد المملوك هو، وفى «ك» عبدا مملوكا هو.

جنة السنة

رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ

النحاس فى تفسيره بإسناده.

وقوله: ﴿هل يستوون﴾ فإن قال قائل: كيف قال: ﴿هل يستوون﴾، وإنما ضرب المثل لاثنين؟ والجواب عنه: أن المراد منه الجنس لا واحد بعينه. وقوله: ﴿الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون﴾ ظاهر المعنى. أى: حمد نفسه على علمه وجهلهم، وقيل: معناه: قل الحمد لله على ما أوضح من الدليل. وبين من الحق بل أكثرهم لا يعلمون، ويقال: الحمد لى فإنى أنا المستحق للحمد لا ما يشركون بى، بل أكثرهم لا يعلمون أنى أنا المستحق للحمد.

قوله تعالى: ﴿وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم﴾ الأبكم: هو الذى لا ينطق، ولا يعقل، ولا يفهم. وقوله: ﴿لا يقدر على شيء﴾ أى: لا يقدر على النطق.

وقوله: ﴿وهو كل على مولاه﴾ أى: ثقل على مولاه. وقوله: ﴿أينما يوجهه لا يأت بخير﴾ يعنى: أينما يبعثه لا يهتدى إلى خير. وقوله: ﴿هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل﴾ عنى به نفسه، والله تعالى يأمر بالعدل، ويفعل العدل.

وقوله: ﴿وهو على صراط مستقيم﴾ أى: على طريق قويم، والمراد من الآية: ضرب مثلا آخر لنفسه وللأصنام، فالأول هو الصنم، والمراد من قوله: ﴿ومن يأمر بالعدل﴾ هو الله تعالى. وقوله: ﴿على صراط مستقيم﴾ لأن الله تعالى على طريق الحق، وليس عنه معدل.

وفى الآية قول آخر: وهو ما روى عن ابن عباس أنه قال: الآية فى رجلين بأعيانهما: أما الأول: فهو أسيد بن أبى العيض. وقوله: ﴿ومن يأمر بالعدل﴾ هو عثمان بن عفان، وكان عثمان يأمره بالإسلام فلا يُسلم.

قوله تعالى: ﴿ولله غيب السموات والأرض﴾ يعنى: علم غيب السموات

مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾

والأرض. وقوله: ﴿وما أمر الساعة إلا كلمح البصر﴾ معناه: أنه إذا قال له: كن فيكون.

وقوله: ﴿أو هو أقرب﴾ يعنى: أدنى من لمح البصر، فإن قيل: كيف قال: ﴿أو هو أقرب﴾، و«أو» للشك ولا يجوز على الله هذا؟

والجواب من وجهين: أحدهما: أن قوله: ﴿أو هو أقرب﴾ يعنى: بل هو أقرب قال الشاعر:

بدت مثل قرن الشمس فى رونق الضحى ... وبهجته أو أنت فى العين أملح

يعنى: بل أنت فى العين أملح.

والجواب الثانى: أن المراد منه: أو هو أقرب فى علمكم. وقوله: ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئًا﴾ يعنى: لا تعلمون شيئًا مما علمتم الآن.

وقوله: ﴿وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة﴾ أى: الأسماع والأبصار والأفئدة، وهى جمع الفؤاد. وقوله: ﴿لعلكم تشكرون﴾ أى: نعمتى عليكم.

قوله تعالى: ﴿ألم يروا إلى الطير مسخرات فى جو السماء﴾ أى: مذللات فى كبد السماء، وعن كعب الأحبار أن الطير يرتفع اثنى عشر ميلا ولا يرتفع فوق هذا. وفوق الجو السُّكَاك وفوق السكاك السماء.

وقوله: ﴿ما يمسكهن إلا الله﴾ يعنى: فى حال طيرانهن وقبضهن وبسطهن.

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلالاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ

وقوله: ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾ أي: لعبراً.

قوله تعالى: ﴿والله جعل لكم من بيوتكم سكنًا﴾ أي: مواضع تسكنون فيها. وقوله: ﴿وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتًا﴾ يعني: الفساطيط والخيم والقباب من الأدم.

وقوله: ﴿تستخفونها﴾ يعني: يخف عليكم حملها. وقوله: ﴿يوم ظعنكم﴾ يعني: يوم سفركم. وقوله: ﴿ويوم إقامتكم﴾ أي: حال إقامتكم.

وقوله: ﴿ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها﴾ الأصواف للغنم، والأوبار للإبل، والأشعار للمعز. وقوله: ﴿أثاثا﴾ الأثاث: متاع البيت، وهو ما يتأثث به أي: ينتفع به، قال الشاعر:

أهاجتك الظعائن يوم بانوا ... على الزى الجميل من الأثاث

وقيل: الأثاث اللباس. وقوله: ﴿ومتاعًا إلى حين﴾ أي: متعة إلى حين آجالكم. قوله تعالى: ﴿والله جعل لكم مما خلق ظلالا﴾ أي: ما يظلكم من الشمس من الأشجار والحيطان والسقوف والجبال وأشباه ذلك.

وقوله: ﴿وجعل لكم من الجبال أكنانًا﴾ أي: الغيران والأسراب، والأكنان جمع الكِن. وقوله: ﴿وجعل لكم سرابيل﴾ أي: قُمُصًا، وقد تكون من الصوف، وقد تكون من القطن، وقد تكون من الكتان.

وقوله: ﴿تقيكم الحر﴾ هاهنا حذف، ومعناه: تقيكم الحر والبرد. قال الشاعر:

ولا أدرى إذا يممت أرضا ... أريد الخير أيهما يلينى

قال النحاس: أريد الخير وأتقى الشر؛ لأن كل من يريد الخير فيتقى الشر، وقوله: أيهما يلينى أى: الخير والشر.

وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٣﴾

وقوله: ﴿وسرابيل تقيكم بأسكم﴾ أى: الدروع، والبأس هو ما يقع به البأس، وهو السلاح. وقوله: ﴿كذلك يتم نعمته عليكم﴾ يعنى: منته عليكم. وقوله: ﴿لعلكم تُسْلِمُون﴾ أى: تؤمنون، وعن ابن عباس أنه قرأ: «لعلكم تَسْلَمون» والقراءة غريبة.

فإن قيل: كيف ذكر هذه النعم من الجبال والظلال والسرابيل والقُمُص والأوبار والأصواف، ولله تعالى نعم كثيرة فوق هذا لم يذكرها؟ فما معنى تخصيص هذه النعم وترك ما فوقها؟

والجواب عنه: أن العرب كانوا أصحاب أنعام، وكانوا أهل جبال، وكانت بلادهم حارة؛ فذكر من النعم ما يليق بحالهم، وكانت هذه النعم عندهم فوق كل نعمة؛ فخصها بالذكر لهذا المعنى، وعن قتادة: أن هذه السورة تسمى سورة النعم.

قوله تعالى: ﴿فإن تولوا فإنما عليك البلاغ المبين﴾ هذه تسلية للنبى ﷺ ومعناه: أنهم إن أعرضوا فلا يلحقك فى ذلك عتب ولا سمة تقصير؛ فإنما عليك البلاغ وقد بلغت.

قوله تعالى: ﴿يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها﴾ قال السدى: هو محمد ﷺ، وعلى هذا جماعة من أهل التفسير، ويقال: إن معناه الإسلام. وروى عن ابن عباس أن معنى الآية: أنه كان إذا قيل لهم: من أعطاكم هذه النعم؟ فيقولون: الله، فإذا قيل لهم: فوحدوه؛ فيقولون: أعطينا بشفاعة آلهتنا.

وعن قتادة: أنهم يقرون أن النعم من الله، ثم إذا قيل لهم: تصدقوا، وامتثلوا فيها أمر الله تعالى، قالوا: ورثناها من آبائنا.

وعن عون بن عبد الله قال: إنكار النعمة هو أن يقول: لولا كذا لأصبت كذا، ولولا فلان لأصابنى كذا. وعن الحسن البصرى قال: النعم ستة: محمد ﷺ،

﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ

والقرآن، والإسلام، والعافية، والستر، والاستغناء عن الناس.

وقوله: ﴿ وأكثرهم الكافرون ﴾ يعني: وكلهم الكافرون؛ لأن الآية في الكفار.

قوله تعالى: ﴿ ويوم نبعث من كل أمة شهيداً ﴾ هذا في معنى قوله تعالى: ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدًا ﴾(١).

وقوله: ﴿ ثم لا يؤذن للذين كفروا ﴾ يعني: في الاعتذار، وقيل: في الكلام أصلا.
وقوله: ﴿ ولا هم يستعتبون ﴾ يعني: لا يردون إلى الدنيا ليتوبوا، وحقيقة المعنى في الاستعتاب: هو التعريض لطلب الرضا، وهذا الباب منسد على الكفار في الآخرة.

قوله تعالى: ﴿ وإذا رأى الذين ظلموا العذاب ﴾ يعني: جهنم. وقوله: ﴿ فلا يخفف عنهم ﴾ أي: لا يسهل عليهم. وقوله: ﴿ ولا هم ينظرون ﴾ أي: لا يمهلون.
قوله تعالى: ﴿ وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم ﴾ هذا في الوقت الذي يبعث الله الأصنام ويحضرها، فإذا رآها الكفار ﴿ قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك ﴾.

وقوله: ﴿ فألقوا إليهم القول إنكم لكاذبون ﴾ فيه قولان:

الأظهر أن هذا قول الأصنام يقولون للمشركين: إنكم لكاذبون، يعني: في أنا دعوناكم إلى عبادتنا، أو في قولكم: إن هؤلاء آلهة، أو في قولكم: إنا نستحق العبادة.

والقول الثاني: أن الملائكة يقولون: إنكم لكاذبون.

قوله تعالى: ﴿ وألقوا إلى الله يومئذ السلم ﴾ أي: استسلم العابد والمعبود لله

(١) النساء: ٤١

جنة السنة

﴿٨٧﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا
يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ
هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ إِنَّ

تعالى. وقوله: ﴿وضلّ عنهم ما كانوا يفترون﴾ أى: بطل عنهم ما كانوا يكذبون، وحقيقة المعنى: أنه فات عنهم ما زعموه؛ فإنه كان فرية وكذبًا.

قوله تعالى: ﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله﴾ يعنى: منعوا الناس من طريق الحق. وقوله: ﴿زدناهم عذابًا فوق العذاب﴾ روى مسروق عن عبد الله بن مسعود أنه قال: عقارب كالبغال، وفى رواية أخرى عنه: أفاعى كالفيلة، وعقارب كالنخيل الطوال، وعن أبى الزاهرية قال: [ما](١) من عذاب يعرفه الناس، أو لا يعرفونه إلا ويعذب الله به أهل النار. وروى أنهم يهربون من النار، فيخرجون إلى زمهرير فى جهنم، هو أشد عليهم من النار؛ فيعودون إلى النار مستغيثين بها، وقوله: ﴿بما كانوا يفسدون﴾ أى: [يشركون](٢).

وقوله تعالى: ﴿ويوم نبعث فى كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيداً على هؤلاء﴾ قد بينا المعنى.

وقوله: ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبيانًا لكل شىء﴾ أى: بيانًا للثواب والعقاب، والحلال والحرام. وعن الأوزاعى قال: تبيانًا بالسنة.

وقوله: ﴿وهدى﴾ أى: من الضلالة. وقوله: ﴿ورحمة﴾ أى: عطفًا على من أنزل عليهم. وقوله: ﴿وبشرى﴾ أى: بشارة ﴿للمسلمين﴾.

قوله تعالى: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ فى الآية أقوال: أحدها: أن العدل هو شهادة أن لا إله إلا الله، وهذا مروى عن ابن عباس وغيره ،وقيل: إنه التوحيد، وهو فى معنى الأول.

---

(١) ليس فى «الأصل» ولا «ك».

(٢) فى «الأصل و ك»: يشكرون، وهو خطأ.

جنة السنة

والقول الثانى: أنه الإنصاف وترك [الجور][1]، وعن محمد بن كعب القرظى أنه دعاه عمر بن عبد العزيز حين ولى الخلافة، فقال له: صف لى العدل، فقال: كن للصغير أبًا، وللكبير ابنًا، ولمثلك أخًا، وعاقب الناس على قدر ذنوبهم، وإياك أن تضرب أحداً (بغضبك)[2]. والقول الثالث: وهو أن العدل هو أن تستوى سريرة المرء وعلانيته.

وقوله تعالى: ﴿ والإحسان ﴾ أن تكون سريرة المرء أفضل من علانيته عند الله، وقوله: ﴿ والإحسان ﴾ فيه أقوال:

أحدها: أن الإحسان هو العفو، والآخر: هو أداء الفرائض والثالث: (أنه)[3] أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، والرابع: أنه التفضل، وقيل: الإحسان أن تكون سريرة المرء أفضل من علانيته.

وقوله: ﴿ وإيتاء ذى القربى ﴾ أى: صلة ذوى الأرحام، وقيل: إنه يدخل فى هذا جميع بنى آدم؛ لأن بينه وبين الكل وصلة بآدم - صلوات الله عليه - وأدنى ما يقع فى الصلة ترك الأذى، وأن يحب له ما يحبه لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه.

وقوله: ﴿ وينهى عن الفحشاء ﴾ الفحشاء: كل ما استقبح من الذنوب، وقيل: إنه الزنا، وقيل: إنه البخل، وقيل الفحشاء: أن تكون علانية المرء أفظع من سريرته.

وقوله: ﴿ والمنكر ﴾ يعنى: كل ما يكون منكرًا فى الدين، وقيل: إنه الشرك، فإنه أعظم المناكير.

وقوله: ﴿ والبغى ﴾ يقال: إنه الظلم والاستطالة على الناس، وقيل: إنه الكبر، وقيل: إنه الغيبة، وعن قتادة قال: جمع الله تعالى كل ما يحب، وكل ما يكره فى هذه الآية.

---

(١) فى « الأصل وك »: الحول.

(٢) فى « ك »: يغضبك، وهو الأشبه.

(٣) فى« ك »: هو.

يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلا تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلا تَكُونُوا كَالَّتِي

وفى بعض المسانيد: أن شتيراً جاء إلى مسروق، فقال له: إما أن تحدثنى عن عبدالله فأصدقك، أو أحدثك عن عبد الله فتصدقنى، فقال: حدث أنت، فقال: سمعت عبد الله يقول: أجمع آية فى القرآن للخير والشر قوله تعالى: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ فقال له مسروق: صدقت.

ويقال: إن العدل زكاة الولاية، والعفو زكاة القدرة، والإحسان زكاة النعمة، والكَتْبُ إلى الإخوان زكاة الجاه؛ يعنى: كتب الوسيلة.

وقوله تعالى: ﴿يعظكم لعلكم تذكرون﴾ يعنى: تعتبرون.

قوله تعالى: ﴿وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم﴾ الآية، قال: العهد هاهنا هو اليمين، وعن جابر بن زيد والشعبى أنهما قالا: العهد يمين، وكفارته كفارة اليمين.

وعن عمر قال: الوعد من العهد، ومثله عن ابن عباس.

وقوله: ﴿ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها﴾ أى: بعد إحكامها ﴿وقد جعلتم الله عليكم كفيلا﴾أى: شهيداً، وقيل: توثقتم باسمه كما يتوثق بالكفيل. وقوله: ﴿إن الله يعلم ما تفعلون﴾ وعيد وتهديد.

قوله تعالى: ﴿ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها﴾ هذه امرأة كانت تسمى ريطة بنت سعد، وكانت بها وسوسة؛ فكانت تجلس بجانب الحجر، وتغزل طول نهارها بمغزل كبير، فإذا كان العشى نقضته.

وقيل: كانت تأمر جواريها بنقضه، فشبه الله من نقض العهد بها، ومعناه: أنها لم تكف عن العمل ،ولا حين عملت كفت عن النقض، فكذلك أنتم لا كففتم عن العهد، ولا حين عهدتم وفيتم.

وقوله: ﴿من بعد قوة﴾ أى: بعد إحكام. وقوله: ﴿أنكاثًا﴾ أى: إنقاضًا وقطعًا.

نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ

وقوله: ﴿ تتخذون أيمانكم دخلا بينكم ﴾ أى: غشا وخديعة.

والدَخل: ما تدخل فى الشىء للفساد، ويقال: إن (الدَّغَل)(١) هو أن يظهر الوفاء، ويبطن النقض، وكذلك الدخل.

وقوله: ﴿ أن تكون أمة هى أربى ﴾ أى: أكثر، وأما معناه: فروى عن مجاهد أنه قال: كانوا يعاهدون مع قوم، فإذا رأوا أقوامًا أعز منهم وأكثر، نقضوا عهد الأولين، وعاهدوا مع الآخرين؛ فعلى هذا قوله: ﴿ أن تكون أمة هى أربى من أمة ﴾ يعنى: طلبتم العز بنقض العهد بأن كانت أمة أكثر من أمة.

وفى الآية قول آخر: وهى نزلت فى قوم عاهدوا مع النبى ﷺ ثم نقضوا العهد معه، وعاهدوا مع قوم من الكفار؛ فظنوا أن قوتهم أكثر، لأن عددهم أكثر ،ويقال: إن الآية نزلت فى المؤمنين،نهاهم الله تعالى عن نقض العهد؛ فكأنه تعالى قال: إذا عاهدتم مع قوم لمخافة، فإذا أمنتم فلا تنقضوا، ليكون جانبكم أقوى وأكثر.

وقوله: ﴿ إنما يبلوكم الله به ﴾ يعنى: بالكثرة والقلة، وقيل: يبلوكم الله به يعنى: بالأمر بالوفاء بالعهد. وقوله: ﴿ وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون ﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ﴾ أى: على دين واحد، وهو الإسلام. وقوله: ﴿ ولكن يضل من يشاء ويهدى من يشاء ﴾ والآية صريحة فى الرد على القدرية.

وقوله: ﴿ ولتسألن عما كنتم تعملون ﴾ يعنى: يوم القيامة، وحقيقة المعنى أنى لا أُسأل عما أفعل من الإضلال والهداية، وأنتم تسألون عما تعملون من الخير والشر.
وقوله تعالى: ﴿ ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم ﴾ أى: سبب فساد بينكم، وقد

(١) فى «ك»: الدخل.

تعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ وَلا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ
بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً
إِنَّمَا عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ
وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ

بينا معنى الدخل.

وقوله: ﴿فتزل قدم بعد ثبوتها﴾ يعني: تزل عن الإسلام بعد ثبوتها على الإسلام، قال:

النحو صعب وطويل سلمه ... إذا ارتقى فيه الذى لا يعلمه

زلت به إلى الحضيض قدمه

وقوله: ﴿وتذوقوا السوء﴾ بالعذاب. وقوله: ﴿بما صددتم عن سبيل الله﴾ يعني: سهلتم طريق نقض العهد على الناس بنقضكم العهد. وقوله: ﴿ولكم عذاب عظيم﴾ أى: كبير.

قوله تعالى: ﴿ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا﴾ يعني: شيئًا يسيراً من عرض الدنيا. وقوله: ﴿إنما عند الله هو خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ما عندكم ينفد﴾ يعني: أن الدنيا وما فيها تفني. وقوله: ﴿وما عند الله باق﴾ يعني: الآخرة، وعلى العاقل أن يؤثر ما يبقى، وفى بعض الآثار: للدنيا بنون، وللآخرة بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا.

وقوله: ﴿ولنجزين الذين صبروا أجرهم﴾ يعني: صبروا عن الدنيا. وقوله: ﴿أجرهم﴾ أى: ثوابهم وجزاءهم. وقوله: ﴿بأحسن ما كانوا يعملون﴾ أى: بأحسن الذى كانوا يعملون.

قوله تعالى: ﴿من عمل صالحًا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة﴾ اختلفوا فى الحياة الطيبة على أقاويل:

جنة السنة

﴿أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾

روى عن ابن عباس أنه قال: الحياة الطيبة هى الرزق الحلال. وعن مجاهد وعكرمة: أنها القناعة، وفى بعض دعاء النبى ﷺ: «اللهم قنعنى بما رزقتنى»(١) وفى منثور الكلام: القناعة ملك خفى.

والقول الثالث: روى عن الحسن البصرى قال: الحياة الطيبة فى الجنة، قال الحسن: وليس فى الدنيا حياة طيبة، وعنه أنه قال: الدنيا كلها بلاء، فما كان فيها من خير فهو ريح، وروى أنه سمع رجلا يقول لآخر: لا أراك الله مكروهًا أبدًا، فقال له: دعوت الله له بالموت، فإن الدنيا لاتخلو عن المكروه.

وعن سعيد بن جبير قال: الحياة الطيبة رزق يوم بيوم، وقيل: إنه حلاوة العبادة وأكل الحلال، ويقال: إنها عيش الإنسان فى بلده مع الكفاية والعافية، وقيل: مطلق الكفاية والعافية.

وقوله: ﴿ولنجزينهم أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون﴾ قد بينا المعنى.

قوله تعالى: ﴿فإذا قرأت القرآن﴾ روى عن أبى هريرة أنه قال: فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم بعد القراءة؛ لأن الله تعالى قال: ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله﴾ وحكى بعضهم عن مالك مثل هذا.

والأصح أن الاستعاذة قبل القراءة، وقد روى ذلك بروايات كثيرة عن النبى ﷺ وقد روى عن النبى ﷺ برواية أبى المتوكل الناجى عن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ أنه قال له: «إذا افتتحت القراءة فقل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»(٢). وثبت

---

(١) رواه الحاكم فى مستدركه (١/ ٥١٠، ٢/ ٣٥٦-٣٥٧) وقال: صحيح الإسناد، وابن السنى فى القناعة (ص٤٤-٤٥ رقم١١،١٢،١٣)، وابن أبى حاتم فى العلل (٢/ ١٨٥ رقم٢٠٥٢)، والسهمى فى تاريخ جرجان (ص٩١)، والبيهقى فى الآداب (٣١٢ رقم ٩٤٣). واختلف على عطاء بن السائب، فرواه مرة عن يحيى بن عمارة عن سعيد بن جبير، وأخرى عن سعيد بن جبير مباشرة، ولم يذكر يحيى بن عمارة. وقال ابن أبى حاتم: قلت لأبى: أيهما أصح؟ قال: ما يدرينا مرة قال كذا، ومرة قال كذا.

(٢) لم أجده بهذا اللفظ، وحديث أبى المتوكل الناجى عن أبى سعيد هو حكاية عن فعله ﷺ وهو الآتى.

إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ

أن النبى ﷺ قال: «اللهم إنى أعوذ بك من الشيطان من همزه ونفثه»(١).

وأما معنى الآية: إذا أردت قراءة القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا﴾ (٢) يعنى: إذا أردتم القيام إلى الصلاة، وفى بعض الآثار: أنه لاشئ أشد على إبليس من الاستعاذة، والاستعاذه بالله هى الاعتصام بالله .

وقوله: ﴿من الشيطان الرجيم﴾ أى: الشيطان المرجوم .

وقوله تعالى: ﴿إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا﴾ أى: ليس له ولاية على الذين آمنوا. وقوله: ﴿وعلى ربهم يتوكلون﴾ يقال معناه: أنه لايقدر على إيقاعهم فى ذنب ليس لهم منه توبة، وقيل: إنه لايقدر على إدخالهم فى الشرك وإغوائهم .

قوله تعالى: ﴿إنما سلطانه على الذين يتولونه﴾ يعنى: الذين يدخلون فى ولايته ويتبعونه .

وقوله: ﴿والذين هم به مشركون﴾ قال بعضهم: برب العالمين مشركون، وقال ثعلب: والذين هم به مشركون أى: لأجله مشركون أى: لأجل إبليس، وهذا معنى صحيح؛ لأن من يشرك بإبليس يكون مؤمنًا بالله، فالمعنى هذا .

قوله تعالى: ﴿وإذا بدلنا آية مكان آية﴾ قال أهل التفسير: كان النبى ﷺ إذا نزلت عليه آية شدة، ثم نسخت، وأنزلت عليه آية لين، قال المشركون: انظروا إلى

(١) رواه أبو داود (١/٢٠٦ رقم٧٧٥)، والترمذى (٢ / ٩ - ١٠ رقم ٢٤٢)، وأحمد (٣ / ٥٠)، وابن أبى شيبة (١ / ٢٣٢)، والدارمى (١/٣١٠ رقم١٢٣٩)، والدارقطنى (١/٢٩٨-٢٩٩) والبيهقى (٢/٣٤-٣٥). وقال أبو داود: هذا الحديث يقولون: هو عن على بن على، عن الحسن مرسلا، والوهم من جعفر. وقال الترمذى: قد تكلم فى إسناد حديث أبى سعيد؛ كان يحيى بن سعيد يتكلم فى على بن على الرفاعى، وقال أحمد: لايصح هذا الحديث.

(٢) المائدة: ٦.

جنة السنة

قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ

هذا الرجل يبدل كلام الله من قبل نفسه، وكانوا يقولون على طريق الاستهزاء: وتبدل الشيء بالشيء؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿وإذا بدلنا آية مكان آية﴾ » أى: وضعنا آية مكان آية .

وقوله: ﴿والله أعلم بما ينزل﴾ يعنى: والله أعلم بمنفعة العباد فيما ينزل .

وقوله: ﴿قالوا إنما أنت مفتر﴾أى: مختلق. وقوله: ﴿بل أكثرهم لايعلمون﴾ يعنى: كلهم لايعلمون أنى أنا المنزل لجميع الآيات الناسخ والمنسوخ .

قوله تعالى: ﴿قل نزله روح القدس﴾ أى: جبريل. وقوله: ﴿من ربك بالحق﴾ أى: بالصدق وقوله: ﴿ليثبت الذين آمنوا﴾ أى: ليثبت قلوب الذين آمنوا .

وقوله: ﴿وهدى وبشرى للمسلمين﴾ قد بينا المعنى .

قوله: ﴿ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر﴾ الآية، اختلفت الأقاويل فى معنى قوله: ﴿بشر﴾ روى عن ابن عباس أنه قال: هو غلام لعامر بن الحضرمى، وكان يقرأ الكتب، وكان المشركون يزعمون أن رسول الله ﷺ يتعلم منه، وقال مجاهد: هو غلام لحويطب، وقال غيره: كان اسمه جبر، ومنهم من قال: غلامان من عين التمر يسمى أحدهما: جبر ،والآخر: يسار، وكانا يقرآن الكتب بلسانهما، وقال بعضهم: كان اسمه: أبو (فُكَيْهة)(١) ، وقيل: كان اسمه: عايش، قالوا: كان النبى ﷺ يجلس إليهما، ويدعوهما، إلى الإسلام ،فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقوله: ﴿لسان الذى يلحدون إليه﴾ قرئ: « يُلْحِدُون إليه » و« يَلْحَدُون »، والإلحاد: الميل، والملحد هو الذى مال عن الحق إلى التعطيل؛ فقوله: ﴿يُلْحِدُون إليه﴾ أى: يميلون إليه.

وقوله: ﴿يَلْحَدُون إليه﴾ أى: يميلون القول إليه، وقال ابن قتيبة: يومئون إليه،

(١) فى «ك»: فليكة.

جنة السنة

بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٠٥﴾

وقوله: ﴿أعجمى﴾ الأعجمى: هو الذى لايفصح بالعربية.

وقوله: ﴿وهذا لسان عربى مبين﴾ أى: كلام عربى مبين، ومعنى الآية: أنه كيف يأخذ منهم، وهم لايفصحون بالعربية؟ وقد روى أن ذلك الرجل الذى كانوا يشيرون إليه أسلم، وحسن إسلامه.

قوله تعالى: ﴿إن الذين لايؤمنون بآيات الله لايهديهم الله﴾ يعنى: لايرشدهم الله إلى الحق، وقد قال فى موضع آخر: ﴿ومن يؤمن بالله يهد قلبه﴾(١).

وقوله: ﴿ولهم عذاب أليم﴾ أى: مؤلم.

قوله تعالى: ﴿إنما يفترى الكذب الذين لايؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكذبون﴾ فإن قال قائل: قد قال: ﴿إنما يفترى الكذب﴾ فأيش معنى قوله: ﴿وأولئك هم الكاذبون﴾؟

والجواب عنه: أن قوله: ﴿إنما يفترى الكذب﴾ هذا إخبار عن فعل الكذب، وقوله: ﴿وأولئك هم الكاذبون﴾ نعت لازم، ومعناه: أن هذا صفتهم ونعتهم، وهذا كالرجل يقول لغيره: كذبت، وأنت كاذب أى: كذبت فى هذا القول، ومن صفتك الكذب. وفى بعض المسانيد عن يعلى بن الأشدق عن عبد الله بن جراد أنه قال: «قلت يارسول الله: المؤمن يزنى؟ قال: قد يكون ذلك، فقلت: المؤمن يسرق؟ قال: قد يكون ذلك، فقلت المؤمن يكذب؟ فقال: لا، وقرأ قوله تعالى: ﴿إنما يفترى الكذب الذين لايؤمنون بآيات الله﴾»(٢) وعن أبى بكر الصديق - رضى الله عنه - أنه قال

---

(١) التغابن: ١١.

(٢) رواه الخرائطى فى مساوئ الأخلاق (ص٦٣ رقم١٣١)، وعزاه السيوطى فى الدر (٤/ ١٤٦) لابن عساكر فى تاريخه أيضًا. ورواه الخطيب فى تاريخه (٦/ ٢٧٢) من طريق يعلى بن الأشدق عن عبد الله بن جراد قال: قال أبو الدرداء: «يارسول الله، هل يكذب المؤمن؟ قال: لايؤمن بالله واليوم الآخر من إذا حدث كذب».

جنة السنة

مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ

: الكذب مجانب للإيمان .

قوله تعالى : ﴿ من كفر بالله من بعد إيمانه ﴾ نزلت الآية فى عمار بن ياسر - رضى الله عنه - أخذه المشركون، وأكرهوه على سب النبى ﷺ فطاوعهم فى بعض القول، ثم جاء إلى النبى ﷺ، فقال له النبى ﷺ : « ماوراءك؟ فقال : شر يارسول الله، لم يتركنى الكفار حتى نلت منك، وذكرت آلهتهم بخير، فقال : وكيف وجدت قلبك؟ فقال : مطمئنا بالإيمان؛ فقال : إن عادوا فعد؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية »[1] وتقدير الآية : من كفر بالله من بعد إيمانه فعليهم غضب من الله ولهم عذاب أليم إلا من أكره، وقلبه مطمئن بالإيمان ﴿ ولكن من شرح بالكفر صدراً ﴾ فحكمه ما بينا . وقوله : ﴿ شرح ﴾ أى : فتح قلبه لقبول الكفر .

قوله تعالى : ﴿ ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة ﴾ يعنى : آثروا الحياة الدنيا على الآخرة . واعلم أن المؤمن يجوز أن يطلب الدنيا، ويطلب الآخرة، ولكن لايؤثر الدنيا على الآخرة إلا الكافر. وقوله : ﴿ وأن الله لايهدى القوم الكافرين ﴾ لايرشد القوم الكافرين.

قوله تعالى : ﴿ أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون ﴾ أى : عما يراد بهم .

قوله تعالى : ﴿ لاجرم أنهم فى الآخرة هم الخاسرون ﴾ أى : حقا أنهم فى الآخرة هم المغبونون .

---

(١) رواه الطبرى (١٤ / ١٢٢)، وابن سعد (٣ / ١٨٩)، والحاكم (٢ / ٣٥٧) وصححه على شرط الشيخين، وأبو نعيم فى الحلية (١ / ١٤٠)، والبيهقى فى الكبرى (٨ / ٢٠٨ - ٢٠٩) . من طريق محمد بن عمار بن ياسر، عن أبيه .

الْخَاسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ

قوله تعالى: ﴿ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد فُتِنُوا﴾ نزلت الآية في قوم كانوا بقوا بمكة من المسلمين، وعذبهم المشركون حتى ذكروا كلمة الكفر بلسانهم، منهم عمار وخباب وصهيب وغيرهم .

وقوله: ﴿من بعد مافتنوا﴾ أي: عُذِّبوا حتى وقعوا في الفتنة ،ثم إنهم بعد ذلك هاجروا، ولحقوا بالنبي ﷺ . وقوله: ﴿ثم جاهدوا وصبروا﴾ يعني: على الجهاد والإيمان .

وقوله: ﴿إن ربك من بعدها لغفور رحيم﴾ أي: من بعد فعلتهم التي فعلوها من إعطاء الكفار بعض ما أرادوا منهم .

فإن قال قائل: إذا كان ذلك رخصة، فلا يحتاج إلى المغفرة والرحمة؟ والجواب : أنه يحتمل أنهم فعلوا مافعلوا ذلك قبل نزول الرخصة .

قوله تعالى: ﴿يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها﴾ . فإن قيل: كيف قال: تجادل، وقد سبق ذكر كل، ولفظ كل مذكر؟

والجواب عنه: أنه أعاد كلمة كل على المؤنث؛ فلهذا المعنى أنث، وهذا كما يقال: كل امرأة قائمة ،وما أشبه هذا .

وقوله: ﴿تجادل عن نفسها﴾ أي: تخاصم عن نفسها، ومجادلتهم هي قولهم: والله ربنا ماكنا مشركين، وقولهم: ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك، وما أشبه هذا من الأقوال التي ذكرت في القرآن .

وقيل: تجادل عن نفسها: تدفع عن نفسها. وروى عن كعب الأحبار أنه قال: تزفر جهنم يوم القيامة زفرة ،فلا يبقى ملك مقرَّب، ولانبي مرسل إلاخرَّ وجثى على ركبتيه، ويقول: نفسي نفسي حتى إبراهيم خليل الرحمن فيقول: ربّي لا أريد إلا نجاة نفسي، قال كعب: وهو في كتاب الله تعالى ﴿يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها﴾.

نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا

وروى أنه قال هذا بين يدى عمر – رضى الله عنه – وقد كان عمر قال له: حدثنا، ذكِّرنا. وقوله: ﴿وتوفى كل نفس ما عملت وهم لايظلمون﴾ ظاهر المعنى .

قوله تعالى: ﴿وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة﴾ الآية .أكثر أهل التفسير: أن القرية ها هنا هى مكة–وقوله: ﴿يأتيها رزقها رغداً من كل مكان﴾ هو معنى قوله تعالى: ﴿وارزقهم من الثمرات﴾(١).

وقوله: ﴿فكفرت بأنعم الله﴾ الأنعم: جمع النعمة. وقوله: ﴿فأذاقها الله لباس الجوع والخوف﴾ ذكر الذوق، لأن المراد من لباس الجوع والخوف التعذيب، ويستقيم أن يُقال فى التعذيب: ذق، كما قال تعالى: ﴿ذق إنك أنت العزيز الكريم﴾(٢).

والمعنى: أن العذاب يتجدد إدراكه كل ساعة كالذوق .

روى أن الله تعالى سلط عليهم القحط سبع سنين حتى أكلوا (الطعام)(٣) المحترقة والعلهز، وهو الوبر بالدم، حتى كان ينظر أحدهم إلى السماء فيرى كشبه الدخان من الجوع»(٤).

﴿والخوف﴾ هو الخوف من القتل، ومن سرايا النبى ﷺ .

والمراد من القرية :أهل القرية، وهو مثل قوله تعالى: ﴿واسأل القرية﴾(٥) وكذلك قوله: ﴿آمنة﴾ أى: آمن أهلها، وكذلك مطمئنة .

وفى الآية قول آخر: وهو أنه كل بلد من بلدان الكفار .

---

(١) إبراهيم: ٣٧.

(٢) الدخان: ٤٩.

(٣) كذا فى« الأصل،وك»، وأظنها « العظام»، وهو موافق لما جاء فى صحيح البخارى وغيره: أنهم أكلوا العظام والميتة، والله أعلم.

(٤) متفق عليه من حديث عبد الله بن مسعود، رواه البخارى (٢/ ٥٧٢ رقم ١٠٠٧ وأطرافه: ١٠٢٠، ٤٦٩٣، ٤٧٦٧، ٤٧٧٤، ٤٨٠٩، ٤٨٢٠، ٤٨٢٥)، ومسلم (١٧/ ٢٠٥ – ٢٠٧ رقم: ٢٧٩٨).

(٥) يوسف: ٨٢.

جنة السنة

يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١١٣﴾
فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالاً طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا
حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا
عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا

وفى الآية قول ثالث: وهو أنها المدينة، وكفران أهلها بأنعم الله هو ما فعلوا بعد النبى ﷺ من قتل عثمان ،وما يعقبه من الأمور، وهو قول ضعيف. وأما ذكر اللباس فى الآية، فلأن من جاع لحقه من الهزال والشحوب والتغير مايزيد ظاهره عما كان من قبل؛ فجعل ذلك كاللباس لجلوده .

وقوله: ﴿ بما كانوا يصنعون ﴾ أى: يكفرون .

قوله تعالى: ﴿ ولقد جاءهم رسول منهم ﴾ أى: محمد ﷺ، وقوله: ﴿ منهم ﴾ أى: نسبهم، وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ابن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

وقوله: ﴿ فكذبوه ﴾ أى: كفروا به. وقوله: ﴿ فأخذهم العذاب وهم ظالمون ﴾ أى: كافرون. قوله تعالى: ﴿ فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبًا واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون ﴾ قد بينا المعنى.

قوله تعالى: ﴿ إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن أضطر غير باغ ولا عاد ﴾ معنى قوله: ﴿ باغ ﴾ أى: طالب بذلك ليتقوى على المعصية ﴿ ولاعاد ﴾ أى: لايتعدى القدر الذى جوَّز له من التناول، وهذا دليل على أن العاصى فى السفر لايترخص بهذه الرخصة .

وقوله: ﴿ فإن الله غفور رحيم ﴾ ظاهر المعنى.

قوله: ﴿ ولاتقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب ﴾ يعنى: لوصف ألسنتكم الكذب. وقوله: ﴿ هذا حلال وهذا حرام ﴾ المراد منه: ماذكروه فى البحيرة والسائبة

حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾ إِنَّ

والوصيلة والحام، وقد كانوا يحلونها لقوم، ويحرمونها على قوم. وقوله: ﴿لتفتروا على الله الكذب﴾ أى: لتختلقوا على الله الكذب. وقوله: ﴿إن الذين يفترون على الله الكذب لايفلحون﴾ أى: لايفوزون.

قوله تعالى: ﴿متاع قليل ولهم عذاب أليم﴾ أى: عيشهم فى الدنيا متاع قليل، ﴿ولهم عذاب أليم﴾ أى: وجيع.

قوله تعالى: ﴿وعلى الذين هادوا حرمنا ماقصصنا عليك من قبل﴾ معناه: ماذكره فى سورة الأنعام، وهو قوله تعالى: ﴿وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر﴾(١). وقوله: ﴿وما ظلمناهم﴾ أى: مانقصنا من حقهم ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ أى: هم الذين نقصوا من حقوقهم.

قوله تعالى: ﴿ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة﴾ قال أهل العلم: وكل من عمل بمعصية، فهو من داعى الجهالة. وقوله: ﴿ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا﴾ شرط الصلاح هاهنا، ومعناه: الاستقامة على التوبة. وقوله: ﴿إن ربك من بعدها لغفور رحيم﴾ أى: من بعد الفعلة التى تابوا عنها.

قوله تعالى: ﴿إن إبرهيم كان أمة﴾ فى الأمة أقوال، أحسن الأقاويل ما حكاه مسروق عن ابن مسعود أنه المعلم للخير، وهو الذى يقتدى به ويؤتم؛ وروى أن عبد الله بن مسعود قال بعد موت معاذ بن جبل: كان معاذ بن جبل أمة، وأراد به هذا المعنى.

القول الثانى: كان أمة، أى: إمام هدى، والقول الثالث: كان أمة أى: كان مؤمنا

---

(١) الأنعام: ١٤٦.

إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ
وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ
الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا

بالله، وجميع الناس كافرون. وقوله: ﴿قانتًا لله﴾ قال ابن مسعود: مطيعا لله، وقال غيره: قائمًا بأوامر الله، وقيل: دائما على العبادة.

وقوله: ﴿حنيفًا﴾ أى: مخلصًا، وقيل: مستقيما على الدين.

قوله: ﴿ولم يك من المشركين﴾ أى: ممن يعبد الأصنام، وقال بعض أهل المعانى: كان يرى العطاء والمنع من الله.

قوله: ﴿شاكرًا لأنعمه﴾ أى: لنعمه. وقوله: ﴿اجتباه وهداه﴾ أى: اختاره وأرشده. وقوله: ﴿إلى صراط مستقيم﴾ أى: إلى دين الحق.

قوله: ﴿وأتيناه فى الدنيا حسنة﴾ قيل: هى النبوة، وقيل: لسان الصدق، وقيل: التنويه لذكره بطاعته لربه، وقيل: قبول كل أهل الملل له، وقيل: ضيافته ودعاء الناس له إلى يوم القيامة. وقوله: ﴿وإنه فى الآخرة لمن الصالحين﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفًا﴾ هذا دليل على أنه يجوز للفاضل أن يتبع المفضول. وقوله: ﴿وماكان من المشركين﴾ ظاهر المعنى.

وقد قال بعض أهل الأصول: إن النبى ﷺ كان مأمورًا بشريعة إبراهيم إلا مانسخ فى شريعته بدليل هذه الآية، وقد قيل غير هذا، والصحيح أنه كان مأمورًا باتباع شريعته فى بعض الأشياء، وصار ذلك شريعة له.

قوله تعالى: ﴿إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه﴾ معناه: إنما جعل السبت لعنة على الذين اختلفوا فيه. وقوله: ﴿اختلفوا فيه﴾ أى: خالفوا فيه، وقال

جنة السنة

كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾

بعضهم: اختلفوا فيه أى: حرَّم بعضهم، وأحلَّ بعضهم يعنى: السبت.

وقال مجاهد: كان الله تعالى أمرهم بالجمعة فأبوا، وطلبوا السبت فشدد عليهم فيه، وكذلك النصارى أمروا بالجمعة فأبوا، وطلبوا الأحد، وأعطى الله تعالى الجمعة لهذه الأمة فقبلوا، وبورك لهم فيها، وفى الباب خبر صحيح قد بيناه من قبل(١).

قوله: ﴿وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ ظاهر المعنى. قوله تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك﴾ إلى دين ربك. وقوله: ﴿بالحكمة﴾ أى: بالقرآن، وقيل: الحكمة معرفة الأشياء على مراتبها فى الحسن والقبح، وقيل: الدعاء بالحكمة هو الرد عن القبيح إلى الحسن بشرط العلم.

وقوله: ﴿والموعظة الحسنة﴾ الموعظة هى الدعاء إلى الله بالترغيب والترهيب، وقيل: الموعظة الحسنة هى القول اللين الرقيق من غير غلظة ولاتعنيف.

وقوله: ﴿وجادلهم بالتى هى أحسن﴾ أى: مع الإعراض عن أذاهم لك والصبر على مكروههم، وقد نسخ هذا بآية السيف.

وقوله: ﴿إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به﴾ أكثر أهل التفسير أن هذه الآية نزلت فيما فعله المشركون بحمزة وأصحابه؛ فإنه يروى: «أن النبى - ﷺ - مرَّ عليه، وقد بقر بطنه، وأُخذ كبده، وقطعت مذاكيره وجعلت فى فيه؛ فرأى أمرًا فظيعًا؛ فقال: لئن قدرت عليهم لأمثلن بسبعين منهم، وروى أن الصحابة قالوا قريبًا

(١) تقدم تخريجه.

وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

من هذا القول فأنزل الله تعالى هذه الآية »[١].

وقد قال زيد بن أسلم والضحاك: إن الآية مكية، وليست فى حمزة وأصحابه، والأصح هو الأول .

وقوله: ﴿ ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ﴾ يعنى: لئن عفوتم ﴿ لهو خير للصابرين ﴾ أى: خير للعافين، وقد تحقق هذا العفو فى حق وحشى قاتل حمزة بعدما أسلم، وكذلك هذا فى كل المشركين الذين أسلموا .

قوله تعالى: ﴿ واصبر وماصبرك إلا بالله ﴾ أى: بمعونة الله. وقوله: ﴿ ولاتحزن عليهم ﴾ أى: لاتحزن على أفعالهم وإبائهم للإسلام .

وقوله: ﴿ ولاتك فى ضَيْقٍ مما يمكرون ﴾ قرئ: « فى ضِيق »، ومعنى القراءتين: لايضيقن صدرك ﴿ مما يمكرون ﴾ أى: يشركون، وقيل: مما فعلوا من الأفاعيل .

قوله تعالى: ﴿ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾ يعنى: اتقو المناهى ﴿ والذين هم محسنون ﴾ بأداء الفرائض، [وقوله][٢]: ﴿ مع ﴾ بالحفظ والنصرة والمعونة، والله أعلم .

---

(١) رواه البزار - كما فى مختصر زوائده - (٢ / ٣١رقم١٣٧٥)، والطبرانى فى الكبير (٣ / ١٤٣رقم٢٩٧٣)، والحاكم (٣ / ١٩٧)، والبيهقى فى الدلائل (٣ / ٢٨٨)، والواحدى فى أسباب النزول (ص٢١٤) من حديث أبى هريرة. وقال الهيثمى فى المجمع (٦ / ١٢٢): رواه البزار، والطبرانى، وفيه صالح بن بشير المرى، وهو ضعيف.
وله شاهد من حديث ابن عباس، رواه البيهقى فى الدلائل (٣ / ٢٨٨)، والواحدى فى أسباب النزول (ص٢١٤)، وعزاه السيوطى فى الدر (٤ / ١٥٠) لابن المنذر، والطبرانى، وابن مردويه.

(٢) فى « الأصل وك »: وقولهم، والصواب ما أثبتناه.

جنة السنة

بسم الله الرحمن الرحيم

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ

تفسير سورة بنى إسرائيل

وهى مكية إلا خمس آيات، سنذكرها فى مواضعها.

وروى عن عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - قال: سورة بنى إسرائيل والكهف ومريم وطه من تلادى، وهن من العتاق الأول.

قوله تعالى: ﴿سبحان الذى أسرى بعبده﴾ سبحان: تنزيه الله من كل سوء، وحقيقته تعظيم الله بوصف المبالغة، ووصفه بالبراءة من كل نقص.

وكلمة سبحان؛ كلمة ممتنعة لايجوز أن يوصف بها غير الله؛ لأن المبالغة فى التعظيم لا تليق لغير الله، ولاتنصرف حسب ماينصرف كثير من المصادر؛ لأنه لما لم يستقم الوصف به لغير الله، ولم تنصرف جهاته لزم أيضاً منهاجاً واحداً فى الصرف.

وأما التسبيح فى القرآن على وجوه: قد ورد بمعنى الصلاة، قال الله تعالى: ﴿فلولا أنه كان من المسبحين﴾(١) أى: من المصلين.

وورد بمعنى الاستثناء، قال الله تعالى: ﴿قال أوسطهم ألم أقل لكم لولاتسبحون﴾(٢) أى: تستثنون.

وورد بمعنى التنزيه. وهو قوله تعالى: ﴿سبحان الذى أسرى بعبده﴾، وورد فى الخبر بمعنى النور، وهو فى الخبر الذى قال ﷺ: «لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره»(٣) أى: نور وجهه، وقد ورد فى الخبر عن النبى ﷺ «أنه فسر سبحان الله

---

(١) الصافات: ١٤٣. (٢) ن: ٢٨.

(٣) رواه مسلم فى صحيحه (٣/١٦-١٧رقم١٧٩)، وابن ماجة (١/٧٠ - ٧١ رقم ١٩٥، ١٩٦)، وأحمد (٤/٤٠١، ٤٠٥) من حديث أبى موسى.

جنة السنة

بتنزيه الله من كل سوء» .(١)

وقوله : ﴿ أسرى بعبده ﴾ يقال : أسرى به إذا سيره ليلا، وكذا سرى به . قال الشاعر :

وليلة ذات ندى سريت ... ولم يلتني عن سراها ليت

وقوله : ﴿ بعبده ﴾ أى : بمحمد ﷺ، وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال : «إن الله اتخذنى عبدا قبل أن يتخذنى رسولاً» .

وقوله : ﴿ ليلاً ﴾ ذكر ليلا؛ لينبه أنه كان فى طائفة منه .

وقرأ ابن مسعود : «أسرى بعبده من الليل» . وقوله : ﴿ من المسجد الحرام ﴾ اختلفوا فى الموضع الذى أسرى منه برسول الله ﷺ ؛ فأحد القولين : أنه من المسجد الحرام، وعليه يدل ظاهر الآية .

وعن محمد بن على الباقر : أن النبى ﷺ قال : «كنت نائمًا فى الحجر، فأتانى جبريل – عليه السلام – وحركنى حركة لطيفة، وقال : يا محمد، قم وافدا إلى ربك» .

والقول الثانى : أنه أسرى به من بيت أم هانئ بنت أبى طالب، وهذا فى رواية أبى صالح عن ابن عباس .

(١) رواه البزار (٢/٤٠٣–٤٠٤ رقم ٢٠٩٩)، والحاكم (١/٥٠٢) والطبرانى فى الدعاء (٣/١٥٩١ – ١٥٩٢ رقم ١٧٥١،١٧٥٢)، والدارقطنى فى العلل (٤/٢٠٨ – ٢٠٩ رقم ٥١٤) والبيهقى فى الأسماء والصفات (ص٣٧)، وابن حبان فى المجروحين (٢/٦٠) من حديث طلحة بن عبيد الله . وقال الحاكم : صحيح الإسناد فتعقبه الذهبى بقوله : بل لم يصح؛ فإن طلحة – هو ابن يحيى – منكر الحديث، قاله البخارى، وحفص واهى الحديث، وعبد الرحمن، قال أبو حاتم منكر الحديث . وقد روى هذا الحديث مرسلاً، وقال الدارقطنى فى العلل : وهو أصح .

جنة السنة

﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝١﴾

واختلف القول فى الوقت الذى أسرى به؛ قال مقاتل: كان قبل الهجرة بسنة، ويقال: إنه كان فى رجب، ويقال: فى رمضان. وقال بعضهم أسرى به وهو ابن إحدى وخمسين سنة وتسعة أشهر وثمانية وعشرين يوماً، والله أعلم.

وقوله: ﴿إلى المسجد الأقصى﴾ يعنى: إلى مسجد بيت المقدس، وسماه الأقصى لبعده من المسجد الحرام.

وقوله: ﴿الذى باركنا حوله﴾ يعنى: بالماء والشجر، وقيل: باركنا حوله؛ لأنه (مواضع)[1] الأنبياء ومهبط الملائكة.

قوله: ﴿لنريه من آياتنا﴾ أى: من عجائب قدرتنا، وقد رأى هناك الأنبياء، ورأى آثارهم.

وقوله: ﴿إنه هو السميع البصير﴾ - ذكر السميع هاهنا لينبه على أنه المجيب لدعائه، وذكر البصير لينبه على أنه كان الحافظ له فى ظلمة الليل.

وأما الكلام فى الإسراء فاختلف القول على أنه أسرى بجسمه وروحه أم بروحه؟ فالأكثرون على أنه أسرى بجسمه وروحه جميعاً. وعن عائشة - رضى عنها الله - أنها قالت: ما فقد جسم رسول الله ﷺ وإنما أسرى بروحه؟

وقد تواترت الأخبار الصحيحة على مايوافق القول الأول، وأتمها حديث أنس عن مالك بن صعصعة ،عن النبى ﷺ، وفيه: أنه أسرى به إلى بيت المقدس ثم منه إلى السماء، واستفتح جبريل السماء الدنيا، فقيل له: ومن معك؟ فقال: محمد عليه السلام.

فقالوا: أو بعث؟ قال: نعم.

(١) فى «ك»: موضع.

قالوا: مرحبًا به، فنعم المجيء جاء، وهكذا فى كل سماء، وذكر فيه: أنه رأى فى السماء الدنيا آدم - عليه السلام - وفى السماء الثانية ابنى الخالة عيسى ويحيى، وفى السماء الثالثة يوسف، وفى السماء الرابعة إدريس عليه السلام، وفى السماء الخامسة هارون، وفى السماء السادسة موسى، وفى السماء السابعة إبراهيم، وفيه أنه قال: «رفعت إلى سدرة المنتهى، فإذا أوراقها كآذان الفيلة، وإذا نبقها كقلال هجر، ورأيت أربعة أنهار يخرج من أصلها نهران باطنان ونهران ظاهران؛ فأما الباطنان فى الجنة، وأما الظاهران: فالنيل والفرات، وذكر فيه أن الله تعالى فرض عليه خمسين صلاة.. القصة بطولها إلى أن ردت إلى الخمس(١).

وقد روى شبهًا بهذه القصة جماعة من الصحابة منهم: ابن عباس، وأبو موسى الأشعرى، وحذيفة بن اليمان، وأبو هريرة، وغيرهم.

وروى معمر عن قتادة عن أنس عن النبى ﷺ «أن جبريل عليه السلام جاء بالبراق مسرجًا ملجمًا، فأراد الرسول أن يركبها فاستعصت عليه، فقال لها جبريل: والله ماركبك أحد أكرم على الله منه فارفض به عرقًا». ذكره أبو عيسى فى جامعه(٢).

وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «أتيت بدابة دون البغلة وفوق الحمار، خطوها عند منتهى بصرها»(٣). وثبت أيضا عن النبى ﷺ أنه قال: «رأيت موسى ليلة أسرى بى، كأنه من رجال شنوءة، ورأيت عيسى ربعة أحمر، كأنه خرج من ديماس، ورأيت

(١) متفق عليه، رواه البخارى (٦/٣٤٨ - ٣٥٠ رقم٣٢٠٧ وأطرافه فى ٣٣٩٣، ٣٤٣٠، ٣٨٨٧)، ومسلم (٢/٢٩٠ - ٢٩٣ رقم١٦٤).

(٢) جامع الترمذى (٥/٢٨١ رقم٣١٣١)، وقال: حسن غريب، لانعرفه إلا من حديث عبد الرزاق. ورواه أحمد (٣/١٦٤)، وعبد بن حميد - كما فى المنتخب (ص٣٥٧ رقم١٨٥). والطبرى فى تفسيره (١٥/١٥)، وابن الأعرابى فى معجمه (٢/١٨١ رقم ٨٩٤) والبيهقى فى الدلائل (٢/٣٦٢ - ٣٦٣) وأبو نعيم فى الحلية (٩/٢٢٨)، والخطيب فى التاريخ (٣/٤٣٦).

(٣) هو جزء من حديث مالك بن صعصعة السابق.

وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ

إبراهيم وصاحبكم أشبه الناس به ﷺ»(١).

وفى هذا الخبر أنه قال: «أتيت بإناءين فى أحدهما لبن، وفى الآخر خمر، فأخذت اللبن وشربته، فقال جبريل: أصبت الفطرة، أما إنك لو أخذت الخمر غوت أمتك»(١)

وفى القصة: أنه لما أصبح تحدث الناس بمسراه، [ففتن](٢) كثير من الناس، وارتد جماعة ممن آمن به وصدق، وجاء المشركون إلى أبى بكر - رضى الله عنه - وقالوا له: ألا ترى إلى صاحبك يحدث أنه أسرى به إلى بيت المقدس ورجع من ليلته، ونحن نضرب أكباد الإبل شهرا حتى نصل إليه! فقال أبو بكر: إن كان قال ذلك فقد صدق، فقالوا له: أتصدق بمثل هذا؟! قال: نعم، وأكثر منه، فأنا أصدقه أنه يأتيه خبر السماء فى غدوة أو روحة .

وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «كنت قائمًا فى الحجر، فرفع لى بيت المقدس (فجعلت أنعته)(٣) لهم»(٤) وهذا حين سألوه عن وصفه.

وفى القصة: أن المشركين سألوه عن ركب لهم فى الطريق فقال: قد بلغ موضع كذا، ويقدمه جمل أورق، قالوا: ومتى يصل؟ قال: مع طلوع الشمس، فخرج بعضهم يرتقبون العير، وبعضهم يرتقبون طلوع الشمس، فقال أولئك: هذا العير قد أقبل، وقال هؤلاء: هذه الشمس قد طلعت .

(١) متفق عليه من حديث أبى هريرة رواه البخارى (٦/٤٩٣ - ٤٩٤ رقم ٣٣٩٤، وأطرافه فى ٣٤٣٧، ٤٧٠٩، ٥٥٧٦، ٥٦٠٣)، ومسلم (٢/٣٠٠ - ٣٠٢ رقم ١٦٨).

(٢) فى «الأصل وك»: فتن.

(٣) فى «ك»: فصرت أنعت.

(٤) متفق عليه عن جابر بنحوه، فرواه البخارى (٧/٢٣٦ رقم ٣٨٨٦ وطرفه فى ٤٧١٠)، ومسلم (١/٣٠٧ رقم ١٧٠).

جنة السنة

وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلاَّ تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلاً ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ

وروى أنه ﷺ قال: «مررت بإناء مغطى وهو ملآن ماء فشربت بعضه وتركته»(١) فسئل الركب عن ذلك فأخبروا بصورته .

قوله تعالى: ﴿ وآتينا موسى الكتاب ﴾ الآية يعنى: أعطينا موسى الكتاب، وهو التوراة .

وقوله: ﴿ وجعلناه هدى لبنى إسرائيل ﴾ أى: يهتدى به بنو إسرائيل. وقوله: ﴿ ألا تتخذوا ﴾ قرئ بقراءتين: بالتاء، والياء، فمن قرأ بالتاء فمعناه: وآتينا موسى الكتاب آمرين ألاتتخذوا، ومن قرأ بالياء فمعناه: وعهدنا إليهم ألا يتخذوا. قوله: ﴿ من دونى وكيلا ﴾ أى: شريكًا، وقيل معناه: أمرناهم أن لايتوكلوا على غيرى، ولايتخذوا أربابا دونى .

قوله تعالى: ﴿ ذرية من حملنا مع نوح ﴾ معناه: ياذرية من حملنا مع نوح، وقرأ مجاهد بنصب الذال. وعن زيد بن ثابت فى بعض الروايات: «ذِرِّيَّةَ من حملنا مع نوح» بكسر الذال. وإنما قال: ﴿ ذرية من حملنا مع نوح ﴾ لأن الخلق الآن من أولاد نوح على مابينا من قبل .

وقوله: ﴿ من حملنا ﴾ أى: فى السفينة .

وقوله: ﴿ إنه كان عبداً شكوراً ﴾ سمى نوحًا لكثرة نوحه على نفسه، وقيل: كان اسمه عبد الغفار. ذكره النقاش فى تفسيره.

وأما شكره: فروى أنه كان إذا أكل قال: الحمد الله، وإذا شرب قال: الحمد الله،

---

(١) ذكره البغوى فى تفسيره (٣/٩٦ - ٩٧) بدون إسناد، وبنحوه عن أم هانىء رواه أبو يعلى فى معجمه ص٦٣ - ٦٧ رقم ١٠، ورواه الطبرانى فى معجمه الكبير (٢٣/٤٣٢ - ٤٣٤ رقم ١٠٥٩) عنها بإسناد آخر، قال الهيثمى فى المجمع (١/٨١): رواه الطبرانى فى الكبير وفيه عبد الأعلى بن أبى المساور متروك كذاب.

وإذا لبس قال: الحمد لله، وفى بعض الروايات: أنه إذا دخل قال: الحمد لله، وإذا خرج قال: الحمد لله، وكذا فى القيام والقعود .

وروى أنه لم يخط خطوة إلا ذكر الله تعالى، فقال: ﴿إنه كان عبداً شكوراً﴾ أى: كثير الشكر .

قوله تعالى: ﴿وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب﴾ الآية. القضاء: فصل الأمر بالأحكام، ومعنى قضينا هاهنا أى: أوحينا، وأعلمنا .

وقيل معناه: وقضينا على بنى إسرائيل فى الكتاب .

وقوله: ﴿لتفسدن فى الأرض مرتين﴾ أى لتعصن فى الأرض مرتين. وقوله: ﴿ولتعلن﴾ أى: لتتعظمن وتبغن وتتكبرن .

وقوله: ﴿علواً كبيراً﴾ أى: كبرا عظيما .

قوله تعالى: ﴿فإذا جاء وعد أولاهما﴾ يعنى: أولى المرتين. وفى القصة: أن فسادهم فى المرة الأولى وكان بقتل إشعيا النبى - عليه السلام - وارتكابهم المعاصى، ورفضهم ما أمروا به. وفى بعض التفاسير: أنهم عبدوا الأوثان.

والأرض المذكورة: أرض الشام، وأرض بيت المقدس. وقوله: ﴿بعثنا عليكم عباداً لنا﴾ هذا البعث هو مثل قوله تعالى: ﴿أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين﴾(١) فيجوز أن تكون بمعنى التسليط، ويجوز أن تكون بمعنى التخلية بينهم وبين القوم، [واختلفت](٢) الأقاويل فى أنهم مَنْ كانوا؟

قال ابن عباس: هم جالوت وقومه، وقال سعيد بن المسيب: بخت نصر الفارسى،

---

(١) مريم: ٨٣.

(٢) فى «الأصل، وك»: اختلف.

شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولاً ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ

وقال غيره: سنحاريب الملك، وقال بعضهم: العمالقة. وأظهر الأقاويل أنه بخت نصر، وروى عن مجاهد أنه قال: ملك الأرض أربعة: مؤمنان، وكافران؛ أما المؤمنان: فسليمان، وذو القرنين - عليهما السلام - وأما الكافران: فنمروذ، وبخت نصر .

قال الشيخ الإمام الأجل: أخبرنا بهذا أبو على الشافعى بمكة قال: أخبرنا أبو الحسن بن فراس قال: أنا أبو جعفر محمد بن إبراهيم الديبلى وقال: أنا سعيد بن عبد الرحمن المخزومى قال: أنا [سفيان][(١)] بن عيينة عن داود بن شابور عن مجاهد .

وقوله: ﴿ أولى بأس شديد ﴾ أى: أولى قوة شديدة .

وقوله: ﴿ فجاسوا خلال الديار ﴾ والجوس: طلب الشيء بالاستقصاء .

قال الزجاج: طلبوا خلال الديار هل بقى أحد فيقتل؟ وخلال الديار وسط الديار .

وقوله: ﴿ وكان وعداً مفعولا ﴾ أى: وعداً لابد منه. قال الشاعر:

فى الجوس جسنا إليك الليل بالمطى

قوله تعالى: ﴿ ثم رددنا لكم الكرّة عليهم ﴾ أى: الدولة عليهم، وفى القصة: أن هذا التخريب كان بعد ملك سليمان، وأن بخت نصر قتل المقاتلة، وسبى الذرية، وخرب بيت المقدس، وألقى الجيف فى مسجده، وكان من موت عزير النبى مائة سنة فى هذا التخريب، وما قص الله من أمره فى سورة البقرة، ثم إن الله تعالى رد الدولة إلى بنى إسرائيل حتى عمروا ماخرب .

وفى بعض القصص: أن الله تعالى أرسل ملكا إليهم حتى رد العمارات، واستنقذ

(١) فى «الأصل وك»: نصر، وهو تحريف، والصواب ما أثبتناه، وهذا إسناد دائر للمصنف لتفسير ابن عيينة وانظر ترجمة الديبلى فى الأنساب (٢/٥٢٣ - ٥٢٤)، وابن فراس (٤/١٤٣ - مادة: العبقسى).

أَسأْتُمْ فلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾

الأسارى، وعاد البلد أفضل مما كان. فهذا معنى قوله: ﴿ثم رددنا لكم الكرّة عليهم﴾ وفي تعذيب بخت نصر ومسخه قصة طويلة ليس هذا موضعه.

وقوله: ﴿وأمددناكم بأموال وبنين﴾ ظاهر المعنى. وقوله: ﴿وجعلناكم أكثر نفيرًا﴾ أى: أكثر عددًا.

قال الشاعر:

وأكرم بقحطان من معشر وحمير أكـرم بقوم نفيرًا

قوله تعالى: ﴿إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم﴾ يعنى: جلبتم النفع إليها.

وقوله: ﴿وإن أسأتم فلها﴾ أى: فعليها.

وقوله: ﴿فإذا جاء وعد الآخرة﴾ يعنى: وعد الكرة الآخرة. وقوله: ﴿ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة﴾ قرئ هكذا، وقرئ: «ليسوء وجوهكم» مقصور، وعن على – رضى الله عنه –: «لِنسوء وجوهكم» بالنون، وهو اختيار الكسائى، وفى الشاذ: «لَنسوء وجوهكم» بفتح اللام. أما قوله: ﴿ليسوء وجوهكم﴾ بالياء يعنى: أولئك القوم يسوءوا وجوهكم: وقوله: ﴿لَيسوءوا وجوهكم﴾ أى: لَيسوء الوعد وجوهكم.

وقوله: «لنسوء» بالنون ظاهر المعنى، وسوء الوجه بإدخال الغم والحزن.

وقوله: ﴿وليتبروا ما علو تتبيرًا﴾ أى: ليخربوا، ويدمروا ما علوا عليه – أى: ما ظهروا – تخريبًا.

قال الشاعر:

وما الناس إلا عاملان فعامل يتبر ما يبنى وآخـــر رافـع

وفى القصة: أن فسادهم الثانى كان بقتل يحيى بن زكريا – عليهما السلام –

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ۝٨ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾

وكان سبب قتله، أن بغية من بغايا بنى إسرائيل طلبت من الملك أن يقتله فقتله، فلما قتله، ووقع دمه على الأرض، جعل يغلى فلا يسكن بشىء، وسلط الله عليهم عدوهم.

فقيل: إن العدو فى الكرة الثانية كان بخت نصر، وفى الأولى جالوت. وقيل: إن العدو فى المرة الثانية كان ملكًا من الروم، جاء وخرب بيت المقدس، وقتل المقاتلة، وسبى الذرية.

فروى أنه استصعب عليه فتح المدينة، فقالت عجوز: أيها الملك، أتريد أن تفتح هذه المدينة؟ فقال: نعم، فقالت: قل اللهم إنى أستفتحك هذه المدينة بدم يحيى بن زكريا، فقال هذا القول، فتساقطت حيطان المدينة؛ فدخل بالسيف يقتل، ووصل إلى المكان الذى يغلى فيه دم يحيى. فقال: لأقتلن عليه الناس حتى يسكن الدم؛ فقتل عليه أربعين ألفًا فلم يسكن، فقتل خمسين ألفًا فلم يسكن، فقتل ستين ألفًا فلم يسكن، فقال: والله لا أزال أقتل عليه حتى يسكن، فاستكمل سبعين ألفًا فسكن، وقيل: ثمانين ألفًا.

وقوله تعالى: ﴿عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا﴾ قال مجاهد: عسى من الله واجب.

وقوله: ﴿أن يرحمكم﴾ أى: يرد الدولة إليكم بعد زوالها. وفى القصة: أن الله تعالى رد إليهم الدولة، وعمَّر بيت المقدس بعد ما خرب، [و][1] عاد ملكم على ما كان.

وقوله: ﴿وإن عدتم عدنا﴾ معناه: وإن عدتم إلى المعصية عدنا إلى الانتقام. فروى عن إبراهيم النخعى أنه قال: عادوا إلى المعصية، فانتقم الله منهم بالعرب، فهم مقهورون مستذلون إلى يوم القيامة، وقيل: بمحمد ﷺ. والقولان متقاربان فى المعنى.

(١) ليست فى «الأصل» ولا «ك».

جنة السنة

وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ

وقوله: ﴿ وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً ﴾ قال مجاهد: محبساً، وقيل: حصيراً أى: حاصراً، فعيل بمعنى فاعل، قاله ابن قتيبة.

والحصر هو الحبس، والسجن يسمى حصيراً فى اللغة.

قوله تعالى: ﴿ إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ﴾ فيه قولان: أحدهما: للكلمة التى هى أقوم، وأقوم أى: أعدل، والكلمة هى شهادة أن لا إله إلا الله.

والقول الثانى: قاله الزجاج ﴿ يهدى للتى هى أقوم ﴾ أى: للحال التى هى أقوم، والحال التى هى أقوم: توحيد الله، واتباع رسله، وطواعيته فى أوامره.

وقوله: ﴿ ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ﴾ يعنى: القرآن يبشر الذين يعملون الصالحات.

وقوله: ﴿ أن لهم أجراً كبيراً ﴾ أى: عظيماً.

وقوله: ﴿ وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة ﴾ معناه: ويبشر الذين لا يؤمنون بالآخرة أنَّا ﴿ أعتدنا لهم عذاباً أليماً ﴾ أى: أعددنا. والبشارة هاهنا بمعنى الخبر؛ لأن العرب لا تضع البشارة إلا فى موضع السرور.

وحقيقة المعنى أى: ضع هذا الخبر لهم موضع البشارة.

قوله تعالى: ﴿ ويدعو الإنسان بالشر دعاءه بالخير وكان الإنسان عجولا ﴾ دعاء الإنسان بالشر هو أن يدعو على نفسه وأهله وولده حالة الغضب، فيقول: اللهم أهلكهم، اللهم العنهم، وربما يقول لنفسه هذه المقالة.

وقوله: ﴿ دعاءه بالخير ﴾ أى: كدعائه بالخير، ويقال: إن هذه الآية نزلت فى النضر ابن الحارث فإنه قال: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم

فاستجاب الله له، وضربت عنقه صبراً يوم بدر.

وروى عن النبى ﷺ أنه قال: «اللهم إني بشر، أغضب كما يغضب البشر، وأيما مسلم لعنته، أو سببته فاجعلها له صلاة ورحمة»(١).

وفى بعض الأخبار: «أتى النبى ﷺ بأسير فسلمه إلى سودة بنت زمعة لتحفظه، وكان الأسير أتى مشدوداً فجعل جميع الليل يئن، فقامت سودة، وأرخت من وثاقه؛ فهرب الأسير، فلما دخل رسول الله ﷺ قال لها: أين الأسير؟ فذكرت له ذلك فقال: قطع الله يدك، وبعث خلف الأسير من رده، فأخرجت سودة يدها؛ ليجيء من يقطعها بدعاء النبى ﷺ؛ فدخل عليها النبى ﷺ، ورآها على تلك الحالة، فسألها: ممن هذا؟ فقالت: لدعائك يا رسول الله؛ فقال رسول الله ﷺ: «اللهم إنى بشر أغضب كما يغضب البشر..»(٢) الخبر.

وقوله: ﴿وكان الإنسان عجولا﴾ يعنى: أنه يعجل بدعاء الشر، والله لا يعجل بالإجابة.

وفى الآية قول وهو أن هذا فى آدم صلوات الله عليه، وفى القصة: أن الله تعالى أدخل الروح فى رأسه، فجعل ينظر إلى نفسه كيف يخلق! فلما بلغ الروح وسطه أراد أن يقوم فلم يقدر، فقال الله تعالى: «وخلق الإنسان عجولا».

هذا محكى عن قتادة وغيره، وعن سلمان الفارسى أن الله خلق آدم فى آخر ساعة

(١) متفق عليه، وقد تقدم فى سورة يونس.

(٢) قال الحافظ الزيلعى فى تخريج الكشاف (٢/ ٢٦٠): غريب من حديث سودة، وقال الحافظ ابن حجر فى تلخيص تخريج الكشاف: لم أجده من هذه الجهة. قلت: وقد روى مثل هذه القصة ولكن لعائشة – رضي الله عنها – كما فى المسند لأحمد (٦/ ٥٢)، والسنن الكبرى للبيهقى (٩/ ٨٩)، ولحفصة بنت عمر – رضى الله عنهما – كما فى المسند (٣/ ١٤١)، وقال الهيثمى فى المجمع (٨/ ٢٧٠): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح.

وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ

من يوم الجمعة، فجعل الروح تجرى فى جسده، ويحيى آدم فنظر إلى الشمس، وهى تغرب، فقال: يا رب، قبل الليل – أى أتم خلقى قبل الليل – فقال الله تعالى: «وخلق الإنسان عجولا».

وفى أصل الآية قول آخر؛ وهو أن معنى قوله: ﴿ويدعو الإنسان بالشر﴾ أى: يدعو بفعل المعصية كما يدعو بفعل الطاعة. قال الشاعر:

عسى فارج الهم عن يوسف ... يسخـر لـى ربة المحمـل

والصحيح ما قدمنا من قبل.

قوله: ﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين﴾ أى: علامتين دالتين على أن لهما إلها واحداً.

وقيل: علامتين على الليل والنهار، والمراد من الليل والنهار: هو الشمس والقمر.

وقوله: ﴿فمحونا آية الليل﴾ روى عن على وابن عباس أنهما قالا: المحو هو السواد الذى فى القمر.

وفى بعض الآثار أن ابن الكواء قام إلى علىٍّ فسأله عن هذا فقال: أعمى – أراد عمى القلب – يسأل عن عمياء! ثم قال: هو السواد الذى فى القمر، وقيل: إن معنى قوله: ﴿فمحونا آية الليل﴾ أى: جعلنا الليل بحيث لا يبصر فيه كما [لا](١) يبصر الكتاب إذا محى.

وقال قتادة وجماعة من المفسرين، وهو محكى أيضًا عن ابن عباس قالوا: إن الله تعالى خلق الشمس والقمر مضيئين نيرين كل واحد منهما مثل الآخر فى الضياء، فلم يكن يعرف الليل من النهار، والنهار من الليل، فأمر جبريل حتى مسح بجناحه

(١) من «ك».

وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً ﴿١٢﴾ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ

وجه القمر.

قال مقاتل: انتقص مما كان تسعة وستون جزءًا، وبقى جزء واحد.

وقوله: ﴿وجعلنا آية النهار مبصرة﴾ أى: مضيئة نيرة، وقيل: ذات أبصار أى: يبصر بها.

وقوله: ﴿لتبتغوا فضلا من ربكم﴾ بالنهار.

وقوله: ﴿ولتعلموا عدد السنين والحساب﴾ أى: عدد السنين وحساب الشهور والأيام.

وقوله: ﴿وكل شيء فصلناه تفصيلا﴾ أى: بيناه تبيينًا.

قوله تعالى: ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه﴾ روى عطاء عن ابن عباس قال معناه: ما قدر له من خير وشر.

وعن مجاهد: عمله من خير وشر، وعن الضحاك: أجله ورزقه وسعادته وشقاوته. وعن أبى عبيدة قال: حظه. وقيل: كتابه.

وعن مجاهد فى رواية أخرى: ورقة (متعلقة)(١) فى عنقه مكتوب فيها شقى أو سعيد. والأقوال متقاربة، وإنما سمى طائرًا أى: ما طار له من خير أو شر، وهذا على جهة التمثيل والتشبيه، ومن ذلك السوانح والبوارح، فالسانح: هو الذى يطير من قبل اليمين، فيتبرك به الإنسان، والبارح: هو الذى يطير من قبل الشمال، فيتشاءم به الإنسان. قال الشاعر:

تطير غدائر الإشراك شفعًا ... ووترا والزعامة للغـــلام

وقوله: ﴿ونخرج له يوم القيامة﴾ وقرئ: «ويُخْرِج له» بالياء أى: الطائر يخرج له،

---

(١) فى «ك»: معلقة.

كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَا أَرَدْنَا

وقرئ: «ويُخْرَج له يوم القيامة كتاب» على ما لم يسم فاعله، وقرئ «ويَخْرُج» بفتح الياء يعنى: عمله يخرج ﴿كتابًا﴾ يوم القيامة، كأنه يتحول العمل كتابًا فى القيامة.

وقوله: ﴿يَلْقَاهُ﴾ قرأ الحسن: «يُلقاه» بضم الياء من التلقية، وهذا فى الشاذ.

وقوله: ﴿منشورًا﴾ فى الآثار أن الله تعالى يأمر الملكين بطى الصحيفة، إذا تم عمر العبد، فلا ينشر إلى يوم القيامة، وهذا فى معنى قوله تعالى: ﴿وإذا الصحف نشرت﴾ (١).

قوله: ﴿اقرأ كتابك﴾ فيه إضمار، وهو أنه يقال له: اقرأ كتابك. قال قتادة: يقرأ كل إنسان سواء كان قارئا فى الدنيا، أو لم يكن قارئًا.

وقوله: ﴿كفى بنفسك اليوم عليك حسيبًا﴾ أى: شاهدًا قال الحسن: عدل معك من جعلك حسيب نفسك.

وقال بعضهم: يقال له هذا كتاب كان لسانك قلمه، وريقك مداده، وجوارحك قرطاسه، وكتب المملى على كاتبيك، فاقرأ ما أمليت، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه﴾ أى: نفع اهتدائه له.

وقوله: ﴿ومن ضل فإنما يضل عليها﴾ أى: وبال ضلالته عليه.

وقوله: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ يقال: نزلت هذه الآية فى الوليد بن المغيرة، فإنه قال لمن أسلم: ارجعوا إلى دينكم القديم، فإنى أحمل أوزاركم؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية، ومعناه: أنه لا يؤاخذ أحد بذنب أحد، وقيل: ليس لأحد أن يذنب، فيقول: فلان قد أذنب فأنا أتبعه، فإنى لا آخذ أحدا بذنب أحد.

وقوله: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾ هذا دليل على أن ما وجب وجب

(١) التكوير: ١٠.

أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾

بالسمع لا بالعقل، فإن الله تعالى نص أنه لا يعذب أحدا حتى يبعث الرسول.

وفى بعض المسانيد عن أبى هريرة أنه قال: إن الله تعالى يبعث يوم القيامة أهل الفترة و[المعتوه](١) والأصم والأبكم والأخرس والشيوخ الذين لم يدركوا الإسلام (فيؤجج)(٢) لهم ناراً، فيقول: ادخلوها، فيقولون: كيف ندخلها، ولم تبعث إلينا رسولا؟! ولو دخلوها لكانت عليهم برداً وسلاماً، فيرسل الله إليهم رسولا، فيطيعه من علم الله أنه يطيعه، ويعصيه من علم الله أنه يعصيه، فيفصل بينهم على ذلك.

قوله تعالى: ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية﴾ أى: أهل قرية، وقرئ ﴿أمرنا مترفيها﴾ والمعروف هذا، وقرئ: «آمرنا» - بالمد -، مترفيها» وهذا محكى عن علىّ، وقرئ «أمَّرْنَا» بالقصر والتشديد، وقرئ: «أمِرنا - بكسر الميم - مترفيها» وهذا محكى عن ابن عباس.

أما قوله: ﴿أمرنا﴾ فيه قولان: أحدهما: معناه أمرناهم بالطاعة ففسقوا وعصوا.

وهكذا روى عن ابن عباس وجماعة من التابعين منهم ابن جريج وغيره.

والقول الثانى: أمرنا أى: أكثرنا، يقال: أمر القوم: إذا كثروا، قال الشاعر:

إن يغبطوا يهبطوا وإن أمروا ... يوما يصيروا للهلْك والنكد

وأنكر الكسائى أن يكون أمرنا بمعنى أكثرنا، وقال: هو آمرنا بمعنى أكثرنا، وهذا هو اللغة الغالبة.

وأما أبو عبيدة فقال: تقول العرب: أمرنا بمعنى أكثرنا، وإنما احتجنا إلى هذا التأويل؛ لأن الله تعالى لا يأمر بالمعاصى.

وهذا باتفاق الأمة وفى الآية سؤال معروف، وهو أنه يقال: كيف يأمر مترفيها بالفسق، والله تعالى يقول: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾(٣)، ويقول: ﴿إن الله

---

(١) فى «الأصل وك»: المعتوهة. (٢) فى «ك»: متوجج. (٣) النحل: ٩٠.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾

لا يأمر بالفحشاء﴾[1]؟ والجواب ما سبق.

وفى الآية قول ثالث وهو أنه معنى قوله: ﴿أمرنا مترفيها﴾ أى: بعثنا، وفى قراءة أبى بن كعب: «وإذا أردنا أن نهلك قرية بعثنا مترفيها»، وأما قوله: «أمّرنا» بالتشديد أى: سلطنا.

وقيل: أمَّرنا أى: جعلناهم أمراء، فيجوز أن يكون بعثنا على هذا المعنى.

وأما «أمرنا» - بكسر - الميم فقد ذكروا أنه ضعيف فى اللغة.

وقوله: ﴿مترفيها﴾ أى: منعميها، والمترف: الملك المنعم، أورده ثعلب.

وقوله: ﴿ففسقوا فيها﴾ أى: عصوا فيها. ﴿فحق عليها القول﴾ أى: وجب عليها العذاب.

وقوله: ﴿فدمرناها تدميرًا﴾ أى: أهلكناها إهلاكا.

قوله تعالى: ﴿وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح﴾. اختلفوا فى القرن، فقال بعضهم: القرن مائة وعشرون سنة، وقال بعضهم: مائة سنة، وقال بعضهم: ثمانون سنة، وقال بعضهم: أربعون سنة، والمراد من القرون أهل القرون.

وقوله: ﴿وكفى بربك بذنوب عباده خبيرًا بصيرًا﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿من كان يريد العاجلة﴾ أى: الدنيا، وهذا وصف الكفار؛ لأنهم الذين يريدون الدنيا، ولا يريدون الآخرة، والآية فى قوم أرادوا العاجلة فحسب.

وقوله: ﴿عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد﴾ يعنى: لمن نريد إهلاكه.

وقوله: ﴿ثم جعلنا له جهنم يصلاها﴾ أى: يدخلها، وقيل: يقاسى حرها.

وقوله: ﴿مذمومًا مدحورًا﴾ والمذموم من الذم، والمدحور هو المطرود والمبعد من

---

(١) الأعراف: ٢٨.

﴿كُلاًّ نُّمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا (٢٠) انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً (٢١)﴾

رحمة الله، يقال: (دحره)(١) عن كذا أى: أبعده.

قوله تعالى: ﴿ومن أراد الآخرة﴾ أى: طلب الآخرة ﴿وسعى لها سعيها وهو مؤمن﴾ أى: عمل لها عملها، وهو مؤمن.

وقوله: ﴿فأولئك كان سعيهم مشكورًا﴾ أى: مقبولا.

ويقال: إن الشكر من الله هو قبول الحسنات، والتجاوز عن السيئات، وقيل معنى الآية: أنه وضع أعمالهم الموضع الذى يشكر عليها.

قوله تعالى: ﴿كلا نمد هؤلاء وهؤلاء﴾ يعنى: المؤمنين والكفار.

وقوله: ﴿من عطاء ربك﴾ أى: من رزق ربك.

وقوله: ﴿وما كان عطاء ربك محظورًا﴾ أى: ممنوعًا.

وأجمع أهل التفسير أن معنى عطاء ربك فى هذه السورة هو الدنيا، فإن الآخرة للمتقين، وليس للكفار فيها نصيب.

وفى بعض المسانيد عن النبى ﷺ أنه قال: «إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم، وإن الله تعالى يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطى الدين إلا من يحب»(٢).

قوله تعالى: ﴿انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض﴾ يعنى: الدنيا، ومعنى

(١) فى «ك»: طرده.

(٢) رواه أحمد (١/٣٨٧)، والحاكم (١/٣٣ - ٣٤) و (٢/٤٤٧) وصحح إسناده، والشاشى فى مسنده (٢/٣٠٠ - ٣٠١)، وأبو نعيم فى الحلية (٥/٣٥)، وابن عدى فى الكامل (٣/٣١١)، والبيهقى فى الشعب (١/٦٠٧)، وابن الجوزى فى العلل (٢/٨٣٧) من طرق عن مرة عن عبد الله مرفوعًا.
وروى موقوفًا، رواه ابن المبارك فى الزهد (ص٣٩٩)، وابن أبى شيبة فى مصنفه (٨/١٦١-١٦٦)، والطبرانى فى الكبير (٩/٢٠٣)، وأبو داود فى الزهد (ص١٤٩/رقم ١٥٧)، وأبو نعيم فى الحلية (٤/١٦٥) من طرق عن زبيد عن مرة عن عبد الله موقوفًا. وأخرجه الدارقطنى فى العلل (٥/٢٦٩) وقال بعد أن ذكر طرقه مرفوعًا وموقوفًا: والصحيح موقوف.

﴿لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولاً ﴿٢٢﴾﴾

لتفضيل هو التقتير والتوسيع، والتقليل والتكثير، والقبض والبسط، وقد روى فى بعض الآثار أن الله تعالى عرض ذرية آدم على آدم فرأى فيهم تفاوتا شديداً! فقال: رب هلا سويت بين خلقك؟ فقال: يا آدم، أردت أن أشكر.

وقوله: ﴿وللآخرة أكبر درجات﴾ قد بينا أن الدرجة ما بين السماء والأرض.

وفى بعض المسانيد عن أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال: «الجنة مائة درجة؛ ما بين كل درجتين خمسمائة سنة»(١).

وقوله: ﴿وأكبر تفضيلا﴾ أى: أعظم تفضيلا.

وفى الأخبار أن النبى ﷺ قال: «إن المؤمنين يدخلون الجنة بإيمانهم؛ ويقتسمون الدرجات بأعمالهم».

قوله تعالى: ﴿لا تجعل مع الله إلها آخر﴾ فيه قولان: أحدهما: أن الخطاب مع الرسول، والمراد فيه الأمة، وقد بينا نظير هذا من قبل.

والقول الآخر: لا تجعل أيها الإنسان مع الله إلهًا آخر، وهذا الخطاب مع كل أحد.

وقيل: إن المراد منه النبى على ما هو الظاهر، وهو وإن كان معصومًا، فلم يسقط عنه الخطاب بالاحتراز والمباعدة عن الكفر.

وقوله: ﴿فتقعد مذموماً مخذولا﴾ أى: مذمومًا من غير حمد، ومخذولا من غير نصر.

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط - كما فى مجمع البحرين - (٨/ ١٥٠رقم٤٨٧١)، وأبو بكر بن أبى داود فى البعث والنشور (ص٧٠/رقم٦٢)، وأبو الشيخ فى العظمة (ص٢٠٥-٢٠٦/رقم٥٧٧)، وأبو نعيم فى صفة الجنة (ص٨٠-٨١/رقم٢٢٨) وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/ ٤٢٢): رواه الترمذى غير قوله: خمسمائة عام، ورواه الطبرانى فى الأوسط، وفيه يحيى بن عبد الحميد الحمانى، وهو ضعيف. وذكره الدارقطنى فى العلل (١١/ ١٠٣) رقم ٢١٤٨ وذكر الخلاف فى إسناده وقال: رواه مالك بن مغول عن ابن حجادة عن عطاء من قوله وهو أصح.

جنة السنة

وقيل: مخذولا أى: متروكًا من العصمة، والله تعالى إذا ترك العبد فقد أهلكه.

ومعنى قوله: ﴿فتقعد﴾ أى: فتكون مأفوكًا، وتبقى مخذولاً.

قوله تعالى: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه﴾ قرأ عبد الله بن مسعود: «ووصى ربك ألا تعبدوا إلا إياه»، وقال الضحاك: كان فى الأصل «ووصى» إلا أنه اتصل الواو بالصاد فى الكتابة فقرئ: «وقضى». والمعروف هو قوله: ﴿وقضى﴾. وعليه اتفاق القراء؛ ومعناه: وأمر ربك؛ وحقيقة القضاء هو إحكام الشىء وإمضاؤه على وجه الفراغ منه، ومنه قولهم: قضى القاضى بين الخصمين، ومنه قوله تعالى: ﴿ثم اقضوا إلى ولا تنظرون﴾[1] أى: أفرغوا ما فى أنفسكم وامضوه، فعلى هذا معنى قوله: ﴿وقضى ربك﴾ أى: حكم عليهم ربك حكم تعبد.

ومعنى الفراغ هاهنا: هو إتمام التعبد. وفى بعض التفاسير: أن رجلا أتى الحسن البصرى وقال: إنى طلقت امرأتى ثلاثا، فقال: عصيت ربك، وبانت منك امرأتك، فقال الرجل: كذلك كان قضاء الله؟ فقال الحسن: كذبت، ما قضى الله. أى: ما أمر الله، وكان الحسن فصيحًا فلم يفهم الناس قوله؛ فذكروا أنه ينكر القدر.

وفى بعض الروايات أنه قيل له: إن بنى أمية يقتلون الناس، ويقولون: كذا قضاء الله، فقال الحسن: كذب أعداء الله؛ ومعناه ما بينا.

وقيل: إنه أنكر جعلهم ذلك علة لقتلهم، ذكره ابن قتيبة فى المعارف.

وقوله: ﴿ألا تعبدوا إلا إياه﴾ يعنى: أن توحدوه ولا تشركوا به. وقوله: ﴿وبالوالدين إحسانًا﴾ أى: أمر أن تحسنوا بالوالدين إحسانًا.

وقد ثبت عن النبى ﷺ برواية ابن مسعود، أنه سأل رسول الله ﷺ فقال: «أى الذنوب أعظم؟ فقال: الإشراك بالله. قال: ثم أى؟ قال: عقوق الوالدين»[2].

(١) يونس: ٧١.

(٢) متفق عليه، رواه البخارى (٨/ ١٣رقم٤٤٧٧)، ومسلم (٢/ ١٠٥-١٠٦ رقم٨٦).

جنة السنة

كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ﴿٢٣﴾

وقوله: ﴿إما يبلغان﴾ وقرئ: «إما يبلغن عندك الكبر» فقوله: ﴿يبلغان﴾ ينصرف إليهما؛ فعلى هذا قوله: ﴿أحدهما أو كلاهما﴾ على وجه الاستئناف.

وقوله: ﴿يبلغن﴾ ينصرف إلى أحدهما، فقوله: ﴿أو كلاهما﴾ على البدل منه.

وقوله: ﴿فلا تقل لهما أف﴾ قرئ: «أُفٍّ» بكسر الفاء، و«أف» بفتح الفاء، و«أفٍّ» بكسر الفاء والتنوين. قالوا: وفيه ست لغات: أفًّا وأفٌّ وأفٍّ الثلاثة بالتنوين، وأُفَّ وأفُّ وأفِّ بغير التنوين.

قال الأصمعي: الأف وسخ الأذن، والتُّفُّ وسخ الأظفار، وقيل: الأف وسخ الأظفار، والتف الشيء الحقير، وحقيقته أنه كلمة تقال عند الضجر من الشيء واستثقاله، وقيل: الأف بأدنى ما يتبرم به، فمعنى الآية: لا يتبرم بهما، ولا يستثقل معالجة أذاهما. وذكر مجاهد أنه عند الحدث وذكر البول وصاحبه أنه لا يستثقل معالجتهما فى ذلك، كما لم يستثقلا معالجته.

وقوله: ﴿ولا تنهرهما﴾ الانتهار من النهر، [و] هو الزجر بالإغلاظ والصياح.

وقوله: ﴿وقل لهما قولا كريما﴾ أى: قولا لينًا.

وعن محمد بن على الباقر قال: شر الآباء من يحمله البر على الإفراط، وشر الأبناء من يحمله التقصير على العقوق.

وعن على - رضى الله عنه - قال: لو علم الله شيئا أبلغ فى الزجر من قوله: ﴿أف﴾، لنهى عن ذلك، ثم قال علىٌّ: ليعمل البار ما شاء فلن يدخل النار، وليعمل العاق ما يشاء فلن يدخل الجنة.

وفى الأخبار، عن النبى ﷺ أنه قال: «البر يزيد فى العمر»(1). وذكر مسلم فى

(١) رواه ابن ماجة (١/ ٣٥ رقم ٩٠)، وأحمد (٥/ ٢٧٧، ٢٨٢)، وابن أبى شيبة فى مصنفه (١٠/ ٤٤١ - ٤٤٢)، والطبرانى فى الكبير (٢/ ١٠٠ رقم ١٤٤٢)، والحاكم (١/ ٤٩٣) وقال: صحيح الإسناد، وابن حبان - الإحسان - (٣/ ١٥٣ رقم ٨٧٢)، وأبو نعيم فى أخبار أصبهان (٢/ ٦٠) كلهم من حديث ثوبان رضى الله عنه.

﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ﴾

الصحيح برواية سهيل عن أبيه عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «رغم أنفه. رغم أنفه، رغم أنفه! فقيل: من يا رسول الله؟ قال: من أدرك أبويه على الكبر أو أحدهما فلم يدخل الجنة»(١).

وروى عامر بن ربيعة أن رجلا أتى النبى ﷺ فقال: «إن أبوىَّ قد توفيا، فهل بقى شىء أبرهما به؟ فقال: نعم، إنفاذ عهدهما، وإكرام صديقهما، والاستغفار لهما، والصدقة عنهما»(٢).

قوله تعالى: ﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة﴾ معناه: وألن جانبك لهما.

وعن عائشة – رضى الله عنها – أطعهما ما أمراك. والخفض هو التواضع، وجناح الذل: ترك الاستعلاء. مأخوذ من استعلاء الطائر [بجناحيه](٣).

وقوله: ﴿من الرحمة﴾ أى: من الشفقة والعطف.

وقرأ عاصم الجحدرى ويحيى بن دثار: «واخفض لهما جناح الذِّل» – بكسر الذال – فالذُّل – بضم الذال – من التذلل، أى: كن لهما كالذليل المقهور، والذِّل – بكسر الذال – من الانقياد والطاعة.

وعن سعيد بن المسيب قال: كن بين يديهما كالعبد المذنب بين يدى السيد الفظ الغليظ.

---

(١) مسلم فى صحيحه (١٦/١٦٣–١٦٤/رقم٢٥٥١)، ورواه البخارى فى الأدب المفرد (ص١٥رقم٢١). وأحمد (٢/٣٤٦)

(٢) رواه البخارى فى الأدب المفرد (ص٢٠/رقم٣٥)، أبو داود (٤/٣٣٦/رقم٥١٤٢)، وابن ماجة (٢/١٢٠٨–١٢٠٩/رقم٣٦٦٤)، وأحمد (٣/٤٩٧،٤٩٨) وابن حبان – الإحسان – (٢/١٦٢/رقم٤١٨)، والبيهقى فى الكبرى (٤/٢٨) كلهم من حديث أبى أسيد مالك بن ربيعة رضى الله عنه. وانظر السلسلة الضعيفة رقم (٥٩٧).

(٣) فى «الأصل»: بجناحه.

﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا (٢٥) وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (٢٦)﴾

وقوله: ﴿وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً﴾ أي: كما رحماني بتربيتي صغيراً.

قوله تعالى: ﴿ربكم أعلم بما في نفوسكم﴾ أي: بما في قلوبكم. وقوله: ﴿إن تكونوا صالحين﴾ أي: مطيعين.

وقوله: ﴿فإنه كان للأوابين غفوراً﴾ ووجه اتصال الآية بما قبلها، هو أن الله تعالى قال: ﴿ربكم أعلم بما في نفوسكم﴾ من العقوق والبر، فإن بدرت من بارٍ بدرة من العقوق، فإن الله كان للأوابين غفوراً يعني: [للتوابين](١) غفوراً.

وفي الأواب أقوال كثيرة، روى عن ابن عباس أنه قال: هو الذي يرجع من الشر إلى الخير، وعن سعيد بن المسيب: هو الذي كلما أذنب تاب وإن كثر، وعن عبيد بن عمير: هو الذي لا يقوم من مجلس حتى يستغفر الله من ذنوبه، وقيل: إن الأواب هو المسبح، قال الله تعالى: ﴿يا جبال أوبي معه﴾(٢) وعن محمد بن المنكدر قال: الأواب الذي يصلي بين المغرب والعشاء، وتسمى الصلاة في ذلك الوقت صلاة الأوابين، وعن عون العقيلي قال: الأواب هو الذي يصلي الضحى، وعن السدي قال: هو الذي يذنب سرًّا ويتوب سرًّا.

وأصل الأواب: هو الراجع، قال الشاعر:

يومان يوم مقامات وتفدية ... ويوم سير على الأعداء تأويب

قوله تعالى: ﴿وآت ذا القربى حقه﴾ الأكثرون على أن ذا القربى هاهنا قرابة الإنسان، ومعنى الآية: الأمر بصلة ذوي الأرحام.

وعن علي بن الحسين قال: ذا القربى هاهنا قرابة الرسول. وقوله: ﴿والمسكين﴾

---

(١) في «الأصل، وك»: التوابين.

(٢) سبأ: ١٠.

جنة السنة

إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾

أى: السائل الطواف.

وقوله: ﴿وابن السبيل﴾ قيل: المنقطع به، وقيل: الضيف. وقوله: ﴿ولا تبذر تبذيرا﴾ أى: لا تسرف إسرافًا.

والتبذير: هو الإنفاق فى غير طاعة الله تعالى. وعن عثمان بن الأسود قال: كنت أطوف مع مجاهد بالبيت فقال: لو أنفق عشرة آلاف درهم فى طاعة الله ما كان مسرفًا، ولو أنفق درهما واحدا فى معصية الله، كان من المسرفين.

قوله تعالى: ﴿إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين﴾ أى: أشباه الشياطين، وقيل: سماهم إخوان الشياطين؛ لأنهم اتبعوا ما سوَّل لهم الشياطين، [وقيل](١) لمن اتبع إنسانًا فى شىء هو أخوه.

وقوله: ﴿وكان الشيطان لربه كفورا﴾ أى: بربه كافرًا.

قوله تعالى: ﴿وإما تعرضن عنهم﴾ الإعراض صرف الوجه عن الشىء(....)(٢) أو إلى من هو أولى منه، أو لإذلال من يصرف عنه الوجه.

وقوله: ﴿ابتغاء رحمة من ربك﴾ أى: طلب رزق من ربك.

وقوله: ﴿ترجوها﴾ الرجاء: تعليق النفس بمن تطلب منه الخير. وعن على رضى الله عنه قال: لا ترجون إلا ربك، ولا تخافن إلا من ربك.

(١) فى «الأصل وك»: وقوله.

(٢) فى «الأصل، وك» كلمة، رسمها: قلى.

جنة السنة

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾

وقوله: ﴿فقل لهم قولا ميسورا﴾ اليسر: ضد العسر، والميسور هاهنا هو العدة فى قول أكثر المفسرين. وهو أن يقول: يأتينا شيء فنعطيه. وعن سفيان الثورى قال: عدة النبى ﷺ دين، وقيل: القول الميسور هو أن تقول: يرزقنا الله وإياك، أو يقول: بارك الله فيك.

واعلم أن الآية خطاب مع النبى ﷺ، وقد كان هؤلاء القوم يسألونه، وكان يكره الرد وليس عنده شيء يعطى، فجعل يمسك من القول، فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿فقل لهم قولا ميسوراً﴾.

قوله تعالى: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك﴾ الآية. روى ابن مسعود: «أن امرأة بعثت غلامًا إلى رسول الله ﷺ تسأله شيئًا، فقال النبى ﷺ: ليس عندى شيء، فرجع الغلام وذكر لها؛ فردت الغلام وقالت: سله قميصه الذى هو لابسه، فسأله فأعطاه ذلك، وبقى فى البيت بلا قميص، فأنزل الله تعالى هذه الآية»(١).

وقوله: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك﴾ أى: لا تبخل، والكلام على وجه التمثيل فجعل البخيل الممسك كمن يده مغلولة إلى عنقه.

وقوله: ﴿ولا تبسطها كل البسط﴾ أى: لا تسرف فى الإعطاء.

وقوله: ﴿فتقعد ملومًا محسوراً﴾ والملوم: هو الذى أتى بما يلوم به نفسه ويلومه غيره، والمحسور هو المنقطع به الذى قد ذهب ماله، وبقى ذا حسرة، يقال: دابة حسير إذا أعيت من السير فقامت بالراكب. فمعنى الآية لا تحمل على نفسك كل الحمل فى الإعطاء، فتصير بمنزلة من بلغت به النهاية فى التعب والإعياء.

قال قتادة: محسوراً أى: نادمًا.

وأنشدوا فى الدابة الحسير:

(١) رواه الواحدى فى أسباب النزول (ص٢١٧).

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾

له ديك حسرى — فأما عظامها فبيض — وأما جلدها فصليب

قوله تعالى: ﴿إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بعباده خبيراً بصيراً﴾ ظاهر المعنى، وقد بينا معنى البسط والقدر من قبل.

قوله تعالى: ﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق﴾ أى: خشية الفقر، وقد كانوا يئدون البنات خشية الفقر.

وقوله: ﴿نحن نرزقهم وإياكم﴾ أى: نحن المعطى للرزق لا أنتم.

وقوله: ﴿إن قتلهم كان خطأ كبيراً﴾ المعروف: «خِطْأً» بالكسر والقصر. وقرأ ابن كثير «خِطَاءً كبيرًا» بالكسر والمد، وقرأ ابن عامر: «خَطَأً» بفتح الخاء والطاء والقصر، وقرئ: «خَطَآءً» بالفتح والمد، فأما قوله: «خِطْأً» بالكسر والقصر أى: إثمًا كبيرًا. وأما قوله: «خِطَأً» بالكسر والمد، وقال الأزهرى: أهل اللغة لا يعرفون هذا! ولعله لغة.

وأما قوله: «خَطاء» بالفتح والقصر مصدر مثل قوله: أخطا، والفرق بين الخِطأ والخَطَأ كلاهما بالقصر أن الخِطأ - بالكسر - ما يتعمد بالفعل وآثم فاعله. والخَطأ - بالفتح - ما لم يتعمد. وأنشدوا:

عبادك يخطئون وأنت رب — كريم لا يليق بك الذموم

قوله تعالى: ﴿ولا تقربوا الزنا﴾ ظاهر المعنى.

وقوله: ﴿إنه كان فاحشة﴾ الفاحشة: فعل قبيح على أقبح الوجوه.

وقوله: ﴿وساء سبيلا﴾ أى: ساء طريقا، ومعناه بئس السلك هذا الفعل.

وفى بعض الأخبار برواية على - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ أنه قال: «فى الزنا

﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾﴾

ست خصال: (ثلاث)(١) فى الدنيا، (وثلاث)(١) فى الآخرة؛ أما الثلاث فى الدنيا: يذهب نور الوجه، ويورث الفقر، وينقص العمر، وأما الثلاث فى الآخرة: فغضب الرب، وسوء الحساب، ودخول النار»(٢).

وقوله تعالى: ﴿ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق﴾ قد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الكفر بعد الإيمان، والثيب الزانى، والقاتل نفسا بغير حق»(٣).

فقوله: ﴿إلا بالحق﴾ فالقتل بالحق أن يقع بأحد هذه الأشياء الثلاثة.

وقوله: ﴿ومن قتل مظلومًا فقد جعلنا لوليه سلطانًا﴾ أى: سلطان القود، هكذا قاله قتادة وغيره. وعن الضحاك أن السلطان هاهنا هو تخيير ولى القتيل بين أن يقتل أو يعفو، أو يأخذ الدية.

وأصل السلطان هو الحجة، فلما ثبت هذا لولى القتيل بحجة ظاهرة سماه سلطانًا، وقيل: معنى الآية أن الولى يقتل؛ فإن لم يكن ولى، قتله السلطان.

وقوله: ﴿فلا يسرف فى القتل﴾ أكثر المفسرين على أن السرف فى القتل أن يقتل غير القاتل، وقيل: إن السرف فى القتل أن يُمثِّل بالمقتول، وعن سعيد بن جبير قال: السرف فى القتل أن يطلب قتل الجماعة بالواحد، وقد كانت الجاهلية لا يرضون بقتل القاتل وحده؛ إذا كان المقتول شريفًا ويطلبون قتل القاتل وجماعة معه من أقربائه وقومه.

(١) فى «ك»: ثلاثة.

(٢) عزاه الزيلعى فى تخريج الكشاف (٢/ ٤١٧ - ٤١٨) للواحدى فى تفسيره الوسيط. وقال الحافظ فى مختصره: رواه الواحدى فى الوسيط عاليًا من طريق أبى الدنيا الأشج، عن على مرفوعًا، والأشج ادعى أنه سمع من على بعد الثلاثمائة، فسمع منه أبو بكر المفيد وغيره، وأخباره معروفة. وروى من حديث أنس، وحذيفة انظر الضعيفة رقم (١٤١، ١٤٢).

(٣) تقدم تخريجه.

وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً ﴿٣٤﴾

وقرئ: «فلا تسرّف» «بالتاء» على خطاب ولى القتيل، وأما «بالياء» على المغايبة.

وفى الآية قول آخر وهو أن معنى قوله: ﴿فلا يسرف فى القتل﴾ بالياء أى: القاتل الأول المتعدى.

وقوله: ﴿إنه كان منصوراً﴾ على هذا يعنى أن القاتل الأول لو تعدى فولى القتيل منصور من قبلى، وقد قال أهل المعانى: أن معنى قوله: ﴿إنه كان منصوراً﴾ معناه أى: القتيل منصور فى الدنيا والآخرة؛ أما النصرة فى الدنيا ففى إيجاب القود له. وأما النصرة فى الآخرة فبتكفير خطاياه، وبإيجاب الثأر لقاتله، وقيل: إنه كان منصوراً؛ أى: ولى القتيل.

وقرأ أبى بن كعب: «فلا تسرفوا فى القتل إن ولى القتيل كان منصوراً».

قوله تعالى: ﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن﴾ معناه: إلا بالعفة التى هى أحسن. واختلفوا فى معناه على أقاويل: أحدها: أن القربان بالأحسن هو حفظ الأصول، وتثمير الفروع، والآخر: أن القربان بالأحسن هو التجارة فى ماله، وهذا قريب من الأول، والقول الثالث: أن القربان بالأحسن هو أن لا يخالط مال اليتيم بمال نفسه.

فروى سعيد بن جبير، عن ابن عباس: أنه لما نزلت هذه الآية ميز الأوصياء طعامهم من طعام اليتامى، وشرابهم من شراب اليتامى، وكانوا يمسكون طعام اليتيم حتى يأكل[١] أو يفسد، فأنزل الله تعالى: ﴿وإن تخالطوهم فإخوانكم﴾[٢]

وعن مجاهد أنه قال: القربان بالأحسن أن يستقرض من مال اليتيم إذا احتاج إليه، فإذا استغنى رد.

---

(١) كذا، ولعله: يأكله.

(٢) البقرة: ٢٢٠.

وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴿٣٥﴾

وقال سعيد بن المسيب: لا يقرب ماله أصلا، ولا يشرب الماء من ماله.

وذهب بعض العلماء منهم أبو يوسف إلى أن قوله تعالى: ﴿ومن كان غنيًا فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف﴾[1] منسوخ بقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم﴾[2]. وقد ذكرنا في هذا المعنى من قبل ما هو أكثر من هذا.

وقوله: ﴿حتى يبلغ أشده﴾ الأكثرون على أن الأشد هو الحلم، ومنهم من قال: (ثمان)[3] عشرة سنة، ومنهم من قال: ثلاث وثلاثون سنة، وهذا وقت منتهى القوة وتمام العقل بالحنكة والتجارب.

وقوله: ﴿وأوفوا بالعهد﴾ قال قتادة: العهد: كل ما أمر الله تعالى به ونهى عنه.

وقوله: ﴿إن العهد كان مسئولا﴾ فيه أقوال: أحدها: أنه كان مظلوماً، وهو قول السدي.

والآخر: كان مسئولا عنه، وهو أحسن الأقاويل، والثالث: أن العهد يسأل عن صاحب العهد. فيقال له: فيم نقضت، كالموءودة تسأل فيم قتلت؟.

وفي معنى العهد قول آخر: وهو أنه كل ما يلتزمه الإنسان على نفسه.

قوله تعالى: ﴿وأوفوا الكيل إذا كلتم﴾ ظاهر المعنى.

وقوله: ﴿وزنوا بالقسطاس المستقيم﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه القبان، والآخر: أنه كل ميزان يكون. ذكره الزجاج.

واختلفوا أن القسطاس رومي أو عربي؟ قال مجاهد: هو رومي معرب، وقال غيره:

(١) النساء: ٦.

(٢) النساء: ٢٩.

(٣) في «ك»: ثمانية.

وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ

هو عربى مأخوذ من القسط، والقسط هو العدل، فعلى هذا معنى الآية وزنوا بالعدل المستقيم.

وقوله: ﴿ ذلك خيرٌ ﴾ يعنى: ذلك خير لكم فى الدنيا بحسن الذكر. ﴿ وأحسن تأويلا ﴾ وأحسن عاقبة فى الآخرة.

قوله تعالى: ﴿ ولا تَقْفُ ما ليس لك به علم ﴾ قالوا: معناه ولا تقل ما ليس لك به علم، وقرئ: «ولا تَقُفُ ما ليس لك به علم» برفع القاف؛ معناه ما ذكرنا، ومنهم من قال: معنى قوله: ﴿ ولا تقف ﴾ أى: لا ترم بالظن ما ليس لك به علم. وأصل القيافة اتباع الأثر، يقال: قفوت فلانًا، إذا [اتبعت][(١)] أثره. وحقيقة المعنى: ولا تتبع لسانك ما ليس لك به علم فيتكلم بالحدس والظن.

وروى عن النبى ﷺ أنه قال: «نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفوا أُمِّنَا، ولا ننتفى من أبينا»[(٢)].

وفى بعض الأخبار أن النبى ﷺ قال: «من تقوف ما ليس له به علم حبس فى ردغة الخبال حتى يخرج مما قال»[(٣)].

وقوله: ﴿ إن السمع والبصر والفؤاد ﴾ روى عن قتادة أنه قال: لا تقل سمعت ولم تسمع، ولا رأيت ولم ترَ، ولا علمت ولم تعلم. واختلف القول فى سؤال السمع والبصر والفؤاد؛ ففى أحد القولين: يسأل المرء عن سمعه وبصره وفؤاده.

(١) فى «الأصل»: اتبع.

(٢) رواه ابن ماجة (٢/ ٨٧١ رقم٢٦١٢)، وأحمد (٥/ ٢١١، ٢١٢)، وابن سعد (١/ ٢٠)، والطبرانى فى الكبير (١/ ٢٣٥-٢٣٦ رقم٦٤٥)، (٢/ ٢٨٥-٢٨٦ رقم ٢١٩٠، ٢١٩١) والبيهقى فى دلائل النبوة (١/ ١٧٣-١٧٤)، من حديث الأشعث بن قيس، وقال البوصيرى فى مصباح الزجاجة: إسناد صحيح، رجاله ثقات. ورواه عبد الرزاق فى جامع معمر (١١/ ٧٤-٧٥ رقم١٩٩٥٢) من طريق الزهرى مرسلا.

(٣) رواه أحمد فى مسنده (٢/ ٨٢) من حديث ابن عمر رضى الله عنه. وانظر كلام الشيخ شاكر فى تحقيقه (٧/ ٢٥٤ - ٢٥٨رقم٥٥٤٤).

﴿كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴿٣٦﴾ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَلِكَ مِمَّا﴾

والقول الثانى : أن السمع والبصر والفؤاد يسأل عما فعله المرء. فإن قيل : قد قال: ﴿كل أولئك كان عنه مسئولا﴾، وأولئك لا يقال إلا للعقلاء؟ والجواب : قلنا : يجوز أن يقال لغير العقلاء. قال جرير:

ذم المنازل بعد منزلة اللِّوَى ... والعيش بعـد أولئك الأيام

قوله تعالى : ﴿ولا تمش فى الأرض مرحًا﴾ المرح هو الفرح بالباطل، ويقال : هو الأشر والبطر، ويقال : هو البأو والعظمة، وقيل : الخيلاء.

وقوله : ﴿إنك لن تخرق الأرض﴾ أى : لن تثقب الأرض، وقيل : لن تقطع الأرض بالسير.

وقوله : ﴿ولن تبلغ الجبال طولا﴾ أى : لايقدر أن يتطاول الجبال، وفى المعنى وجهان : أحدهما : أن الإنسان إذا مشى مختالا، فمرة يمشى على عقبيه، ومرة يمشى على صدور قدميه. فقال : لن تثقب الأرض إن مشيت على عقبيك، ولن تبلغ الجبال طولا إن مشيت على صدور قدميك.

والوجه الثانى : أن من أراد أن يخرق الأرض أو يطاول الجبال لا يحصل على شيء، فكذلك من مشى مختالا لا يحصل باختياله على شيء.

وقوله : ﴿كل ذلك كان سيئةً عند ربك مكروهًا﴾ قرى : « سَيِّئُهُ » وقوله : « سيئة » بالتنوين أى : كل ما نهيت عنه فى هذه الآيات فهى سيئة مكروهة عند ربك، ومن قرأ « سَيِّئُهُ » بالرفع فمعناه على التبعيض؛ لأنه قد تقدم بعض ما ليس بسيئة مثل قوله : ﴿وآت ذا القربى حقه﴾(١)، وكذلك قوله : ﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما﴾(٢) وغير ذلك. فمعناه أن ما تقدم فى هذه الآيات من السيئة مكروهة عند ربك.

---

(١) الإسراء : ٢٦.
(٢) الإسراء : ٢٤.

جنة السنة

أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا
﴿٣٩﴾ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا
﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ

قوله تعالى: ﴿ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة﴾ كل ما أمر الله به ونهاه فهى حكمة.

وقوله: ﴿ولا تجعل مع الله إلهًا آخر﴾ قد بينا هذا من قبل، وهو أن الخطاب معه، والمراد منه الأمة.

وقوله: ﴿فتلقى فى جهنم ملومًا مدحورًا﴾ أى: مطرودًا.

قوله تعالى: ﴿أفأصفاكم ربكم﴾ معناه: أفجعل لكم الصفوة، وجعل لنفسه ما ليس بصفوة؟ وهذا على طريق الإنكار فإنهم كانوا يقولون: الملائكة بنات الله.

وقوله: ﴿بالبنين واتخذ من الملائكة إناثًا﴾ هذا معناه.

وقوله: ﴿إنكم لتقولون قولا عظيمًا﴾ أى: فظيعًا كبيرًا.

قوله تعالى: ﴿ولقد صرفنا فى هذا القرآن﴾ فيه قولان: أحدهما: تكرير الأمر والنهى والمواعظ والقصص، والآخر: تبيين القول بجميع جهاته.

وقوله: ﴿ليذكروا﴾ معناه: ليتعظوا.

وقوله: ﴿وما يزيدهم إلا نفورًا﴾ أى: ما يزيدهم التبيين إلا نفورًا. وقيل: تصريف القول فى الأمر والنهى.

قوله تعالى: ﴿قل لو كان معه﴾ أى: مع الله ﴿آلهة﴾.

وقوله: ﴿كما يقولون إذًا لابتغوا إلى ذى العرش سبيلا﴾ فيه قولان: أحدهما: إذا لطلبوا إلى ذى العرش سبيلا بالتقرب إليه، والآخر: وهو الأصح إذا لابتغوا إلى ذى العرش سبيلا بالمفازة والمغالبة وطلب الملك، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾(١).

(١) الأنبياء: ٢٣.

آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً ﴿٤٢﴾ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ

قوله تعالى: ﴿ سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً ﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن ﴾ قد بينا من قبل.

وقوله: ﴿ وإن من شيء إلا يسبح بحمده ﴾ قال عكرمة: وإن من شيء حي إلا يسبح بحمده وعن عكرمة أيضا قال: الشجرة تسبحه.

وعن مجاهد قال: كل الأشياء تسبح لله حيًّا كان أو جماداً، وتسبيحها (بسبحان الله وبحمده)[1].

وعن أبي صالح أنه سمع صرير باب فقال: هو تسبيحه.

وعن علي - رضي الله عنه - أنه قال: لا تضربوا الدواب على رءوسها فإنها تسبح الله، وعن ابن عباس: إن تسبيح هذه الأشياء: يا حليم، يا غفور.

وروى منصور بن المعتمر أبو غياث عن إبراهيم النخعي قال: «وإن من شيء جمادٍ أو حيٍّ إلا يسبح بحمده حتى صرير الباب ونقيض السقف.

واعلم أن لله في الجماد علما لا يعلمه غيره، ولا يقف عليه غيره، فينبغي أن يوكل علمه إليه.

وقال بعض أهل المعاني: تسبيح السماوات والأرض والجمادات وسائر الحيوانات سوى العقلاء، هو ما دلت بلطيف تركيبها وعجيب هيئاتها على خالقها، فيصير ذلك بمنزلة التسبيح منها.

والمنقول عن السلف ما قلنا من قبل، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿ ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾ أي: لا تعلمون تسبيحهم.

وعن الحسن البصري أن موضع هذه الآية في التوراة ألف آية كان الله تعالى قال:

(١) في «ك»: يسبحن الله ويحمدنه.

جنة السنة

بحمده ولكن لاَّ تفقهون تسبيحهم إنَّه كان حليما غفورا ﴿٤٤﴾ وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الَّذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مَّستورا ﴿٤٥﴾ وجعلنا على قلوبهم أكنَّةً أن

سبح لى كذا، وسبح لى كذا، وسبح لى كذا، وعلى القول الأخير قوله: ﴿ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾ أى: لا تستدلون بمشاهدة هذه الأشياء على تعظيم الله. وهذا ليس بمعتمد، والصحيح ما بينا.

وقوله: ﴿إنه كان حليمًا غفورًا﴾ قد بينا معنى الحليم والغفور.

وقوله تعالى: ﴿وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابًا مستورًا﴾ روى فى الأخبار أنه لما نزلت سورة ﴿تبت يدا أبى لهب﴾[١] جاءته امرأته أم جميل، ومعها فهر، وقصدت النبى ﷺ وهى تقول: مذممًا أبينا، ودينه قلينا، وأمره عصينا، وكان النبى ﷺ جالسًا مع أبى بكر فى الحجر، فقال أبو بكر للنبى ﷺ: هذه المرأة قد جاءت، فقال النبى ﷺ: إنها لا ترانى؛ وقرأ هذه الآية؛ فجاءت المرأة، وقالت: يا أبا بكر، أين صاحبك؟ فقد بلغنى أنه هجانى، وهجا أبا لهب، وقد علمت قريش أنى بنت سيدها. فلم يقل أبو بكر شيئًا، ورجعت وهى تقول: قد كنت جئت بهذا الحجر؛ لأرضخ رأسه». روته عائشة رضى الله عنها[٢].

ومنهم من قال: كان النبى ﷺ يصلى ويقرأ القرآن، وكان المشركون يقصدونه بالأذى، فكانوا يجيئون ولا يرونه.

وقوله: ﴿حجابًا مستورًا﴾ فيه قولان: أحدهما: حجابا ساترا، والآخر: مستورا به. وقيل: إن الحجاب الذى جعله الله هو الأكنة التى خلقها على قلوبهم.

قوله تعالى: ﴿وجعلنا على قلوبهم أكنة﴾ أى: أغطية، وحكى بعض السلف أنه

---

(١) المسد: ١.

(٢) بل هو مروى عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما، رواه الحميدى (١/١٥٣ - ١٥٥رقم٣٢٣)، وأبو يعلى فى مسنده (١/٥٣-٥٤ رقم٥٣)، والحاكم (٢/٣٦١) وصحح إسناده، والبيهقى فى الدلائل (٢/١٩٦). وقد روى بنحوه أيضًا من حديث ابن عباس: رواه أبو يعلى فى مسنده (١/٣٣ - ٣٤/رقم٢٥)، (٤/٢٤٦رقم٢٣٥٨)، والبزار - كما فى مختصر الزوائد (٢/١٢١ - ١٢٢رقم ١٥٣٩) وابن حبان - الإحسان - (١٤/٤٤٠رقم٦٥١١).

جنة السنة

يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ

سمع رجلا يقرأ: ﴿وما منع الناس أن يؤمنوا إذا جاءهم الهدى﴾(١) فقال: الأكنة.

وقوله: ﴿أن يفقهوه﴾ معناه: كراهة أن يفقهوه، وقيل: لئلا يفقهوه.

وقوله: ﴿وفى آذانهم وقرا﴾ أى: ثقلا، ومعناه: لئلا يسمعوه. وفى الآية رد على القدرية صريحًا.

وقوله: ﴿وإذا ذكرت ربك فى القرآن وحده﴾ هو قوله: لا إله إلا الله.

وقوله: ﴿ولوا على أدبارهم نفوراً﴾ أى: نافرين.

ومثل هذا قوله تعالى: ﴿وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾(٢)

قوله تعالى: ﴿نحن أعلم بما يستمعون به﴾ قال أهل التفسير: «به» صلة، ومعناه نحن أعلم بما يستمعون، أى: يطلبون سماعه، وهو فى معنى قوله تعالى: ﴿وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون﴾(٢).

وقوله تعالى: ﴿إذ يستمعون إليك وإذ هم نجوى﴾ أى: ذووا نجوى. وفى القصة: أن النبى ﷺ كان يقرأ، والمشركون قد اجتمعوا، وكانوا يتناجون فيما بينهم، فيقول هذا: كاهن، ويقول هذا: ساحر، ويقول هذا: شاعر، ويقول هذا: مجنون؛ ويريدون به الرسول.

وقوله: ﴿إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحوراً﴾ قال مجاهد: مخدوعًا، وقال أبو عبيدة: رجلا له سَحْر، وهو الرئة، يعنى: أنه بشر. قال الشاعر (٣):

أرانا موضعين (لحتم)(٤) غيب ... ونسحر بالطعام وبالشراب

(١) الكهف: ٥٥.

(٢) الزمر: ٤٥.

(٣) هو امرؤ القيس، كما فى لسان العرب (٤/ ٣٤٩).

(٤) فى اللسان: لأمر.

﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾﴾

أى: نعلل ونخدع، وهو على تأويل الخدع، وهو الأصح.

وقيل: مسحورا أى: مصروفًا عن الحق.

وقوله تعالى: ﴿انظر كيف ضربوا لك الأمثال﴾ أى: الأشباه.

وقوله: ﴿فضلوا فلا يستطيعون سبيلا﴾ أى: وصولا إلى طريق الحق.

قوله تعالى: ﴿وقالوا أءذا كنا عظامًا ورفاتًا﴾ قال الفراء: رفاتاً، أى: ترابًا، وقال غيره: رفاتًا: أى: حطامًا. يعنى: إذا تحطمنا.

وقوله: ﴿أءنا لمبعوثون خلقًا جديداً﴾ قالوا ذلك على طريق الإنكار.

قوله تعالى: ﴿قل كونوا حجارة أو حديداً﴾ فإن قيل: كيف يأمرهم بأن يكونوا حجارة أو حديداً، وهم لا يقدرون عليه قطعًا؟ والجواب: أن هذا أمر تعجيز، وليس بأمر إلزام، ومعنى الآية أى: استشعروا فى قلوبكم أنكم حجارة أو (حديدٌ)(١)، فلو كنتم كذلك لم تفوتونى، وقيل معناه: لو كنتم خلقتم من الحجارة والحديد بدل اللحم والعظم لمتم ثم بعثتم. قاله أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى.

قوله تعالى: ﴿أو خلقًا مما يكبر فى صدوركم﴾ قال ابن عباس، وابن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص: هو الموت. ومعناه: لو كنتم الموت بعينه لأدرككم الموت.

وقد ثبت الخبر عن النبى ﷺ أنه قال: «يجاء بالموت يوم القيامة على هيئة كبش أغبر، فيوقف بين الجنة والنار؛ فيعرفه كلهم، فيذبح، فيقال: يا أهل الجنة، خلود لكم ولا موت، ويا أهل النار، خلود ولا موت»(٢).

---

(١) فى «ك»: حديداً، وهو خطأ.

(٢) متفق عليه من حديث أبى سعيد الخدرى، فرواه البخارى (٨/ ٢٨٢/ رقم٤٧٣٠)، ومسلم (١٧/ ٢٦٩-٢٧٠/ رقم٢٨٤٩).

أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾

وعن مجاهد أن معنى قوله: ﴿أو خلقًا مما يكبر فى صدوركم﴾ هو السماوات والأرض والجبال. أى: لو كنتم كذلك لمتم وبعثتم.

وقال قتادة: هو كل ما يعظم فى عين الإنسان وصدره. وعن الكلبى قال: هو القيامة.

وقوله: ﴿فسيقولون من يعيدنا﴾ ظاهر المعنى.

وقوله: ﴿قل الذى فطركم أول مرة﴾ أى: أنشأكم أول مرة، ومن قدر على الإنشاء فهو على الإعادة أقدر.

وقوله: ﴿فسينغضون إليك رءوسهم﴾ أى: يحركون إليك رءوسهم، وهذا على طريق الاستهزاء.

وقوله: ﴿ويقولون متى هو﴾ أى: متى الساعة؟ وهذا أيضًا قالوه استهزاء.

وقوله: ﴿قل عسى أن يكون قريبًا﴾ معناه: أنه قريب، "وعسى" من الله واجب على ما بينا.

قوله تعالى: ﴿يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده﴾ أى: حامدين له. فإن قيل: كيف يصح هذا؟ والخطاب مع الكفار؛ والكافر كيف يبعث حامداً لربه؟

والجواب من وجهين: أحدهما: أنه خطاب للمؤمنين، وقد انقطع خطاب الكفار إلى هذه الآية.

والقول الثانى: أن الخطاب مع الكفار، ومعنى قوله: ﴿فتستجيبون بحمده﴾ أى: مقرين أنه خالقكم وباعثكم.

وقوله: ﴿وتظنون إن لبثتم إلا قليلاً﴾ هذا فى جنب مدة القيامة (والخلود)[1] فلو مكث الإنسان فى قبره الألوف من السنين، يعد ذلك قليلا فى جنب ما يصل إليه من

(١) فى «ك»: وخلوده.

وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ

الخلود.

وعن قتادة قال: إنهم يستحقرون مدة الدنيا فى جنب القيامة.

وعن سعيد بن أبى عروبة قال: يقومون فيقولون: سبحانك اللهم وبحمدك. والأولى أن يكون هذا فى المؤمنين.

وقال الكلبى: إن الله تعالى يرفع العذاب عن الكفار بين النفختين، وهو أربعون سنة، فإذا حشروا وقد استراحوا تلك المدة قالوا: ما لبثنا إلا قليلا.

قوله تعالى: ﴿وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن﴾ فى الآية قولان: الأشهر والأظهر أن قوله: ﴿يقولوا التى هى أحسن﴾ أى: الكفار، وهذا قبل نزول آية السيف.

قال أهل التفسير: كان المشركون يؤذون المؤمنين، وكان المؤمنون يستأذنون رسول الله ﷺ فى القتال فينهاهم عن ذلك، ويأمرهم بالإحسان فى القول، والإحسان فى القول هو قولهم للكفار: يهديكم الله. وفى بعض الروايات: أن عمر شتمه بعض الكفار، فأراد أن يقاتله، فأمره رسول الله ﷺ بالصفح والعفو.

والقول الثانى فى الآية: أن المراد به المؤمنون، وأراد به: أن يقولوا ويفعلوا التى هى أحسن. أى: الخلة التى هى أحسن.

وقيل: المراد منه الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر.

وقوله: ﴿إن الشيطان ينزغ بينهم﴾ أى: يفسد بإيقاع العداوة. وقوله: ﴿إن الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا﴾ أى: عدوا ظاهر العداوة.

قوله تعالى: ﴿ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم وإن يشأ يعذبكم﴾ قال: يرحمكم بالتوفيق والهداية، ويعذبكم بالإضلال، وقيل: يرحمكم بالإنجاء من النار، أو يعذبكم بالإيقاع فيه. وقوله: ﴿وما أرسلناك عليهم وكيلا﴾ أى: كفيلا. قال الشاعر:

[ذكرت][1] أبا أروى فبت كأننى ... برد الأمور الماضيات وكيل

(١) فى «الأصل»: ذكرتم.

عَلَيْهِمْ وَكِيلاً ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلا تَحْوِيلاً ﴿٥٦﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ

أى: كفيل.

ومنهم من قال معناه: لم يسلطك عليهم بمنعهم من الكفر.

قوله تعالى: ﴿وربك أعلم بمن فى السموات والأرض﴾ أى: وربك العالم بمن فى السموات والأرض، وهو العالم بأحوالهم وأفعالهم ومقاصدهم.

وقوله: ﴿ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض﴾ معناه: أنه اتخذ بعضهم خليلا، وكلَّم بعضهم، وسخَّر الجن والإنس والطير والريح لبعضهم، وأحيا الموتى لبعضهم، فهذا معنى التفضيل.

وقوله: ﴿وآتينا داود زبوراً﴾ قالوا: الزبور كتاب يشتمل على مائة وخمسين سورة، كلها تحميد وتمجيد وثناء على الله، ليس فيها أمر ولا نهى ولا حلال ولاحرام. ومعنى الآية: أنكم لما لم تنكروا تفضيل سائر النبيين وأعطائهم الكتب، فلا تنكروا فضل النبى ﷺ وأعطائه القرآن. فيجوز أن يكون هذا الخطاب مع أهل الكتاب، ويجوز أن يكون مع قوم كانوا مقرين بهذا من مشركى العرب. والزبور مأخوذ من الزبر؛ والزبر هو الكتابة.

وقوله تعالى: ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دونه﴾ روى أن المشركين لما قحطوا حتى أكلوا الكلاب والجيف استغاثوا بالنبى ﷺ، ليدعو لهم؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿قل ادعو الذين زعمتم﴾ أنهم آلهة ﴿من دونه﴾ أى: من دون الله.

وقوله: ﴿فلا يملكون كشف الضر عنكم﴾ أى: كشف الجوع والقحط عنكم.

وقوله: ﴿ولا تحويلا﴾ أى: لايملكون نقل الحال، وتحويلا من السقم إلى الصحة، ومن الجدب إلى الخصب، ومن العسر إلى اليسر.

قوله تعالى: ﴿أولئك الذين يدعون﴾ قرأ ابن مسعود: «أولئك الذين تدعون»

أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ

وعنه أنه قال: كان قوم من المشركين يعبدون قوما من الجن، فأسلم الجنيون الذين كانوا يُعْبَدُون، وبقى هؤلاء على شركهم؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية. معناه: إن الذين كنتم تدعونهم وتعبدونهم ﴿يبتغون﴾ أى: يطلبون ﴿إلى ربهم الوسيلة﴾ والوسيلة هى الدرجة الرفيعة فى الجنة، وقيل: الوسيلة كل ما يتوسل به إلى الله تعالى أى: يتقرب.

وقوله: ﴿أيهم أقرب﴾ معناه: ينظرون أيهم أدنى وسيلة، وقيل: أيهم أقرب إلى الله فيتوسلون به، وقيل: الآية فى عزير والمسيح وغيرهما، وقيل: الآية فى الملائكة؛ فإن المشركين كانوا يعبدون الملائكة، والملائكة عبيد يطلبون إلى الله الوسيلة، وهذا فى نفر من المشركين دون جميعهم.

وقوله: ﴿ويرجون رحمته ويخافون عذابه﴾ يعنى: الجنيين الذين أسلموا والملائكة، أو عزيرا والمسيح.

وفى بعض الأخبار عن النبى ﷺ: لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا»(١).

وقوله: ﴿إن عذاب ربك كان محذوراً﴾ أى: يطلب منه الحذر. قوله تعالى: ﴿وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة﴾ معناه: وما من قرية إلا نحن مهلكوها فإهلاك المؤمنين بالإماتة، وإهلاك الكفار بالاستئصال والعذاب، وقيل قوله: ﴿مهلكوها﴾ هذا فى حق المؤمنين بالإماتة.

قوله: ﴿أو معذبوها عذابًا شديداً﴾ فى حق الكفار.

(١) أورده ابن عراق فى تنزيه الشريعة (٢/٤٠٢) مع ستة أحاديث أخر ثم قال: قال ابن تيمية فى السبعة: إنها موضوعة. وقال العجلونى فى كشف الخفا (٢/٢٣٤): قال فى اللآلىء: هذا مأثور عن بعض السلف، وهو كلام صحيح. وقال فى المقاصد، وتبعه فى الدرر: لا أصل له فى المرفوع... وقال الزركشى: لا أصل له. وانظر المقاصد الحسنة (ص٥٥٥رقم٩٠٩).

وذكر النقاش فى تفسيره بإسناده عن مقاتل بن سليمان قال: وجدت فى كتاب ضحاك بن مزاحم - وهو الكتاب المخزون - وقد ذكر فيه مايهلك الله به أهل كل بلدة، أما مكة فيهلكها الحبشان، وأما المدينة فالجوع، وأما البصرة فالفرق، وأما الكوفة فعدو [سلطه](١) الله عليهم، وأما الشام ومصر فويل لها من عدوها، وقيل: تخربها الرياح، وأما أصفهان وفارس وكرمان فبالظلمات والصواعق، وكذلك ذكر فى أرمينية وأذربيجان، وأما الرى، فيغلب عليهم عدوهم من الديلم، وأما الهمذان فيهلكهم عدو لهم فلا همذان بعده، وأما النيسابور فالرعود والبروق والريح، وأما مرو فيغلب عليه الرمل(٢) وبهما العلماء الكثير، وأما هراة فيمطرون حيات فتأكلهم، وأما سجستان فتهلك بالريح، وأما بلخ فيغلب عليه الماء فتهلك، وأما بخارى فيغلب عليهم الترك، وأما سمرقند وفرغانة والشاش وإسبيجاب وخوارزم فيغلب عليهم بنو قنطورا بن كركرى فيهلكون عن آخرهم، والخبر غريب جداً . وفى بعض الروايات: «ويل لأهل بغداد يخسف بهم» والأثر غريب .

وفى بعض المسانيد عن عبد الله بن مسعود أنه قال: لايهلك الله قوما حتى يظهر فيهم الزنا والربا .

وقوله: ﴿كان ذلك فى الكتب مسطوراً﴾ أى: مكتوبا، ومعنى الكتاب: هو اللوح المحفوظ .

وفى الأخبار المشهورة عن النبى ﷺ أنه قال: «أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب، فقال: وما أكتب؟ قال: اكتب ماهو كائن إلى يوم القيامة(٣)» .

يقال: سطر إذا كتب .

(١) فى «الأصل» و «ك»: سلطها.

(٢) كذا، ولعلها البرمك.

(٣) تقدم تخريجه.

وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا

قوله تعالى: ﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون﴾ الآية. فإن قال قائل: كيف يجوز ألا يرسل الله الآيات لأن الأولين كذبوا بها؟ وماوجه الإمتناع عن إرسال الآيات بتكذيب الأولين؟ والسؤال معروف، وهو مشكل. والجواب من وجهين: أحدهما: أن «إلا» محذوف، ومثله قول الشاعر:

وكل أخ مفــــارقه أخوه لعمرو أبيك إلا الفرقدان

ومعناه: وما منعنا من إرسال الآيات وإن كذب بها الأولون، يعني: أن تكذيب الأولين لايمنعنا من إرسال الآيات.

والجواب الثاني – وهو المعروف – وما منعنا أن نرسل بالآيات التي اقترحها الكفار، فإنهم قالوا للنبي ﷺ: اجعل لنا الصفا ذهبًا، أو بعد عنا هذه الجبال لنزرع الأراضي.

وقوله: ﴿إلا أن كذب بها الأولون﴾ معنى الاستثناء في إهلاك الأولين حين كذبوا بالآيات المقترحة، وقد حكمنا أن هذه الأمة ممهلة في العذاب، قال الله تعالى: ﴿بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر﴾(١) وتلخيص الجواب: أن الأولين اقترحوا الآيات فلما أعطوا كذبوها فأهلكوا، فلو أعطينا هؤلاء الآيات المقترحة وكذبوا بها عاجلناهم بالعذاب، وقد حكمنا بإمهالهم، والدليل على صحة هذا الجواب أنه قال: ﴿وآتينا ثمود الناقة مبصرة﴾ أي: آية نيرة مضيئة، أو آية يبصر بها الحق، وقوله: ﴿فظلموا بها﴾ أي: كذبوا بها، فعوجلوا بالعقوبة. فهذا هو المراد، وإن كان غير مذكور.

وقوله: ﴿وما نرسل بالآيات إلا تخويفًا﴾ أي: تحذيرًا.

قوله تعالى: ﴿وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس﴾ قال مجاهد أي هم في قبضته. قال الحسن: حال بينهم وبين أن يقتلوك أو يكيدوك بغير القتل. فهذا معنى الإحاطة.

---

(١) القمر: ٤٦.

جنة السنة

الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾

وقوله: ﴿ وماجعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس ﴾ الأكثرون أن هذه الرؤيا هى ليلة المعراج، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والحسن، وسعيد بن جبير، والضحاك، وغيرهم .

فإن قال قائل: ليلة المعراج كانت رؤية عين لارؤيا نوم؟ والجواب: أنه قد صح عن عبدالله بن عباس أنه قال فى هذه الآية: هى رؤيا عين، أسرى بالنبى ﷺ تلك الليلة .

﴿ والشجرة الملعونة ﴾ هى شجرة الزقوم .

قال الشيخ الإمام الأجل أبو المظفر منصور بن محمد السمعانى: أخبرنا أبو على الشافعى بمكة قال: أنا أبو الحسن بن فراس، قال: أنا أبو جعفر الديبلى، قال: أنا سعيد ابن عبد الرحمن المخزومى عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس، ذكره البخارى فى صحيحه(1) .

وأما ذكر الرؤيا بمعنى الرؤية هاهنا يجوز؛ لأنهما أُخِذا من معنى واحد . ومنهم من قال: كان له معراجان: معراج رؤية، ومعراج رؤيا .

وأما معنى الفتنة على هذا القول: أن قوماً من الذين آمنوا ارتدوا حين سمعوا عن النبى ﷺ هذا، وفى أصل الآية قول آخر: (وهو)(2) أن الرؤيا المذكورة فى الآية هى «أن النبى ﷺ رأى فى النوم أنه قد دخل مكة، فاستعجل، وسار إلى مكة عام الحديبية محرما بالعمرة، وذكر الصحابة أنه رأى هذه الرؤيا، فلما صد عن مكة حتى احتاج إلى الرجوع افتتن بذلك قوم(3) .

---

(1) رواه البخارى (٨/ ٢٥٠رقم٤٧١٦)، والترمذى (٥/ ٢٨٢رقم٣١٣٤)، والنسائى فى الكبرى (٦/ ٣٨٠-٣٨١رقم١١٢٩١،١١٢٩٢) .

(2) فى «ك»: وهى .

(3) رواه الطبرى (١٥/ ٧٧)، وعزاه السيوطى فى الدر (٤/ ٢١١) لابن مردويه أيضًا، كلاهما عن ابن عباس .

وفى الخبر المشهور، أن عمر قال لأبى بكر: أليس قد رأى أنه يدخل مكة؟ فقال له أبو بكر: هل قال: إنه يدخل العام؟ قال: لا. قال: سيدخلها.. الخبر إلى آخره.

والقول الثالث فى الآية: ماحكاه الدمياطى فى تفسيره عن ابن عباس قال: «رأى النبى ﷺ فى منامه كأن أولاد الحكم بن أبى العاص ينزون على منبره نزو القرود – وفى رواية (يتداولون منبره تداول الكرة)[1] – فساءه ذلك، فدعا أبا بكر وعمر وأخبرهما بذلك، ثم سمع أن الحكم بن أبى العاص يحكى الرؤيا، فلم يتهم أبا بكر، واتهم عمر فدعاه، وقال له: لم أفشيت سرى؟ فقال: والله ماذكرته لأحد؟ فقال رسول الله ﷺ، كيف والحكم يحكى هذا للناس؟! فقال عمر: نجتمع ثانيًا حتى أخبرك من أفشاه. قال: فجاء هو وأبو بكر، وقعدا مع الرسول فى ذلك الموضع، وجعلوا يذكرون هذا، ثم إن عمر خرج مبادراً، فإذا هو بالحكم يستمع، فذكر ذلك للنبى ﷺ، فطرده رسول الله ﷺ من المدينة، ولم يأوه أبو بكر ولا عمر، ومازال طريداً إلى زمن عثمان» القصة إلى آخرها. هذا هو الرؤيا التى ذكر فى الآية.

وقد روى «أن النبى ﷺ ماروى مستجمعاً [ضاحكًا][2] منذ رأى هذه الرؤيا إلى أن مات[3].

وأما الشجرة الملعونة فالأكثرون أنها شجرة الزقوم، فإن قيل: أين لعنها فى القرآن؟ والجواب: أن المراد من الشجرة الملعونة، أى: الملعون آكلها. وقال الزجاج: العرب تقول لكل طعام كريه: طعام ملعون. فعلى هذا تقدير الآية: ﴿وما جعلنا الرؤيا التى

(١) كذا، وفى الحديث يتعاورون منبره تعاور الكلاب، وهو الصحيح.

(٢) ليست في «الأصل ولاك».

(٣) رواه أبو يعلى فى مسنده (١١/ ٣٤٨رقم٦٤٦١)، والحاكم (٤/ ٤٨٠)، وصححه على شرط الشيخين – وليس هو كذلك – والبيهقى فى الدلائل (٦/ ٥١١) من حديث أبى هريرة، وقال الهيثمى فى المجمع (٥/ ٢٤٦ – ٢٤٧): رواه أبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح غير مصعب بن عبد الله بن الزبير، وهو ثقة. وقال البوصيري: رواه أبو يعلى ورواته ثقات (مختصر الاتحاف ٥/ ٥٠٥ رقم ٨٤٧٩).

﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾﴾

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس: أن الله بعث إبليس حتى أخذ من الأرض قبضة من التراب، وكان فيها المالح والعذب فخلق منها آدم، فمن خلقه من العذب كان سعيداً وان كان من أبوين كافرين، ومن خلقه من المالح كان شقيًّا، وإن كان من صلب (بنى آدم)(١).

قال ابن عباس فقوله: ﴿أأسجد لمن خلقت طينًا﴾ أى: أأخضع لمن خلقته من طين، وأنا جئت به؟.

قوله تعالى: ﴿قال أرأيتك هذا الذى﴾ قوله: «أرأيت» أى: أخبرنى، والكاف لتأكيد المخاطبة. وقوله تعالى: ﴿هذا الذى كرمت علىَّ﴾ أى: كرمته علىّ وفضلته.

وقوله: ﴿لئن أخرتن﴾ أى: أمهلتنى ﴿إلى يوم القيامة﴾ فطمع الخبيث أن يُنْظَر إلى يوم القيامة، وينجو من الموت، فأبى الله تعالى ذلك عليه، على ما قال فى سورة الحجر: ﴿فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم﴾(٢).

وقوله: ﴿لأحتنكن ذريته﴾ قالوا: لأستأصلنهم؛ يقال: احتنك الجراد الزرع إذا استأصله. ومنهم من قال: هو مأخوذ من حنك الدابة إذا شد فى حنكها الأسفل حبلا (رسنا)(٣) يسوقها به.

ومعناه: لأسوقنهم إلى المعاصى سوقًا، ولأميلنهم إليه ميلا، وقيل: لأستولين عليهم بالإغواء، وقيل: لأضلنهم.

وقوله: ﴿ذريته﴾ أولاده ﴿إلاقليلا﴾ والقليل هم الذين قال الله تعالى: ﴿إن عبادى ليس لك عليهم سلطان﴾(٤) فإن قيل: كيف عرف إبليس أن

(١) كذا!
(٢) الحجر: ٣٧ - ٣٨.
(٣) فى «ك»: شديداً.
(٤) الحجر: ٤٢.

جنة السنة

﴿قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ

أكثر ذرية آدم يتبعونه؟ قلنا: الجواب من وجهين: أنه لما رأى انقياد آدم لوسوسته طمع فى ذريته.

والثانى: أنه رأى ذلك فى اللوح مكتوبا، وعرف كما عرف الملائكة حين قالوا: ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾(١)

قوله تعالى: ﴿قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاءً موفوراً﴾ أى: موفرا ومعنى موفرا أى: مكملاً. وقال الشاعر:

ومن يجعل المعروف من دون عرضه ... يفسره ومـن لايتق الشتم يشـتم

قوله تعالى: ﴿واستفزز﴾ قال الأزهرى معناه: وادعوهم دعاءً تستفزهم إلى إجابتك، أى: فتستخفهم.

وقيل: استفزز بهم أى: أسرع بهم، وقيل: احملهم على الإغواء. وقوله: ﴿من استطعت منهم﴾ بينا معنى الاستطاعة، وأنشد الشاعر فى معنى الاستفزاز:

فقلت لها هى فلاتستفزى ... ذوات العيون والبنان المخصب(٢)

وقوله: ﴿بصوتك﴾ قال مجاهد: الغناء واللهو، وقال الحسن: الدف والمزمار، وقيل: كل صوت يدعو إلى غير طاعة الله، وقيل: كل كلام يتكلم به فى غير ذات الله.

وقوله: ﴿وأجلب عليهم﴾ أى: اجمع عليهم مكائدك وحيلك، يقال: جلب على العدو إذا جمع عليهم الجيش. وفى المثل: «إذا لم تغلب فأجلب» وقيل معناه: أجمع عليهم جيشك وجندك.

وقوله: ﴿بخيلك ورجلك﴾ كل راكب فى معصية فهو من خيل إبليس، وكل ماشى فى معصيته فهو فى رجل إبليس. والخيل: الراكب، والرَجِل: المشاة، وفى الخبر:

---

(١) البقرة: ٣٠.

(٢) كذا.

جنة السنة

﴿ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ ﴾

«يا خيل الله، اركبى».

وقوله: ﴿ وشاركهم فى الأموال ﴾ كل كسب من حرام، وكل ما أنفق [فى][1] معصية الله، فهو الذى شارك فيه إبليس، وقيل: مازين لهم من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام.

وقوله: ﴿ والأولاد ﴾ فيه أقوال: قال ابن عباس: الموءودة.

قال مجاهد: أولاد الزنا، وقال غيره: هو تهويدهم وتنصيرهم وتمجيسهم.

وعن ابن عباس فى رواية أخرى هو: تسميتهم الأولاد: عبد العزى، وعبد الدار، وعبد مناف، وما أشبه ذلك.

وفى بعض المسانيد عن ابن عباس أن رجلاً أتاه، وقال: إن امرأتى استيقظت، وكأن فى فرجها شعلة نار، قال: ذاك من وطئ الجن. قال: فمن أولادهم؟ قال: هؤلاء المخنثون.

وعن جعفر بن محمد: إن الشيطان يقعد على ذكر الرجل؛ فإذا لم يسم الله أصاب امرأته معه، وأنزل فى فرجها كما ينزل الرجل. وروى قريبًا من هذا عن مجاهد. وفى بعض الأخبار عن النبى ﷺ قال: «إن فيكم مغربين. قيل: وَمَنْ المغربون؟ قال: الذين شارك فيهم الجن»[2].

وقوله: ﴿ وعدهم ﴾ أى: قل لهم: لاجنة ولانار، وقيل: قل لهم: أن لابعث.

وقوله: ﴿ ومايعدهم الشيطان إلاغرورًا ﴾ الغرور: تزيين الباطل بما يظن أنه حق. وفى بعض التفاسير برواية أنس عن النبى ﷺ: «أن إبليس قال: يارب، لعنتنى، وأخرجتنى من الجنة لأجل آدم؛ فسلطنى عليه وعلى ذريته، فقال الله تعالى: أنت مسلط، فقال: إنى لاأستطيعه إلابك فزدنى، فقال: ﴿ واستفزز من استطعت منهم ﴾

(١) فى «الأصل، وك»: من.

(٢) عزاه فى الكنز (١٦ / ٣٥٤ رقم ٤٤٩٠٠) للحكيم الترمذى عن عائشة.

﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلاً ﴿٦٥﴾﴾

إلى آخر الآية. فقال آدم: يارب، أنت سلطت إبليس عليّ وعلى ذريتي، وإني لا أستطيعه إلابك فمالي، فقال: لايولد لك ولد إلا وكلت به من يحفظونه، فقال: زدني، فقال: الحسنة بعشر أمثالها، والسيئة بمثلها، فقال: زدني. فقال: التوبة معروضة مادام الروح في الجسد، فقال: زدني، فقال: ﴿ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم...﴾(١) الآية»(٢). وفى هذا الخبر «أن إبليس قال: يارب، بعثت أنبياء، وأنزلت كتبًا، فما قرآني؟ قال: الشعر. قال: فما كتابى؟ قال: الوشم. قال: فما طعامي؟ قال: كل طعام مالم يذكر عليه اسم الله. قال: فما شرابى؟ قال: كل مسكر. قال: فماحبائلى؟ قال: النساء. قال: فما آذاني؟ قال: المزمار. قال: فما بيتى؟ قال: الحمام. قال: فما منتصبى؟ قال: السوق»(٣). والخبر غريب جداً، والله أعلم.

فإن قال قائل: كيف يأمر الله تعالى بهذه الأشياء، وهو يقول: ﴿إن الله لا يأمر بالفحشاء﴾(٤) والجواب: أن هذا أمر تهديد ووعيد، وهو مثل قوله تعالى: ﴿اعملوا ماشئتم﴾(٥) وكالرجل يقول لغيره: افعل ماشئت فسترى، ومثل هذا يكثر.

قوله تعالى: ﴿إن عبادى ليس لك عليهم سلطان﴾ قد بينا، وقد قيل إنَّ معناه: ليس لك عليهم سلطان فى أن تحملهم على ذنب لا أقبل توبتهم منه.

وقوله: ﴿وكفى بربك وكيلا﴾ أى: حافظًا، أو من يوكل إليه الأمر.

(١) الزمر: ٥٣.

(٢) الشطر الأول منه، عزاه السيوطى فى الدر (٤/ ٢١٢) لابن مردويه مقتصراً على قول إبليس. ورواه ابن أبى حاتم، وابن المنذر - كما فى الدر المنثور (٥/ ٣٦٥)، وتفسير ابن كثير (٤/ ٥٩ - ٦٠). عن عبيد بن عمير، بطوله.

(٣) رواه ابن أبى الدنيا فى مكائد الشيطان (ص٦٣رقم٤٣)، والطبرانى فى الكبير (٨/ ٢٠٧رقم٧٨٣٧) من حديث أبى أمامة، وقال الهيثمى فى المجمع (٨/ ١٢٢). رواه الطبرانى، وفيه على بن يزيد الألهانى - وهو ضعيف - وفى الباب عن ابن عباس رضى الله عنه.

(٤) الأعراف: ٢٨.

(٥) فصلت: ٤٠.

رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنسَانُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ

قوله تعالى: ﴿ربكم الذى يزجى لكم الفلك فى البحر﴾ أى: يسوق ويسير، قال الشاعر:

يأأيها الراكب المزجى مطيته ... سائل بنى أسد ماهذه الصوت

وقوله: ﴿لكم الفلك فى البحر﴾ أى: السفينة فى البحر .

﴿ولتبتغوا من فضله﴾ أى: لتطلبوا من رزقه .

وقوله: ﴿إنه كان بكم رحيمًا﴾ ظاهر .

قوله تعالى: ﴿وإذا مسكم الضر فى البحر﴾ أى: الشدة فى البحر، وإنما خص البحر بالذكر؛ لأن اليأس عند وقوع الشدة فيه أغلب .

وقوله: ﴿ضل من تدعون إلا إياه﴾ أى: بطل وسقط .

وقوله: ﴿من تدعون﴾ أى: من تدعونه ﴿إلا إياه﴾ أى: إلا الله، وهذا فى معنى قوله تعالى: ﴿وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين﴾(١) .

وقوله: ﴿فلما نجاكم إلى البر أعرضتم﴾ يعنى: عن الإخلاص والالتجاء إلى الله .

وقوله: ﴿وكان الإنسان كفورًا﴾ أى: كافرا .

قوله تعالى: ﴿أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر﴾ الخسف بالشىء: هو تغييبه فى الأرض، وقيل: هو ابتلاع الأرض إياه .

وقوله ﴿جانب البر﴾ أى: طرفًا من البر .

وقوله: ﴿أو يرسل عليكم حاصبًا﴾ أى: ريحًا ذات حصباء، والحصباء الحجارة . معناه: ريحا ترمى بالحجارة .

(١) لقمان: ٣٢ .

حَاصِبًا ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلاً ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ

وقال بعض أهل اللغة الحاصب: البرد، وقال بعضهم الحاصب: الثلج. قال الفرزدق:

مستقبلين شمال الريح بطردهم ذو حاصب كنديف [القطن](١) منثور

وقوله: ﴿ثم لاتجدوا لكم وكيلا﴾ أى: من تكلون أمركم إليه فينجيكم؟.

قوله تعالى: ﴿أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى﴾ أى: فى البحر كرة أخرى. وقوله: ﴿فيرسل عليكم قاصفًا من الريح﴾ القاصف: هو الريح التى تكسر كل شئ وصلت إليه.

وقوله: ﴿فيغرقكم بما كفرتم﴾ أى: بكفركم.

وقوله: ﴿ثم لاتجدوا لكم علينا به تبيعًا﴾ أى: ثائرًا، وهو طالب الثأر، هكذا قاله الفراء، وقيل: من يتبعنا بالإنكار.

قوله تعالى: ﴿ولقد كرمنا بنى آدم﴾ فيه أقوال: روى عن ابن عباس أنه قال: هو أكلهم باليد، وسائر الحيوانات يأكلون بأفواههم، وقيل: إمتداد القامة وانتصابها، والدواب منكبة على وجوهها، وقيل: بالعقل والتمييز، وقيل: بأن سخر جميع الأشياء لهم، وقيل: بأن جعل فيهم خير أمة أخرجت للناس، وقيل: بالخط والقلم.

وقوله: ﴿وحملناهم فى البر والبحر﴾ أى: حملناهم فى البر على الدواب، وفى البحر على السفن.

وقوله: ﴿ورزقناهم من الطيبات﴾ التى رزقها الله تعالى بنى آدم فى الدنيا معلومة، وقيل: الحلال، وقيل(٢).

(١) فى «الأصل»: القطر.

(٢) كذا. ولعلها: وقوله، وأنه قد سقط القول.

عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ

﴿ وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً ﴾ قال أبو النضر محمد بن السائب الكلبى: على كل الخلق سوى طائفة من الملائكة منهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل، وفى تفضيل البشر على الملائكة أو الملائكة على البشر كلام كثير ليس هذا موضعه. وظاهر الآية أنه فضلهم على كثير من خلقه لاعلى الكل، ويجوز أن يذكر الأكثر، ويراد به الكل، والأولى أن يقال: إن البشر أفضل من الملائكة على تفصيل معلوم، وهو أن عوام المؤمنين الأتقياء أفضل من عوام الملائكة، وخواص المؤمنين أفضل من خواص الملائكة. وقد قال الله تعالى: ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصلحات أولئك هم خير البرية ﴾(١) والبرية كل من خلق اللهُ على العموم.

وقوله تعالى: ﴿ يوم ندعو كل أناس بإمامهم ﴾ فيه أقوال: أحدها: بنبيهم، والآخر: بكتابهم، والثالث: بأعمالهم، وعن ابن عباس: إمام هدى وإمام ضلالة، وعن سعيد بن المسيب: كل قوم يجتمعون إلى رئيسهم فى الخير والشر. وفى الخبر: ينادى يوم القيامة: قوموا يامتبعى موسى، يامتبعى عيسى، يامتبعى محمد، يامتبعى شيطان، يامتبعى كذا وكذا.

وفى جامع [أبى](٢) عيسى الترمذى فى هذه الآية: «أن النبى ﷺ قال: يعطى المؤمن كتابه بيمينه، ويمد فى جسمه ستون ذراعا، ويبيض وجهه، ويوضع على رأسه تاج من لؤلؤ، فيقبل إلى أصحابه، ويقول لهم: أبشروا؛ فلكل رجل منكم مثل هذا. وأما الكافر فيعطى كتابه بشماله، ويمد فى جسمه ستون ذراعًا، ويسود وجهه، ويوضع على رأسه تاج من نار، فيقبل (إلى)(٣) أصحابه ويقول لهم: أبشروا؛ فلكل رجل منكم مثل هذا»(٤).

(١) البينة: ٧.

(٢) فى «الأصل، وك»: أبو، والصواب ما أثبتناه.

(٣) فى «ك»: على.

(٤) رواه الترمذى (٥/٢٨٢ - ٢٨٣رقم٣١٣٦) وقال: حسن غريب، وابن حبان - الإحسان - (١٦/٣٤٦ رقم٧٣٤٩)، والحاكم (٢/٢٤٢-٢٤٣) وصححه على شرط مسلم، كلهم من حديث أبى هريرة. وزاد السيوطى فعزاه فى الدر (٤/٢١٤) للبزار، وابن أبى حاتم، وابن مردويه.

جنة السنة

فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُوْلَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلاً ﴿٧٢﴾ وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ

وقوله تعالى: ﴿فمن أوتى كتابه بيمينه فأولئك يقرءون كتابهم﴾ والكتاب: هو صحيفة الحسنات والسيئات.

وقوله: ﴿ولايظلمون فتيلا﴾ أى: لاينقص من حقهم بقدر الفتيل.

والفتيل: هو الذى فى شق النواة، وقيل: مافتل بين الأصابع.

قوله تعالى: ﴿ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا﴾ ليس العمى ها هنا هو عمى البصر؛ لأن الناس يحشرون بأتم خلق مصححة الأجساد لخلود الأبد. وفى الخبر عن النبى ﷺ قال: «تحشرون يوم القيامة حفاة عراة غرلا بهمًا»(١) وقوله: بهمًا: أى: مصححة الأجساد للخلود. فعلى هذا معنى قوله: ﴿ومن كان فى هذه أعمى﴾ أى: أعمى القلب عن رؤية [الحق](٢) ﴿فهو فى الآخرة أعمى﴾ أى: أشد عمى.

وقيل معناه: من كان فى هذه الدنيا بعيدا عن الحق، فهو فى الآخرة أبعد، وقيل: من كان فى هذه الدنيا أعمى من الاعتبار، فهو فى الآخرة أعمى عن الاعتذار.

وقوله: ﴿وأضل سبيلا﴾ أى: أخطأ طريقا.

قولة تعالى: ﴿وإن كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا إليك﴾ معناه: ليصرفونك عن الذى أوحينا إليك. وسبب نزول الآية أن المشركين قالوا للنبى ﷺ: اطرد هؤلاء الفقراء عنك حتى نجلس معك ونسلم؛ فَهَمَّ أن يفعل ثم يدعوهم من بعد، فأنزل الله تعالى هذه الآية. وعن سعيد بن جبير ومجاهد أنهما قالا: طلبوا من النبى ﷺ أن يمس آلهتهم حتى يسلموا ويتبعوه، فقال النبى ﷺ فى نفسه: وما علىّ أن أفعل ذلك إذا علم الله منى أنى كاره له، وكان ذلك خاطر قلب، ولم يكن عزما - فأنزل

(١) متفق عليه من حديث أبى هريرة، فرواه البخارى (١١/٣٧٩/رقم٦٥١٩)، ومسلم (١٧/١٩١/رقم٢٧٨٧).
(٢) فى «الأصل، وك»: الخلق، خطأ.

جنة السنة

﴿الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلاً ﴿٧٣﴾ وَلَوْلا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً ﴿٧٤﴾﴾

الله تعالى هذه الآية»(١) والقول الثالث: أن أهل الطائف لما جاءوا إلى النبى ﷺ ليسلموا، وكان استصعب عليه أمرهم، وحاصرهم بضع عشرة ليلة، ولم يفتح، فلما جاءوا قالوا للنبى ﷺ: نسلم بشرط أن لانركع، وأن تمتعنا باللات سنة من غير أن نعبدها، وذكروا غير هذا، فقال: «أما ترك الركوع فلا خير فى دين لا ركوع فيه، وأما اللات فلا أترك وثنًا بين المسلمين؛ فراجعوه فى أمر اللات، وقالوا: لتتحدث العرب زيادة كرامتنا عليك، فسكت النبى ﷺ، فطمع القوم عند سكوته، فأنزل الله تعالى هذه الآية»(٢) وهذا قول معروف.

وقوله: ﴿لتفترى علينا غيره﴾ أى: تقول علينا غير ما أنزلناه عليك. وقوله: ﴿وإذًا لاتخذوك خليلا﴾ أى: صاحبًا ووديدًا.

قوله تعالى: ﴿ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئًا قليلا﴾ معنى كاد أى: قرب، وكدت أى: قربت من الفعل.

وقوله: ﴿شيئًا قليلا﴾ فى موضع المصدر كأنه قال: لقد كدت تركن إليهم ركونًا .فإن قيل(٣) :النبى ﷺ كان معصومًا من الشرك والكبائر، فكيف يجوز أن يقرب مما طلبوه منه؛ والذى طلبوه منه كفر؟

الجواب من وجهين: أحدهما: أنا نعتقد أن الرسول معصوم من الشرك والكبائر، ونحمل على أن ما وجد منه كان هما من غير عزم، وقد قال النبى ﷺ: «إن الله تعالى وضع عن أمتى ماحدثت به نفسها مالم تتكلم به أو تعمل»(٣) وفى الجملة الله

(١) رواه الطبرى (١٥/ ٨٨) عن سعيد، وعزاه السيوطى فى الدر (٤/ ٢١٤) لابن أبى حاتم أيضًا، ورواه الطبرى (١٥/ ٨٨) عن مجاهد مختصرًا.

(٢) رواه الطبرى (١٥/ ٨٨) عن ابن عباس مختصرًا، وعزاه الزيلعى فى تخريج الكشاف (٢/ ٢٨٠) للثعلبى بدون إسناد عن ابن عباس.

(٣) متفق عليه من حديث أبى هريرة رواه البخارى (٥/ ١٩٠رقم٢٥٢٨)، ومسلم (٢/ ١٩٣رقم١٢٧).

إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً ﴿٧٥﴾

أعلم برسوله من غيره، وقد قال قتادة: لما وقع هذا كان رسول الله ﷺ يقول بعد ذلك: «اللهم، لاتكلني إلى نفسي طرفة عين»[١].

والجواب الثاني: وهو أنه قال: ﴿ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن﴾ وقد ثبته ولم يركن، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته﴾ إلى أن قال: ﴿إلا قليلا﴾[٢] وقد تفضل الله، ورحم، ولم يتبعوا الشيطان.

قوله تعالى: ﴿وإذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات﴾ قال ابن عباس: ضعف عذاب الحياة، وضعف عذاب الممات.

وقيل: ضعف عذاب الدنيا، وضعف عذاب الآخرة، وقيل: إن الضعف بمعنى العذاب، فكأنه قال: لأذقناك عذاب الحياة وعذاب الممات، وإنما سمى العذاب ضعفاً لتضاعف الألم فيه.

فإن قيل: لم يضاعف العذاب له؟ قلنا: لعلو مرتبته كما يضاعف الثواب له عند الطاعة. وقد قال الله تعالى: ﴿يانساء النبى من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين﴾[٣] والمعنى مابينا.

وقوله: ﴿ثم لاتجد لك علينا نصيراً﴾ أى: لاتجد من يمنعنا من عذابك.

قوله تعالى: ﴿وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها﴾ الاستفزاز: هو الإزعاج بسرعة. واختلفوا فى معنى هذه الآية، فقال بعضهم: إنها نزلت بالمدينة، وسبب نزولها أن يهود قريظة والنضير وبنى قينقاع أتوا النبى ﷺ، وقالوا: يا أبا القاسم، قد علمت أن بلاد الأنبياء هى الشام وهى الأرض المقدسة، ومتى سمعت

---

(١) رواه الطبرى (١٥/ ٨٩) عن قتادة، وهذا الدعاء مشهور عن النبى ﷺ من حديث أبى بكرة، رواه البخارى فى الأدب المفرد (رقم٧٠١)، وأبو داود (٤/ ٣٢٤رقم٥٠٩٠)، والنسائى فى الكبرى (٦/ ١٦٧رقم١٠٤٨٧)، وأحمد (٥/ ٤٢)، وابن أبى شيبة (١/ ١٩٦)، وابن حبان (٣/ ٢٥٠رقم٩٧٠).

(٢) النساء: ٨٣.

(٣) الأحزاب: ٣٠.

جنة السنة

وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لاَّ يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً ﴿٧٧﴾

بنبى من تهامة؟! فاخرج معنا إلى الشام نؤمن بك وننصرك؛ فَهَمَّ النبى ﷺ بالخروج معهم، وضرب بقبته على ثلاثة أميال من المدينة ليخرج؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية، والأرض ها هنا هى المدينة، وهذا قول معروف.

وعن قتادة قال: الآية مكية، ومعنى الأرض: أرض مكة، وكان المشركون قد هموا أن يخرجوه منها أو يقتلوه، فأمره الله تعالى بالهجرة، وأن يخرج بنفسه.

وقيل: الأرض جميع الأرض، والإخراج منها هو القتل.

وقوله: ﴿وإذا لايلبثون خلفك﴾ وقرئ: «خلافك» ومعناه: بعدك ﴿إلا قليلاً﴾ ومعنى القليل على القول الثانى: مابين خروج رسول الله ﷺ إلى أن قتلوا ببدر، وعلى القول الأول مدة الحياة.

قوله تعالى: ﴿سُنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا﴾ الآية. [إنتصبت](١) السنة؛ لأن معناه: [هذه](٢) السنة كسنة من قد أرسلنا، ثم حذفت الكاف فانتصبت السنة، ومعنى سنة الله هو استئصال القوم بالهلاك إذا أخرجوا الرسول أو قتلوه .

وقوله: ﴿ولا تجد لسنتنا تحويلا﴾ أى: تبديلاً، وقيل: لعادتنا، ومعناه: ما أجرى الله تعالى من العادة فى خلقه.

قوله تعالى: ﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس﴾ اختلفوا فى الدلوك: قال ابن [مسعود](٣): هو الغروب، وقال ابن عباس: هو الزوال، وقد حكى عنهما كلا القولين، وكذلك اختلف التابعون فى هذا. وأصل الدلوك من الميل، والشمس تميل إذا زالت أو غربت، وقيل: من الدلك، والإنسان عند الزوال يدلك عينيه لشدة ضوء

(١) فى «الأصل وك»: انتصب.

(٢) فى «الأصل»، «ك»: هذا.

(٣) فى «الأصل وك»: ابن مسطور وهو تصحيف، والصواب ما أثبتناه. انظر تفسير القرطبى (١٠/٣٠٣)، والدر المنثور (٤/٢١٥).

جنة السنة

﴿أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا (٧٨)﴾

الشمس، ويدلك عينيه عند الغروب، فتبين الشمس لمعرفة جرمها . قال الشاعر :

مصابيح ليست باللواتى تقودها … نجوم ولا بالآفـــلات الدوالك

تقول العرب : طريق دوالك إذا كانت ذات شعب . وأولى القولين أن يحمل على الزوال لكثرة القائلين به، فإن أكثر التابعين حملوه عليه، ولأنا إذا حملنا عليه تناولت الآية جميع الصلوات الخمس، فإن قوله : ﴿لدلوك الشمس﴾ يتناول الظهر والعصر.

وقوله : ﴿إلى غسق الليل﴾ يتناول المغرب والعشاء.

وغسق الليل : ظهور ظلمته، وقيل : اجتماع سواده .

وقوله : ﴿وقرآن الفجر﴾ أى : صلاة الفجر، واستدل العلماء بهذا على وجوب القراءة فى الصلاة حيث سمى الصلاة قرآنًا . وقوله : ﴿إن قرآن الفجر كان مشهوداً﴾ أى : تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار . ومعنى تشهده : تحضره . وقد صح برواية الأعمش رحمه الله عن أبى صالح عن أبى هريرة – رضى الله عنه – أن النبى ﷺ قال فى هذه الآية : «إن قرآن الفجر – صلاة الفجر – تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار»(١) . وقيل معنى قوله : ﴿مشهوداً﴾ أى : أمر الناس بشهودها ليصلوها جماعة . والصحيح هو القول الأول .

قوله تعالى : ﴿ومن الليل فتهجد به﴾ يقال : تهجد إذا قام بعد النوم للصلاة، وهجد إذا نام . قال الأزهرى : التهجد : إلقاء الهجور، وهو النوم، وعن علقمة والأسود وغيرهما : أنه لايكون التهجد إلا بعد النوم .

وقوله : ﴿نافلة لك﴾ أى : زيادة لك، قيل : هى زيادة لكل أحد فما معنى

---

(١) رواه الترمذى (٥/ ٢٨٢ رقم٣٣٥) وقال : حسن صحيح، والنسائى فى الكبرى (٦/ ٣٨١ رقم١١٢٩٣)، وابن ماجة (١/ ٢٢٠ رقم٦٧٠)، وأحمد فى المسند (٢/ ٤٧٤)، والطبرى فى التفسير (١٥/ ٩٤)، والحاكم (١/ ٢١١) وقال : صحيح على شرط الشيخين.

وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾

تخصيص النبى ﷺ بذلك؟ قلنا: لأنه هى تكفير(١) الذنوب لغيره وزيادة له، لأن ذنوبه مغفورة، وقيل: نافلة لك أى: فريضة عليك، وقد كان عليه القيام بالليل فريضة، وقيل: نافلة لك أى: فضيلة لك، وخص بالذكر، ليكون له السبق فى هذه الفضيلة؛ وليقتدى الناس به فيها .

وقوله: ﴿عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا﴾ أجمع المفسرون أن هذا مقام الشفاعة، وقد ثبت هذا عن النبى ﷺ . وفى رواية أبى هريرة أن النبى ﷺ قرأ قوله: ﴿عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودا﴾ قال: «هو المقام الذى أشفع فيه لأمتى»(٢) وروى أنه عليه الصلاة والسلام قال: «أنا سيد الأنبياء إذا بعثوا، وأنا وافدهم إذا تكلموا، وأنا مبشرهم إذا أبلسوا، وأنا إمامهم إذا سجدوا؛ أقول فيسمع، وأشفع فأشفع، وأسأل فأعطى»(٣).

وعن مجاهد أنه قال: يجلسه على العرش، وعن غيره: يقعده على الكرسى بين يديه، وقال بعضهم: يقيمه عن يمين العرش.

وعن حذيفة أنه قال: يجمع الله الناس يوم القيامة فى صعيد واحد يسمعهم الداعى، وينفذهم البصر، وهم حفاة عراة قيام، لايسمع منهم حس، فيقول الله تعالى: يامحمد، فيقول: لبيك وسعديك والخير فى يديك، والمهتدى من هديت، تباركت وتعاليت، لاملجأ ولامنجا منك إلا إليك، وأنا عبدك بين يديك. قال: فهذا

---

(١) كذا.

(٢) رواه الترمذى (٥/٢٨٢رقم٣١٣٧) وحسنه، وأحمد (٢/٤٤١، ٥٢٨)، والطبرى (١٥/٩٨)، والبيهقى فى الدلائل (٥/٤٨٤). وفى الباب عن غير واحد من أصحاب النبى ﷺ . انظر تخريج الكشاف للزيلعى (٢/٢٨٢ - ٢٨٥رقم٧٢١).

(٣) رواه الترمذى (٥/٥٤٦رقم٣٦١٠)، وقال: حسن غريب، والبيهقى فى الدلائل (٥/٤٨٤) من حديث أنس بنحوه. وعزاه فى كنز العمال (١١/٤٣٥رقم٣٢٠٤٣) لابن النجار عن أم كرز، قريبًا من هذا اللفظ.

جنة السنة

﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾

هو المقام المحمود.

وعن بعضهم أن المقام المحمود: هو لواء الحمد الذى يعطى النبى ﷺ وقد ثبت عن النبى ﷺ، أنه قال: «شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى»(١). وقال: «إن لكل نبى دعوة مستجابة، وإنى ادخرت دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة»(٢). وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «لا أزال أشفع حتى يسلم إلى صكاك بأسماء قوم وجبت لهم النار، وحتى يقول مالك خازن النار: ماتركت للنار فى أمتك من نقمة». والأخبار فى الشفاعة كثيرة، وأول من أنكرها عمرو بن عبيد، وهو ضال مبتدع بإجماع أهل السنة.

قوله تعالى: ﴿وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق﴾ فيه أقوال، أحدها: أدخلنى المدينة مدخل صدق، وأخرج من مكة مخرج صدق، وذكر الصدق لمدح الإخراج، كقوله: ﴿وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق﴾(٣) فالصدق لمدح القدم، وكذلك قوله: ﴿فى مقعد صدق﴾(٤) لمدح المقعد. وإنما مدح لما يؤول إليه الخروج والدخول من النصر والعز ودولة الدين.

والقول الثانى: أخرجنى من مكة، وأدخلنى مكة، قاله الضحاك. والقول الثالث: أدخلنى فى الدين، وأخرجنى من الدنيا، والقول الرابع: أدخلنى فى الرسالة، وأخرجنى من الدنيا، وقد قمت بما وجب على من حقها. والقول الخامس: أخرجنى يعنى من المناهى وأدخلنى يعنى فى الأوامر.

والمشهور هو القولان الأولان. والمخرج بمعنى الإخراج، والمدخل بمعنى الإدخال.

---

(١) تقدم فى تفسير سورة البقرة.

(٢) رواه مسلم (٣/٩١-٩٢رقم١٩٩) والترمذى (٥/٥٤١-٥٤٢رقم٣٦٠٢)، وابن ماجة (٢/١٤٤٠رقم٤٣٠٧)، وأحمد (٢/٤٢٦).

(٣) يونس: ٢.

(٤) القمر: ٥٥

﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾

وقوله: ﴿واجعل لى من لدنك سلطانًا نصيرًا﴾ قال مجاهد: حجة بينة، وقال غيره: ملكًا عزيزًا، والملك العزيز: هو المؤيد بالقدرة والحجة.

قوله تعالى: ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل﴾ قال قتادة: الحق: القرآن، والباطل: الشيطان. وقيل: الحق: عبادة الله، والباطل: عبادة الأصنام. وقد ثبت برواية ابن مسعود: «أن النبى ﷺ دخل مكة، وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنمًا، فجعل يطعنها ويقول: جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقًا» ذكره البخارى فى الصحيح، قال الشيخ الإمام الأجل الزاهد أبو المظفر منصور بن محمد السمعانى: أخبرنا به المكى بن عبد الرزاق الكشميهنى قال: أنا جدى أبو الهيثم قال: أخبرنا محمد بن يوسف الفربرى قال: أخبرنا البخارى قال: أخبرنا على بن [المدينى][1] قال: أنا سفيان بن عيينة عن ابن أبى نجيح عن مجاهد عن أبى معمر، عن عبد الله بن مسعود الخبر»[2].

وفى بعض التفاسير: أن النبى ﷺ كان يشير بيده إلى الصنم فيستلقى الصنم من غير أن يمسه.

وقوله: ﴿إن الباطل كان زهوقًا﴾ أى: ذاهبا. يقال: زهقت نفسه إذا خرجت.

قوله تعالى: ﴿وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة﴾ الآية قيل: إن «مِنْ» ها هنا للتجنيس لا للتبعيض. ومعناه: وننزل القرآن الذى منه الشفاء، وقيل: وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة أى: ما كله شفاء فيكون المراد من البعض هو الكل، كما قال الشاعر:

أو يعتلق بعض النفوس حمامها

---

(١) فى «الأصل وك»: المدنى، سبق قلم.

(٢) متفق عليه، رواه البخارى (٥/١٤٥رقم٢٤٧٨)، ورواه مسلم (١٢/١٨٦رقم١٧٨١).

جنة السنة

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا ﴿٨٣﴾﴾

أى: كل النفوس، الحمام: هو الموت.

وأما المراد من الشفاء هو الشفاء من الجهل بالعلم، ومن الضلالة بالهدى، ومن الشك باليقين، وقيل: المراد من الشفاء هو الشفاء من المرض بالتبرك به، وقيل: إن معنى الشفاء هو ظهور دليل الرسالة منه بالإعجاز وعجيب النظم والتأليف.

وقوله: ﴿ورحمة للمؤمنين﴾ أى: هو بركة وبيان وهدى للمؤمنين.

وقوله: ﴿ولا يزيد الظالمين إلا خساراً﴾ معنى زيادة الخسار فى القرآن للظالمين: ما كان يتجدد منهم بالتكذيب عند نزوله آية آية، فذلك زيادة الخسار والكفر.

قوله تعالى: ﴿وإذا أنعمنا على الإنسان﴾ أى: بالصحة، وسعة الرزق، وطيب الحياة، وما أشبه ذلك.

وقوله: ﴿أعرض﴾ أى: تولى. وقوله: ﴿ونأى بجانبه﴾ أى: تباعد بجانبه. وقرئ «وناء بجانبه» وهذا يقرب معناه من الأول. ومعنى الآية: هو ظهور التضرع والإخلاص فى الدعاء والالتجاء إلى الله عند المحنة والشدة، وترك ذلك عند النعمة والصحة. ومعنى التباعد: هو ترك التقرب إلى الله، وما كان يظهره من ذلك عند الضر والشدة.

وقوله: ﴿وإذا مسه الشر كان يؤساً﴾ أى: آيساً. ومعناه أنه يتضرع ويدعو عند الضر والشدة، فإذا أخرت الإجابة يئس، ولا ينبغى للمؤمن أن ييئس من إجابة الله، وإن تأخرت الإجابة مدة طويلة.

وعن بعض التابعين أنه قال: إنى أدعو الله بدعوة منذ عشرين سنة ولم يجبنى إليها وما آيست منها. قيل: وما تلك الدعوة؟ قال: ترك ما لا يعنينى.

قوله تعالى: ﴿قل كل يعمل على شاكلته﴾ أى: على جديلته وطبيعته، ومعناه: ما يشاكل خلقه. وصحف بعضهم كل يعمل على جديلته - وهو تصحيف قريب من المعنى - والتصحيف فى التفسير.

جنة السنة

﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلاً ﴿٨٤﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ

وقوله: ﴿فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا﴾ أى: أوضح طريقًا، وأبين مسلكًا.

قوله تعالى: ﴿ويسألونك عن الروح﴾ الآية. روى علقمة عن عبدالله بن مسعود قال: «كنت مع رسول الله ﷺ فى حرث، وهو متوكئ على عسيب فجاءه قوم من اليهود، وسألوه عن الروح فوقف رسول الله ﷺ ينظر إلى السماء فعرفت أنه يوحى إليه، وتنحيت عنه، ثم قال: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلاقليلا﴾ وهذا خبر صحيح»(١).

وعن ابن عباس برواية عطاء «أن قريشًا اجتمعت وقالوا: إن محمدا نشأ فينا بالأمانة والصدق، وما أتهمناه بكذب، وقد ادعى ماادعى، فابعثوا بنفر إلى اليهود، واسألوهم عنه، فبعثوا بقوم إلى المدينة؛ ليسألوا يهود المدينة عنه، فذهبوا وسألوهم، فقالوا: سلوه عن ثلاثة أشياء: إن أجاب عن اثنين، ولم يجب عن الثالث، فهو نبى، وإن أجاب عن الثلاث، أو لم يجب عن شئ من الثلاثة فليس بنبى، سلوه عن ذى القرنين، وعن فتية فقدوا فى الزمن الأول، وعن الروح، - وأرادوا بالذى لايجيب عنه الروح - فرجعوا وسألوا النبى ﷺ عن ذلك، وقد اجتمعت قريش فقال: سأجيبكم غداً. ولم يقل: إن شاء الله، فتلبث الوحى أربعين يومًا لما أراد الله تعالى، ثم إنه نزل بعد أربعين يوما قوله تعالى: ﴿ولاتقولن لشىء إنى فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله﴾(٢) ونزل الوحى بقصة (أصحاب)(٣) الكهف وقصة ذى القرنين، ونزل بالروح قوله تعالى: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى﴾.

واختلفوا فى الروح على أقاويل: فروى عن ابن عباس أنه جبريل عليه السلام. وقد قال فى موضع آخر ﴿نزل به الروح الأمين﴾(٤). وعنه أنه قال: خلق فى السماء من

(١) متفق عليه، رواه البخارى (١/ ٢٧٠رقم١٢٥)، ومسلم (١٧/ ٩٩-٢٠١رقم٢٧٩٤).

(٢) الكهف: ٢٣ - ٢٤.

(٣) فى «ك»: أهل.

(٤) الشعراء: ١٩٣.

جنة السنة

الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي

جنس بنى آدم لهم أيدى وأرجل ليسوا من الملائكة.. وذكره أبو صالح أيضًا، وروى عن على - رضى الله عنه - أنه قال: الروح ملك ذو[1] سبعون ألف وجه، لكل وجه سبعون ألف لسان - وفى رواية سبعون لسانا يسبح الله بألسنته كلها.

وعن الحسن البصرى: إن الروح ها هنا: هو القرآن. وقيل: إنه عيسى عليه السلام. ومعناه أنه ليس كما قال اليهود ولا كما قال النصارى، ولكنه روح الله وكلمته تكون بأمره.

وأصح الأقاويل: أن الروح ها هنا هو الروح الذى يحيا به الإنسان، وعليه أكثر المفسرين.

واختلفوا فيه: منهم من قال: هو الدم؛ ألا ترى أن الإنسان إذا مات لم يغب منه إلا الدم، ومنهم من قال: هو تنفس الإنسان من الهواء؛ ألا ترى أن المخنوق يموت لاحتباس النفس عليه، ومنهم من قال: إنه عرض، وقال بعضهم: جسم لطيف يشبه الريح، يجرى فى تجاويف الإنسان. واستدل من قال إنه جسم [إن][2] الله تعالى قال: ﴿بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله﴾[3] وإنما يتصور رزق الأجسام لارزق الأعراض وتدل عليه أن النبى ﷺ قال: «أرواح الشهداء فى حواصل طير خضر تعلف من ثمر الجنة أو تأكل[4]».

وروى عن النبى ﷺ أنه قال: «إن الله تعالى خلق الأرواح قبل الأجساد بأربعة آلاف سنة»[5] وهذا كله دليل على أن الروح جسم وليس بعرض، وهذا أولى القولين.

---

(١) فى «ك»: له.

(٢) فى «الأصل وك»: فإن.

(٣) آل عمران: ١٦٩ - ١٧٠.

(٤) تقدم تخريجه قبل ذلك.

(٥) عزاه العجلونى فى كشف الخفا (١/ ٢٦٦) لابن عباس موقوفًا، وقال: لم يثبت عنه، بل هو باطل عنه، قاله ابن حجر المكى. وأما المرفوع فرواه أبو عبد الله بن منده من حديث عمرو بن عنبسة عن النبى ﷺ كما فى كتاب الروح لابن القيم (ص١٦٠) بلفظ: «إن الله خلق الأرواح قبل الأجساد بألفى عام». وقال ابن القيم فى (ص١٧٢): فلا يصح إسناده؛ ففيه عتبة بن السكن، قال الدارقطنى: متروك، وأرطاة بن المنذر، قال ابن عدى: بعض أحاديثه غلط. وله شاهد آخر عن على، رواه ابن الجوزى فى الموضوعات (١/ ٤٠١) من طريق الأزدى؛ وقال: هذا حديث موضوع؛ قال: الأزدى عبد الله بن أيوب، وأبوه كذا بان. لاتحل الرواية عنهما.

وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴿٨٥﴾

وذكر بعض أهل المعانى: أن الروح معنى اجتمع فيه النور والطيب والعلم والعلو والبقاء، ألاترى أنه إذا كان موجوداً رأت العين وسمعت الأذن، فإذا ذهب الروح فات السمع والبصر، وإذا كان موجوداً فالإنسان طيب فإذا خرج أنتن وإذا كان موجودا فيوجد فى الإنسان العلم بالأشياء، فإذا فات صار جاهلا، وكذلك توجد فيه الحياة فإذا فات صار الإنسان ميتًا، ويوجد فيه العلو واللطافة فات تسفل وكنف.

وأولى الأقاويل فى الروح أن يوكل علمه إلى الله .

ويقال: هو معنى يحيا به الإنسان لايعلمه إلا الله. وذكر القرآن أن الله تعالى لم يخبر أحداً بمعنى الروح، ولا يعلمه غيره. وعن عبدالله بن بريدة أنه قال: إن الله تعالى لم يُطلع على معنى الروح ملكًا مقربًا، ولا نبيًّا مرسلا، وخرج رسول الله ﷺ من الدنيا، ولم يعلم معنى الروح، والله أعلم .

وقوله: ﴿قل الروح من أمر ربى﴾ معناه: من علم ربى، وقد قال بعضهم: إن رسول الله ﷺ علم معنى الروح إلا أنه لم يخبرهم به؛ لأن ترك إخبارهم به كان علماً على نبوته. وأيضًا لم يخبرهم به؛ لئلا يكون إخباره ذريعة إلى سؤالهم عما لايعنيهم.

وقوله: ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾ يعنى: فى جنب علم الله، ويقال: إن هذا خطاب لليهود على معنى أنه قال للنبى: قل لليهود .

وقيل: إنه خطاب للرسول. وقد روى أن اليهود قالوا: قد أوتينا التوراة، وفيها العلم الكثير؛ فأنزل الله تعالى: ﴿قل لوكان البحر مداداً لكلمات ربى﴾ الآية(١) معناه: أن ماأوتيتم من العلم الذى فى التوراة قليل فى جنب علم الله(٢) .

---

(١) الكهف: ١١٠.

(٢) سقط باقى تفسير سورة الإسراء وتفسير سورة الكهف من نسختى «الأصل: وك» جميعًا.

جنة السنة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿كهيعص ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴿٣﴾﴾

(تفسير)[١] سورة مريم مكية

(و)[٢] قد روينا عن ابن مسعود – رضى الله عنه – أنه قال: «سورة بنى إسرائيل والكهف ومريم وطه من تلادى، وفى رواية: من العتاق الأول».

وقوله تعالى: ﴿كهيعص﴾. روى عن علىّ – رضى الله عنه – أنه قال: هذا اسم من أسماء الله تعالى، وحكى عنه أنه قال: (يا الله[٣] ياعين صاد)، اغفر لى. وعن الحسن وقتادة: اسم من أسماء السورة. وأما ابن عباس فالمروى عنه: أن كل حرف مأخوذ من اسم، فالكاف مأخوذ من الكافى، ومنهم من قال: من كبير، ومنهم من قال: من كريم، وأما الهاء قال ابن عباس: مأخوذ من الهادى، وأما الياء مأخوذ من حليم، ومنهم من قال: من يمين، ومنهم من قال: من أمين، وقال بعضهم: الياء من ياء النداء، وأما العين فقال ابن عباس: من عليم، وعن غيره: من عزيز. وأما الصادق، قال ابن عباس: من الصادم. وقد بَيَّنَّا قبل هذا أقوالا فى الحروف المهجاة[٤] فى أوائل السور.

وقوله: ﴿ذكر رحمة ربك عبده زكريا﴾ يعنى: هذا ذكر رحمة ربك عبده زكريا، وقال بعضهم: فى الآية تقديم وتأخير؛ يعنى: هذا ذكر ربك عبده زكريا بالرحمة.

وقوله: ﴿إذ نادى ربه نداءً خفيًا﴾ أى: دعا ربه دعاءً خفيًا. وفى بعض الأخبار: «خير الدعاء الخفى، وخير الرزق مايكفى»[٥]. وفى بعض الأخبار أيضًا: «دعوة السِّر

---

(١) من «ك»، وفيها تأخير البسملة عن ذكر السورة.

(٢) ليست فى «ك».

(٣) فى «ك»: يا كهيعص اغفرلى.

(٤) وفى «ك»: المهاجاة.

(٥) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده (١/ ١٧٢، ١٨٠، ١٨٧)، وابن أبى شيبة (١٠/ ٣٧٥)، وأبو يعلى (٢/ ٨٢رقم٧٣١)، والطبرانى فى الدعاء (٣/ ١٦٤٠رقم١٨٨٣)، وابن حبان فى صحيحه (٣/ ٩١رقم ٨٠٩)، وأبو عوانة فى صحيحه كما فى الترغيب للمنذرى (٢/ ٥٣٧) جميعهم من حديث سعد بن أبى وقاص مرفوعًا. وقال الهيثمى فى المجمع: رواه أحمد وأبو يعلى، وفيه محمد بن عبد الرحمن بن لبيبة، وثقه ابن حبان وقال: روى عن سعد ابن أبى وقاص. قلت: وضعفه ابن معين، وبقية رجالهما رجال الصحيح.

قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾
وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾

تفضل دعوة العلانية بسبعين درجة»(١).

فإن قيل: لم أَخْفَى؟ والجواب من وجوه: أحدها: أنه أفضل، والآخر: لأنه استحيا من الناس أن يدعو جهرًا، فيقولون: انظروا إلى هذا الشيخ يسأل على كِبَرِه الولد!. ويقال: إنه أخفى، لأنه دعا فى جوف الليل، وهو ساجد.

قوله تعالى: ﴿قال رب إنى وهن العظم منى﴾ يعنى: رق وضعف من الكبر. قال قتادة: اشتكى سقوط الأضراس.

قوله: ﴿واشتعل الرأس شيبًا﴾ أى: شعر الرأس. والعرب تقول إذا كثر الشيب فى الرأس: اشتعل رأسه، وهذا أحسن استعارة، لأنه يشتعل فيه كاشتعال النار فى الحطب.

وقوله: ﴿ولم أكن بدعائك رب شقيًّا﴾ فيه قولان: أحدهما: أنك عودتنى الإجابة، ولم تخيبنى، والآخر: ولم أكن بدعائك لى شقيًّا يعنى: لما دعوتنى إلى الإيمان آمنت، ولم أَشْقَ بترك الإيمان.

وقوله: ﴿وإنى خِفْتُ الموالى من ورائى﴾ قال أبو صالح: المراد منه الكلالة. وعن أبى عبيدة: بنو العم.

وقوله: ﴿ورائى﴾ أى: بعدى، وقال أبو عبيدة: ورائى أى: أمامى. والقول الأول أصح.

وفى الشاذ: «وإنى خَفَّتْ الموالى من ورائى» أى: قَلَّت.

وقوله: ﴿وكانت امرأتى عاقرًا﴾. العاقر: هى التى لاتلد.

وقوله: ﴿فهب لى من لدنك وليًّا﴾. وقوله: ﴿يرثنى﴾ أى: ولدًا يرثنى. فإن

(١) رواه ابن عدى فى الكامل (٦/٣٩٩)، والبيهقى فى الشعب - كما فى المغنى للعراقى - عن عائشة مرفوعًا بنحوه، قال العراقى فى المغنى: تفرد به معاوية بن يحيى الصدفى، وهو ضعيف، ونسبه أيضًا لابن أبى الدنيا فى الإخلاص من حديث عائشة مرفوعًا بنحوه أيضًا، وقال: إسناده ضعيف وعن ابن عمر عند البيهقى فى الشعب، وقال: تفرد به بقية عن عبد الملك بن مهران. (المغنى مع الإحياء ٣/٢٥٤، ٢٧٣).

جنة السنة

قيل: كيف يخاف نبى الله أن يرثه بنو العم والعصبة؟ وأيش معنى هذا الخوف؟! وعن قتادة قال: أى شئ كان على نبى الله زكريا أن يرثه غير ولده؟.

والجواب: أنه اختلف الأقوال فى الإرث: فعن ابن عباس: أنه أراد به إرث المال، وهو قول جماعة، وعنه أيضًا أن المراد منه: إرث العلم، وهو قول الحسن البصرى، وفيه قول ثالث: أنه ميراث الحبُورة، فإنه كان رأس الأحبار.

قال الزجاج: والأولى أن يحمل على ميراث غير المال؛ لأنه يبعد أن يشفق زكرياء عليه السلام – وهو نبى من الأنبياء – أن يرثه بنو عمه وعصبته مالا، وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «كان زكريا نجارًا»(١). قال الشيخ الإمام الأجل: أخبرنا به أبو الحسن(٢) أحمد بن محمد بن النقور، قال أبو القاسم بن حبابة، قال عبدالله بن محمد بن عبد العزيز البغوى، قال هدبة بن خالد، عن حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أبى رافع عن أبى هريرة عن النبى ﷺ ... الخبر. خرجه مسلم فى الصحيح، ولم يخرجه البخارى؛ لأنه لايروى عن حماد بن سلمة.

والمراد من الخوف أنه أراد أن يكون وارثه فى النبوة والحبورة ولده، وقد قال النبى ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع [عمله](٣) إلا من ثلاثة.. وقال فيها: ولد صالح يدعو له»(٤).

وقوله: ﴿ ويرث من آل يعقوب ﴾ قيل: النبوة، وقيل: الملك؛ لأن زكريا كان من بيت الملك.

وقوله: ﴿ واجعله رب رضيا ﴾ أى: مرضيًا.

---

(١) رواه الإمام أحمد فى مسنده (٢/٢٩٦،٤٠٥)، ومسلم (١٥/١٩٦رقم٢٣٧٩)، وابن ماجة (٢/٧٢٧رقم٢١٥٠)، وابن حبان (١١/٥٤٢ رقم٥١٤٢)، والحاكم (٢/٥٩٠) وقال: صحيح على شرط مسلم، جميعهم من حديث أبى هريرة مرفوعًا.

(٢) كذا فى النسختين، وفى تذكرة الحفاظ ص(١١٦٤) والسير (١٨/٣٧٢): أبو الحسين.

(٣) من «ك».

(٤) رواه ومسلم (١١/١٢٢ رقم١٦٣١)، وأبو داود (٣/١١٧ رقم٢٨٨٠) والترمذى (٣/٦٦٠رقم١٣٧٦)، وقال: حسن صحيح. ، والنسائى (٦/٢٥١ رقم٣٦٥١)، ورواه الإمام أحمد فى مسنده (٢/٣٧٢)، وابن حبان فى صحيحه (٧/٢٨٦ رقم٣٠١٦).

جنة السنة

﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ﴾

قوله تعالى: ﴿ يازكريا إنا نبشرك بغلام ﴾ معناه: قلنا: زكريا إنا نبشرك.

وقوله: ﴿ بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا ﴾ يعنى: من تسمى باسمه. فإن قيل: وأى فضيلة له فى هذا؟ قلنا: فضيلة التخصيص، وقيل: فضيلة تسمية الله إياه بهذا الاسم. وفى الآية قول آخر: وهو أن قوله: ﴿ لم نجعل له من قبل سميا ﴾ أى: شبهًا ومثلا؛ فإنه لم يذنب، ولم يهم بذنب، وما من أحد إلا وقد أذنب أو هم بذنب. وقد روى هذا عن النبى ﷺ فى خبرٍ مسندٍ أنه قال: «ما من أحد يأتى الله(١) يوم القيامة إلا وقد أذنب أو هم بذنب غير يحيى بن زكريا، ثم أخذ عوداً صغيراً من الأرض وقال: ما كان له إلا مثل هذا»(٢) والخبر غريب.

---

(١) لفظ الجلالة غير موجود فى «ك».

(٢) روى هذا الحديث مرفوعًا وموقوفًا: فروى من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعًا: رواه ابن إسحاق عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب به، أخرجه ابن جرير فى تفسيره (٣/١٧٤)، والحاكم (٢/٣٧٣) وقال: صحيح، وابن أبى حاتم فى العلل (٢/١٤٠ رقم ١٩١٣). وقال فى المجمع (٨/٢١٢): رواه البزار، ورجاله ثقات. وقال ابن كثير فى تفسيره (١/٣٦١): غريب جداً. وقال أبو حاتم. لايرفعون هذا الحديث. قلت: وخالف ابن إسحاق يحيى بن سعيد القطان، وأبو خالد الأحمر، فروياه عن يحيى بن سعيد الأنصارى عن ابن المسيب عن عبد الله بن عمرو موقوفًا. أخرجه أحمد فى الزهد (ص٩٠)، وابن أبى شيبة فى مصنفه، (١٣/٣٥٤رقم١٦٥٦٧)، ورواه ابن جرير فى تفسيره (٣/١٧٤) عن أحمد بن الوليد القرشى، عن عمر بن جعفر، عن شعبة، عن يحيى بن سعيد عن ابن العاص – إما عبد الله وإما أبوه – قوله. وعزاه السيوطى فى الدر (٢/٢٤ – ٢٥) لابن أبى حاتم وابن عساكر، وقال: وهو أقوى إسناداً من المرفوع. وقال ابن كثير (١/٣٦١): الموقوف أصح إسناداً من المرفوع. وروى ابن جرير فى تفسيره أيضًا بإسنادين له عن ابن المسيب قوله بنحوه. وروى من حديث أبى هريرة مرفوعًا: رواه ابن عدى فى الكامل (٢/٢٣٤)، والطبرانى فى الأوسط (٦/٢١٢ رقم٣٦٠٦ مجمع البحرين)، وابن أبى حاتم فى العلل (٢/١١٣–١١٤رقم١٨٣٥)، من طريق حجاج بن سليمان الرعينى، عن الليث بن سعد، عن محمد بن عجلان، عن القعقاع بن حكيم، عن أبى صالح، عن أبى هريرة مرفوعًا. واستنكره أبو حاتم فقال: لم يكن هذا الحديث عند أحد غير الحجاج، ولم يكن فى كتاب الليث. وحجاج هذا هو شيخ معروف. وذكره ابن عدى من منكرات الحجاج، وقال عن حجاج: يحدث عن الليث وابن لهيعة أحاديث منكرة. وروى من حديث ابن عباس: رواه الإمام أحمد فى مسنده (١/٢٥٤)، والبزار (مختصر الزوائد ٢/٢٧٠–٢٧١ رقم١٨٥٠) مطولا، والحاكم (٢/٥٩١)، والطبرانى (١٢/٢١٨ رقم ١٢٩٣٨) من طريق على بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس مرفوعًا: «ما من آدمى إلا وقد أخطأ أو =

يَكُونُ لِي غُلامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ

وقيل فى منع الشبهة: أنه لم تلد عاقر من النساء مثله.

قوله تعالى: ﴿قال رب أنَّى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرًا وقد بلغت من الكبر عتيًا﴾ أى: يأسًا[1] وجفوفًا، كأنه شكى نحولة العظم والفحل.

وقرأ ابن مسعود[2]: «عسيا» بالسين، والمعنى واحد.

وقيل: كيف سأل الله الولد فلما أجيب قال: ﴿أنى يكون لى غلام﴾؟

والجواب عنه من وجهين: أحدهما: أنه كان قال حال الشباب، ثم إنه أجيب فى حال الكبر. وهذا قول ضعيف.

القول الثانى: أن معناه: أنى يكون لى غلام؟ يعنى: كيف يكون لى غلام؟ أفتردنى إلى حال الشباب أو تهب لى الغلام وأنا شيخ؟ وقيل: إنه سأل الولد مطلقًا لا من هذه المرأة، فقال: كيف يكون لى الغلام[3]؟ أمن هذه المرأة أو من غيرها؟

قوله تعالى: ﴿قال كذلك قال ربك هو على هين﴾ أى: يسير.

وقوله: ﴿وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿قال رب اجعل لى آية﴾ أى: دلالة. فإن قيل: لم سأل الآية؟ أما صدَّق الله تعالى حتى يسأل الآية؟. والجواب: أن فى القصة: أن الشيطان تمثل له، وقال: إن الذى يجيبك ليس هو الله، وإنما هو شيطان يستهزئ بك، فحينئذ سأل الله

= بخطيئة أو عملها إلا أن يكون يحيى بن زكريا لم يهم بخطيئة ولم يعملها»، وقال الذهبى: إسناده جيد، ولعله يقصد الإسناد المرسل عن الحسن لا حديث ابن عباس، ففيه على بن زيد بن جدعان. وقال الحافظ ابن كثير فى البداية (١/ ٥٢١): على بن زيد بن جدعان تكلم فيه غير واحد من الأئمة، وهو منكر الحديث، ثم قال: وقد رواه ابن خزيمة والدارقطنى... عن على بن زيد به مطولا، ثم قال ابن خزيمة: وليس على شرطنا.

(١) كذا فى «ك» وهى مطموسة فى «الأصل»، ولعل الصواب: يَبَسًا.

(٢) كذا فى النسختين، والمشهور عن ابن عباس فليراجع.

(٣) فى «ك»: غلام.

جنة السنة

آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ يَا يَحْيَىٰ

الآية، وقد سأل الآية ليكون زيادة فى سكون القلب.

وقوله: ﴿قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا﴾ أى: متتابعات، وقيل: فيه تقديم وتأخير، ومعناه: ألا يتكلم[1] الناس سويا يعنى: وأنت سوى لا آفة بك ثلاث ليال.

وفى القصة: أنه لم يقدر أن يتكلم مع الناس، وكان إذا أراد التسبيح وذكر الله يطلق لسانه.

قوله تعالى: ﴿فخرج على قومه من المحراب﴾ قد بينا معنى المحراب.

وقوله: ﴿فأوحى إليهم﴾ أى: أومأ إليهم ﴿أن سبحوا بكرة وعشياً﴾

وروى أنه كان يدور على الأحبار كل يوم بكرة وعشيا، ويأمرهم بالعبادة والصلاة، فلما كان فى هذه الأيام جعل يشير، ويقال: إنه كتب حتى قرءوا منه.

وقال بعض أهل العلم: إن أخذ لسانه عن الكلام كان عقوبة عليه لما سأل الله تعالى عن[2] الآية بعد أن سمع وعد الله إياه، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿يا يحيى﴾ قيل: يحيى مأخوذ من قوله: (يا)[3] حيّ». وحكى النقاش فى تفسيره: أن «سارة» كان اسمها «يسارة»، فسماها جبريل «سارة»، فقالت: لم نقصت من اسمى حرفا؟ فقال: هو لولد لك يأتى من بعدك، وكان اسم يحيى: «حيّ» فى اللوح المحفوظ على معنى أنه حيّ من كبيرَيْن أيسا من الولد، ثم زيد فيه الياء فصار «يحيى». وفى الآية حذف، ومعناه: وهبنا له الولد ثم قلنا: يايحيى.

---

(١) هكذا صورتها فى النسختين، ولعلها: تكلم.

(٢) كذا فى «الأصل وك».

(٣) لفظ النداء غير موجود فى «ك».

خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ

وقوله: ﴿ خذ الكتاب بقوة ﴾ أى: بجدّ واجتهاد.

وقوله: ﴿ وآتيناه الحكم صبيًا ﴾ أى النبوة. هذا قول أكثر المفسرين، وقال قتادة: أعطى النبوة وهو ابن ثلاث سنين. وقيل: المراد من الحكم هو العلم، فقرأ التوراة، وهو صغير. وعن بعض السلف قال: من قرأ القرآن قبل أن يبلغ، فهو ممن أوتى الحكم صبيًا. وفى الآية قول ثالث رواه أبو وائل: وهو أن يحيى قيل له وهو صغير: تعال نلعب، فقال: ما لِلُّعْب(١) خلقتُ». فهو معنى قوله تعالى: ﴿ وآتيناه الحكم صبيًا ﴾.

قوله تعالى: ﴿ وحنانًا من لدنا ﴾ أى: رحمة من عندنا، قال الشاعر:

أبا مُنْذِرٍ (أفنيــت فاستـبق بعضنا)(٢) حَنَانَيْك بعضُ الشرِّ أهونُ من بعض

هو مأخوذ من التحنن وهو التعطف.

وقوله: «وزكاة» أى: طهارة وتوفيقًا، وقيل: إخلاصًا.

وقوله: ﴿ وكان تقيًا ﴾. وصفه بالتقوى؛ لأنه لم يذنب، ولم يهم بذنب.

وقوله: ﴿ وبرًا بوالديه ﴾ أى: عطوفًا.

وقوله: ﴿ ولم يكن جبارًا عصيًا ﴾ الجبار هو الذى يقتل على(٣)

وقوله تعالى: ﴿ وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا ﴾ خص هذه الأحوال بهذه الأشياء، لأن هذه الأحوال أوحش شيء فإنه عند الولادة يخرج من بطن

---

(١) هكذا ضبطت فى «الأصل»؛ بكسر اللام الأولى، وضم المشددة الثانية، وسكون المهملة.

(٢) ما بين القوسين مطموس فى «الأصل»، ومكانه بياض فى «ك» والمثبت من تفسير القرطبى.

(٣) ها هنا طمس فى الأصل، وكذا سقط من «ك»، وجاء من قول المصنف فى تفسير قوله: ﴿إن تريد إلا أن تكون جبارًا فى الأرض﴾ من سورة القصص، قال: أى تقتل على الغضب، وكل من قتل على الغضب فهو جبار، وقيل: «من قتل نفسين بغير حق، فهو من جبابرة الأرض»، فالذى هنا من ذلك.
وسيأتى نحوه بعد قليل عند تفسير قوله تعالى: ﴿ولم يجعلنى جبارًا شقيا﴾ من هذه السورة.

حيًّا ﴿١٥﴾ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ

الأم على وحشة شديدة، ويموت على وحشة شديدة، ويبعث على وحشة شديدة. ومعنى السلام هو: الأمان فى هذه المواضع.

قوله تعالى: ﴿واذكر فى الكتاب مريم إذا انتبذت من أهلها﴾ أى: تنحت واعتزلت. وقوله: ﴿من أهلها﴾ أى: من قومها.

وقوله: ﴿مكانًا شرقيًا﴾ أى: من جانب المشرق، ويقال: كان يومًا شاتيًا شديد البرد، فذهبت إلى مشرقه تُفَلِّي رأسها. وروى أنها كانت طهرت من الحيض فذهبت لتغتسل.

قوله تعالى: ﴿فاتخذت من دونهم حجابًا﴾ اختلف القول فى هذا الحجاب: أحد الأقوال: أنه وراء جدار، وقيل: وراء جبل، والقول الثالث: وراء ستر. وروى أنها كانت تجردت لتغتسل.

وقوله: ﴿فأرسلنا إليها روحنا﴾ الأكثرون على أنه جبريل عليه السلام، وفيه قول آخر: أن المراد من الروح عيسى عليه السلام، جاء فى صورة بشر، وحملت به، والصحيح هو القول الأول.

قوله تعالى: ﴿فتمثل لها بشرًا سويًّا﴾ فى القصة: أنه جبريل جاء فى صورة غلام أمرد وضئ الوجه، (له) [1] جعد قطط.

قوله تعالى: ﴿قالت إنى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا﴾ يعنى: استجير بالرحمن منك إن كنت تقيًّا. فإن قيل: إنما يستعاذ بالرحمن من الشخص إذا كان فاجرًا، فأما إذا كان متقيا لايكون محل الاستعاذة منه؛ لأنه متقى لايقدم على الفجور، والجواب عنه: أن هذا كقول القائل: إن كنت مؤمنا فلا تظلمنى، يعنى أنه ينبغى أن

(١) غير موجودة فى «ك».

بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾
قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ
عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ

يكون إيمانك مانعًا من الظلم. كذلك ها هنا معناه: ينبغى أن يكون تقواك مانعًا من الفجور وقيل: إنها شكت فى حاله، فقالت ما قالت على الشك، والقول الثالث: إن كنت متقيا يعنى: ما كنت متقيا جئت دخلت علىّ فى هذه الحالة، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿قل إن كان للرحمن ولد﴾[١] أى: ما كان للرحمن ولد. وعن بعض السلف أنه قال: إن كنت متقيا علمت أن التقى ذو نهيّة أى: ذو عقل؟ فلهذا قالت: إن كنت تقيا.

قوله تعالى: ﴿قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك﴾. وقرئ: «ليهب لك» فقوله: ﴿لأهب﴾ أضاف إلى نفسه، لأنه أرسل بالموهوب على يده، وقوله: «ليهب» أى: ليهب الله لك. وقوله: ﴿غلامًا زكيًّا﴾ أى: طاهرًا صالحًا.

قوله: ﴿قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر﴾ أى: زوج. ﴿ولم أك بغيا﴾ أى: زانية ومعناه: إن الولد يكون من نكاح أو سفاح، وليس ها هنا واحد منهما.

قوله تعالى: ﴿قال كذلك قال ربك هو على هيّن﴾ أى: يسير.

وقوله: ﴿ولنجعله آية للناس﴾ أى: علامة للناس ودلالة

قوله: ﴿ورحمة منا﴾ أى: ونعمة منا.

وقوله: ﴿وكان أمرًا مقضيًا﴾ أى: محكومًا [محتمًا][٢] لايرد ولايبدل.

قوله تعالى: ﴿فحملته﴾ فى القصة: أن جبريل عليه السلام نفخ فى جيب درعها، وفى رواية: فى كم قميصها، وفى رواية: فى فِيْهَا، فحملت بعيسى فى الحال، وأخذ يتحرك فى البطن.

---

(١) الزخرف: ٨١.

(٢) فى «الأصل وك»: محترما.

جنة السنة

مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَاءهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ

وقوله: ﴿ فانتبذت ﴾ أى: فتنحت وتباعدت ﴿ به مكانًا قصيًّا ﴾ أى: شاسعًا بعيدًا.

قال ابن عباس: كان الحمل والولادة فى ساعة واحدة.

وقال غيره: حملت به ثمانية أشهر، وولدت لها، ولايعيش ولد فى العالم يولد لثمانية أشهر، وكان هذا معجزة لعيسى.

وفى القصة عن مريم أنها قالت: كنت إذا خلوت جعل عيسى يحدثنى، وأنا أحدثه وهو فى بطنى، وإذا كنت مع الناس، وتكلمت معهم أخذ يسبح واسمع تسبيحه.

قوله تعالى: ﴿ فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة ﴾ وقال أهل اللغة: جاءها وأجاءها بمعنى واحد، كما يقال: أذهبته وذهبت به. قال مجاهد: فأجاءها أى: فألجأها. وفى حرف ابن مسعود: «فأداها[1] المخاض إلى جذع النخلة». وفى بعض القراءة: «فَاجَأَهَا» من المفاجئة، قال الشاعر:

وجارٍ سار معتمدًا عليكم   فاجاءته المخافة والرجاء

والمخاض: وجع الولادة. فإن قال قائل: لم التجأت إلى جذع النخلة؟ والجواب عنه: لتستظل بها، والأصح أنها التجأت إلى النخلة، لتستند إليها، أو لتتمسك بها، فتستعين بذلك على وجع الولادة. والدليل على أن هذا القول أصح، أو أنه من المشهور أن النخلة كانت يابسة لا رأس لها، وقيل: كانت نخرة مجوفة، ومثل هذا لايستظل بها والصحيح هو القول الثانى. وعن السدى أنه قال: كانت النخلة يابسة، فلما هزت النخلة حييت، وأورقت وأطلعت ثم صار الطلع بلحًا، ثم زهوًا ثم أرطبت، وتساقطت عليها.

وقوله تعالى: ﴿ قالت ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيًا منسيًّا ﴾

(١) وفى «ك» تحتمل أن تكون: فاتاها.

جنة السنة

نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ

النسى فى اللغة: كل ما (إذا)(١) ألقى لم يذكر ونسى؛ لحقارته وخساسته.
وقوله: ﴿نسيًّا﴾ أى: متروكًا. وعن ابن عباس قال: معناه: ياليتنى لم أخلق، ولم أك شيئًا. وعن قتادة: لم أعرف ولم أذكر. وعن مجاهد قال: دم حيضة ملقاة.

فإن قيل: لم تمنت الموت؟. والجواب: أنها تمنت الموت استحياءً من قومها. ويقال: إنها تمنت الموت، لأنها علمت أن الناس يكفرون بسبب ابنها وبسببها، فتمنت الموت حتى لايعصى اللهُ بسببها وبسبب ابنها.

قوله تعالى: ﴿فناداها من تحتها﴾ قرئ: «من» بالفتح والكسر، فأما من قرأ بالفتح فحمل الآية على أن المنادى كان جبريل. وهذا قول ابن عباس وقتادة وجماعة، وأما من قرأ بالكسر فحمل على أن المنادى هو عيسى. وهذا قول الحسن ومجاهد، وأظهر القولين أن المنادى هو جبريل، ويجوز أن تحمل القراءتان على ذلك.

وفى القصة: أن مريم كانت على أكمة، فكان جبريل وراء الأكمة تحتها.

وقوله: ﴿ألا تحزنى﴾. ألا تغتمى بالولادة من غير زوج وبالوحدة.

وقوله: ﴿قد جعل ربك تحتك سريًّا﴾ أكثر المفسرين أن السرى هاهنا هو: النهر، ويسمى سريًّا؛ لأنه يسرى فيه الماء، وقال إبراهيم النخعى: هو نهر صغير.

وفى القصة: أنه كان هناك نهر يابس فأجرى الله تعالى فيه الماء، والدليل على صحة هذا القول أن الله تعالى قال فى الآية الأخرى: ﴿فكلى واشربى﴾ أى: كلى من الرطب، واشربى من النهر، وقال الشاعر فى السرى بمعنى النهر:

سَهّل الخليفه ماجد ذى نائل ... مثـــل(٢) الســـرى عُـــدّة الأنهـــار

وفى السرى قول آخر، وهو أنه بمعنى: الشريف، والمراد به. عيسى. قال بعض المتأخرين:

(١) غير موجودة فى «ك».
(٢) وفى «ك»: مثله.

مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِ

إن السـرى إذا ســرى بنفســه وابن السرى إذا سرى أسراهما

قوله تعالى: ﴿ وهزى إليك بجذع النخلة ﴾ قد بينا هذا من قبل، وذكرنا أنها هزت وأورقت وأثمرت.

وقوله: ﴿ تساقط عليك رطبًا ﴾ أى: تتساقط، فأدغمت احدى التاءين فى الأخرى.

والجَنِىّ: هو الذى بلغ الغاية، وجاء أوان اجتنائه.

قال الكلبى: رطبًا بغباره. وعن ابن المسيب بن دارم قال: كان بَرْنِيًا، وهى أشبع التمر. وعن محمد بن كعب قال: كان عجوة.

قوله تعالى: ﴿ فكلى واشربى ﴾ أى: كلى من الرطب، واشربى من النهر.

وقوله: ﴿ وقرى عينًا ﴾ أى: طيبى نفسًا. ومنه قولهم: أقرّ الله عينك، وقيل: [أن](٣) العين إذا بكت من السرور بالدمع يكون باردًا، وإذا بكت من الحزن يكون حارًا، فمن هذا: أقر الله عينك، وأسخن الله عينه.

وقوله: ﴿ فإما ترين ﴾ معناه: فإما تَرَيْنَ، وذكر النون للتأكيد.

وقوله: ﴿ من البشر أحدًا ﴾ معلوم المعنى.

وقوله: ﴿ فقولى إنى نذرت للرحمن صومًا ﴾ قرئ فى الشاذ: «صمتًا». والمعروف: «صومًا» ومعناه هو: صمت، ويقال: إنها صامت عن الكلام والطعام جميعًا، وقيل: كان الرجل من بنى إسرائيل إذا اجتهد فى العبادة صام عن الكلام والطعام جميعًا.

والنذر عقدٌ على البر لو تم أمر.

وقوله: ﴿ فلن أكلم اليوم إنسيا ﴾ أى: أحدًا. فإن قيل: هى تكلمت بهذا، فكيف تكون صائمة عن الكلام؟

قلنا: أُذن لها فى هذا القدر من الكلام.

(١) فى «الأصل»: بان.

قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ

قوله تعالى: ﴿فأتت به قومها تحمله﴾ فى القصة أنها ولدت ثم (حملته)[١] فى الحين إلى قومها، وفى بعض الروايات: أنها حملته إلى قومها بعد أربعين يومًا من ولادتها.

وقوله: ﴿قالوا يامريم لقد جئت شيئًا فريًا﴾ قال مجاهد: عظيمًا منكرًا، وقال أبو عبيدة: عجبًا. وقيل: مختلقًا مفتعلا. وقد روى أنها لما أتت بعيسى إلى قومها وأهل بيتها حزنوا حزنًا شديدًا - وكانوا أهل بيت صالحين - وظنوا بها الظنون.

قوله تعالى: ﴿يا أخت هارون﴾ يا شبيهة هارون. قال قتادة: وكان هارون رجلا عابدًا فى بنى إسرائيل، وليس هو هارون أخو موسى، فشبهوها به على معنى أنا ظننا وحسبنا (أنك فى)[٢] الصلاح مثل هارون، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين﴾[٣] أى: أشباه الشياطين.

وعن كعب: أن هارون كان من أعبد بنى إسرائيل وأمثلهم، قال: ولما توفى صلى على جنازته أربعون ألفًا، كلهم يسمون هارون سوى سائر الناس، وكانوا يسمون أولادهم باسمه لحبهم إياه.

وروى المغيرة بن شعبة «أن النبى ﷺ لما (بعثه)[٤] إلى نجران قال له نصارى نجران: إنكم تقرءون: يا أخت هارون! بين مريم وهارون كذا وكذا من السنين، فلم يدر المغيرة كيف يجيب، فلما رجع إلى النبى ﷺ ذكر ذلك له، فقال: ألا قلت لهم: كانوا يسمُّون باسم أنبيائهم وصالحيهم». رواه مسلم فى صحيحه[٥].

وفى الآية قول آخر: وهو أن المراد بهارون: أخو موسى، وهذا كما يقول القائل:

---

(١) فى «ك»: خلقه!

(٢) فى «ك»: أن تكون.

(٣) الإسراء: ٢٧.

(٤) فى «ك»: بعث.

(٥) رواه مسلم فى صحيحه (١٤/١٦٥رقم٢١٣٥)، والترمذى (٥/٢٩٥ رقم٣١٥٥) وقال: صحيح غريب لانعرفه إلا من حديث ابن إدريس، والنسائى فى الكبرى (٦/٣٩٣رقم١١٣١٥).

جنة السنة

سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا

أخا تميم، أو يا أخا ثعلب، إذا كان من أولاده، وقد كانت مريم من أولاد هارون.
والقول الثالث: أن هارون كان رجلا فاسقًا فى بنى إسرائيل عظيم الفسق، فشبهوها به.

وفى الآية قول رابع: أن هارون كان أخا مريم لأبيها، فعلى هذا المراد من الأخوة فى النسب.

وقوله: ﴿ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيًّا﴾ أى: زانية. ومعناه: كيف جئت مفسدة زانية من أبوين صالحين؟.

قوله تعالى: ﴿فأشارت إليه﴾ معناه: فأشارت إليه أى: كلموه. قال ابن مسعود: لما لم يكن لها حجة أشارت إليه؛ لتبرئ ساحتها، ويكون كلامه حجة (لها)(١).

وفى القصة: أنها لما أشارت إليه غضب القوم، وقالوا: مع ما فعلت تهزئين وتسخرين بنا.

وقوله تعالى: ﴿قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيًّا﴾ فإن قيل: أيش معنى قوله: ﴿كان فى المهد صبيا﴾، وما من رجل من العالم إلا كان فى المهد صبيا؟! والجواب عنه: قال أبو عبيدة: كان صِلَةٌ، ومعنى الآية: كيف نكلم صبيا فى المهد؟(٢). وقال الزجاج: هذا على طريق الشرط، أى: من هو صبى فى المهد كيف نكلمه؟.

ومعنى «كان»: هو، أو معنى «كان»: صار، وهذا اختيار [ابن](٣) الأنبارى.

قوله تعالى: ﴿قال إنى عبد الله﴾ فى التفسير: أن مريم لما أشارت إليه فكان يرتضع من ثديها فترك الثدى، وأقبل على (القوم، واتكأ على)(٤) يساره، وجعل يشير بيمينه، وقال هذا القول.

وقوله: ﴿إنى عبدالله﴾ أقر بالعبودية أولا؛ لئلا يتخذ إلهًا.

---

(١) كلمة لها غير موجودة فى «ك».
(٢) فى «ك»: كيف نكلم فى المهد صبيا فى المهد؟.
(٣) من «ك».
(٤) ما بين القوسين غير موجود فى «ك».

﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا

وقوله: ﴿آتانى الكتاب﴾. أى: الإنجيل. والأكثرون على أنه أوتى الإنجيل وهو صغير طفل؛ إلا أنهم قالوا: كان يعقل عقل الرجال. هذا قول الحسن وغيره من السلف، وعن الحسن أنه قال: جعل نبيا، وآوتى الإنجيل، وهو فى بطن أمه.

وقال بعضهم: ﴿آتانى الكتاب﴾ أى: سيؤتينى الكتاب، ويجعلنى(١) نبيًا إذا صرت رجلا. والصحيح هو الأول. وقال بعضهم: كان فى ذلك الوقت على وصف آدم فى العقل والعلم دون القامة والجُثة.

وعن سعيد بن جبير قال: أسلمته أمه إلى المعلم، فقال المعلم: قل: بسم. فقال: الله.

فقال: قل: الرحمن. قال: الرحيم. فجعل كلما ذكر أسمًا ذكر هو الذى يليه، فقال المعلم: هذا أعلم منى، ثم جعل يخبر الصبيان بما خبأت أمهاتهم فى البيوت، فجعل الصبيان يرجعون إلى بيوتهم ويأخذونها، فضجت الأمهات من ذلك.

فقوله: ﴿وجعلنى مباركاً﴾(٢) أى: نفاعًا معلمًا للخير، وقال الضحاك: قضاءً للحوائج.

وقال الثورى: آمرًا بالمعروف وناهيا عن المنكر.

وقوله: ﴿أينما كنت﴾ أى: حيث كنت.

وقوله: ﴿وأوصانى بالصلاة والزكاة﴾ أى: أمرنى بالصلاة والزكاة. فإن قيل: لم يكن لعيسى مال، فكيف يؤمر بالزكاة؟ والجواب: أن معناه أمرنى بالزكاة لوكان لى مال، وقيل: أمرنى بالزكاة أى: بالطهارة من الذنوب، ويقال: بالاستكثار من الخير.

وقوله: ﴿مادمت حيًّا﴾ أى: ماحييت.

قوله تعالى: ﴿وبرا بوالدتى﴾ أى: رءوفًا عطوفًا بوالدتى.

---

(١) فى «ك»: جعلنى.

(٢) فى «ك»: ﴿وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا﴾.

جنة السنة

﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾

وقوله: ﴿ولم يجعلنى جباراً شقيًا﴾ الجبار: المتكبر، والشقى هو الذى يعصى الله، ويقال: الجبار هو الذى يقتل، ويضرب على الغضب، وهذا قول معروف، ويقال: الجبار هو الذى يظلم الناس، والشقى هو الذى يذنب، ولايتوب من الذنب .

قوله تعالى: ﴿والسلام على يوم ولدت﴾ معناه: التحية والحفظ من الله لى يوم ولدت ﴿ويوم أموت ويوم أبعث حيا﴾ وقال بعضهم: السلام بمعنى السلامة عند الولادة، هو السلامة من طعن الشيطان وهمزه، والسلامة عند الموت هو من الشرك، فإن أكثر الشرك يكون عند الموت، والسلامة يوم القيامة من الأهوال .

وقيل: السلامة عند الموت من ضغطة القبر، وقيل: سلامة عند الموت بالوصول إلى السعادة .

قوله تعالى: ﴿ذلك عيسى ابن مريم﴾ يعنى: هذا عيسى ابن مريم ﴿قول الحق الذى فيه يمترون﴾. يعنى: هذا القول هو القول الحق، وقوله ﴿الذى فيه يمترون﴾ أى: يختلفون .

قوله تعالى: ﴿ما كان لله أن يتخذ من ولد﴾ معناه: مايصلح لله، وماينبغى أن يتخذ من ولد . فإن قيل: هلا قال ولداً؟ قلنا: قال من ولد للمبالغة؛ فإن الرجل قد يقول: ما اتخذ فلان فرساً يريد العدد، وإن كان قد اتخذ واحداً. فإذا قال: ما اتخذ فلان من فرس، يكون ذلك نفيا للواحد والعدد. وقد بينا أن الولد يكون من جنس الوالد، والله لاجنس له .

وقوله سبحانه: ﴿إذا قضى أمرًا﴾ قد بينا معنى القضاء.

وقوله: ﴿فإنما يقول له كن فيكون﴾ قد ذكرنا أيضاً.

جنة السنة

وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ

قوله تعالى: ﴿وإن الله ربى وربكم﴾. أكثر المفسرين أن[١] هذا بناء على قول عيسى عليه السلام، ومعناه: قال إنى عبدالله... إلى آخره، وقال: إنَّ الله ربى وربكم، وأما أنَّ بالفتح معناه: وأخبر بأن الله ربى وربكم، وقيل تقديره: ولأن الله ربى وربكم، فاعبده، والعامل قوله: ﴿فاعبدوه﴾.

وقوله: ﴿فاعبدوه هذا صراط مستقيم﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿فاختلف الأحزاب من بينهم﴾ قال قتادة وابن جريج وغيرهما: لما رفع عيسى عليه السلام إلى السماء، اختار بنو إسرائيل أربعة من رءوسهم، وسألوهم عن عيسى، فاختلفوا، فقال أحدهم[٢]: كان هو الله نزل من السماء، وصار فى بطن مريم، وأحيا وأمات، ثم صعد إلى السماء. فقال الآخرون: كذبت، وهذا قول اليعقوبية من النصارى.

وقال الثانى: كان هو ابن الله، فقال الآخران: كذبت. وهذا قول النسطورية من النصارى .

وقال الثالث: كان ثالث ثلاثة: الله ومريم وعيسى، فعيسى أحد الأقانيم الثلاثة، وهذا قول الملكانية من النصارى، قال الرابع: كذبت. ثم إن الرابع قال: هو عبدالله ورسوله، وتبع كلَّ واحد جماعة فاقتتلوا، وظهر على المسلمين، وبقى الأقوال الثلاثة من النصارى. فهذا معنى قوله تعالى: ﴿فاختلف الأحزاب من بينهم﴾.

وقوله: ﴿فويل للذين كفروا﴾. قد بينا معنى الويل.

وقوله: ﴿من مشهد يوم عظيم﴾ يعنى: يوم القيامة.

قوله تعالى: ﴿أسمع بهم وأبصر﴾ يعنى: ما أسمعهم وأبصرهم يوم القيامة. وإنما

---

(١) فى «ك»: على أن.

(٢) فى «ك»: بعضهم.

﴿الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾

وصفهم بهذا؛ لأنه تعالى كان وصفهم بالبكم والعمى والصمم فى الدنيا، فأخبر أنهم يسمعون ويبصرون فى الآخرة، مالم يسمعوا ويبصروا فى الدنيا. ويقال: وصفهم بشدة السمع والبصر فى الآخرة بحصول الإدراك بغير رؤية ولافكر.

وقوله: ﴿يوم يأتوننا﴾ ظاهر المعنى.

وقوله: ﴿لكن الظالمون اليوم فى ضلال مبين﴾ أى: خطأ بين.

ويقال قوله: ﴿أسمع بهم وأبصر﴾ تهديد ووعيد ومعناه: أنهم يسمعون ماتصدع قلوبهم، ويرون مايهلكهم.

وقوله تعالى: ﴿وأنذرهم يوم الحسرة﴾ معناه: يوم الندامة، ويقال: كل الناس يندمون يوم القيامة؛ أما المسئ فيندم هلا أحسن، وأما المحسن فيندم هلا ازداد (حسنًا)[1]. وأما قول أكثر المفسرين فى الآية: هذه الحسرة حيث يذبح الموت على الصراط، وقد صح الخبر برواية أبى هريرة، وأبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ، أنه قال:

«اذا أدخل الله أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار ينادى منادٍ: ياأهل الجنة، فيشرفون وينظرون، وينادى: ياأهل النار، فيشرفون وينظرون؛ فيؤتى بالموت على صورة كبش أملح، فيقال لهم: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعرفه، هذا هو الموت فيذبح». وفى رواية أبى هريرة: «يذبح على الصراط» ثم يقال: يا أهل الجنة خلود (ولاموت)[2]، ويا أهل النار، خلود فلاموت». وفى بعض الروايات: «لومات أهل الجنة لماتوا فرحًا، ولومات أهل النار لماتوا حزنا، ثم قرأ النبى ﷺ: ﴿وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر﴾.. الآية»[3].

(١) فى «ك»: حسناته.

(٢) فى «ك»: فلا موت.

(٣) حديث أبى سعيد الخدرى متفق عليه بنحوه، رواه البخارى (٨/ ٢٨٢ رقم٤٧٣٠)، ومسلم (١٧/ ٢٦٩-٢٧٠ رقم٢٨٤٩). وحديث أبى هريرة رواه البخارى (١١/ ٤١٤/رقم: ٦٥٤٥)، وابن ماجة (٢/ ١٤٤٧ رقم٤٣٢٧) وقال البوصيرى: إسناده صحيح، وأحمد (٢/ ٢٦١، ٣٤٤، ٣٧٨)، وابن حبان (١٦/ رقم٧٤٥٠) بنحوه، وبعضهم مختصراً.

وقوله: «لو مات أهل ... حزنًا» عند الترمذى من رواية أبى سعيد: وقال: حسن صحيح.

جنة السنة

وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي

وقوله: ﴿قضى الأمر﴾ أى: فرغ من الأمر.

وقوله: ﴿وهم فى غفلة﴾ معناه: وهم فى غفلة فى الدنيا عما يعمل بهم فى الآخرة.

وقوله: ﴿وهم لايؤمنون﴾ أى: لايصدقون.

قوله تعالى: ﴿إنا نحن نرث الأرض ومن عليها﴾ الآية. معناه: إنا نميت سكان الأرض، ونهلكهم، فتكون الأرض ومن عليها لنا وفى حكمنا. ومعنى الإرث: هو أنه لايبقى لأحد ملك ولاسبب سوى الله.

قوله: ﴿وإلينا يرجعون﴾ أى: يردُّون.

قوله تعالى: ﴿واذكر فى الكتاب إبراهيم إنه كان صديقًا﴾ الصديق هو: الكثير الصدق، القائم عليه. ويقال: من صدَّق اللهَ فى وحدانيته، وصدق أنبياءه ورسله، وصدق بالبعث، وقام بالأوامر فعمل بها؛ فهو صديق.

وقوله: ﴿نبيا﴾ النبى هو: العالى فى الرتبة بإرسال الله إياه، وإقامة الدليل على صدقه.

قوله تعالى: ﴿إذ قال لأبيه يا أبت﴾ معناه: يا أبى، فأقيمت التاء مقام ياء الإضافة.

وقوله: ﴿لم تعبد ما لايسمع ولايبصر ولا يغنى عنك شيئًا﴾ أى: لايسمع إن دعوته، ولايبصر إن أتيته ﴿ولا يغنى عنك شيئا﴾ لايدفع عنك، ومعناه: لايغيثك إن استغثت به.

قوله تعالى: ﴿يا أبت إنى قد جاءنى ما لم يأتك﴾ أى: من العلم والمعرفة بالله مالم يأتك.

جنة السنة

أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَامٌ

﴿فاتبعنى أهدك﴾ أرشدك ﴿صراطًا سويًّا﴾ مستقيمًا.

قوله تعالى: ﴿يا أبت لاتعبد الشيطان﴾ معناه: لاتطع الشيطان فيما يزين لك من الكفر والشرك.

وقوله: ﴿إن الشيطان كان للرحمن عصيًّا﴾ أى: عاصيًا.

قوله تعالى: ﴿يا أبت إنى أخاف﴾ الخوف ها هنا بمعنى: العلم، ومعناه: إنى أعلم أنه ﴿يمسك عذاب من الرحمن﴾ إن أقمت على الكفر.

﴿فتكون للشيطان وليا﴾ يعنى: يلزمك ولايةً أى: موالاة الشيطان وتكون مثله. وقيل: فَتُوكَل إلى الشيطان، ويخذلك الله.

قوله تعالى: ﴿قال أراغب أنت عن آلهتى يا إبراهيم﴾

فى القصة: أن أبا إبراهيم كان ينحت الصنم ويعبده، وكان يعطى الأصنام بنيه يبيعونها، فكان إذا أعطى إبراهيم صنمًا يبيعه، فيقول إبراهيم: من يشترى منى مايضره ولاينفعه؟! فيرجع وما باع، ويرجع سائر البنين وقد باعوا.

وقوله: ﴿قال أراغب أنت عن آلهتى يا إبراهيم﴾ يقال: رغب عن الشئ إذا تركه، ورغب (فى الشئ إذا طلبه)[1].

وقوله: ﴿لئن لم تنته﴾ يعنى: عن عملك. ﴿لأرجمنك﴾. قال الحسن البصرى: لأقتلنك بالحجارة، وقال غيره: لأشتمنك، ولأبعدنك عن نفسى بالشتم والقبح من القول»، وهذا أعرف القولين. وقوله: ﴿واهجرنى مليّا﴾ قال الحسن: زمانا طويلا. وقال عكرمة: دهرًا.

(١) ما بين القوسين ساقط من «ك».

جنة السنة

عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ

قال مهلهل شعرًا:

فتصدعت صم الجبال لموته وبكت عليه المرملات مليًّا

ومنه: الملوان هو الليل والنهار. ويقال: مليًّا أى: سليمًا سويًّا من عقوبتى وإيذائى، وحكى هذا عن ابن عباس، ومنه: فلان مَلِى بأمر كذا، إذا كان كاملا فيه.

قوله تعالى: ﴿قال سلام عليك﴾.

قال بعضهم: هذا سلام هجران ومفارقة. وقال بعضهم: هو سلام بر ولطف، وهو جواب حليم لسفيه، قال الله تعالى: ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً﴾(1).

ويقال: معنى قوله: ﴿سلامًا﴾ أى: سلامة لك منى؛ لأنه لم يكن أمر بقتاله.

وقوله: ﴿سأستغفر لك ربى﴾. فيه قولان: أحدهما: سأستغفر لك ربى إن آمنت، والقول الثانى: سأسأل الله لك التوبة التى توجب المغفرة، وقد كانت توبته هى الإيمان. وقوله: ﴿إنه كان بى حفيًّا﴾ أى: عوّدنى الإجابة لدعائى. وقيل: محبا.

قول تعالى: ﴿وأعتزلكم﴾ [هذا الأعتزال](2) هو: تركهم فى مهاجرته إلى الشام على ما قال فى موضع آخر: ﴿وقال إنى مهاجر إلى ربى﴾(3).

وقوله: ﴿وماتدعون من دون الله﴾ أى: تعبدون من دون الله.

وقوله: ﴿وأدعو ربى﴾ أى: وأعبد ربى.

وقوله: ﴿عسى ألا أكون بدعاء ربى شقيا﴾ عسى من الله واجب، والدعاء بمعنى العبادة، والشقاوة: الخيبة من الرحمة.

قوله تعالى: ﴿فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق﴾

(1) الفرقان: ٦٣.

(2) فى «الأصل»: هذا هو الاعتزال هو. والمثبت من «ك».

(3) العنكبوت: ٢٦.

جنة السنة

اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلاًّ جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا

﴿ ويعقوب ﴾ هو ابن إسحاق(١) .

ومعناه : أنا أعطيناه أولادًا كرامًا بررة عوض الذين(٢) كان يدعوهم إلى عبادة الله فلم يجيبوا .

وقوله : ﴿ وكلا جعلنا نبيًّا ﴾ يعنى : إسحاق ويعقوب .

﴿ ووهبنا لهم من رحمتنا ﴾ يعنى : أنعمنا عليهم، وأعطيناهم من كرامتنا ونعمنا.

وقوله : ﴿ وجعلنا لهم لسان صدق عليا ﴾ أى : ثناءً حسنًا إلى يوم القيامة، وقد بينا أن كل أهل الأديان يتولون : إبراهيم، فهو الثناء الحسن إلى يوم القيامة .

قوله تعالى : ﴿ واذكر فى الكتاب موسى إنه كان مخلصًا ﴾ وقرئ: « مخلَصًا » « مخلِصًا » بالفتح والكسر، فبالكسر أى : موَحِداً لله وبالفتح أى : مختاراً من الله تعالى . وقيل : مُخْلَصًا أى : خالصًا، وهو مثل قوله تعالى : ﴿ ورجلا سلمًا لرجل ﴾(٣) أى : خالصًا لرجل.

وقوله : ﴿ وكان رسولا نبيا ﴾ . قيل : الرسول والنبى واحد، وقد فرق بينهما، وقد بينا من قبل.

قوله تعالى : ﴿ وناديناه من جانب الطور الأيمن ﴾ الطور : جبل بين مصر ومدين، ويقال : اسمه الزِّبِيْرُ.

وقوله : ﴿ الأيمن ﴾ وقيل : يمين الجبل، وقيل : يمين موسى، والأصح يمين موسى؛ لأن الجبل ليس له يمين ولاشمال .

---

(١) فى (ك) : هو إسحاق وهو ابن إسحاق كذا.

(٢) فى «ك» : الدنيا كذا!!.

(٣) الزمر: ٢٩.

جنة السنة

﴿٥١﴾ وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا

وقوله: ﴿وقربناه نجيا﴾ قال ابن عباس: أدناه حتى سمع صرير القلم، وقيل: صريف القلم. وفي رواية: رفعه على الحجب.

ويقال: قربناه نجيا أى: كلمناه، والتقريب ها هنا هو التكلم، وأما النجى فهو المناجى، وكأن معناه على هذا القول: أن الله يكلمة، وهو يكلم الله .

قوله تعالى: ﴿ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا﴾ قال أهل التفسير: إنما سمى نبوة هارون هبة لموسى؛ لأن موسى كان قال: ﴿واجعل لى وزيراً من أهلى. هارون أخى﴾[١] .

قوله تعالى: ﴿واذكر فى الكتاب إسماعيل﴾. الأكثرون أن هذا: إسماعيل بن إبراهيم أبو النبى ﷺ، وقال بعضهم: هو إسماعيل بن حزقيل، نبى آخر؛ فإن إسماعيل بن إبراهيم توفى قبل إبراهيم. والصحيح هو القول الأول، وقد كان بعث إلى جرهم [وهى][٢] قبيلة، وأما وفاته قبل إبراهيم لاتعرف.

وقوله: ﴿إنه كان صادق الوعد﴾ قال سفيان: لم يعد الله شيئًا من نفسه إلا وفّى به، ومن المعروف أنه وعد إنسانًا شيئًا فأنتظره ثلاثة أيام فى مكان واحد، فسمى صادق الوعد، ويقال: انتظره حولا.

وعن سفيان الثورى أنه قال: إن للكذب أطرافًا، وأعظم الكذب إخلاف المواعيد، واتهام الأبرياء.

وفى بعض الأخبار: «أن النبى ﷺ بايع رجلاً قبل الوحى، فقال له ذلك الرجل: مكانك يامحمد، حتى أرجع إليك، وذهب ونسى، ثم مرَّ بذلك المكان بعد ثلاثة أيام، فوجد النبى ﷺ جالساً، فقال له النبى ﷺ: أتعبتنى أيها الرجل، أنا أنتظرك

(١) طه: ٢٩ – ٣٠.

(٢) فى «الأصل»: وهو.

جنة السنة

﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ

منذ ثلاث»(١) .

وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه جعل اخلاف الوعد ثلث(٢) النفاق(٣).

وعن زيد بن أرقم، أن من وعد إنسانًا ومن نيته أن يفى به، ثم لم يتفق الوفاء، فإنه لايدخل فى هذا الوعيد .

وروى[قباث](٤) بن أشيم أن النبى ﷺ قال : «العدة عطية» . هو خبر غريب(٥).

وقوله : ﴿وكان رسولاً نبيًا﴾ قد بينا .

قوله : ﴿وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة﴾ قرأ ابن مسعود : «وكان يأمر قومه(٦) بالصلاة» .

وقال أهل التفسير : إن معنى قوله : ﴿وكان يأمر أهله﴾ أى : أمته، وإن أمة كل نبى أهلوه .

وقوله : ﴿وكان عند ربه مرضيا﴾ أى : مختارا ومعناه : رضيه الله لنبوته ورسالته .

---

(١) رواه أبو داود (٤ / ٢٩٩ / رقم : ٤٩٩٦)، وابن سعد (٧ / ٤٢)، وابن حبان فى المجروحين (٢ / ١٤٥)، والبيهقى فى السنن (١٠ / ١٩٨)، وابن الجوزى فى العلل (٢ / ٧٢٦) وقال : لايصح، جميعهم من حديث عبد الله بن أبى الحمساء .

(٢) فى «ك» : ثلاث النفاق، وهو خطأ .

(٣) قد تقدم .

(٤) فى «الأصل، وك» : قباثة، والصواب ما أثبتناه، كما فى الإصابة (٣ / ٣٢١) وغيره .

(٥) رواه الطبرانى فى الأوسط (مجمع البحرين ٤ / ١٢٤ - ١٢٥رقم٢٢٠٠) وقال : لايروى عن قباث إلا بهذا الإسناد تفرد به أصبغ . وقال الهيثمى (٤ / ١٦٩-١٧٠ المجمع) : فيه أصبغ بن عبد العزيز الليثى قال أبو حاتم : مجهول، وقال العراقى فى المغنى (٢ / ١٧٤) : رواه الطبرانى فى الأوسط بسند ضعيف . وروى من حديث ابن مسعود عند القضاعى فى مسند الشهاب (١ / ٣٩ - ٤٠رقم٦)، وأبو نعيم فى الحلية (٨ / ٢٥٩)، وابن أبى حاتم فى العلل (٢ / ٤٣٧ رقم ٢٨١٤) وقال أبو حاتم : باطل . وروى عن الحسن مرسلا كما فى المطالب لابن حجر (١ / ٢٦٥)، والمغنى للعراقى (٣ / ١١٥) .

(٦) فى «ك» : أهله .

جنة السنة

إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ

قوله تعالى: ﴿واذكر في الكتاب إدريس﴾. قيل: إدريس هو أبو جد نوح(١). يسمى إدريس لكثرة درسه الكتب.

وقال محمد بن إسحاق: هو أول من خط بالقلم، وأول من لبس الثياب، وكان من قبله يلبسون الجلود، وأول من اتخذ السلاح وقاتل الكفار.

قوله: ﴿إنه كان صديقا نبيا﴾ قد بينا.

وقوله: ﴿ورفعناه مكانًا عليا﴾ قد ثبت برواية أنس أن النبي ﷺ قال: «رأيت إدريس ليلة المعراج في السماء الرابعة».(٢) فهو قوله تعالى: ﴿ورفعناه مكانا عليا﴾ في الجنة يعني: رفعه.

وقيل: هي الرفعة بعلو المرتبة. واختلف القول في أنه في السماء الرابعة حي أم ميت: أحد القولين: أنه حيّ.

قال قوم من أهل العلم: أربعة من الأنبياء في الأحياء، اثنان في السماء، واثنان في الأرض، أما اللذان في السماء: فإدريس، وعيسى، وأما اللذان في الأرض: فالخضر، وإلياس.

والقول الثاني: إن إدريس ميت. قال كعب الأحبار: كان لإدريس صديق من الملائكة، فقال له: إني أحب أن أعرف متى أموت؛ لأزداد من العمل، فهل لك أن تسأل ملك الموت؟ فقال: أسأله وأنت تسمع، ثم رفعه تحت جناحه إلى السماء، وجاء إلى ملك الموت، فقال: هل تعرف أن إدريس متى يموت؟ فقال: حتى أنظر، ثم

---

(١) في «ك»: هو جد أبو نوح.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٢/٢٧٤ – ٢٨٠ رقم ٢٥٩)، وأحمد في مسنده (٣/١٤٨ – ١٤٩) كلاهما مطولا من حديث ثابت عن أنس. ورواه الترمذي في سننه (٥/٢٩٦/رقم ٣١٥٧) وقال: حسن. وابن المنذر، وابن مردويه – كما في الدر (٤/٣٠١) – من حديث قتادة عن أنس به. وقد تقدم من حديث مالك بن صعصعة، وهو في الصحيحين، في أول سورة الإسراء.

عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾ فَخَلَفَ مِنْ

استخرج كتابًا، ونظر فيه، فقال: بقى من عمره ست ساعات - وفى رواية لحظة - وقبض روحه ثمة، فهو معنى قوله: ﴿ورفعناه مكانا عليا﴾ وهذا قول معروف .

قوله: ﴿أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم﴾ والمراد من ذرية آدم: إدريس .

وقوله: ﴿وممن حملنا مع نوح﴾ . أى: ومن ذرية من حملنا مع نوح، والمراد منه: إبراهيم؛ لأنه كان من ولد سام بن نوح.

وقوله: ﴿ومن ذرية إبراهيم﴾ المراد منه: إسماعيل وإسحاق ويعقوب .

وقوله تعالى: ﴿وإسرائيل﴾ . أى: من ذرية إسرائيل، والمراد منه: موسى وداود وسليمان ويوسف وعيسى، وكل أنبياء بنى إسرائيل .

وقوله: ﴿وممن هدينا واجتبينا﴾ هذا يرجع إلى الأولين، ومعناه: أنا هديناهم، واختبرناهم، وهؤلاء ذريتهم.

وقوله :﴿إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً﴾ أى: سقطوا، وقيل: وقعوا بوجوههم ساجدين، والسُّجد جمع ساجد.

وقوله: ﴿وبكيا﴾ أى: باكين .

وروى أن النبى ﷺ مر على رجل، وهو ساجد يدعو، فقال: «هذا السجود وأين البكاء»؟!(١) .

قوله تعالى: ﴿فخلف من بعدهم خلف﴾ الخَلْف: الردئ من القوم. والخلَف

---

(١) لم أقف عليه مرفوعًا، وإنما عزاه السيوطى فى الدر (٤ / ٣٠٤) لابن أبى الدنيا فى الرقة والبكاء، وابن جرير - (١٦ / ٧٣ - ٧٤) - وابن أبى حاتم، والبيهقى فى الشعب عن عمر بن الخطاب أنه قرأ سورة مريم فسجد، ثم قال: هذا السجود، فأين البكى؟!

﴿بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿٦٠﴾ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾﴾

الصالح فى القوم. والخَلف هو الذى يخلف غيره، وذكر الفراء والزجاج أنه يجوز أن يستعمل أحدهما مكان الآخر .

وقوله: ﴿أضاعوا الصلاة﴾. فيه قولان: أحدهما: أخروها عن وقتها، والآخر: تركوها أصلا. وعن ابن شوذب: هو التأخير عن الوقت، ولو تركوها أصلا لكفروا.

وقال عمر بن عبد العزيز: هو شربهم الخمر، وتركهم الصلاة.

وقال مجاهد: هؤلاء قوم يظهرون فى آخر الزمان ينزوا بعضهم على بعض فى الأسواق والأزقة، وقيل: هم الزناة. ويقال: أضاعوا الصلاة باتباع الشهوات.

وقوله: ﴿فسوف يلقون غيًّا﴾ قيل: الغى واد فى جهنم، وقيل: غيًّا: هلاكًا، وقيل: غيًّا: جزاء غيهم. شعر:

ومـن يلـق خيـراً يحمد الناس أمره ومن يغو لايعدم على الغي[1] لائما

قوله تعالى: ﴿إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يدخلون الجنة ولايظلمون شيئًا﴾. أى: لاينقصون شيئًا.

قوله: ﴿جنات عدن التى وعد الرحمن عباده بالغيب﴾ معناه: جنات إقامة، يقال: عدن بالمكان إذا أقام.

وقوله: ﴿التى وعد الرحمن عباده بالغيب﴾ أى: بالمغيب.

وقوله: ﴿إنه كان وعده مأتيا﴾. مفعول فى الإتيان، وكل ماأتيته فقد أتاك، والعرب لاتفرق بين أن يقول القائل: أتيت على خمسين سنة أو يقول: أتت علىّ خمسون سنة، وكذلك لاتفرق بين أن يقول القائل: وصل الخير إلىّ، وبين أن يقول:

(١) فى (ك): «على الناس»

جنة السنة

وصل إليّ الخير.

ويقال معنى قوله: («آتيا» أى: «مأتيا»)[١] مفعول بمعنى الفاعل.

قوله تعالى: ﴿لايسمعون فيها لغوا إلاسلامًا﴾.

اللغو: هو الفاسد من الكلام، وما لامعنى له، وقيل: هو الهذر من القول، وقيل: القبيح منه، وقيل: هو الحلف الكاذبة.

وقوله: ﴿إلا سلامًا﴾. معناه: لكن يسمعون سلامًا. فإن قيل: أيجوز استثناء السلام من اللغو؛ وهو ليس من جنسه؟ قلنا: هو استثناء منقطع كما بينا. وذكر الأزهرى أن تقديره: لايسمعون فيها لغواً، لايسمعون إلا سلامًا. وأما السلام فهو تسليم بعضهم على بعض، وقيل: تسليم الله عليهم. ويقال: هو قول يَسْلمون منه. والسلام اسم لكلام جامع للخيرات، ومنهم من قال: هو اسم لكلام يتصل به السلامة[٢].

وقوله: ﴿ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا﴾ فإن قيل: مامعنى قوله: ﴿بكرة وعشيًا﴾، وليس فى الجنة ليل ولانهار؟! والجواب عنه أن معناه: بكرة وعشيا أى: على مقادير البكر والعشايا.

ويقال: إنه يعرف وقت النهار برفع الحجب وفتح الأبواب، ووقت الليل بإسبال الحجب وغلق الأبواب.

والقول الثانى: أن معنى قوله: ﴿بكرة وعشيا﴾ أى: لهم فيها رفاهة العيش؛ الرزق الواسع من غير تضييق ولاتقتير.

وكان الحسن البصرى إذا قرأ هذه الآية قال: لقد علمت العرب أن أرفه العيش هو الرزق بالبكرة والعشية، ولايعرفون من الرفاهية فوق هذا.

(١) كذا فى النسختين، والظاهر العكس: مأتيا أى آتيا».

(٢) فى «ك»: هو لكل كلام يتصل به السلامة.

جنة السنة

﴿نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾

قوله تعالى: ﴿تلك الجنة التى نورث من عبادنا﴾ فيه قولان: أحدهما: يُعطى وينول، والقول الآخر: أنه ما من أحدٍ من الكفار إلا وله منزل فى الجنة وأهل لو أسلم، فإذا لم يسلم ورثه المؤمنون.

وقوله: ﴿من كان تقيا﴾ قيل: مُخْلصًا.

قوله تعالى: ﴿وما نتنزل إلا بأمر ربك﴾. قد ثبت برواية عمر(١) بن ذر، عن أبيه، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس أن جبريل، أبطأ على النبى ﷺ، فلما نزل، قال: «ياجبريل لو زرتنا أكثر مما تزورنا، فقال جبريل: وما نتنزل إلا بأمر ربك»(٢).

وفى بعض الروايات أن النبى ﷺ قال له: «ياجبريل، قد كنتُ مشتاقًا إليك، (فقال: يامحمد، وأنا والله قد كنت مشتاقًا إليك)(٣)، ولكن ما نتنزل إلا بأمر ربك»(٤).

وروى أنه أبطأ [اثنتا عشرة](٥) ليلة، وروى أكثر من هذا، والله أعلم.

وقوله: ﴿له مابين أيدينا وما خلفنا﴾. يعنى: له عِلْمُ مابين أيدينا وما خلفنا. وفى الآية أقوال:

أحدها: مابين أيدينا يعنى: الآخرة، وماخلفنا: مامضى من الدنيا، وما بين ذلك: من الساعة إلى النفخة.

والقول الثانى: مابين أيدينا: ما قابلناه وواجهناه، وما خلفنا: مااستدبرناه وجاوزناه

---

(١) فى «ك»: عمرو، وهو خطأ.

(٢) رواه البخارى (٦/٣٥٢ رقم٣٢١٨، ٤٧٣١، ٧٤٥٥)، والترمذى (٥/٢٩٦رقم٣١٥٨)، والنسائى فى الكبرى (٦/٣٩٤/ رقم١١٣١٩).

(٣) ما بين القوسين ساقط من «ك».

(٤) رواه ابن جرير عن قتادة مرسلا بنحوه (١٦/٧٨)، ورواه عبد بن حميد، وابن أبى حاتم عن عكرمة مرسلا بنحوه (الدر ٤/٣٠٦).

(٥) فى «الأصل، وك»: اثنا عشر، والصواب ما أثبتناه.

جنة السنة

﴿وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ وَيَقُولُ الإِنسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلا يَذْكُرُ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾

(بين)(١) الوقت ومابين ذلك، الحال.

والقول الثالث: ما بين أيدينا: الأرض، وما خلفنا: السموات، وما بين ذلك: الهواء.

والقول الرابع: مابين أيدينا: بعد أن نموت، وماخلفنا: قبل أن نخلق، ومابين ذلك. مدة الحياة.

وقوله: ﴿وماكان ربك نسيا﴾. أى: مانسيك ربك، ومعنى نسيك أى: تركك.

قوله تعالى: ﴿رب السموات والأرض ومابينهما﴾ ظاهر المعنى.

وقوله: ﴿فاعبده﴾ أى: وحِّده.

وقوله: ﴿واصطبر لعبادته﴾ أى: اصبر على عبادته.

وقوله: ﴿هل تعلم له سميا﴾ قال ابن عباس: هل تعلم أحداً يسمى «الرحمن» غير الله؟ وقيل: يسمى «الله» غير الله، وقال قتادة: هل تعلم له سميا؟ أى: مثلا، وقال بعضهم: سميا أى: ولداً.

قوله تعالى: ﴿ويقول الإنسان أإذا مامت﴾ قالوا: نزلت الآية فى أبىٍّ بن خلف.

وقوله: ﴿لسوف أخرج حيًّا﴾ أى: أسوف أخرج حيًّا؟

قوله تعالى: ﴿أولا يذكر﴾ قرأ أبى بن كعب: «أولا يتذكر الإنسان» ومعناه: أولا يتفكر، ولاينظر ﴿الإنسان﴾.

وقوله: ﴿أنا خلقناه من قبل ولم [يك](٢) شيئًا﴾. ومعناه: أنا لما قدرنا على إنشاء خلقهم، فنحن على الإعادة أقدر.

(١) كذا، ولعلها: من.

(٢) من «ك»، وفى «الأصل»: يكن.

جنة السنة

وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا

قوله تعالى: ﴿فوربك لنحشرنهم والشياطين﴾. في الخبر: أنه يحشر كل كافر مسلسلا مع شيطان.

وقوله: ﴿ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيًا﴾ أي: جاثين على الركب. قال السدي: قاعين على الركب من ضيق المكان، «وحول جهنم» هو عين جهنم.

قوله تعالى: ﴿ثم لننزعن من كل شيعة﴾ أي: لنستخرجن ونأخذن من كل شيعة، أي: من كل أمة وأهل دين من الكفار.

وقوله: ﴿أيهم أشد على الرحمن عتيا﴾ أي: الأعتى فالأعتى، ومعنى الآية: أنا نقدم في إدخال النار من هو أكثر جرمًا، وأشد أمرًا، وقال أهل اللغة: وقوله: ﴿عتيا﴾ أي: افتراءً بلغة تميم. ويقال: هؤلاء هم قادة الكفر ورؤساؤه، وفي بعض الآثار: أنهم يحضرون جميعا حول جهنم مسلسلين مغلولين، ثم يقدم الأكفر فالأكفر.

قوله تعالى: ﴿ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا﴾ أي: أحق دخولا. ويقال: الذين هم أشد عتوا أولى بها صليا، فهذا تقدير الآية.

قوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ معناه: وما منكم إلا واردها. واختلفوا فيما ينصرف إليه قوله: ﴿واردها﴾ قال ابن عباس: هي النار، قال: والورود هو الدخول، وقال: يدخلها البر والفاجر، ثم ينجو البر، ويبقى الفاجر. وروى سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار قال: تمارا ابن عباس ونافع بن الأزرق(١) في الورود، فقال ابن عباس: هو الدخول، وتلا قوله تعالى: ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون﴾(٢) ثم قال: يا نافع، أنا وأنت داخلها، وأرجو أن ينجيني الله منها، ولا

(١) في «ميزان الاعتدال»: نافع بن الأزرق الحروري من رءوس الخوارج ذكره الجوزجاني في كتاب الضعفاء. وزاد الحافظ ابن حجر في اللسان: وإليه تنسب طائفة الأزارقة.

(٢) الأنبياء: ٩٨.

ينجيك منها، لأنك كذَّبت به.

قال الشيخ الإمام الأجل أبو المظفر السمعانى: أخبرنا أبو على الشافعى بمكة، قال: أخبرنا أبو الحسن بن [فراس][1] قال: أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد المقرئ قال: حدثنا جدى محمد بن عبد الله بن يزيد، عن سفيان[2].

وروى قرة عن ابن مسعود أن الناس يردون النار، ويصدر المؤمنون عنها بأعمالهم، فأولهم كلمح البصر، ثم كالريح ثم كحضر الفرس، ثم كشد الرجل، ثم كالماشى.

وعن ابن ميسرة أنه كان يدخل داره فيبكى، فيقال له: ما يبكيك؟ فيقول: الله تعالى أنبانا أنا نرد النار، ولم ينبئنا[3] أنا صادرون عنها.

وعن الحسن البصرى أنه قال: «حق لابن آدم أن يبكى... وذكر نحواً من هذا».

والقول الثانى: أن المراد من الآية هم الكفار. هذا قول عكرمة وسعيد بن جبير. وقرئ فى الشاذ: «وإن منهم إلا واردها». وعلى هذا كثير من أهل العلم، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها﴾[4].

والقول الثالث: أن المراد من الورود هو الحضور والرؤية دون الدخول. وهذا قول الحسن وقتادة، وقد يذكر الورود بمعنى الحضور، قال الله تعالى: ﴿ولما ورد ماء مدين﴾[5] أى: حضر. وقال زهير شعراً:

ولما وردن الماء زرقًا جمامه ... تركن عِصىَّ الحاضرِ المُتخيِّم

---

(١) فى «الأصل، وك»: فارس، وهو أبو الحسن أحمد بن إبراهيم بن فراس المكى العبقسى يروى عن أبى محمد المقرئ وعنه أبو على الشافعى، كما فى ترجمته من الأنساب (٤/ ١٤٣)، وهذا السند من الأسانيد الدائرة للمصنف فى تفسيره.

(٢) زاد فى «الأصل، وك»: الآية، ولا معنى لها هنا.

(٣) فى «ك»: «ولم يبين لنا».

(٤) الأنبياء: (١٠١ - ١٠٢).

(٥) القصص: ٢٣.

جنة السنة

والقول الرابع، وروى عن ابن مسعود قال: وإن منكم إلا واردها: القيامة. وقد استحسنوا هذا القول لتقدم ذكر القيامة.

والقول الخامس: أنه الصراط.

وفي الآية قول سادس: روى عن مجاهد أنه قال: ورود النار هو الحُمى فى الدنيا.

وفي بعض المسانيد عن النبى ﷺ أنه عاد رجلا من وعك - أى: الحمى - به، فقال: «يقول الله تعالى: هى نارى(١) أسلطها على من شئت من المؤمنين، ليكون حظه من نار جهنم»(٢).

وفي بعض الآخبار: «الحمى (كى)(٣) من جهنم، وهى حظ المؤمن من النار»(٤).

وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «الحمى من فيح جهنم، فأبردوها بالماء»(٥).

وأولى الأقاويل هو القول الأول، وقد صح عن النبى ﷺ أنه قال: «من قدم من الولد لم يلج النار، إلا تحلة القسم»(٦).

وفي بعض الأخبار: «أنها تستعر على الكفار، وتخمد تحت أقدام المؤمنين»(٧).

روى خالد بن معدان عن النبى ﷺ أنه قال: «يدخل الله قوماً من المؤمنين الجنة،

---

(١) فى «ك»: هى النار.

(٢) رواه الترمذى فى سننه (٤/٣٥٩/رقم٢٠٨٨)، وابن ماجه (٢/١١٤٩/رقم٣٤٧٠)، والحاكم (١/٣٤٥) وصححه جميعهم من حديث أبى هريرة. وضعفه الحافظ ابن حجر فى تلخيصه لتخريج أحاديث الكشاف للزيلعى.

(٣) ليس فى «ك».

(٤) ورد فى هذا الباب أحاديث عن عائشة، وأنس، وأبى ريحانة، وأبى أمامة، وعثمان، وابن مسعود، وسعد بن معاذ. وقال الحافظ بعدما أورد هذه الأحاديث فى تلخيصه لتخريج أحاديث الكشاف: وكلها ضعيفة. انظر تخريج أحاديث الكشاف للزيلعى (٢/ ٣٣٤ - ٣٣٦ رقم٧٧٣).

(٥) متفق عليه من حديث عائشة، وابن عمر، ورافع بن خديج: رواه البخارى (رقم: ٣٢٦٣، ٥٧٢٥، ٣٢٦٤، ٥٧٢٣، ٣٢٦٢، ٥٧٢٦)، ومسلم (١٤/ ٢٨١ - ٢٨٦، رقم: ٢٢٠٩، ٢٢١٢).

(٦) متفق عليه من حديث أبى هريرة: رواه البخارى (٣/ ١٤١/رقم١٢٥١، وطرفه: ٦٦٥٦)، ومسلم (١٦/ ٢٧٧ - ٢٧٨/ رقم ٢٦٣٢).

(٧) هو فى معنى ما بعده.

جنة السنة

كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾
وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا
وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَن كَانَ

فيقولون: ألم تعدنا ربنا أن ندخل النار؟ فقال لهم: قد وردتموها وهى خامدة»(١).

وقوله: ﴿ كان على ربك حتمًا مقضيًا ﴾ أى: لازمًا يصيب به.

قوله تعالى: ﴿ ثم ننجى الذين اتقوا ﴾ استدل بهذا من قال: إن الورود هو الدخول؛ لأن التنجية إنما تكون بعد الدخول. وقال أيضًا: ﴿ ونذر الظالمين فيها جثيا ﴾ وهذا دليل على أن الكل قد دخلوها، وأما من قال: إن الورود هو الحضور قال: يجوز أن تذكر التنجية لأجل الإشراف على الهلاك.

قوله تعالى: ﴿ وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات ﴾ معناه: واضحات.

وقوله: ﴿ قال الذين كفروا للذين آمنوا أى الفريقين خير مقامًا ﴾ أى: مكانًا.

وقوله: ﴿ وأحسن نديا ﴾ قال ثعلب: مجلسًا، قال الكسائى: الندى والنادى بمعنى واحد، ومنه دار الندوة؛ لأنهم كانوا يجتمعون فيها.

وسبب نزول الآية: أن المشركين كانوا يقولون لفقراء المؤمنين: نحن أعز مجلسًا، وأحسن مكانًا، وأكثر مالا؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية. والمقام: موضع الإقامة، والمقام: فعل الإقامة. قال الشاعر:

ومقام حسن فرقته ... بحسامى ولسانى وجدل
لو يكون الفيل أو فيّاله ... زل عن مثل مقامى ورحل

قوله تعالى: ﴿ وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا ﴾ وقرئ: «وَرِيًّا» بغير همز، وفى الشاذ: «وَزِيًّا» بالزاء، حكى هذا عن سعيد بن جبير. أما قوله

---

(١) عزاه فى الدر (٤/ ٣٠٨ - ٣٠٩) إلى ابن أبى شيبة، وهناد، وعبد بن حميد، والحكيم الترمذى، وابن الأنبارى فى المصاحف عن خالد بن معدان قوله.

جنة السنة

في الضَّلالة فليمدد له الرَّحمن مدًّا حتَّىٰ إذا رأوا ما يوعدون إمَّا العذاب وإمَّا السَّاعة فسيعلمون من هو شرٌّ مكانًا وأضعف جندًا ﴿٧٥﴾ ويزيد اللَّه الَّذين اهتدوا هدًى والباقيات الصَّالحات خيرٌ عند ربِّك ثوابًا وخيرٌ مردًّا ﴿٧٦﴾ أفرأيت الَّذي كفر بآياتنا

﴿ ورئيا ﴾ بالهمز هو المنظرة، وأما بغير الهمز هو من النعمة. وأما الزى هو الهيأة. وعن الحسن البصرى قال: [وأحسن رئيا][١] هو حسن الصورة. وقيل: الرى من الارتواء، والمتنعم يظهر فيه ارتواء النعمة، والفقير يظهر عليه ذبول البؤس والفقر.

قوله تعالى: ﴿ قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا ﴾ هذا أمر بمعنى الخبر، ومعناه: أن الله تعالى يتركهم فى الكفر ،ويمهلهم فيه.

وقوله: ﴿ حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة ﴾ العذاب: هو القتل والأسر فى الدنيا، والساعة: القيامة. ومعناه: لو نصر عليهم المؤمنون فى الدنيا فقتلوا وأسروا، أو جاءتهم الساعة، فأدخلوا النار ﴿ فسيعلمون ﴾ عند ذلك ﴿ من هو شر مكانًا ﴾ أى: منزلا ﴿ وأضعف جندًا ﴾ أى: ناصرًا.

وقوله: ﴿ وأضعف جندًا ﴾ يرجع إلى الدنيا، وقوله: ﴿ شر مكانًا ﴾ يرجع إلى الآخرة.

﴿ ويزيد الله الذين اهتدوا هدى ﴾ يعنى: يقينًا على يقينهم، ورشدًا على رشدهم.

وقوله: ﴿ والباقيات الصالحات ﴾ قيل: إنها الصلوات الخمس، وقيل: هى الأذكار التى قلناها، وقد بينا.

وقوله: ﴿ خير عند ربك ثوابا ﴾ أى: جزاء ﴿ وخير مردًا ﴾ أى: مرجعا. ونقل الكلبى عن ابن عباس [أن][٢] زيادة الهدى هو الإيمان بالناسخ والمنسوخ.

قوله تعالى: ﴿ أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدًا ﴾ سبب نزول الآية ما روى مسروق عن خباب [بن][٣] الأرت قال: « كنت قَيْنًا وحدادًا بمكة، فعملت للعاص بن وائل السهمى، فاجتمعت لى عليه دراهم، فجئته أتقاضاه[٤]، فقال: لا

---

(١) فى « الأصل »: وزيا.
(٢) فى « الأصل، وك »: أنه.
(٣) سقط لفظ « بن » من « الأصل، وك ».
(٤) فى (ك): « لأتقاضاه ».

جنة السنة

وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلاَّ

أقضيك حتى تكفر بمحمد، فقلت: لا أكفر حتى تموت ثم تبعث. فقال العاص: أو مبعوث أنا؟! فقلت: نعم. قال: فإذا بعثت فيكون لى هناك مال وولد، فأقضيك حقك؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية(١).

قال الشيخ الإمام رضى الله عنه: أخبرنا بهذا المكى بن عبد الرزاق، قال: أخبرنا جدّى أبو الليث، قال الفربرى، قال: ثنا البخارى، قال: ثنا الحميدى، عن سفيان، عن الأعمش، عن أبى الضحى، عن مسروق ... الحديث.

وقوله: ﴿أطلع الغيب﴾ أى: اللوح المحفوظ، وقيل: علم الغيب، فعلم أن له مالا وولدًا بعلم الغيب؟.

وقوله: ﴿أم اتخذ عند الرحمن عهدًا﴾ قال سفيان: عملا صالحًا، وقال غيره: لا إله إلا الله.

وروى الأسود بن يزيد، عن عبد الله بن مسعود، أنه قال: إذا كان يوم القيامة يقول الله تعالى: «من كان له عندى عهد(فليقم)(٢). فقيل: يا أبا عبد الرحمن، وما ذلك العهد؟ فعلمنا، فقال: قال ﷺ: «أيعجز أحدكم أن يتخذ كل صباح ومساء عهدًا؟ قالوا: وكيف؟ قال: يقول: اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة، إنى أتخذ عندك عهدًا فى الحياة الدنيا، وإنك إن تكلنى إلى نفسى تقربنى من الشر، وتباعدنى من الخير، وإنى لا أثق إلا برحمتك، فاحفظ عهدى تؤديه إلىَّ يوم القيامة، إنك لا تخلف الميعاد»(٣).

---

(١) متفق عليه، رواه البخارى (٥/٣٧٢ رقم ٢٠٩١ وأطرافه فى: ٢٢٧٥، ٢٤٢٥، ٤٧٣٢، ٤٧٣٣، ٤٧٣٤)، ومسلم (١٧/٢٠١ - ٢٠٢، رقم: ٢٧٩٥).

(٢) ليست فى «ك».

(٣) قال الحافظ الزيلعى فى تخريج الكشاف (٢/٣٣٩-٣٤٠): غريب مرفوعًا، ولم أجده إلا موقوفًا، رواه الحاكم فى مستدركه، والطبرانى فى معجمه، وابن أبى شيبة فى مصنفه فى كتاب الدعاء، وأبو نعيم فى الحلية ... قال الحاكم: صحيح الإسناد.

﴿سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ۝٧٩ وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ۝٨٠ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ۝٨١ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ

قوله تعالى: ﴿كلا سنكتب ما يقول﴾ قوله: ﴿كلا﴾ يعني: ليس الأمر على ما زعم العاص بن وائل، ثم قال: ﴿سنكتب ما يقول﴾ أي: يأمر الملائكة حتى يكتبوا.

وقوله: ﴿ونمد له من العذاب مدًا﴾ أي: نطيل مدة عذابه.

وقوله: ﴿ونرثه ما يقول﴾ قرأ ابن مسعود: «ونرثه ما عنده» فإن قيل: القول كيف يورث والمعروف ﴿ونرثه ما يقول﴾؟! والجواب عنه قال ثعلب: معناه: ونرثه ما زعم أن له مالا وولدًا، أي: لا يعطيه، ويعطى غيره، فيكون الإرث راجعًا إلى ما تحت القول، لا إلى نفس القول.

ويجوز أن يكون معنى قوله: ﴿ونرثه ما يقول﴾ أي: ونرثه ما عنده، على ما قرأ ابن مسعود.

وفى الآية قول ثالث: وهو أن معنى قوله: ﴿ونرثه ما يقول﴾ أى: نحفظ ما يقول حتى يجاز به.

وقوله: ﴿ويأتينا فردًا﴾ أى: فردًا[1] لا أنصار له، ولا أعوان، وقيل: هو فى معنى قوله: ﴿ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة﴾[2] الآية وحقيقته: أنه يأتينا ولا مال له ولا ولد.

قوله تعالى: ﴿واتخذوا من دون الله آلهة﴾ يعني: آلهة يعبدونها.

وقوله: ﴿ليكونوا لهم عزًا﴾ أى: منعة، ومعنى المنعة: أنهم يمتنعون بها من العذاب.

قوله تعالى: ﴿كلا﴾ أى: ليس الأمر كما زعموا.

وقوله: ﴿سيكفرون بعبادتهم﴾ فيه قولان: أحدهما: أن الأصنام والملائكة

(١) فى النسختين: أى فردًا لا فردًا لا أنصار له... كذا.

(٢) الأنعام: ٩٤.

جنة السنة

عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾

يجحدون عبادتهم، والقول الآخر: أن المشركين ينكرون عبادة الأصنام والملائكة.

فإن قيل: ما عرف في المشركين أحد كان يعبد الملائكة؟ قلنا: ليس كذلك، فإنه كان بطن من العرب يُسَمَّوْن: بني المليح، كانوا يعبدون الملائكة.

وقوله: ﴿ ويكونون عليهم ضداً ﴾ أى: بلاءً. وقيل: أعداءً.

قوله تعالى: ﴿ ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين ﴾ فإن قيل: أتقولون: إن الشياطين مرسلون، والله قال: ﴿ وسلام على المرسلين ﴾(١) فإذا كانوا مرسلين وجب أن يدخلوا فى جملتهم؟ والجواب عنه: أنه ليس معنى الإرسال هاهنا هو الإرسال الذى يوجد فى الأنبياء، ولكن معنى الإرسال هاهنا أحد الشيئين: إما التخلية بينهم وبين الكفار، وإما التسليط على الكفار.

وقوله: ﴿ تؤزهم أزاً ﴾ قال ابن عباس: تزعجهم إزعاجًا، كأنه يحركهم ويحثهم ويقول: اقدموا على الكفر. والهز والأز: هو التحريك، وفى الخبر: «أن النبى ﷺ كان يصلى، وبجوفه أزيز كأزيز المرجل»(٢) أى: حركة.

قوله تعالى: ﴿ فلا تعجل عليهم ﴾ يعنى: لا تعجل بطلب عقوبتهم.

وقوله: ﴿ إنما نعد لهم عداً ﴾ قال الكلبى: هو عَدُّ الأيام. وقال غيره: عَدُّ الساعات.

وعن الحسن: عَدُّ الأنفاس. وقيل لبعض الصالحين: إنما أيامك أنفاس معدودة، فقال: من صحة العدد أخاف.

وروى الأصمعى عن أبيه أنه قال: رأيت رجلا على باب البصرة أيام الطاعون يعد

(١) الصافات: ١٨١.

(٢) رواه النسائى (٣/١٣رقم ١٢١٤) وأبو داود (١/٢٣٨ رقم٩٠٤)، والترمذى فى الشمائل (ص٢٥٥ رقم ٣٠٥)، وأحمد فى مسنده (٤/٢٥، ٢٦)، وقال الألبانى فى مختصر الشمائل (١٦٩): إسناده صحيح، وصححه جمع كما بينته فى صحيح أبى داود (٨٣٩).

جنة السنة

يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَا

الموتى، وقدامه كوز، كلما مُرّ عليه بميت، يلقى فيه حصى. فعَد في اليوم الأول ثمانين ألفا، وفى اليوم الثانى مائة وعشرين ألفا. قال: فمررنا عليه بجنازة، ثم عدنا، فإذا عند الكوز غيره. قلنا له: أين ذهب الرجل؟ قال: وقع فى الكوز.

قوله تعالى: ﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً﴾ الحشر: جمع الأقوام من كل (صقع)(١) فى موضع واحد.

وقوله: ﴿وفداً﴾ معناه: ركبانًا، وعن على - رضى الله عنه - أنه قرأ هذه الآية، وقال: يؤتون بنوق من نوق الجنة عليها أرحلة من الذهب، ولها أزمة من الزبرجد، فيركبون عليها حتى يقرعوا باب الجنة. وفى بعض الأخبار عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «يحشر الأنبياء على دواب فى الجنة، وأحشر على البراق، ويحشر الحسن والحسين على العضباء والقصواء، ويحشر بلال على ناقة من نوق الجنة فيؤذن، فإذا بلغ قوله: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، شهد بها جميع الخلق، قُبل ممن قُبل، ورُدّ على من رُدَّ»(٢).

وقيل: ﴿وفداً﴾ أى: مكرمين. وفى الآية قول ثالث: وهو ما روى فى الأخبار عن النبى ﷺ: «أن المؤمن إذا بعث يؤتى بعمله على أحسن صورة، فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا عملك الصالح طالما ركبتك فاركبنى اليوم. وأما الكافر يؤتى بعمله على أقبح صورة، فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا عملك الخبيث، قال: طالما ركبتنى، وأنا أركبك اليوم»(٣).

وقوله: ﴿ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً﴾ أى: مشاةً. وقيل: عطاشًا.

---

(١) يعنى من كل ناحية من الأرض.

(٢) رواه الخطيب فى تاريخه (٣/ ١٤٠ - ١٤١)، ومن طريقه ابن الجوزى فى الموضوعات (٣/ ٢٤٦) وقال: موضوع. وفى مختصر الموضوعات للذهبى قال: إسناده مظلم، وما أدرى من وضعه، تعلق فيه ابن الجوزى على كاتب الليث. (تنزيه الشريعة ٢ / ٣٨١)). وله شاهد من حديث سويد بن عمير، رواه العقيلى فى الضعفاء (٣ / ٦٤-٦٥)، وابن الجوزى فى الموضوعات (٣ / ٢٤٤ - ٢٤٥) من طريقه، وقال: موضوع لا أصل له.

(٣) تقدم فى تفسير سورة الأنعام وهو قول السدى.

جنة السنة

يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا
﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ
الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾

قوله تعالى: ﴿لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً﴾ قال بعض أهل التفسير: هذا راجع إلى الملائكة. وقال بعضهم: هو راجع إلى المؤمنين.

وقوله: ﴿إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا﴾ يعنى: لا يشفعون إلا لمن اتخذ عند الرحمن عهداً، فالعهد هو «لا إله إلا الله». ويقال: لا يشفع إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً يعنى: لا يشفع إلا مؤمن.

وقوله تعالى: ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا إدًّا﴾ أى: منكراً عظيماً، (والإد)[1] والاتخاذ إعداد الشيء لأمر فى العاقبة.

قوله تعالى: ﴿تكاد السموات يتفطرن منه﴾ الانفطار: الانشقاق، وتكاد أى: تقرب، وفى التفسير: أن الكافرين لما قالوا: اتخذ الله ولداً غضبت السموات والأرض، وتسعرت جهنم، فطلب الجميع أن ينتقموا من القائلين بهذا القول، فهذا معنى الآية.

وقوله: ﴿وتنشق الأرض﴾ أى: تخسف بهم، أما الانفطار فى السماء فمعناه على هذ :ا أن [تسقط][2] عليهم.

وقوله: ﴿وتخر الجبال هدّا﴾ أى: تنكسر انكساراً، ومعناه على ما ذكرنا أى: تنطبق عليهم.

وقوله: ﴿أن دعوا للرحمن ولداً﴾ أى: حين دعوا للرحمن ولداً.

وقوله: ﴿وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولداً﴾ قد بينا.

---

(١) هكذا فى النسختين، والمعنى مستقيم بدون لفظ «والإدّ».

(٢) فى «الأصل، وك»: سقط.

إن كُلُّ من فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ

وقوله: ﴿إن كل من فى السموات والأرض﴾ أى: ما كل من فى السموات والأرض.

وقوله: ﴿إلا آت الرحمن عبداً﴾

وقد أجمع أهل العلم أن البنوة مع العبودية لا يجتمعان، ومن اشترى ابنه يعتق عليه؛ لأنه لا يصلح أن يكون ابناً وعبداً.

قوله تعالى: ﴿لقد أحصاهم وعدهم عدًّا﴾ أى: يعلمهم، وعلم عددهم.

وقوله: ﴿وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداًّ﴾ أى: محبة. قال مجاهد: يحبهم الله، ويحببهم إلى المؤمنين. وقيل: يحب بعضهم بعضاً. وفى بعض الآثار: أن الله تعالى جعل مع الإيمان المحبّة [والشفقة](١) والألفة».

وقد ثبت عن النبى ﷺ برواية أبى هريرة أنه قال: «إذا أحب الله عبداً ينادى جبريل، فيقول: أنا أحب فلاناً فأحبه، فينادى فى أهل السماء: إن الله يحب فلاناً فأحبوه، ثم يوضع له المحبة فى الأرض - وفى رواية «القبول» - وإذا أبغض عبداً ينادى جبريل فيقول: أنا أبغض فلانا فأبغضه، فينادى فى أهل السماء: إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه، ثم يوضع له البغض فى الأرض»(٢). خرجه مسلم فى الصحيح.

وحكى الضحاك عن ابن عباس: أن الآية نزلت فى على بن أبى طالب رضى الله عنه، والمراد منه: مودة أهل الإيمان له.

---

(١) فى «الأصل»: الشقة، وفى «ك»: المشعة وأظن أن الصواب: الشفقة، والله تعالى أعلم.

(٢) متفق عليه، رواه البخارى (٦/ ٣٥٠ رقم ٣٢٠٩ وأطرافه فى: ٦٠٤٠، ٧٤٨٥) مقتصراً على شطره الأول. ورواه مسلم (١٦/ ٢٨٢ - ٢٨٣،رقم: ٢٦٣٧)، والترمذى (٥/ ٢٩٧ - ٢٩٨رقم ٣١٦١)، وأحمد (٢/ ٣٤١، ٢٦٧) بتمامه.

جنة السنة

لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾

وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال لعلى : « لا يحبك إلا مؤمن تقى ، ولا يبغضك إلا منافق شقى »[١] . خرجه مسلم فى الصحيح .

قوله تعالى : ﴿ فإنما يسرناه بلسانك ﴾ يعنى : سهّلنا القرآن بلسانك .

وقوله : ﴿ لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدًّا ﴾ اللد جمع الألد ، والألد : المخاصم بالباطل . وقال أبو عبيدة : هو الذى لا ينقاد للحق ولا يقبله . وقال الحسن البصرى : لُدًّا أى : صُمّاً عن الحق . وقيل : الألد هاهنا هو الظالم . قال الشاعر :

أبيت نجياً للهمـــــوم كأننى   أخاصم أقواماً ذوى جدل لُدّاً .

قوله تعالى : ﴿ وكم أهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من أحدٍ ﴾ معناه : هل ترى منهم من أحد ؟ .

وقوله : ﴿ أو تسمع لهم ركزًا ﴾ أى : صوتًا . قال أهل اللغة : الركز : الصوت الخفى . قال الحسن : بادوا جميعا ، فلم يبق منهم عين ولا أثر .

---

(١) رواه مسلم (٢/ ٨٥ رقم٧٨) ، والترمذى (٥/ ٦٠١ رقم٣٧٣٦) وقال : حسن صحيح . والنسائى (٨/ ١١٦ رقم : ٥٠١٨)

جنة السنة

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة طه

وهى مكية

وفى بعض الغرائب من الأخبار برواية أبى هريرة، أن النبى ﷺ قال: «إن الله تعالى قرأ سورة طه ويس قبل أن يخلق آدم بألفى عام، فقالت الملائكة: طوبى لأمّة نزلت عليهم هذا، وطوبى لقلوب حملت هذه، وطوبى لألسن تكلمت بهذا»(١).

قوله تعالى: ﴿طه﴾ روى عن عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - أن رجلا قرأ عليه: «طه» - بالإمالة - فقال: اقرأ ﴿طه﴾، فقال الرجل: أليس معناه طِئ الأرض بقدميك؟ فقال: «هكذا أقرأنيه رسول الله ﷺ»(٢).

واختلفت الأقاويل فى معنى طه، فروى عن ابن عباس أنه قال: هو بالسريانية: يا رجل. ونقل الكلبى: أنه يا إنسان بلغة عك. قال الشاعر:

إن السفاهة طه من خليقتكم ... لا قدس الله أرواح الملاعين

وقال آخر:

هتفت بطه فى القتال فلم يجب ... فخفت عليه أن يكون مواليا

---

(١) رواه الدارمى (٢/٥٤٧ - ٥٤٨ رقم ٣٤١٤)، وابن أبى عاصم فى السنن (١/٢٦٩ رقم ٦٠٧)، وابن خزيمة فى التوحيد ص١٦٦، والطبرانى فى الأوسط - كما فى مجمع البحرين (٦/٥٤ رقم ٣٣٦٤)، والعقيلى فى الضعفاء (١/٦٦)، وابن عدى فى الكامل (١/٢١٦)، وابن حبان فى المجروحين (١/١٠٨)، وأبو نعيم فى تاريخ أصبهان (٢/١٤١)، والبيهقى فى الشعب (٥/٣٨٤ - ٣٨٥ رقم ٢٢٢٥)، وتمام الرازى فى الفوائد (١/١٣٢ - ١٣٣ رقم ٣٠٣ - ٣٠٥) وابن الجوزى فى الموضوعات (١/١٠٩ - ١١٠) واستنكر ابن عدى هذا الحديث فى ترجمة إبراهيم بن مهاجر وقال: لم أجد له حديثًا أنكر من هذا، وقال ابن حبان: متن موضوع، وقال ابن كثير فى تفسيره (٣/١٤١): هذا حديث غريب وفيه نكارة وإبراهيم بن مهاجر وشيخه تكلم فيهما.

(٢) رواه الحاكم فى المستدرك (٢/٢٤٥) وقال: صحيح، وعزاه فى الدر (٤/٣١٧): لابن مردويه والحاكم.

﴿طه ۝١ ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ۝٢ إلا تذكرة لمن يخشى ۝٣ تنزيلا

ويقال: إن طه اسم للسورة، وقيل: إنه قسم أقسم الله به.

ومن المعروف أن معناه: طئ الأرض بقدميك، وهذا منقول عن ابن عباس أيضا، وسببه أن النبى ﷺ اجتهد فى العبادة حتى جعل يراوح بين الرِّجلين، فيقوم على واحد، ويرفع واحداً، فأنزل الله تعالى هذه الآية(١). ونقل بعضهم: أنه قام بمفرد قدم(٢).

ومنهم من قال: إن الطاء من الطهارة، والهاء من الهداية، فالطاء: إشارة إلى طهارة قلبه من غير الله، والهاء: إشارة إلى اهتداء قلبه إلى الله.

وقوله: ﴿ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾ أى: لتتعب وتنصب، وروى أنه لما اجتهد فى العبادة، قال المشركون: يا محمد، ما أنزل القرآن إلا لشقاوتك، فأنزل الله تعالى هذه الآية(٣). ومعناه: اجتهد، ولا كل(٤) هذا التعب حتى تنسب إلى الشقاوة.

وقوله: ﴿إلا تذكرة لمن يخشى﴾ معناه: لكن تذكرة، أى: تذكيراً ووعظًا لمن يخشى، والخشية والخوف بمعنى واحد، وفرق بعضهم بينهما، فقال: الخشية ما لا يعرف سببه، والخوف ما يعرف سببه، وهو ضعيف.

وذكر الأزهرى أن تقدير الآية: ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ما أنزلنا إلا تذكرة لمن

---

(١) رواه ابن مردويه كما فى الدر المنثور (٤/٣١٧) عن ابن عباس.

(٢) رواه البزار من حديث يزيد بن بلال عن على (٣/١٣٦رقم٩٢٦)، وقال: أحاديث يزيد عن على لانعلم لها طرقًا إلا من حديث كيسان أبى عمر. وقال الحافظ فى مختصره (٢/٩٤رقم:١٤٨٢): وهما ضعيفان. قلت: وتساهل السيوطى فى الدر (٤/٣١٧) وقال: أخرج البزار بسند حسن عن على فذكره، وأخرجه ابن مردويه عن على مرفوعًا مطولاً، وعن مجاهد به مرسلاً. كما فى الدر (٤/٣١٧).

(٣) رواه ابن جرير فى تفسيره (١٦/١٠٢) عن ابن عباس، وعزاه السيوطى فى الدر (٤/٣١٧) لابن مردويه وابن جرير.

(٤) كذا في «الأصل، وك»، ولعل الصواب: ولا تتعب كل هذا التعب...

جنة السنة

مِمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ﴿٤﴾ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٥﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا

يخشى.

وقوله: ﴿تنزيلا﴾ أى: منزل تنزيلا من الله (الذى)(١) ﴿خلق الأرض والسموات العلى﴾ والعلى: جمع العُليا.

وقوله: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ اعلم أن مخارج الاستواء فى اللغة كثيرة: وقد يكون بمعنى العلو، وقد يكون بمعنى الاستقرار، وقد يكون بمعنى الاستيلاء - على بُعْدٍ - وقد يكون بمعنى الإقبال.

والمذهب عند أهل السنة أنه يؤمن به ولا يكيف، وقد [رووا](٢) عن جعفر بن عبد الله، وبشر الخفاف قالا: كنا عند مالك، فأتاه رجل وسأله عن قوله: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ كيف استوى؟ فأطرق مالك مليًّا، وعلاه الرُّحَضاء، ثم قال: الكيف غير معقول، والاستواء مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أظنك إلا ضالا، ثم أمر به فأخرج.

ونقل أهل الحديث عن سفيان الثورى، والأوزاعى، والليث بن سعد، وسفيان بن عيينة، وعبد الله بن المبارك أنهم قالوا فى الآيات المتشابهة: أمروها كما جاءت.

وقال بعضهم: تأويله الإيمان به، وأما تأويل الاستواء بالاستقبال، فهو تأويل المعتزلة.

وذكر الزجاج، والنحاس، وجماعة [من](٣) النحاة من أهل السنة: أنه لا يُسمى الاستواء استيلاء فى اللغة إلا إذا غلب غيره عليه، وهذا لا يجوز على الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿له ما فى السموات وما فى الأرض وما بينهما﴾ أى: علم ما فى السموات، وما فى الأرض، وما بينهما.

---

(١) فى «ك»: ممن.

(٢) هذه الكلمة صورتها، «الأصل»: «ردّوا»، وهى غير واضحة فى «ك»، وما أثبته هو الأقرب إلى الصواب.

(٣) زيادة من «ك».

وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾

وقوله: ﴿وما تحت الثرى﴾ فيه أقوال: أحدها: أن الثرى هى الأرض السابعة، والآخر: أن الثرى هو التراب المبتل، وهذا معروف فى اللغة.

وحكى سعيد بن جبير عن ابن عباس: أن الأرضين على ظهر الحوت، والحوت على البحر، والبحر على الصخرة، والصخرة على قرن ثور، والثور على الثرى، وما تحت الثرى لا يعلمه إلا الله.

قوله تعالى: ﴿وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى﴾ معناه: إن جهرت أو أسررت فلا يغيب عن علمه. واختلف الأقوال فى قوله: ﴿وأخفى﴾ فروى عن ابن عباس أنه قال: «السِّرُّ» ما تحدث به غيرك، «وأخفى» ما تحدث به نفسك. وفى الآية تقدير، ومعناه: وأخفى منه، أى: من السِّر.

والقول الثانى: أن «السِّر» ما تحدث به نفسك، «وأخفى» ما يلقيه الله تعالى فى قلبك من بَعْدُ ولم تحدث به نفسك.

والقول الثالث: أن السِّر هو العزيمة، وأخفى هو دون العزيمة، كأنه ما يخطر على القلب، ولم تعزم عليه.

والقول الرابع: يعلم السِّر وأخفى، أى: والخفىّ. قال الشاعر:

تمنى رجال أن أموت وإن أمت ... فتلك سبيل لست فيها بأوحد

أى: بالواحد.

والقول الخامس: يعلم السر وأخفى، أى: أخفى سرَّه من عباده، وهذا قول ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى﴾ قيل: فيه إضمار، ومعناه: فادعوا الله بها. وقال: الحسنى للأسماء هو جمع، والحسنى صفة الواحد، وذلك لأن

وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿٩﴾ إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾

هذه تتناول الأسماء لأنها جمع، كما تتناول الواحدة من المؤنثات، يقال: هذه أسماء؛ فلذلك صح أن يقال: حسنى، ولم يقل: حسان، وهكذا قوله تعالى: ﴿مآرب أخرى﴾(١) ولم يقل :آخر.

قوله تعالى: ﴿وهل أتاك حديث موسى﴾ معناه: وقد أتاك حديث موسى، وهو استفهام بمعنى التقرير.

وقوله: ﴿إذ رأى ناراً﴾ فى القصة: أن موسى عليه السلام كان رجلا غيوراً، فكان يصحب الرفقة بالليل، ويتنحى عنهم بالنهار؛ لئلا ترى امرأته، فأخطأ مرة الطريق - لما كان فى علم الله تعالى - فكان ليلاً مظلما، فرأى ناراً من بعيد ﴿فقال لأهله امكثوا﴾ أى: أقيموا.

وقوله: ﴿إنى آنست ناراً﴾ أى: أبصرت ناراً.

وقوله تعالى: ﴿لعلى آتيكم منها بقبس﴾ القبس: كل ما فى رأسه نار من شعلة أو فتيلة.

وقوله: ﴿أو أجد على النار هدى﴾ أو أجد عند النار من يهدينى، ويدلنى على الطريق، فروى أنه لما توجه إلى النار رأى شجرة خضراء، أطافت به النار، والنار كأضوء(٢) ما يكون، والشجرة كأخضر(٢) ما يكون، فلا ضوء النار يغير خضرة الشجرة، ولا خضرة الشجرة تغير ضوء النار.

ويقال: إن الشجرة كانت شجرة العنَّاب، ويقال: شجرة من عوسج، وقيل: من العليق.

وفى القصة: أن موسى أخذ شيئًا من الحشيش اليابس، ودنا من الشجرة، فكان كلما دنا من الشجرة نأت منه النار، وإذا نأى هو دنت النار، فبقى واقفا متحيراً،

---

(١) طه: ١٨.

(٢) في «ك» بدون الكاف.

فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿١٣﴾ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ

فنودى: يا موسى.

قوله تعالى: ﴿فلما أتاها نودى يا موسى﴾ قد بينا.

وقوله: ﴿إنى أنا ربك﴾ روى أن موسى لما سمع قوله: ﴿يا موسى﴾ قال: من الذى يكلمنى؟ قال: ﴿إنى أنا ربك﴾.

فإن قيل: بم عرف كلام الله عز وعلا؟ قلنا: سمع كلاما لا يشبه كلام المخلوقين، وروى أنه سمع من جميع جوانبه.

وقوله: ﴿فاخلع نعليك﴾ اختلف القول أنه لم أمره بخلع نعليه؟ وروى عن على – رضى الله عنه – أنه قال: كانتا من جلد حمار ميت، وهذا قول كعب.

والقول الثانى: أنه أمره بخلع نعليه: ليباشر الوادى بقدميه، وهذا قول مجاهد. وقد جرت عادة المسلمين أنهم يخلعون نعالهم إذا بلغوا المسجد الحرام للحج، ويطوفون حفاةً.

وقوله: ﴿إنك بالوادى المقدس﴾ أى: المطهر، قال الشاعر:

وأنت وصول للأقارب مدرة تراءى من الآفات إنى مقدس[١]

أى: مطهر.

وقيل: معنى المقدس، أى: المبارك فيه.

وقوله: ﴿طوى﴾ عامة المفسرين أنه اسم الوادى، وقيل: طوى أى: قدس مرتين

قوله تعالى: ﴿وأنا اخترتك﴾ أى: اصطفيتك.

وقوله: ﴿فاستمع لما يوحى﴾ أى: لما يوحى إليك.

قوله تعالى: ﴿إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى﴾ أى: لا أحد يستحق العبادة سواى.

---

(١) كذا.

وقوله: ﴿وأقم الصلاة لذكرى﴾ فيه أقوال: أحدها: لتذكرنى فيها. والآخر: تذكرنى، وهو قوله: الله أكبر. والثالث: أقم الصلاة لذكرى أى: صَلِّ إذا ذكرت الصلاة، وهذا قول معروف. روى حماد بن سلمة، عن قتادة، عن أنس، أن النبى - ﷺ - قال: «من نسى صلاة فليصلها إذا ذكرها؛ فإن ذلك وقتها، وقرأ قوله تعالى: ﴿وأقم الصلاة لذكرى﴾»(١)

قال الشيخ الإمام: أخبرنا بهذا الحديث أبو الحسين بن النقور، قال: أخبرنا أبو القاسم بن حبابة، قال: حدثنا ابن بنت منيع، قال: حدثنا هدبة، عن حماد بن سلمة.. الحديث. خرجه مسلم فى الصحيح عن هدبة.

قوله تعالى: ﴿إن الساعة آتية أكاد أخفيها﴾ فى الآية أقوال، وهى مشكلة.

روى عن عبد الله بن مسعود، وأبى بن كعب أنهما قرآ: «أكاد أخفيها من نفسى». وبعضهم نقل: «فكيف أظهرها لكم» فهذا هو أحد الأقوال فى معنى الآية.

فإن قال قائل: كيف يستقيم قوله «أكاد أخفيها من نفسى»؟ قلنا: هذا على عادة العرب، والعرب إذا بالغت فى الإخبار عن إخفاء الشىء، قالت: كتمته حتى من نفسى. والقول الثانى: أن قوله: ﴿أكاد﴾ أى: أريد، ومعناه: إن الساعة آتية أريد أخفيها. وهذا قول الأخفش. والقول الثالث: أن قوله: ﴿أكاد﴾ صِلة، ومعناه: إن الساعة آتية أخفيها. والقول الرابع: إن الساعة آتية أكاد، ومعنى أكاد: تقريب الورود والإتيان، كما قال ضابئى البرجمىّ (٢):

هممت ولم أفعل وكدت وليتنى ... تركت على عثمان تبكى حلائله

فقوله: كدت لتقريب الفعل، ثم استأنف قوله: ﴿أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى﴾ أى: تأتيكم بغتة، لتجزى كل نفس بما عملت من خير وشر، هذا اختيار

(١) متفق عليه من حديث قتادة به، رواه البخارى (٢/ ٨٤ رقم٥٩٧)، ومسلم (٥/ ٢٦٩ - ٢٧٠ رقم ٦٨٤).

(٢) في النسختين: الرحمن، وهو تصحيف.

فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾

ابن الأنبارى.

والقول الخامس: ﴿أكاد أخفيها﴾ أى: أظهرها، وقرئ: «أَخفيها» بفتح الألف. ومعنى الإظهار فى هذه القراءة أظهر فى اللغة. قال الشاعر:

فإن تدفنوا الداء لم نخفه ... وإن تأذنوا بحرب لا نقعد

ومعنى لا نخفه: لم نظهره.

قوله تعالى: ﴿فلا يصدنك عنها﴾ أى: فلا يمنعنك عن التصديق بها. ﴿من لايؤمن بها﴾ أى: من لايصدق بها.

وقوله: ﴿واتبع هواه فتردى﴾ أى: تهلك.

قوله تعالى: ﴿وماتلك بيمينك ياموسى﴾ هذا سؤال تقرير، وليس بسؤال استفهام، والحكمة فيه تثبيته وتوثيقه على أنها عصا، حتى إذا قلبها الله حيَّة، يعلم أنها معجزة عظيمة[١]. وهذا قول على عادة العرب أيضًا؛ يقول الرجل لغيره: هل تعرف هذا؟ وهو لايشك أنه يعرفه، ويريد به أن ينضم إقراره بلسانه إلى معرفته بقلبه.

قوله تعالى: ﴿قال هى عصاى أتوكأ عليها﴾ أى: أعتمد عليها.

وقوله: ﴿وأهش بها على غنمى﴾ أى: أخبط بها (ورق الشجر؛ لترعاه غنمى، وقرأ عكرمة: «وأهس بها)[٢] على غنمى» بالسين غير المعجمة، والفرق بين الهش والهس؛ أن الهش هوخبط الشجر، وإلقاء الورق عنه، والهس زجر الغنم.

وقوله: ﴿ولى فيها مآرب أخرى﴾ أى: حاجات أخر، ومن تلك الحاجات؛ قال

(١) فى «الأصل» معجز عظيم. والمثبت من «ك».

(٢) مابين القوسين ساقط من «ك» وهو فى صورة لحق فى «الأصل».

أهل المعانى : كان يقتل بها الحيات، ويحارب بها السباع، ويحمل بها الزاد والنفقة، ويصل الحبل إذا استقى من البئر، ويستظل بها إذا قعد، وعن الضحاك : كانت تضئ له بالليل بمنزلة السراج، وقال وهب : كانت العصا من آس الجنة، وطولها اثنا عشر ذراعًا، ولها شعبتان، وعليها محجن. وعن سعيد بن جبير، قال : كان اسم العصا ماشاء. وأنشدوا فى الهش :

أهش بالعصا على أغنامى   من ناعم الأراك والبشام

قول تعالى : ﴿ قال ألقها ياموسى ﴾ أى : انبذها.

وقوله : ﴿ فألقاها ﴾ أى : نبذها.

وقوله : ﴿ فإذا هى حية تسعى ﴾ أى : تجئ وتذهب، وذكر محمد بن إسحاق أن موسى عليه السلام نظر فإذا العصا صارت حية من أعظم مايكون من الحيات، وصارت شعبتاها شدقين، والمحجن صار عرفًا يهتز كالبتارك وعيناها تتقدان[1] كالنار، وهى تمر بالحجر كالجمل البارك فتبتلعه، ولها أنياب تقصف الشجر، فرأى موسى أمرًا عظيمًا فهرب، ثم تذكر أمر ربه، فوقف مستحيا.

قوله تعالى : ﴿ قال خذها ولاتخف ﴾ لما هرب موسى، قال الله تعالى له : ﴿ أقبل ولاتخف ﴾[2]، فلما أقبل، قال : ﴿ خذها ﴾ .

وفى القصة : أنه كان على موسى مدرعة من صوف، قد خلَّلها بعيدان، فلما قال الله له : ﴿ خذها ﴾، لفَّ طرف كُم المدرعة على يده، فأمره الله أن يكشف يده، فكشف يده، ووضعها فى شدق الحية، فإذا هى عصا كما كانت، وإذا يده فى شعبتها.

وذكر بعضهم : أنه لما لفّ كم المدرعة على يده، قال له ملك : أرأيت لو أذن الله لمن تحذره، أكانت تغنى عنك مدرعتك؟ فقال أنا ضعيف، خلقت من ضعف.

(١) فى «الأصل» : تتقدران.   (٢) القصص : ٣١.

سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ

وقوله: ﴿سنعيدها سيرتها الأولى﴾. إلى هيئتها الأولى، وإنما انتصب؛ لأن معناه: إلى هيئتها الأولى، فحذف إلى فانتصب.

قوله تعالى: ﴿واضمم يدك إلى جناحك﴾. فيه قولان: أحدهما: إلى جنبك، والآخر: إلى عضدك. والجناح هو العضد إلى أصل الإبط، قال الشاعر:

خفضت لهم منى جناح مـودةِ ... على كتف عطفاه أهلُ ومرحبُ

وقوله: ﴿تخرج بيضاء من غير سوء﴾ أى: نيرة مشرقة من غير مكروه وعيب، السوء ها هنا بمعنى البرص.

وقال قتادة: كانت اليد لها نور ساطع كضوء الشمس والقمر، تضئ بالليل والنهار.

وقوله: ﴿آية أخرى﴾ أى: دلالة أخرى.

وقوله: ﴿لنريك من آياتنا الكبرى﴾. أى: الكبيرة. قال ابن عباس: أكبر الآيتين يده؛ فكان إذا أخرجها من تحت عضده، رأوا لها شعاعًا وضياء تحار الأعين فيها، فإذا ردها إلى إبطه، وأخرجها عادت إلى ما كانت.

وقوله: ﴿اذهب إلى فرعون إنه طغى﴾ أى: جاوز الحد فى العصيان والتمرد، ويقال: كان اسمه: وليد(١) بن مصعب، وكان أغنى الفراعنة الذين كانوا بمصر.

قوله تعالى: ﴿قال رب اشرح لى صدرى﴾ أى: وسعه للحق، وكان موسى يخاف من فرعون خوفًا شديدًا؛ لشدة شوكته، وكثرة جنده، فضاق قلبه لما بُعث إلى فرعون من الخوف؛ فسأل الله تعالى أن يوسع قلبه للحق؛ فيعلم أنه لايقدر أحد أن يعمل به شيئًا إلا بإذن الله، أو يناله بمكروه إلا بمشيئته.

وقوله: ﴿ويسرلى أمرى﴾ أى: سهل علىَّ الأمر الذى بعثتنى له.

---

(١) فى «ك»: الوليد.

رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾
يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي
﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ

قوله: ﴿واحلل عقدة من لسانى﴾ قال أهل التفسير: كانت على لسان موسى عقدة من أخذه الجمر[1]، ووضعه إياه فى فمه، وسببه أن أمرأة فرعون جاءت بموسى إلى فرعون، فوضعته فى حجره، فأخذ بلحية فرعون، وفى رواية: لطم وجه فرعون لطمة، فغضب فرعون، وقال: هذا هو عدوى، وأراد أن يقتله، فقالت امرأة فرعون: إنه صبى، لايعقل ولايميز، وهو لايميز بين الجوهر والجمر، فدعى له بطبق من جمر، وطبق من جوهر، فأخذ الجمر، ووضعه فى فيه، فاحترق لسانه، وصارت عليه عقدة. وذكر بعضهم: أنه أراد أن يأخذ الجوهر، فصرف جبريل يده إلى الجمر.

وقوله: ﴿يفقهوا قولى﴾ أى: يفهموا قولى .

﴿واجعل لى وزيرًا من أهلى﴾ الوزير من يؤازرك على الشئ، أى: يعينك، ويتحمل عنك بعض ثقله، ووزير الأمير من يتحمل عنه بعض ماعليه .

وقوله: ﴿هارون أخى﴾ كان هارون أكبر منه بأربع سنين، فكان أفصح منه لسانًا، وأجمل منه وجها، وأوسم وأبيض، وكان موسى أدم، أقنى جعداً.

وقوله: ﴿اشدد به أزرى﴾ أى: قوّ به ظهرى، ويقال: إنه لم يكن أحد على أخيه أسعد ولأخيه أنفع من موسى لهارون .

وقوله: ﴿وأشركه فى أمرى﴾ أى: النبوة وأداء الرسالة .

وقوله: ﴿كى نسبحك كثيرًا﴾ أى: نصلى لك كثيرا .

﴿ونذكرك كثيرًا﴾ نتعاون على ذكرك .

﴿إنك كنت بنا بصيرًا﴾ أى: خبيرًا عليمًا.

---

(١) فى «ك»: الجمرة.

كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي

قوله تعالى: ﴿قال قد أوتيت سؤلك ياموسى﴾ أى: أعطيت جميع ماسألت .

وقوله: ﴿ولقد مننا عليك مرة أخرى﴾ أى: أنعمنا عليك مرة أخرى سوى هذه المرة.

قوله تعالى: ﴿إذ أوحينا إلى أمك مايوحى﴾ ذكر نعمه وعددها عليه؛ ليعرفها، ويزيد فى شكره.

وقوله: ﴿إذ أوحينا إلى أمك مايوحى﴾ أى: ألهمنا أمك مايوحى، أى: مايلهم .

قوله تعالى: ﴿أن اقذفيه﴾ أى: ألهمناها أن اقذفيه.

قوله تعالى: ﴿فى التابوت﴾ هو شئ يتخذ من الخشب .

وقوله: ﴿فاقذ فيه فى اليم﴾ اليمّ: هو البحر، ويقال: إن اليمّ ها هنا هو النيل، والعرب تسمى الماء الكثير بحراً.

روى أن المسلمين لما وصلوا إلى دجلة يوم فتحوا المدائن، فقالوا: كيف نفعل، وهذا البحر بيننا وبينهم؟ ثم إنهم ارتطموا دجلة بخيولهم، وخاضوا القصة إلى آخرها.

وقوله: ﴿فليلقه اليم بالساحل﴾ فى القصة: أن الماء ألقاه إلى مشرعة دار فرعون، وروى أنها ألقته فى النيل، وألقاه النيل فى البحر، ثم إن البحر ألقاه بالساحل .

وقوله: ﴿وألقيت عليك محبة منى﴾ قال عكرمة: لم يره أحد إلا أحبه، وقال قتادة: ملاحة فى عينيه تأخذ (بالقلوب)[1] .

وقوله: ﴿ولتصنع على عينى﴾ أى: تربى وتغذى على نظر منى، وهو مثل قوله

(١) فى «ك»: فى القلوب.

﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا

تعالى: ﴿واصنع الفلك بأعيننا﴾(١) فإن قيل: مامن أحد فى العالم إلا وهو يربى ويغذى بمرأى من الله ونظر منه، فأى معنى لتخصيص موسى؟ والجواب: أن الله تعالى فعل فى اللطف فى تربية موسى مالم يفعل فى تربية غيره، فالتخصيص إشارة إلى ذلك اللطف.

وقوله: ﴿إذ تمشى أختك﴾ سنذكر هذا فى سورة القصص، إن شاء الله تعالى .

وقوله: ﴿فتقول هل أدلكم على من يكفله﴾ يعنى: على امرأة ترضعه، وتضمه إليها.

وقوله: ﴿فرجعناك إلى أمك﴾ أى: فرددناك(٢).

وقوله: ﴿إلى أمك كى تقر عينها﴾ قد بينا معنى قرة العين، وهو إشارة إلى فرحها وسرورها بوجوده .

وقوله: ﴿ولاتحزن﴾ أى: يذهب عنها الحزن.

وقوله: ﴿وقتلت نفسًا﴾ أى: القبطى، وسنذكره من بعد إن شاء الله تعالى.

وقوله: ﴿فنجيناك من الغم﴾ أى: من القتل، وقيل: من غم التابوت، وغم البحر.

وقوله: ﴿وفتناك فتونًا﴾ أى: ابتليناك مرة بعد مرة، وقيل: بلاءً بعد بلاء، ويقال: أخلصناك إخلاصًا. من المشهور المعروف أن سعيد بن جبير، سأل عبد الله بن عباس عن قوله: ﴿وفتناك فتونًا﴾ فقال: تغدو على غداً، فلما جاءه من الغد، أخذ معه فى قصة موسى من أولها، وجعل يعد عليه شيئا فشيئا من ولادته فى سَنَة قتل الأبناء، ومن إلقائه فى الماء، وجعله فى التابوت، ووقوعه فى يد فرعون، ولطمه وجهه، وأخذه

(١) هود: ٣٧.

(٢) فى «ك»: فردناك بدال واحدة .

جنة السنة

﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾ اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾﴾

الجمرة، ثم من قتله القبطى، ثم فراره إلى مدين... إلى أخر القصة على مايرد، وجعل يقول كلما ذكر شيئا من هذا: ذلك (من)[1] الفتون ياابن جبير، حتى عد عليه الجميع.

وقوله: ﴿فلبثت سنين فى أهل مدين﴾ يعنى: تراعى الأغنام.

وقوله: ﴿ثم جئت على قدر ياموسى﴾ أى: على قدر النبوة والرسالة. قال ابن عباس: ولم يبعث الله نبيًا إلا على رأس أربعين سنة، وجاء موسى ربه، وهو ابن أربعين سنة؛ فنبأه الله وأرسله، فهذا معنى قوله: ﴿ثم جئت على قدر ياموسى﴾. وقيل معناه: جئت على موعد ياموسى، ولم يكن هذا الموعد مع موسى، وإنما كان موعداً فى تقدير الله تعالى. ويقال: وافيت فى الوقت الذى قدرت أى: توافى فيه، قال الشاعر:

نال الخلافة إذ كانت له قـدرا　　　كمثل موسى الذى وافى على قدر

وقوله: ﴿واصطنعتك لنفسى﴾ قال الزجاج معناه: اخترتك لأمرى، وجعلتك القائم بحجتى، والمخاطب بينى وبين خلقى، كأنى الذى أقمت عليهم الحجة وخاطبتهم، وقال بعضهم معناه: استكفيتك طلب كفاية أمرٍ من خاص أمرى، وصنيعة الإنسان خاصته وتربيته إذا أعده لأمر من مهم أمره.

وقوله: ﴿اذهب أنت وأخوك بآياتى﴾ أى: بدلائلى.

وقوله: ﴿ولاتنيا فى ذكرى﴾. أى: ولاتضعفا فى ذكرى، وقرأ ابن مسعود: «ولاتهنا فى ذكرى».

وقوله: ﴿اذهبا إلى فرعون إنه طغى﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿فقولا له قولا ليِّنًا﴾. معناه: دارياه [بالرفق][2]، وارفقا معه، ويقال

(١) ليست فى «ك».　　(٢) من «ك».

جنة السنة

فقولا له قولاً ليّنا لّعلّه يتذكّرُ أوْ يخْشىٰ ﴿٤٤﴾ قالا ربّنا إنّنا نخافُ أن يفْرُط علَيْنا أوْ أن

معناه: كنياه. واختلفوا في كنيته: منهم من قال: كنيته أبو الوليد، ومنهم من قال: أبومُرّة ومنهم من قال: أبو العباس، والله أعلم.

وقوله: ﴿لعله يتذكر أويخشى﴾. أي: يتعظ ويخاف. فإن قيل قوله ﴿لعله﴾ تطميع، فكيف يطمعهما في إسلامه، وقد قدر أنه لايسلم؟ قلنا معناه: اذهبا على رجائكما وطمعكما، وقضاء الله وراء أمركما، وقال بعضهم: قد تذكر وخاف، إلا أنه حين لم تنفعه التذكرة والخوف، وقد بينا في سورة يونس.

وفي قوله: ﴿فقولا له قولا لينًا﴾ كلمات معروفة؛ قال بعضهم: هذا رفقك بمن يقول: أنا الإله، فكيف رفقك بمن يقول: أنت الإله، وهذا رفقك بالكفار، فكيف رفقك بالأبرار؟ وهذا رفقك بمن جحدك، فكيف رفقك بمن وحّدك. وهذه تحببك إلى من تعاديه، فكيف إلى من تواليه وتناديه؟.

قوله تعالى: ﴿قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى﴾ يعني: أن يبادر ويعجل[1] بعقوبتنا قبل أن نريه الآيات. وحكى عن سعيد بن جبير أنه قال: كان موسى يخاف من فرعون خوفًا شديدًا، وكان إذا دخل عليه، يقول: اللهم إني أعوذ بك من شره، وأدرأك في نحره، فحوّل الله تعالى ذلك الخوف إلى فرعون؛ فكان إذا رأى موسى بال في ثيابه كما يبول الحمار.

وفي بعض المسانيد برواية ابن مسعود، عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا دخل أحدكم على سلطان يخاف تغطرسه، فليقل: اللهم إني أعوذ بك من شره، وشر أحزابه؛ أن يفرط أحدٌ منهم عليّ أو يطغى، عز جارك، وجل ثناؤك، ولا إله غيرك»[2].

---

(١) في «ك»: ويعاجل.

(٢) رواه الطبراني في الكبير (١٠/ ١٥ - ١٦ رقم ٩٧٩٥) وفي الدعاء (٢/رقم ١٠٥٦، ١٠٥٧) عن عبد الله بن مسعود بنحوه مرفوعًا. ورواه البخاري في الأدب (رقم ٧٠٧)، وابن أبي شيبة (١٠/رقم٩٢٢٥) عن عبد الله بن مسعود موقوفًا بنحوه، وقال الدارقطني في العلل (٥ .رقم٦٩١): والموقوف هو المحفوظ.

يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا

وقوله تعالى: ﴿قال لاتخافا إننى معكما أسمع وأرى﴾ أى: أسمع دعاءكما فأجيب، وأرى أمركما مع فرعون فأدفعه عنكما.

قوله تعالى: ﴿فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بنى اسرائيل﴾ أى: خلهم، وأطلقهم من أعمالك، وقد بينا أنه كان يكلفهم الأعمال الشاقة، وقد ضرب عليهم الضرائب.

وقوله: ﴿ولاتعذبهم﴾ قد بينا.

وقوله: ﴿قد جئناك بآية من ربك﴾ بدلالة من ربك.

وقوله: ﴿والسلام على من اتبع الهدى﴾. ليس المراد منه تحية فرعون، وإنما المراد منه أن من اتبع الهدى فقد سلم من عذاب الله، ومنهم من قال: معناه: (من)[1] أَسْلَمَ سَلِمَ.

وفى بعض الآثار عن السدى: أن موسى عليه السلام قال لفرعون: «آمن بالله، ولك شباب لاتهرم فيه، وملك لاينزع منك، ولذة فى المطعم والمشرب والمنكح إلى أن تموت، ثم إذا مُت دخلت الجنة، فأعجبه هذا الكلام، وكان لايقطع أمرًا دون هامان، فقال: حتى أنظر فى ذلك؛ فلما دخل عليه هامان، قال له: ألم تر أن هذا الرجل الذى أتانا قال كذا وكذا، وكان قبل ذلك يسمّيه الساحر، فلم يسمه الساحر فى ذلك اليوم، فقال له هامان: كنت أظن أن لك رأيا وعقلا! تريد أن تصير مربوبًا بعد أن كنت ربًّا، وعبداً بعد أن كنت معبوداً، فغلبه عن رأيه، فأبى على موسى مأأراد منه.

قوله تعالى: ﴿إنا قد أوحى إلينا أن العذاب على من كذب وتولى﴾. أى: كذب بآيات الله، وتولى عن طاعة الله.

(١) ليست فى «ك».

يَا مُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ الَّذِي

قوله تعالى: ﴿قال فمن ربكما ياموسى﴾ ظاهر المعنى.

وقوله تعالى: ﴿قال ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى﴾ قال الحسن: أعطى كل شئ مايصلحه، ثم هداه إليه. وقال مجاهد: معناه أعطى كل شىء صورة، ثم هداه إلى منافعه من المطعم والمشرب والمنكح.

وفيه قول ثالث: وهو أنه أعطى كل حيوان زوجه، ثم هداه إلى مأتاه[١]، وكل ذكر يهتدى كيف يأتى الأنثى. وروى عن أبى سابط أنه قال: أبهمت البهائم إلا عن أربع: تعرف خالقها، وتطلب رزقها، وتدفع عن نفسها، وتعرف كيف يأتى (أنثاه)[٢].

قوله تعالى: ﴿قال فما بال القرون الأولى﴾ معناه: فما حال القرون الأولى، وأراد به ماحالهم فيما دعوتنى إليه؟

وقيل: لما دعاه موسى إلى الإقرار بالبعث سأل وقال: ماحال القرون الأولى فى البعث؟ ويقال: إنه انصرف إلى هذا الكلام تعنتًا، وعدولا عن الجواب.

قوله تعالى: ﴿قال علمها عند ربى﴾ أى: علم القرون الأولى عند ربى.

[قوله: ﴿فى كتاب﴾ قال الكلبى: هو اللوح المحفوظ][٣].

وقوله: ﴿لايضل ربى﴾ أى: لايخطئ ربى، وقال ثعلب: لايذهب عليه موضعه، وقيل: لايغيب عن ربى، وقرأ الحسن: «لايُضل ربى» برفع الياء، من الإضلال، ويقال: لايضل ربى: لايغفل عنه ربى.

وقوله: ﴿ولاينسى﴾ أى: لايتركه، فينتقم من الكافر، ويجازى المؤمن، ويقال:

(١) هكذا فى «الأصل» وفى «ك»: ما أتاه.

(٢) فى «ك»: اتياه هو تصحيف.

(٣) ما بين القوسين ساقط من ك.

جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٥٧﴾

هو النسيان حقيقة. وقرأ أبو عبد الرحمن السلمى: «ولا يُنسى» على مالم يسم فاعله.

قوله تعالى: ﴿الذى جعل لكم الأرض مهاداً﴾ وقرئ: «مهداً» إلى هذا الموضع انتهى كلام فرعون مع موسى وجوابه إياه. وقوله: ﴿الذى جعل لكم الأرض مهداً﴾ ابتداء كلام من الله، ومعناه: مستقراً.

وقوله: ﴿وسلك لكم فيها سبلا﴾ أى: سهّل ووطّأ لكم فيها طرقًا.

وقوله: ﴿وأنزل من السماء ماءً﴾ أى: المطر.

وقوله: ﴿فأخرجنا به أزواجًا﴾ أى: أصنافًا: الأحمر، والأصفر، والأخضر.

وقوله: ﴿من نبات شتى﴾ أى: من نبات متفرقة.

وقوله: ﴿كلوا وارعوا أنعامكم﴾ أى: كلوا، وأسيموا أنعامكم ترعى.

وقوله: ﴿إن فى ذلك لآيات لأولى النهى﴾ قال ثعلب: لأولى العقول، وقيل: للذين ينتهى إلى رأيهم، وقيل: للذين يتناهون عن المعاصى وينزجرون عنها بعقولهم.

قوله تعالى: ﴿منها خلقناكم﴾ أى: من الأرض.

وقوله: ﴿وفيها نعيدكم﴾ أى: عند الموت.

وقوله: ﴿ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾ أى: عند الحشر. فإن قيل: فى الابتداء لم نخرج عن الأرض، فكيف قال: ﴿تارة أخرى﴾؟. قلنا معناه: ومنها نخلقكم تارة أخرى، فيصح المعنى على هذا.

قوله تعالى: ﴿ولقد أريناه آياتنا كلها﴾ هى الآيات التسع التى أُعْطِيها موسى عليه السلام.

وقوله: ﴿فكذب وأبى﴾ أى: كذب بالتوحيد، وأبى عن الإيمان.

قوله تعالى: ﴿قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك ياموسى﴾ معناه: لتأخذ رمنًا أرضنا؛ فيكون لك الملك والسلطان، وتخرج من تشاء، وتدخل من تشاء.

جنة السنة

فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ

قوله: ﴿ فلنأتينك بسحر مثله ﴾ يعني: مثل سحرك.

وقوله: ﴿ فاجعل بيننا وبينك موعداً ﴾ أي: موعداً للاجتماع.

وقوله: ﴿ لانخلفه نحن ولا أنت ﴾ أي: لانتخلف نحن ولا أنت.

وقوله: ﴿ مكانًا سوى ﴾ قرئ بالرفع، وقرئ بالكسر. ومعناه: مكانًا عدلا، وقيل: منصفًا ويقال: في مكان مستوى لايغيب عن أحد فيها ما يفعل بعضنا ببعض.

قال ابن فارس: وهذا قول الحسن، ويقال: مكانًا سوى أي: يستوى في المسافة إليه.

قوله تعالى: ﴿ قال موعدكم يوم الزينة ﴾ قال ابن عباس: يوم الزينة يوم عيد لهم؛ كانوا يجتمعون له، ويقال: يوم الفيروز. وعن عطاء: أنه كره الزينة للأعياد؛ قال: هو من عمل الكفار.

وقوله: ﴿ وأن يحشر الناس ضحى ﴾ أي: في صدر النهار، وقد جرت العادة أن الأعياد تكون في أول النهار، وكذلك اجتماع الناس في الأمور أكثر ما يكون في أول النهار.

وقوله تعالى: ﴿ فتولى فرعون ﴾ معناه: فأعرض، وقيل: ولى الأمر فرعون.

وقوله: ﴿ فجمع كيده ﴾ أي: مكره وحيلته.

وقوله: ﴿ ثم أتى ﴾ أي: ثم أتى بالموعد.

قوله تعالى: ﴿ قال لهم موسى ويلكم لاتفتروا على الله كذبًا ﴾ قال الضحاك، عن ابن عباس: جمع فرعون سبعين ألفًا من السحرة، وذكر مقاتل: خمس عشرة ألفًا، وذكر بعضهم: نيفًا وسبعين رجلا، وهو قول معروف.

جنة السنة

وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوا إِنْ

وقوله: ﴿ ويلكم لاتفتروا على كذبًا ﴾ أى: لاتختلقوا على الله كذبًا، معناه: لاتكذبوا على الله.

وقوله: ﴿ فَيَسحتكم بعذاب ﴾ بنصب الياء، وقرئ: «فَيُسحتكم» برفع الياء، ومعناه: الاستئصال أى: يستأصلكم بالعذاب، قال الفرزدق شعراً:

وعَضّ زمانٍ يا بن مروان لم يدع ... من المال إلا مسحتا أو مَجُلَّفُ(١)

وفرق بعضهم بين الرفع والفتح؛ فقال: هو بالنصب أن لايبقى شئ، وبالرفع أن يبقى بقية، والأصح أن لافرق. وقيل: فيسحتكم، أى: (شهد) لكم(٢).

وقوله: ﴿ وقد خاب من افترى ﴾ أى: خسر وهلك(٣) من افترى.

قوله تعالى: ﴿ فتنازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى ﴾ قال قتادة: هذا ينصرف إلى السحرة، وإسرارهم النجوى أنهم قالوا: إن كان ما يأتى به موسى سحراً، فسنغلبه، وإن غلبنا فله أمرٌ، وروى أنهم قالوا: إن غلبنا اتبعناه.

قوله تعالى: ﴿ قالوا إن هذان لساحران ﴾ اعلم أن هذه الآية مشكلة فى العربية، وفيها ثلاث قراءات:

قرأ أبو عمرو: «إِنَّ هَذَيْنِ لَسَاحِرَانِ»، وقرأ حفص: «إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ»، وقرأ الباقون: «إِنَّ هَذَانِ لساحِران».

أما قراءة أبي عمرو: فهى المستقيمة على ظاهر العربية، وزعم أبو عمرو أَنَّ «هذان» غلط من الكاتب فى المصحف.

---

(١) فى «ك»: مستحيلا ومحلف. وهو تحريف.

(٢) كذا، وفى «ك»: يشهد، ولم أقف على هذا المعنى فى لسان العرب – مادة: سحت – وأظنه تحريفًا، ولعله: يفشركم، والله أعلم.

(٣) فى «ك» خاب وخسر.

وعن عثمان – رضى الله عنه – أنه قال: أرى فى المصحف لحنًا، (تستقيمه)[1] العرب بألسنتها. ومثله عن عائشة – رضى الله عنها –.

وأما قراءة حفص: فهى مستقيمة أيضًا على العربية؛ لأن إنْ مخففة يكون ما بعدها مرفوعا، ومعناه: ما هذان إلا ساحران.

وأما قراءة الأكثرين – وهى الأصح – قال الزجاج: لانرضى قراءة أبىِ عمرو فى هذه الآية؛ لأنها خلاف المصحف، وأما وجه قوله: ﴿إنَّ هذان﴾ فله وجوه فى العربية: أما القدماء من النحويين فإنهم قالوا: «هو على تقدير: إنه هذان، فحذف الهاء، ومثله كثير فى العربية، والوجه الثانى: أن هذا لغة كنانة و خثعم (وزبيد)[2]، وقال الكسائى: لغة بلحارث بن كعب من كنانة، وأنشد الكسائى شعرًا:

تزود منى بين أذناه ضربة ... دعته إلى هذه التراب عقيم

وأنشد غيره:

إن أباها وأبا أباها قد ... بلغا فى المجد غايتاها

وأنشدوا أيضًا:

أى قلوص راكب تراها ... طاروا علاهن فطر علاها

أى: عليهن.

قال الكسائى: على هذه اللغة يقولون: أتانى الزيدان، ورأيت الزيدان، ومررت بالزيدان، ولايتركون ألف التثنية فى شىء منها.

وأما الوجه الثالث، هو أصح الوجوه، فإن القرآن لايحمل على اللغة البعيدة؛ وهو أن معنى قوله: ﴿إنَّ هذان﴾ أى: نعم هذان، قال الشاعر:

بكر العواذل فى الصبا ... ح يلمننى وألومهن

ويقلن شيب قد علاك ... وقد كبرت فقلت إنه

(١) فى تفسير القرطبى (١١/٢١٦): ستقيمه.

(٢) فى «ك» رويناه، وهو تحريف.

﴿هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا﴾

أى: نعم

وروى أن أعرابيا أتى عبد الله بن الزبير يطمع شيئًا، فلم (يحصل)[١] له طمعه، فقال الأعرابى: لعن الله ناقة حملتنى إليك، فقال ابن الزبير: إِن، وصاحبها، أى: نعم. وفى قراءة أبيِ بن كعب: «إن ذان إلا ساحران»، وهى شاذة.

وقوله: ﴿يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما﴾ قد بينا.

وقوله: ﴿ويذهبا بطريقتكم المثلى﴾ أى: بالطريقة المستقيمة التى أنتم عليها، وكانوا يظنون أنهم على دين مستقيم، والمثلى تأنيث الأمثل. وأما ابن عباس قال: بطريقتكم المثلى أى: الرجال الأشراف.

وقال قتادة: أراد به بنى[٢] إسرائيل، وكانوا أهل يَسار (وعزّة)[٣].

فقالوا[٤]: يريدان أن يذهبا بهؤلاء. والعرب تقول: هؤلاء طريقة القوم أى: أشرافهم.

ومنهم من قال: معناه أهل طريقتكم المثلى.

وقوله: ﴿فَأَجمعوا كيدكم﴾ وقرئ بالوصل: «فاجمعوا». أما قوله: ﴿فأجمعوا﴾ بالقطع فمعناه: العزيمة والإحكام. قال الأزهرى: تقديره: اعزموا كلكم على كيده مجتمعين له، ولا تختلفوا فيختل أمركم. وأما قوله: «فاجمعوا» بالوصل، معناه: جيئوا بكل كيد لكم؛ لتعارضوا موسى.

وقوله: ﴿ثم ائتوا صفًا﴾ قال أبو عبيدة: مُصْطَفين، وقال غيره: الصف هو

---

(١) فى «ك»: يصح.

(٢) فى «ك»: بنو إسرائيل.

(٣) فى «ك»: وعدة.

(٤) فى «ك»: فقال.

وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾

[المصلى](١)، ومعناه: ثم ائتوا المكان الموعود.

وقوله: ﴿وقد أفلح اليوم من استعلى﴾ أى: سعد وفاز من كانت له الغلبة فى اليوم.

قوله تعالى: ﴿قالوا ياموسى إما أن تلقى وإما أن نكون أول من ألقى﴾ معناه: اختر، إما أن تلقى أنت أولا، أو نلقى نحن أولا.

قوله تعالى: ﴿قال بل ألقوا﴾ يعنى: ابتدءوا أنتم بالإلقاء. فإن قال قائل: إلقاؤهم كان كفرًا وسحرًا، فهل يجوز أن يأمرهم موسى بالإلقاء الذى هو سحر وكفر؟ الجواب عنه من وجهين: أحدهما: أن هذا أمر بمعنى الخبر، ومعناه: إن كان إلقاؤكم عندكم(٢) حجة فألقوا، والثانى: أنه أمرهم بالإلقاء على قصد إبطال سحرهم بما يلقى من عصاه، وهذا جائز.

وقوله: ﴿فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى﴾ وقرئ بالياء والتاء «تخيل»، فمن قرأ بالتاء، فهو راجع إلى العصى والحبال، فأنثت لأنها جمع، وأما بالياء فينصرف إلى الإلقاء. وفى القصة: أنهم لما ألقوا الحبال والعصى رأى موسى والقوم كأن الأرض امتلأت حيّات، وهى تسعى أى: تذهب وتجئ. واعلم أن التخايل ما لا أصل له(٣). ويقال: إنهم أخذوا بأعين الناس، فظنوا وحسبوا أنها حيات، وقيل: إن حبالهم وعصيهم أخذت ميلا من هذا الجانب، وميلا من ذلك الجانب.

قوله تعالى: ﴿فأوجس فى نفسه خيفة موسى﴾ أى: وجد فى نفسه خيفة، واختلفوا فى هذا الخوف على قولين:

(١) فى «الأصل وك»: المصفى، والصواب ما أثبتناه، انظر تفسير القرطبى (٦/ ١٣٧).
(٢) فى (ك): «عندى».
(٣) من «ك»، وفى «الأصل»: لها.

جنة السنة

﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ

أحدهما: أنه خوف البشرية، والآخر: خاف على القوم أن يلتبس عليهم الأمر، فلا يؤمنوا، ويقال: خاف على قومه أن يشكوا، فيرجعوا عن الإيمان.

قوله تعالى: ﴿قلنا لاتخف إنك أنت الأعلى﴾ أى: الغلبة والظفر لك.

قوله تعالى: ﴿وألق ما فى يمينك تلقف ما صنعوا﴾ أى: تلتقم وتبتلع.

وفى القصة: أنها فتحت فاها، فابتلعت كل ما كان يمر من العصى والحبال، وفرعون يضحك ويظن أنه سحر، ثم قصدت قبة فرعون، وكان طولها فى الهواء [أربعين](١) ذراعًا، ففتحت فاها على قدر ثمانين ذراعًا، وأرادت أن تلتقم القبة، فنادى فرعون: ياموسى، بحق التربية، قال: فجاء فأخذها، فعادت عصا على ما كانت.

وقوله: ﴿إنما صنعوا كيد سحر﴾ قرئ «ساحر»، وقرئ «سحر»، فقوله: ﴿كيد ساحر﴾ أى: حيلة ساحر.

وقوله: ﴿كيد سحر﴾ أى: حيلة من سحر.

وقوله: ﴿ولايفلح الساحر حيث أتى﴾ فى التفسير أن معناه: أين وجد قتل.

وفى بعض المسانيد عن جندب بن عبد الله، أن النبى ﷺ قال: «إذا أخذتم الساحر فاقتلوه، وقرأ قوله تعالى: ﴿ولايفلح الساحر حيث أتى﴾»(٢).

تعالى: ﴿فألقى السحرة سجداً﴾ قد بينا من قبل.

وقوله: ﴿قالوا آمنا برب هارون وموسى﴾ أى: بإله هارون وموسى، وقدم هارون على موسى على وفق رءوس الآى.

---

(١) فى «الأصل، وك»: أربعون، وهو خلاف الجادة..

(٢) رواه ابن أبى حاتم، وابن مردويه كما فى الدر (٤/ ٣٣٣). وقال الحافظ ابن كثير (٣/ ١٥٨) بعد إيراده برواية ابن أبى حاتم: وقد روى أصله موقوفًا ومرفوعًا.

هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ

قوله تعالى: ﴿قال آمنتم له قبل أن آذن لكم﴾ ظاهر المعنى.

وقوله: ﴿إنه لكبيركم الذى علمكم السحر﴾ أى: معلمكم الذى علمكم السحر. وحكى الكسائى أن العرب تقول: رجعت من عند كبيرى أى: معلمى.

وقوله: ﴿فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف﴾ ظاهر المعنى.

وقوله: ﴿ولأصلبنكم فى جذوع النخل﴾ معناه: على جذوع النخل، وذكر كلمة فى؛ لأن المصلوب يصلب مستطيلا على الجذع؛ فالجذع يشتمل عليه.

وقوله: ﴿ولتعلمن أينا أشد عذابًا وأبقى﴾ أى: أنا أقوى أو رب موسى؟ وذكر الكلبى: أن فرعون قطع أيديهم وأرجلهم وصلبهم، وذكر غيره: أنه لم يقدر عليهم، واستدل بقوله تعالى: ﴿لايصلون إليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون﴾(١).

قوله تعالى: ﴿قالوا لن نؤثرك﴾ أى: لن نختارك. ﴿على ما جاءنا من البينات﴾ أى: الدلالات؛ وكان استدلالهم أنهم قالوا: إن كان هذا سحر، فأين حبالنا وعصينا؟ وقيل: من البينات أى: اليقين والعلم.

وقوله: ﴿والذى فطرنا﴾. فيه قولان: أحدهما: (وقوله)(٢) ولن نؤثرك على الذى فطرنا، والآخر: أنه قسم.

وقوله: ﴿فاقض ما أنت قاض﴾ أى: فاصنع ما أنت صانع.

وقوله: ﴿إنما تقضى هذه الحياة الدنيا﴾ أى: أمرك وسلطانك فى هذه الحياة الدنيا، وسيزول عن قريب.

---

(١) القصص: ٣٥.

(٢) كذا فى النسختين، وحذفها أولى.

قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿٧٣﴾ إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا

وقوله: ﴿إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا﴾ أى: ذنوبنا.

وقوله: ﴿وما أكرهتنا عليه من السحر﴾ فإن قيل: كيف يستقيم هذا وقد جاءوا مختارين، وحلفوا بعزة فرعون أن لهم الغلبة على ما ذكر فى موضع آخر؟ والجواب عنه: أنه روى عن الحسن البصرى أنه قال: كان فرعون يجبر قومًا على تعلم السحر؛ لكيلا يذهب أصله، وكان قد أكرههم فى الابتداء على تعلمه، فأرادوا بذلك.

وقوله: ﴿والله خير وأبقى﴾ قال محمد بن كعب معناه: والله خير ثوابًا إن أطيع، وأبقى عقابًا إن عصى. يقال: إن أمر السلطان إكراه؛ فلهذا قالوا: وما أكرهتنا عليه من السحر، لما سجدوا أراهم الله تعالى مواضعهم فى الجنة، وما أعدَّ لهم من الثواب والكرامة، فلما رفعوا رءوسهم وقد [رأوا](١) قالوا ما قالوا.

وعن عكرمة: أصبحوا وهم سحرة، وأمسوا وهم شهداء.

وروى أن الحسن كان إذا بلغ إلى هذه الآية قال: عجبًا لقوم كافرين سحرة من أشد الناس كفرًا، رسخ الإيمان فى قلوبهم حين قالوا ما قالوا، ولم يبالوا بعذاب فرعون، وترى الرجل من هؤلاء يصحب الإيمان ستين سنة، ثم يبيعه بثمن يسير.

وفى القصة: أن امرأة فرعون كانت تستخبر فى ذلك اليوم لمن الغلبة، فلما أخبرت أن الغلبة كانت لموسى، أظهرت الإيمان لله، فذكر ذلك لفرعون، فبعث قومًا، وقال: انظروا إلى أعظم صخرة، فإن أصرت على قولها، فألقوا عليها الصخرة، فأراها الله تعالى موضعها من الجنة، وقبض روحها، فجاءوا وألقوا الصخرة على جسد ميت.

قوله تعالى: ﴿إنه من يأت ربه مجرمًا﴾ قال بعضهم: هذا من قول السحرة، وقال بعضهم: هو ابتداء كلام من الله تعالى. قوله: ﴿مجرمًا﴾ أى: مشركًا.

وقوله: ﴿فإن له نار جهنم لايموت فيها ولايحيى﴾ أى: لايحيا حياة ينتفع بها،

---

(١) من «ك»، وفى «الأصل» روا.

وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾
جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾
وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَّا

ولايموت فيستريح، ويقال: إن أرواحهم تكون معلقة بحناجرهم، لاتخرج فيموتون، ولا تستقر فى موضعها فيحيون، قال الشاعر:

ألا مَنْ لنفس تموت فينقضى ... شقاها ولاتحيا حياة لها طعم

قوله تعالى: ﴿ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات﴾ أى: أدى الفرائض. قال الحسن: من أدى الفرائض فقد استكمل الإيمان، ومن لم يؤدِ الفرائض فلم(١) يستكمل الإيمان.

وقوله: ﴿فأولئك لهم الدرجات العلى﴾ جمع العليا، والعليا تأنيث الأعلى.

قوله تعالى: ﴿جنات عدن﴾ قد بينا هذا من قبل، وفى بعض التفاسير عن عمر - رضى الله عنه - قال: جنة(٢) عدن قصر له عشرة آلاف باب، لا يعلم سعتها إلا الله. ويقال: نهر فى الجنة على حافتيه قصور الجنان.

وقوله: ﴿تجرى من تحتها الأنهار﴾ قد بينا.

وقوله: ﴿خالدين فيها﴾ أى: مقيمين فيها.

وقوله: ﴿وذلك جزاء من تزكى﴾ أى: تطهير من الذنوب، وقيل: جزاء من قال: لا إله إلا الله.

قوله تعالى: ﴿ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادى﴾ أى: سر بهم ليلا.

وقوله: ﴿فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا﴾ أى: ذا يبس، وقيل: يابسًا، أى: لاندوة فيه، ولا بلل.

---

(١) فى «ك»: «لم».

(٢) فى «ك»: جنات.

تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا

وقوله تعالى: ﴿لاتخاف دركا ولاتخشى﴾ روى أنهم لما بلغوا البحر قالوا: ياموسى، هذا البحر أمامنا، وفرعون وجنده وراءنا، فقال الله تعالى: ﴿لاتخاف دركًا ولاتخشى﴾ . أى: لاتخاف أن يدركك فرعون من ورائك، ولاتخشى أن يغرقك البحر أمامك، وقرأ حمزة: «ولاتخف» على الأمر.

قوله تعالى: ﴿فأتبعهم فرعون بجنوده﴾ قرئ: «فأتبعهم»، وقرئ: «فاتّبعهم» أما قوله: ﴿فأَتْبَعَهُم﴾ أى: بعث فى إثرهم جنوده.

وقوله: ﴿فاتَّبعهم﴾ أى: اتبعهم بجنده .

وقوله: ﴿فغشيهم من اليم ماغشيهم﴾ معناه: غشيهم من البحر ما غرقهم، ويقال: غشيهم من اليم ماغشى قوم موسى فنجا قوم موسى، وغرقوا هم، ويقال: غشيهم من اليم ماأهلكهم .

وقوله: ﴿وأضل فرعون قومه وماهدى﴾ أى: وما أرشد، وهو جواب لقول فرعون: ﴿وما أهديكم إلا سبيل الرشاد﴾.(١)

وقوله تعالى: ﴿يابنى إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم﴾ أى: من أعدائكم، ويقال: أراد به فرعون وحده.

وقوله: ﴿وواعدناكم جانب الطور الأيمن﴾ فى التفسير: أن الله تعالى وعد موسى أن يؤتيه كتابًا من عنده، وهو التوراة، فهو معنى قوله تعالى: ﴿وواعدناكم جانب الطور الأيمن﴾ أى: لإعطاء الكتاب .

وقوله: ﴿ونزلنا عليكم المن والسلوى﴾ قد بيناه فى سورة البقرة. وقوله: ﴿كلوا من طيبات مارزقناكم﴾ أى: من حلال مارزقناكم.

(١) غافر: ٢٩.

مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ

وقوله: ﴿ ولاتطغوا فيه ﴾. أى: لاتكفروا النعمة، ويقال: لاتخلطوا الحرام بالحلال، وعن ابن عباس: لاتدخروا ثم لاتدخروا فتدود(١)، ولولا ماصاموا لم يتودّ طعام(٢).

وقوله: ﴿ فيحل عليكم غضبى ﴾ قرئ بالكسر والرفع، أما بالكسر فيجب، وأما بالرفع فينزل.

وقوله: ﴿ ومن يحلُل عليه غضبى ﴾ أى: ينزل عليه، وقرئ: «ومن يحلِل» أى: يجب.

وقوله: ﴿ فقد هوى ﴾ أى: هلك، وعن شُفى بن ماتع الأصبحى قال: هوى وادٍ فى جهنم يهوى فيه أربعين خريفًا، ومعنى الآية أى: وقع فيه.

قوله تعالى: ﴿ وإنى لغفار لمن تاب ﴾ أى: من الشرك . ﴿ وآمن ﴾ أى: آمن بالله.

وقوله: ﴿ وعمل صالحًا ﴾ أى: أدى الفرائض .

وقوله: ﴿ ثم اهتدى ﴾ فيه أقوال: قال ابن عباس: لم يشك فى إيمانه وعن قتادة قال: مات على الإيمان. وعن سعيد بن جبير: لزم السنة والجماعة. وقال بعضهم: أخلص، وقال بعضهم: عمل (بعمله)(٣) وعن ثابت البنانى قال: تولى أهل البيت.

قوله تعالى: ﴿ وما أعجلك عن قومك ياموسى ﴾ فى القصة: أنه لما جاء مع السبعين الميعاد تعجل بنفسه، وخلف السبعين وراءه، فقال الله تعالى له: ﴿ وما أعجلك عن قومك ياموسى ﴾ أى شئ حملك على العجلة؟

وقوله: ﴿ قال هم أولاء على أثرى ﴾ أى: يأتونى خلفى .

وقوله: ﴿ وعجلت إليك رب لترضى ﴾ أى: لتزداد رضًا، وعن بعض السلف: أنه

(١) كذا وفى بعض المصادر: فيتدود.

(٢) كذا وفى بعض المصادر: ولولا ذلك ما تدود طعام أبداً.

(٣) كذا فى النسختين، والصواب. عمل بعلمه.

لترضىٰ ﴿٨٤﴾ قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري ﴿٨٥﴾ فرجع
موسىٰ إلىٰ قومه غضبان أسفا قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا أفطال عليكم
العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدي ﴿٨٦﴾ قالوا ما

تعجل شوقًا.

قوله تعالى: ﴿قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك﴾ أى: أوقعناهم فى الفتنة.

قوله: ﴿وأضلهم السامرى﴾ أى: ضلوا بسببه، وقد بينا طرفًا من هذه القصة فى سورة الأعراف. وحكى عن وهب بإسناده عن راشد بن سعد أن الله تعالى لما قال له هذا القول قال: يارب، من صاغ العجل؟ قال: السامرى، قال: فمن أحياه وأظهر منه الخوار؟ قال: أنا، قال: فأنت أضللتهم يارب، فقال الله تعالى له: يا (رأس)[1] النبيين، أنا رأيت ذلك فى قلوبهم فسهلته عليهم[2].

وقوله: ﴿فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفًا﴾ أى: شديد الحزن لما أصاب قومه من الفتنة.

قوله تعالى: ﴿قال ياقوم ألم يعدكم ربكم وعدًا حسنًا﴾ معناه: ماوعد من إنزال الكتاب، ومن التنجية من فرعون وقومه، وغير هذا مما وعد وحقق.

وقوله: ﴿أفطال عليكم العهد﴾ كان موسى وعد أن يعود بعد أربعين يومًا، فلما مضت عشرون يومًا، عدوا النهار عشرين، والليل عشرين، وقالوا قد مضى الوعد.

وقوله: ﴿أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم﴾. أى: أردتم أن تفعلوا فعلا يجب عليكم الغضب من ربكم.

وقوله: ﴿فأخلفتم موعدى﴾ (أو)[3] وعدى.

---

(١) فى «ك»: رئيس.

(٢) هذا الخبر، وعلى فرض صحة إسناده إلى راشد بن سعيد، فهو مما أخذ عن كتب بنى إسرائيل التى لانصدقها، خاصة فى مثل هذا الخبر.

(٣) كذا، وأظن الصواب: أى.

قوله تعالى: ﴿ قالوا ما أخلفنا موعدك بِمَلْكِنَا ﴾.

قرئ: «بملكنا»، وقرئ: «بمُلْكِنَا»؛ فقوله: «بِمِلْكِنَا» أى: بطاقتنا، وقوله: «بِمُلْكِنَا» أى: بسلطاننا. وكذلك «بِمَلْكِنَا» بفتح الميم. وأحسن ماقيل فى هذا هو أن المرء إذا وقع فى البلية والفتنة لم يملك نفسه. وقد ثبت عن النبى ﷺ فى بعض دعواته: «اللهم إذا أردت بقوم فتنة فاقبضنى إليك غير مفتون»[(١)].

وقوله: ﴿ ولكنا (حَمَلْنا)[(٢)] ﴾ وقرئ: «حمِّلنا». فى القصة: أنهم استعاروا حُلِى نساء القبط، ثم لم يردوا حتى خرجوا إلى جانب البحر، فهو معنى قوله: ﴿ حملنا أوزاراً من زينة القوم ﴾. أى: من حُلى القوم، والأوزار: الأثقال، وسمى الحلى أوزاراً، لأنهم كانوا أخذوها على وجه العارية، ولم يردوها، فكانت بجهة الخيانة.

ويقال: إن الله تعالى لما أغرقهم نبذ البحر حليهم، فأخذها، ولم تكن الغنيمة حلالا لهم فى ذلك الزمان، فسماها أوزاراً لهذا المعنى، وقال الشاعر فى الأوزار:

وأعددت للحرب أوزارهـــا رماحـــا طوالا وخيلا ذكوراً

وقوله تعالى: ﴿ فقذفناها ﴾ (روى أن)[(٣)] هارون - عليه السلام - أمر أن يحفر حفرة، ثم أمرهم أن يلقوا تلك الحلى فيها، وأضرم عليها ناراً، وفى قول أخر: أن السامرى أمرهم بذلك، فهو معنى قوله: ﴿ فقذفناها ﴾.

وقوله: ﴿ فكذلك ألقى السامرى ﴾ يعنى: ألقى السامرىّ أيضًا ماعنده من الحلى.

(١) هو جزء من آخر حديث اختصام الملأ الأعلى، وقد رواه الإمام أحمد فى مسنده (٥/ ٢٤٣)، والترمذى (٥/ ٣٤٣-٣٤٤رقم٣٢٣٥)، وقال: حسن صحيح سألت محمد بن إسماعيل - يعنى البخارى - عن هذا الحديث فقال: هذا حديث حسن صحيح.

قلت: وقد ذكر الدارقطنى هذا الحديث فى علله (٦/ ٥٤ - ٥٧ رقم٩٧٣) وأورد له طرقًا كثيرة ثم قال: ليس فيها صحيح، وكلها مضطربة.

(٢) هكذا ضبطت فى «الأصل» وفى ك: حُمِّلْنَا.

(٣) فى «ك»: وكان.

السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلا يَرَوْنَ أَلاَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا ﴿٨٩﴾

وقوله: ﴿فأخرج لهم عجلا جسدًا له خوار﴾ في القصة: أن النار لما أخلصت الذهب والفضة جاء السامرى، وألقى فيه قبضة من التراب، أخذها من تحت حافر فرس جبريل – عليه السلام – وقال: كونى عجلاً له خوار، فصار عجلاً يخور.

وقوله: ﴿جسدًا﴾ قيل: جسدًا لارأس له، وقيل: جسدًا لايضر ولاينفع، وقال الخليل: العرب تسمى كل مالا يأكل ولايشرب جسدًا، وكان العجل لايأكل ولايشرب ويصيح، والقول الأول أضعف الأقوال، واختلفوا فى الخوار: فالأكثرون أنه صوت عجل حى، وهو قول ابن عباس، والحسن، وقتادة وجماعة، وقال مجاهد: هو صوت حفيف الريح، كانت تدخل فى جوفه وتخرج، وهو قول ضعيف.

وقوله: ﴿فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسى﴾ فيه قولان: أحدهما: أن هذا إلهكم وإله موسى، تركه موسى هاهنا، وذهب يطلبه.

والثانى: معناه: فنسى السامرى الإيمان بالله ، أى: ترك. وقيل: فنسى موسى أن يذكر لكم أن هذا هو الإله.

وقوله: ﴿أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا﴾ فى بعض التفاسير: أن العجل خار خوارا واحدًا، ولم يعد، فهو معنى قوله: ﴿ألا يرجع إليهم قولا﴾ وقال بعضهم: لايجيبهم إذا دعوه.

وقوله: ﴿ولايملك لهم ضرًا ولا نفعًا﴾ ظاهر المعنى.

فإن قيل: السامرى كان كافرًا، وهذا الذى ظهر على يده معجزة، فكيف يجوز أن تظهر المعجزة على يد كافر؟ والجواب: أن ذلك كان لفتنة بنى اسرائيل وابتلائهم.

وعند أهل السنة هذا جائز، ولانقول: هو معجزة، ولكنه محنة وفتنة.

وفى بعض الآثار: أن هارون مرّ على السامرى، وهو يصوغ العجل، فقال له:

وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿٩٠﴾ قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَا

ماهذا؟ فقال: هو [شئ][١] ينفع ولايضر فادع لى. فقال هارون: اللهم أعطه على مافى نفسه، فألقى التراب فى فم العجل، وقال: كن عجلا يخور، فكان كذلك بدعوة هارون.

وقد قال أهل العلم: إنه ليس من عجل من ذهب يخور بشبهة تقع فى أنه إله ومعبود[٢].

قوله تعالى: ﴿ولقد قال لهم هارون من قبل ياقوم إنما فتنتم به﴾ أى: ابتليتم به.

﴿وإن ربكم الرحمن﴾ أى: معبودكم الرحمن، لاما اتخذتموه معبودًا.

وقوله: ﴿فاتبعونى﴾ أى: اتبعونى فى عبادة الله. ﴿وأطيعوا أمرى﴾ فى ترك عبادة العجل.

قوله تعالى: ﴿قالوا لن نبرح عليه عاكفين﴾ أى: لن نزل مقيمين على عبادته ﴿حتى يرجع إلينا موسى﴾.

قوله تعالى: ﴿قال ياهارون﴾ فيه تقدير، وهو أن موسى رجع، وقال: ياهارون.

وقوله: ﴿ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن﴾ لا زائدة، ومعناه: أن تتبعنى.

وقوله: ﴿أفعصيت أمرى﴾ أى: خالفت أمرى. فإن قال قائل: هل تقولون إن هارون خالف موسى فيما طلب منه، وأنه داهن عبدة العجل، ولم يشدد فى منعهم عنها؟ والجواب: أن موسى لم يطلب من هارون إلا أن يخلفه فى قومه، وأن يرفق بهم، فرأى هارون أن لايقاتلهم، وأن الإمساك عن قتالهم أصلح، ورأى موسى أن يقاتلهم، ورأى أن القتال أصلح، فهذا رأى مجتهد خالف رأى مجتهد، ولا عيب فيه، وإنما

(١) صورتها فى «الأصل وك» كأنها «سر» والصواب ما أثبتناه.
(٢) كذا.

بْنَؤُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾

عاتبه موسى فى تركه القتال، يعنى: لوكنت أنا مكانك كنت أقاتلهم، فهلا فعلت مثل ذلك.

قوله تعالى: ﴿قال يابن أمَّ﴾. قرئ: «يا بن أمَّ» بالنصب و«يابن أمِّ» بالكسر، وقد بينا هذا من قبل.

وقوله: ﴿لاتأخذ بلحيتى ولا برأسى﴾ قال ابن عباس: أخذ رأسه بيمينه، وأخذ لحيته بيساره، ويقال: إن المراد من الرأس شعر الرأس، ويقال: أراد بالرأس الأذن، فإن قال قائل: هذا تهاون بنبى من أنبياء الله، فتكون كبيرة من الكبائر، فكيف وجه فعل هذا من موسى؟ والجواب عنه: أنه يحتمل أنه لم يكن مثل هذا الفعل تهاونًا فى عادتهم، فكان الأخذ باللحية شبه الأخذ بالكف عندهم، وقال بعضهم: أنه أخذ بلحيته كما يأخذ الإنسان بلحية نفسه عند الغضب فجعله كنفسه، وقد روى أن عمر – رضى الله عنه – كان إذا غضب جعل يفتل شاربه، وأولى الأجوبة أن هذا فعل الإنسان بمثله وشكله عند الغضب، فتكون صغيرة لاكبيرة، والصغائر جائزة على الأنبياء، وإنما ذكر هارون «الأم»، ولم يذكر «الأب»؛ ليرقق على نفسه.

وقوله: ﴿إنى خشيت أن تقول فرقت بين بنى إسرائيل﴾ هذا بيان مارأى من الرأى، يعنى: خشيت أن تقول: جعلتهم أحزاباً، فحزب عبدوا العجل، وحزب قاتلوا، وحزب أمسكوا عن القتال، والتبس عليهم أنه هل يجوز القتال أو لا؟، وحزب أنكروا لِمَ يَقَاتِلُون؟ فكل هذا التفرق كان جائزًا لو قاتل هارون.

وقوله: ﴿ولم ترقب قولى﴾ أى: لم تحفظ قولى، وهذا منصرف إلى قوله: ﴿واخلفنى فى قومى وأصلح﴾[(1)] (وقد بينا أن معنى قوله: ﴿وأصلح﴾[(1)])[(2)] أى: ارفق، فرأى أن الرفق أن يكف يده.

(١) الأعراف: ١٤٢.

(٢) ما بين القوسين سقطه «ك».

قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي

قوله تعالى: ﴿ قال فما خطبك ياسامرى ﴾ قال أهل التفسير: لما اعتذر هارون بما اعتذر به أقبل موسى على السامرى، فقال: ﴿ ماخطبك ياسامرى ﴾ والخطب هو: الجليل من الأمر، ومعنى الآية: ماهذا الأمر العظيم الذى جئت به؟

وقوله: ﴿ قال بصرت بما لم يبصروا به ﴾ رأيت بما لم يروا، ويقال: فطنت بمالم يفطنوا به .

وقوله: ﴿ فقبضت قبضة من أثر الرسول ﴾ المعروف: بالضاد المعجمة، وقرأ الحسن البصرى: « فقبصت » بالصاد غير المعجمة، والفرق بينهما أن القبض: هو الأخذ بملءِ الكف، والقبص هو الأخذ بأطراف الأصابع.

وقوله: ﴿ من أثر الرسول ﴾ يعنى: من تراب حافر فرس جبريل، فإن قال قائل: كيف عرف هذا؟ وكيف رأى جبريل من بين سائر الناس؟ والجواب عنه من وجهين: أحدهما: أن أمه لما ولدته فى السنة التى كان يقتل فيها الأنبياء، وضعته فى كهف حذراً عليه، فبعث اللهُ جبريل ليربيه ويغذيه لما قضى الله على يده من الفتنة، فلما رآه عرفه وأخذ التراب، والوجه الثانى: أن جبريل كان على فرس حصان أبلق، وكان ذلك الفرس تسمى فرس الحياة، وكان كلما وضع (الفرس)[1] حافره على موضع اخضر ما تحت حافره، فعرف أنه فرس الحياة، وكان سمع بذكره، وأن الذى عليه جبريل، فأخذ القبضة.

وقوله: ﴿ فنبذتها ﴾ أى: ألقيتها فى فم العجل، وقد قال بعضهم: إنما خار العجل لهذا؛ وهو أن التراب كان مأخوذاً من تحت فرس الحياة.

وقوله: ﴿ وكذلك سولت لى نفسى ﴾ أى: زينت لى نفسى.

قوله تعالى: ﴿ قال فاذهب فإن لك فى الحياة أن تقول لامساس ﴾ أى: لا أمسّ لا

---

(١) فى «ك»: ذلك الفرس.

الْحيَاة أن تقُولَ لا مساسَ وَإنَّ لك موْعدًا لَّن تُخْلفهُ وانظرْ إلَىٰ إلَهك الَّذي ظَلْت عَلَيْه عاكفًا لَّنحرقَنَّهُ ثُمَّ لَننسفَنَّهُ في الْيَمّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إنَّمَا إلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذي لا إلَهَ إلاَّ هُوَ وَسعَ كُلَّ شيْءٍ علْمًا ﴿٩٨﴾ كَذَلكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ منْ أنْبَاء مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ من لَّدُنَّا ذكْرًا ﴿٩٩﴾ مَنْ أعْرَضَ عَنْهُ فَإنَّهُ يَحْملُ يَوْمَ الْقيَامَة وزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَالدينَ

أمسّ، وفى القصة: أن موسى دعا عليه فصار يهيم مع الوحش، وروى أنه كان إذا مس أحدًا أو مسه أحد حُمَّا جميعا، قال الشاعر:

تميم كرهط السامرى وقولـه ... ألا لا يريد السامرى مِســاسا

وقال سعيد بن جبير: كان السامرى رجلا من أهل كرمان، ويقال: من باجرما، والأكثرون أنه كان من بنى إسرائيل من رهط يقال لهم: السامرى.

وقوله: ﴿وإن لك موعدًا لن تُخْلَفَهُ﴾ أى: لن تكذبه، ومعناه: أن الله يكافئك على فعلك ولا تفوته، وقرئ: «لن تخلفه» بكسر اللام أى: توافى يوم القيامة لميعاد العذاب ولاتخلف.

وقوله: ﴿وانظر إلى إلهك الذى ظلت عليه عاكفًا﴾ أى: ظللت عليه مقيمًا.

وقوله: ﴿لَنُحَرِّقَنَّهُ﴾ وقرئ: «لَنُحْرِقَنَّهُ» من الإحراق، وهما فى المعنى واحد، وهو التحريق بالنار، وعن على وابن عباس – رضى الله عنهما – أنهما قرآ: «لَنَحْرُقَنَّهُ» وهى قراءة أبى جعفر، ومعناه: لنبردنه بالمبرد، وفى قراءة أبى بن كعب: «لنذبحنه ثم لنحرقنه».

وقوله: ﴿ثم لننسفنه فى اليم نسفًا﴾ يعنى: لنذرينه فى البحر تذرية.

قوله تعالى: ﴿إنما إلهكم الله الذى لا إله إلا هو وسع كل شيء علمًا﴾ أى: وسع علمه كل شيء، وقالوا هذا من فصيح القرآن.

قوله تعالى: ﴿كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق﴾ أى: من أخبار من تقدم.

وقوله: ﴿وقد آتيناك من لدنا ذكرا﴾ الذكر هاهنا هو: القرآن.

قوله تعالى: ﴿من أعرض عنه﴾ أى: عن القرآن.

وقوله: ﴿فإنه يحمل يوم القيامة وزرا﴾ أى: ثقلا، ومعناه: إثمًا يثقله.

جنة السنة

فيه وَساء لَهُمْ يومَ الْقيامَة حملاً ﴿١٠١﴾ يوْمَ يُنفخُ فِي الصُّورِ ونَحْشُرُ الْمُجْرِمين يوْمَئذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يتخافتُون بيْنهُمْ إن لَّبثْتُمْ إلاَّ عشْرًا ﴿١٠٣﴾ نحْنُ أعْلمُ بما يقُولُون

وقوله: ﴿ خالدين فيها ﴾ أى: مقيمين فى عذاب الوزر.

وقوله: ﴿ وساء لهم يوم القيامة حملا ﴾ أى: بئس الوزر حملهم يوم القيامة.

وقوله تعالى: ﴿ يوم ينفح فى الصور ﴾ وقرأ أبو عمرو: «ويوم نَنْفُخُ فى الصور»[١] واستدل بما عطف عليه من قوله: ﴿ ونحشر المجرمين ﴾ وقرأ الباقون: ﴿ يوم يُنفخ فى الصور ﴾ وهذا هو الأولى، وقد بينا معنى الصور من قبل.

وقوله تعالى: ﴿ ونحشر المجرمين يومئذ زرقا ﴾ قال الحسن وقتادة وجماعة: عميا. فإن قال قائل: كيف يستقيم هذا، وقد قال الله تعالى: ﴿ ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة ﴾[٢] والله تعالى إنما خلقهم بصرا؛ والجواب: أنه حكى عن ابن عباس أن فى القيامة تارات وحالات فيحشرون بصرا ثم يعمون. والقول الثانى فى قوله: ﴿ زرقا ﴾: أنه خضرة العين، فيحشر الكفار زرق الأعين سود الوجوه، والقول الثالث: عُطاشًا، ومعناه: وقد تغيرت أعينهم من شدة العطش، والقول الرابع: ﴿ زرقا ﴾ أى: شاخصة أبصارهم من عظم الخوف، قال الشاعر:

لقد زَرِقت عيناك يابن مُكَعْبَرٍ كذا كل ضَبِّىٍّ من اللؤم أزرق

والقول الخامس: ﴿ زرقا ﴾ أى: أحد البصر؛ لأن الأزرق يكون أحد بصرا.

وقوله: ﴿ يتخافتون بينهم ﴾ أى: يتساررون[٣]، ويتكلمون خفية.

وقوله: ﴿ إن لبثتم إلا عشرًا ﴾ أى: ما لبثتم إلا عشرًا، وقد قال بعضهم: هذا فى «القبر»، وقال بعضهم: فى الدنيا، فإن قال قائل: هذا كذب صريح، وقد لبثوا فى الدنيا والقبر سنين كثيرة!، والجواب عنه: أن من شدة هول القيامة يظنون أنهم ما

---

(١) أى: بصيغة التكلم.

(٢) الأنعام: ٩٤.

(٣) فى «ك» كأنها: يتشاورون.

﴿إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾

لبثوا إلا هذا القدر، وقال بعضهم: إن الله تعالى يرفع العذاب عنهم بين النفختين فيستريحون، فقولهم: ﴿إن لبثتم إلا عشرًا﴾ راجع إلى هذا.

قوله تعالى: ﴿نحن أعلم بما يقولون﴾ معناه: أني عالم بقولهم وإن خافتوا.

وقوله: ﴿إذ يقول أمثلهم طريقة﴾ تقول العرب: فلان أمثل قومه أي: أعدل قومه، ومعنى الآية هاهنا: أعقلهم وخيرهم[1] طريقة في نفسه.

وقوله: ﴿إن لبثتم إلا يومًا﴾ أي: ما لبثتم إلا يومًا.

قوله تعالى: ﴿ويسألونك عن الجبال﴾ قال الحسن البصري: سأل المشركون رسول الله ﷺ ما يفعل الله بهذه الجبال يوم القيامة؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقوله: ﴿فقل ينسفها ربي نسفًا﴾ النسف هو القلع من الأصل، ومعنى النسف في الآية: هو تسيير الجبال أو جعلها هباءً جعلها رملا سائلا.

وقوله: ﴿فيذرها قاعًا صفصفًا﴾ أي: يذر أماكن الجبال قاعًا صفصفا، والقاع هو المكان الواسع المستوي، والصفصف هو الأملس الذي لانبات فيه.

وقوله: ﴿لاترى فيها عوجًا ولا أمتًا﴾ أي: حدبًا ونبكًا، ومعناه: انخفاضًا وارتفاعًا.

قوله تعالى: ﴿يومئذ يتبعون الداعي﴾ قال أهل التفسير: الداعي ها هنا هو إسرافيل يضع الصور في فيه، ويقول: أيتها العظام البالية، والجلود المتمزقة، واللحوم المتفرقة، هلموا إلى عرض الرحمن، أو لفظ هذا معناه.

وقوله: ﴿لاعوج له﴾ أي: لايزيغون يمينًا ولاشمالا، وقيل: لايمكنهم ألا يتبعوه.

وقوله: ﴿وخشعت الأصوات للرحمن﴾ أي: سكنت وخضعت، وقال قتادة:

---

(١) في «ك»: غيرهم بالغين المعجمة.

جنة السنة

﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ

ذلت. قال الشاعر:

(فما)(١) أتى خبر الزبير تصدعت ... سور المدينة والجبال الخشع

وقوله: ﴿فلا تسمع إلا همسًا﴾ الهمس هو الصوت الخفى، ويقال: صوت وطء الأقدام كهمس الإبل، قال الشاعر:

فباتوا يذبحون وبات يسرى ... بصير بالدجى هارِ(٢) هموس

قوله تعالى: ﴿يومئذ لاتنفع الشفاعة﴾ أى: لاتنفع الشفاعة لأحد.

وقوله: ﴿إلا من أذن له الرحمن﴾ أى: إلا لمن أذن الرحمن فى الشفاعة له.

وقوله: ﴿ورضى له قولا﴾ أى: قول لا إله إلا الله، وهو القول المرضى عند الله.

قوله تعالى: ﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾ أى: يعلم ما بين أيديهم من الآخرة، وما خلفهم من الأعمال، ويقال: يعلم ما بين أيديهم أى: (لم يخلقهم وهو يريد أن يخلقهم)(٣).

وقوله: ﴿وما خلفهم﴾ أى: الذين خلفهم من قبلهم فخلفوهم.

وقوله: ﴿ولايحيطون به علمًا﴾ أى: لايحيطون بالله علمًا، والله يحيط بالأشياء، ولايحاط به؛ لأن الإحاطة بالشىء هى العلم بالشىء من كل جهة يجوز أن يعلم، والله تعالى لايقدر قدره، ولايبلغ كنه عظمته، وأما سائر الأشياء فإن الله يعلم كل شىء بكل جهة يجوز أن تعلم.

قوله تعالى: ﴿وعنت الوجوه للحى القيوم﴾ أى: ذلت الوجوه، وقال طلق بن أبى حبيب: خرت الوجوه للسجود.

وقوله: ﴿للحى القيوم﴾ هو الدائم الذى لم يزل، والقيوم هو القائم بتدبير الخلق،

---

(١) كذا، ولعل الصواب: لما أو فلما.

(٢) فى «ك»: ها هموس.

(٣) كذا.

وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخَافُ ظُلْمًا وَلا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن

والقائم على كل نفس بما كسبت.

وقوله: ﴿وقد خاب من حمل ظلمًا﴾ أى: هلك من حمل شركًا، وحمل الشرك هو نفس الإشراك.

قوله تعالى: ﴿ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن﴾ ظاهر المعنى.

وقوله: ﴿فلا يخاف ظلمًا ولا هضمًا﴾ قوله: ﴿ظلمًا﴾ أى: يحمل عليه ذنب غيره. ﴿ولاهضمًا﴾ أى: لايخاف أن ينقص من حقه، وقيل: ظلمًا أى: لايقبل طاعته، و ﴿هضمًا﴾ أى: ينقص من ثوابه.

قوله تعالى: ﴿وكذلك أنزلناه قرآنًا عربيًا﴾ أى: بلسان العرب.

وقوله: ﴿وصرفنا فيه من الوعيد﴾ أى: صرفنا القول فيه بذكر الوعيد. قال قتادة: هو ذكر وقائع الله فى الأمم الخالية.

وقوله: ﴿لعلهم يتقون﴾ أى: يتقون الشرك والمعاصى.

وقوله: ﴿أو يحدث لهم ذكرًا﴾ أى: يحدث لهم القرآن اعتبارًا؛ فيعتبرون به، وقال بعضهم: يحدث لهم الوعيد ذكر العذاب؛ فينزجرون عن المعاصى. وقال بعضهم: أو يحدث لهم ذكرًا أى: شرفًا لإيمانهم به.

قوله تعالى: ﴿فتعالى الله الملك الحق﴾ ارتفع الملك الحق ذو الحق.

وقوله: ﴿ولاتعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه﴾ فيه أقوال: المشهور ما ذكره ابن عباس وغيره، أن النبى ﷺ كان إذا نزل عليه جبريل بالقرآن، تلا أول الآية قبل أن يفرغ جبريل من الإبلاغ مخافة التفلت منه والنسيان؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية»[(١)] ومعناها: لاتعجل بقراءة القرآن قبل أن يفرغ جبريل من الإبلاغ. والقول

(١) متفق عليه من حديث ابن عباس مرفوعًا بنحوه. رواه البخارى (١/ ٣٩ رقم ٥ وأطرافه فى ٤٩٢٧، ٤٩٢٨، ٤٩٢٩، ٥٠٤٤، ٧٥٢٤)، ومسلم (٤/ ٢١٨-٢٢٠رقم٤٤٨) إلا أنهما ذكرا الآية التى فى سورة القيامة: ١٦، وهى قوله تعالى: ﴿لاتحرك به لسانك لتعجل به..﴾.

جنة السنة

﴿قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾

الثاني: معناها: ولاتطلب الإنزال من الله تعالى، واصبر حتى يأتيك جبريل بما ينزله الله تعالى. والقول الثالث: معناها: ولا تبين للناس ما لم يصل إليك تأويله، ومعناه: ولاتبين من قبل نفسك. والقول الأول هو المعروف.

وقوله: ﴿وقل رب زدنى علمًا﴾ أى: علمًا إلى ما علمت، فكان ابن مسعود إذا قرأ هذه الآية قال: اللهم زدنى إيمانًا ويقينًا. وعن مالك بن أنس قال: من شأن ابن آدم ألا يعلم كل شيء، ومن شأن ابن آدم أن يعلم ثم ينسى، ومن شأن ابن آدم أن يطلب من الله علمًا إلى علمه.

قوله تعالى: ﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل﴾ العهد ها هنا هو الأمر.

وقوله: ﴿فنسى﴾ معناه: فترك، وعن ابن عباس: أن الإنسان سمى إنسانًا؛ لأنه ينسى.

وقوله: ﴿ولم نجد له عزمًا﴾ معناه: صبرًا، وقيل: حزمًا، وقال عطية: حفظًا لما أمر به والعزم هو توطين النفس على الفعل.

وعن الحسن البصرى قال: لو قوبل عقل آدم بعقل جميع ولده لرجحهم، وقد قال الله تعالى: ﴿ولم نجد له عزمًا﴾. وعن أبى أمامة الباهلى قال: لو وزن حلم آدم بحلم جميع ولده لرجح حلمه، وقد قال الله تعالى: ﴿ولم نجد له عزمًا﴾ فإن قيل: أتقولون أن آدم – عليه السلام – كان ناسيا لأمر الله تعالى حين أكل من الشجرة؟ قلنا: يجوز أنه نسى، ومنهم من قال: نسى عقوبة الله تعالى، وظن أنه نهى تنزيه، لانهى تحريم، ومنهم من قال: ظن أنه إنما نهى عن شجرة بعينها، ولم ينه عن جنس الشجرة.

قوله تعالى: ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى﴾ ظاهر المعنى.

أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ

وقوله: ﴿فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى﴾ أى: تتعب وتنصب. وقال السدى: بالحرث والحصد والطحن والخبز. وعن سعيد بن جبير: أن الله تعالى أنزل عليه ثوراً أحمراً، فجعل يحرث، ويرشح العرق عن جبينه، فذلك شقاؤه. وروى عن سعيد أنه قال: جعل آدم يسوق الثور، وقد تعب، وعرق، فقال: ياحواء، هذا من قبلك، فبقى ذلك فى ولده إلى يوم القيامة، فيقولون عند الحراثة: حَوْحَوْ. ذكره ابن فارس فى تفسيره.

قال أبو الحسين بن فارس فى تفسيره. وعليه الخبر المعروف برواية أبى هريرة – رضى الله عنه –، عن النبى ﷺ قال: «لقى آدمَ موسى – صلوات الله عليهما – فقال: يا آدم، أنت الذى أشقيتنا، وأخرجتنا من الجنة، فقال له آدم: ياموسى، أتلومنى على أمر قدره الله علىَّ قبل أن أخلق.. الخبر بطوله. إلى أن قال ﷺ: فحج آدم موسى ثلاثًا»(١). وفى بعض الحديث: أن الله تعالى لما أهبط آدم إلى الأرض قال: «لأطعمنك حتى يعرق جبينك، ويتعب بدنك، فهو معنى قوله: ﴿فتشقى﴾. فإن قال قائل: كيف لم يقل: فتشقيا، وقد قال من قبل: ﴿فلا يخرجنكما﴾؟

والجواب من وجهين: أحدهما: أن معناه: فتشقيا، ولكنه اكتفى بذكر أحدهما عن الآخر، ونظير هذا قوله تعالى: ﴿عن اليمين وعن الشمال قعيد﴾(٢) أى: قعيدان.

والآخر: أنه قال: ﴿فتشقى﴾؛ لأنه هو الكاد والساعى على المرأة، فالتعب عليه.

قوله تعالى: ﴿إن لك ألا تجوع فيها ولاتعرى﴾ ظاهر المعنى.

وقوله: ﴿وأنك لاتظمأ فيها ولا تضحى﴾. أى: لاتعطش، ولا يصيبك أذى

(١) متفق عليه من حديث أبى هريرة، رواه البخارى (٨/ ٢٨٨ رقم٤٧٣٦ وطرفه ٤٧٣٨))، ومسلم (١٦/ ٣٠٦ – ٣١٠ رقم: ٢٦٥٢).
(٢) ق: ١٧.

﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١١٩﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾

الشمس. فإن قيل: ليست فى الجنة شمس، فكيف يستقيم هذا الكلام؟ والجواب: أنه مستقيم؛ لأن أهل الجنة فى ظل ممدود، فلا يصيبهم أذى الشمس مثل ما يصيبهم فى الدنيا، وقيل معناه: لايصيبك حرٌّ يؤذيك، ولاتضحى: لا تعرق، والعرب تقول: أضحى فلان إذا بدر للشمس. وفى بعض الآثار: اضح لمن أخذمت له. وقال عمر بن أبى ربيعة المخزومى أبو الخطاب - وولد ليلة مات عمر - رضى الله عنه -:

رَأَتْ رجلا أَمَّا إذا الشمسُ عَارَضَتْ فَيَضْحَى وأمَّـا بالعَشِيِّ فَيَخْصَرُ

قوله تعالى: ﴿فوسوس إليه الشيطان قال ياآدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لايبلى﴾ أى: لايخلَق ولايفنى، وقد بينا معنى [شجرة](١) الخلد من قبل.

قوله تعالى: ﴿فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما﴾ أى: عوراتهما. وقال بعض أهل المعانى: بدت عورتهما لهما دون غيرهما؛ لأن الله تعالى قال: ﴿فبدت لهما سوءاتهما﴾.

وقوله: ﴿وطفقا يخصفان﴾ أى: طلبا. يقال: طفق يفعل كذا، إذا جعل يفعله.

وقوله: ﴿يخصفان﴾ أى: يلصقان الورق بالورق للباسهما.

وقوله: ﴿عليهما من ورق الجنة﴾ أى: للباسهما.

وقوله: ﴿وعصى آدم ربه﴾ قال ابن قتيبة: يجوز أن يقال: عصى آدم، ولكن لايقال: آدم عاصٍ؛ لأنه إنما يقال: عاصٍ إذا اعتاد فعل المعصية؛ وهذا كالرجل يخيط ثوبه، يقال: خاط ثوبه، ولايقال: خياط إلا إذا اعتاد الخياطة.

وأما قوله: ﴿فغوى﴾ معناه: ضل وخاب، والضلال هاهنا بمعنى: أخطأ طريق الحق، والخيبة: فوات ماطمع فيه من الخلود.

(١) فى «الأصل»: الشجرة، والمثبت من «ك».

ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا

وقال ابن الأعرابى : غوى أى : فسد عيشه، وصار من العز إلى الذل، ومن الراحة إلى التعب.

قولة تعالى : ﴿ ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ﴾ أى : اختاره ربه وتاب عليه، أى : قبل توبته. وهدى أى : أرشده إلى الإنابة.

قوله تعالى : ﴿ قال اهبطا منها جميعًا بعضكم لبعض عدو ﴾ وقد بينا من قبل.

وقوله : ﴿ فإما يأتينكم منى هدى ﴾ أى : بيان.

وقوله : ﴿ فمن اتبع هداى فلا يضل ولايشقى ﴾ أى : لايضل فى الدنيا، ولايشقى فى الآخرة. وعن الشعبى أنه قال : أجار الله تعالى من تبع القرآن، وعمل بما فيه أن يضل أو يشقى، ثم تلا هذه الآيه.

قوله تعالى : ﴿ ومن أعرض عن ذكرى ﴾ أى : عن وَحْيى.

وقوله : ﴿ فإن له معيشة ضنكًا ﴾ فيه أقوال :

روى عن ابن مسعود وأبى هريرة وأبى سعيد الخدرى أنهم قالوا : عذاب القبر. قال أبو سعيد الخدرى - رضى الله عنه - : يضغط حتى تختلف أضلاعه. وفى بعض المسانيد هذا عن النبى ﷺ، ولفظه : «يلتئم عليه القبر، حتى تختلف أضلاعه، ولايزال كذلك حتى يبعث». قاله ﷺ فى هذه الآية(١).

والقول الثانى : قال الضحاك : هو أكل الحرام، وقال بعضهم : هو أن يكسب دون مايكفيه، والضنك هو الضيق، وقال الحسن : معيشة ضنكًا : عذاب جهنم، وقال

(١) رواه الحاكم (٢/ ٣٨١) وقال : صحيح على شرط مسلم، وعزاه السيوطى فى الدر (٤/ ٣٤١) لعبد الرزاق وسعيد بن منصور ومسدد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه والبيهقى فى عذاب القبر، عن أبى سعيد الخدرى مرفوعًا. ورواه ابن جرير (١٦/ ١٦٤ - ١٦٥) عن أبى سعيد موقوفًا. وقال الحافظ ابن كثير فى تفسيره (٣/ ١٦٩) بعد ما أورده من طريق ابن أبى حاتم : والموقوف أصح. ورواه البزار من حديث أبى هريرة مرفوعًا، وقال الحافظ ابن كثير فى تفسيره ٣/ ١٦٩ : وإسناده جيد.

وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا
﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي
مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ

بعضهم: هو الضريع، والزقوم (فى النار)(١).

وقوله: ﴿ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ فقال: أعمى عن الحجة، ويقال: أعمى العين، وقد بينا أنه روى عن ابن عباس أنه قال: يحشرهم بصيراً(٢) ثم يعمى، وقيل: أعمى عن الحق، وقيل: أعمى عن كل شئ إلا عن عذاب جهنم.

قوله تعالى: ﴿قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيراً﴾ معناه: ولم حشرتنى أعمى عن الحجة، وقد كنت بصيراً بالحجة؟ وقيل: أعمى العين، وقد كنت بصير العين.

قوله تعالى: ﴿قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها﴾. أى: تركتها.

وقوله: ﴿وكذلك اليوم تنسى﴾ أى: تترك. قال قتادة: نسوا من الخير، ولم ينسوا من العذاب.

قوله تعالى: ﴿وكذلك نجزى من أسرف﴾ أى: من أشرك.

وقوله تعالى: ﴿ولم يؤمن بآيات ربه﴾ ظاهر المعنى.

وقوله: ﴿ولعذاب الآخرة أشد وأبقى﴾. أى: أعظم وأدوم.

قوله تعالى: ﴿أفلم يهد لهم﴾ وقرئ: «نهد» بالنون، فقوله: ﴿يهد﴾ بالياء أى: يهدى القرآن، ومعنى نهدى: نبيّن، وقوله: «نهدى» أى: نبين نحن، وصلته باللام دليل على أنه بمعنى التبين.

وقوله: ﴿كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم﴾ قال أهل التفسير:

(١) سقط من «ك».

(٢) فى «ك»: بصرا.

جنة السنة

كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ

هذا الخطاب لقريش، وقد كانوا يسافرون إلى الشام، فيرون ديار المهلكين من أصحاب الحجر وثمود وقريات لوط.

وقوله: ﴿إن فى ذلك لآيات﴾ أى: لدلالات وعبراً.

وقوله: ﴿لأولى النهى﴾ أى: لأولى العقول، يقال: فلان ذو نهية أى: ذو عقل.

قوله تعالى: ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ فيه تقديم وتأخير، ومعناه: ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى ﴿لكان لزامًا﴾ أى: العذاب لزامًا، والكلمة هى الحكم بتأخير العذاب، والأجل المسمى هو وعد القيامة، قال الله تعالى: ﴿بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر﴾(١)

وقوله تعالى: ﴿لزامًا﴾ أى: العذاب لايفارقهم.

قوله تعالى: ﴿فاصبر على مايقولون وسبح بحمد ربك﴾ أى: صَلِّ بأمر ربك.

وقوله: ﴿قبل طلوع الشمس﴾ هو الفجر. ﴿وقبل غروبها﴾ هو العصر ﴿ومن آناء الليل﴾ المغرب والعشاء. والآناء جمع إِنْى،والإِنْى: الساعة.

وقوله: ﴿وأطراف النهار﴾ هو الظهر. فإن قيل: كيف سمى أطراف النهار؟ قلنا: لأنه طرف النصف الأول انتهاء، وطرف النصف الثانى ابتداء، وهذا قول قتادة وأكثر المفسرين. وقال بعضهم: أطراف النهار: ساعات النهار للتطوع، وعلى هذا قوله: قبل غروب الشمس دخل فيه الظهر والعصر، وقال بعضهم: أطراف النهار المراد منه الصبح والعصر، وهو مذكور لتأكيد ماسبق. وقد ثبت برواية جرير بن عبد الله البجلى قال: «كنا جلوسًا مع النبى ﷺ، فنظر إلى القمر ليلة البدر، فقال: «إنكم سترون ربكم مثل هذا، وأشار إلى القمر، لاتضامون فى رؤيته، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة

(١) القمر: ٤٦.

جنة السنة

وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ

قبل غروب الشمس، وقبل طلوعها فافعلوا، ثم قرأ هذه الآية: ﴿فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها﴾». قال الشيخ الإمام: أخبرنا بهذا المكى بن عبد الرزاق، قال: أخبرنا جدى أبو الهيثم، قال: حدثنا الفربرى، قال: نا البخارى رضى الله عنه، قال: نا اسحاق بن إبراهيم، عن جرير بن عبد الحميد الضبى، عن إسماعيل بن أبى خالد، عن قيس بن أبى حازم عن جرير ..... الحديث(١).

قوله: ﴿لعلك ترضى﴾ أى: لعلك ترضى ثوابه، وقرئ: «لعلك تُرضَى» على مالم يسم فاعله، أى: تُعطَى ثوابه .

قوله تعالى: ﴿ولاتمدن عينيك إلى مامتعنا به أزواجاً منهم﴾ روى عن أبى رافع «أن النبى ﷺ نزل به ضيف، ولم يكن عنده شئ، فبعث إلى يهودى يستقرض منه طعامًا، فأبى إلا برهن، فرهن منه درعه وحزن منه، فأنزل الله تعالى هذه الآية»(٢).

وقوله: ﴿أزواجًا منهم﴾ أى: رجالا، وقيل: أضيافًا منهم .

وقوله: ﴿زهرة الحياة الدينا﴾. (زينة الحياة الدنيا، وقيل: زهرة الحياة الدنيا)(٣) بهجتها وحسنها، وماتروق الناظر منهما .

وقوله: ﴿لنفتنهم فيه﴾ أى: نوقعهم فى الفتنة بسببه .

وقوله: ﴿ورزق ربك خير وأبقى﴾ أى: خير لك فى الآخرة ، وأبقى بركة فى الدنيا.

وروى عن أبى بن كعب أنه قال: من لم يتعز بعز الله تعالى تقطعت نفسه حسرات، ومن يتبع بصره مافى أيدى الناس يطل حزنه، ومن ظن ان نعمة الله تعالى

---

(١) متفق عليه. رواه البخارى (٢/ ٤٠ رقم ٥٥٤، وأطرافه فى،٥٧٣، ٤٨٥١، ٤٧٣٤، ٤٧٣٥، ٤٧٣٦)، ومسلم (٥/ ١٨٧ - ١٨٨، رقم: ٦٣٣).

(٢) تقدم تخريجه فى تفسير فى سورة الحجر: ٨٨.

(٣) ساقط من «ك».

وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا لَوْلا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ

فى مطعمه ومشربه وملبسه، فقد قل عمله وحضر عذابه.

وعن يزيد بن ميسرة، أنه قال: كانوا يسمون الدنيا: خنزيرة، ولو علموا اسمًا أسوء منه لسموها به، فكانت إذا أقبلت على أحدهم، قال: إليك ياخنزيرة.

قوله تعالى: ﴿ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ﴾ فى قوله: ﴿ أهلك ﴾ قولان: أحدهما: أهل دينك، والآخر: قرابتك وقومك.

وفى بعض المسانيد عن سلمان الفارسى رضى الله عنه أن النبى ﷺ كان إذا أصاب أهله خير أمرهم بالصلاة، وتلا هذه الآية ﴿ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ﴾(١)

وقوله: ﴿ لانسألك رزقًا ﴾ أي: لانسألك أن ترزق أحدا من خلقى، ولا أن ترزق نفسك، وقيل: ثوابًا.

وقوله: ﴿ نحن نرزقك ﴾. أى: نوصل إليك رزقك، وقيل: ننشئك.

وقوله: ﴿ والعاقبة للتقوى ﴾ أى: (لأهل)(٢) التقوى.

قوله تعالى: ﴿ وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه ﴾ أى: الآية المُقتَرحَة، فإنه كان قد أتاهم بآيات كثيرة.

وقوله: ﴿ أو لم تأتهم بينة مافى الصحف الأولى ﴾ أى: بيان مافى الصحف الأولى من أنباء الأمم، فإنهم اقترحوا الآيات، فأعطوا ولم يؤمنوا، فأهلكهم الله تعالى، ولو أعطينا هؤلاء أيضًا، ولم يؤمنوا ألحقنا إهلاكهم.

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط - كما فى مجمع البحرين (٦/ ٥٤ - ٥٥ رقم ٣٣٦٦) - وأبو نعيم فى الحلية (٨/ ١٧٦) من حديث عبد الله بن سلام مرفوعا به. وقال الهيثمى فى المجمع (٧/ ٧٠): رواه الطبرانى فى الأوسط ورجاله ثقات. وعزاه السيوطى فى الدر (٤/ ٣٤٤) لأبى عبيد وسعيد بن منصور وابن المنذر والبيهقى فى الشعب بسند صحيح عن عبد الله بن سلام، ولم أجده عن سلمان.

(٢) فى «ك»: أهل.

جنة السنة

مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾

قوله تعالى: ﴿ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله﴾ أى: من قبل إرسال الرسل وإنزال القرآن .

قوله: ﴿لقالوا لولا أرسلت إلينا رسولا﴾ أى: لقالوا يوم القيامة .

وقوله: ﴿فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى﴾ أى: نذل فى الدنيا، ونخزى فى الآخرة. والذل: الهوان، والخزى: الافتضاح.

قوله تعالى: ﴿قل كل متربص﴾ روى أن المشركين قالوا: نتربص بمحمد حوادث الدهر، فإذا مات تخلصنا، فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿قل كل متربص﴾ أى: منتظر.

وقوله: ﴿فتربصوا﴾ أى: فانتظروا.

وقوله: ﴿فستعلمون من أصحاب الصراط السوى﴾ فى الشاذ: «من أصحاب الصراط السُّوى» على وزن فُعْلَى، والمعروف: «السوى». ومعنى الصراط السوى: الدين القويم .

وقوله ﴿ومن اهتدى﴾ أى: من هدى ورشد، والمهتدون نحن أم أنتم؟

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم

تفسير سورة الأنبياء

وهى مكية، قال ابن مسعود: سورة بنى اسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء من العتاق الأول، وهنَّ من تلادى.

قوله تعالى: ﴿ اقترب للناس حسابهم ﴾ قوله: ﴿ اقترب ﴾: افتعل، من القرب. وقوله: ﴿ للناس حسابهم ﴾ أى: وقت حسابهم، وقيل: عذابهم، وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «من نوقش فى الحساب عذب»[1]. والآية فى المشركين دون المؤمنين، وهذا قوله بعضهم. وإنما سمى الساعة قريبة؛ لأنها كائنة لامحالة، وكل ماهو كائن لامحالة فهو قريب، وأيضًا فإن مابقى من الدنيا فى جنب مامضى (قليل)[2]، فسمى الساعة قريبة؛ على هذا المعنى، وقد روى أنه لما نزلت هذه الآية ارتدع المشركون عن بعض ماهم عليه، ثم لما لم يروا للقيامة أثرًا انهمكوا فيما كانوا، وهكذا روى أيضًا فى قوله تعالى: ﴿ أتى أمر الله ﴾[3]، والله أعلم.

وقوله: ﴿ وهم فى غفلة معرضون ﴾ أى: هم غافلون معرضون، وقيل: فى اشتغال بالباطل عن الحق، ويقال: وهم فى غفلة عما يُرادُ بهم وأريدوا به.

قوله تعالى: ﴿ مايأتيهم من ذكر من ربهم محدث ﴾ استدل المعتزلة بهذا على أن القرآن مخلوق، وقالوا: كل محدث مخلوق، والجواب عنه: أن معنى قوله: ﴿ محدث ﴾ أى: محدث تنزيله، ذكره الأزهرى وغيره، ويقال: أنزل فى زمان بعد زمان، قال الحسن البصرى: كلما جدد لهم ذكرًا استمروا على جهلهم، وذكر النقاش فى تفسيره: أن الذكر المحدث هاهنا ماذكره النبى ﷺ، وبيَّنه من السنن والمواعظ

(١) تقدم تخريجه فى سورة الرعد.

(٢) فى «ك»: قريب.

(٣) النحل: ١.

جنة السنة

مُّحْدَثٍ إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ

والدلائل سوى مافى القرآن، وأضافه إلى الرب؛ لأنه قاله بأمر الرب تعالى.

وقوله: ﴿إلا استمعوه وهم يلعبون﴾ أى: استمعوه لاعبين

قوله تعالى: ﴿لاهية قلوبهم﴾ أى: غافلة، وقيل: مشتغلة بالباطل عن الحق. قال امرؤ القيس:

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع ... فألهيتها عن ذى تمائم محول

أى: شغلتها.

وقوله ﴿وأسروا النجوى﴾ فيه قولان: أحدهما: وأخفوا النجوى، والآخر: وأظهروا النجوى، والعرب تقول: أسرَّ إذا أخفى، وأسر إذا أظهر، وقال بعض أهل اللغة: أسر إذا أخفى بالسين غير المعجمة، وأشر إذا أظهر بالشين المعجمة. قال الشاعر:

ولما رأى الحجاج جرد سيفه ... (أسر)[1] الحرورى الذى كان أضمرا

وقوله: ﴿الذين ظلموا﴾ أى: أشركوا.

وقوله: ﴿هل هذا إلا بشر مثلكم﴾ أنكروا إرسال البشر، وطلبوا إرسال الملائكة.

وقوله: ﴿أفتاتون السحر﴾ أى: تحضرون السحر وتقبلونه.

وقوله: ﴿وأنتم تبصرون﴾ أى: تعلمون أنه سحر.

قوله تعالى: ﴿قال ربى يعلم القول فى السماء والأرض﴾ يعنى: القول يسرُ به، ويجهر به فى السماء والأرض.

وقوله: ﴿وهو السميع العليم﴾ ظاهر المعنى.

---

(١) فى «ك»: أشر.

﴿وَالأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ④ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ ⑤ مَا آمَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ⑥ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ⑦ وَمَا﴾

قوله تعالى: ﴿بل قالوا أضغاث أحلام﴾ أى: تهاويل أحلام، ويقال: أخلاط أحلام، ويقال: ما لا تأويل له ولا تفسير.

قال الشاعر:

أحاديث [طسم][1] أو سراب بقيعة ... ترقرق للسارى وأضغاث حالم

وقوله: ﴿بل افتراه﴾ أى: اختلقه.

وقوله: ﴿بل هو شاعر﴾ أى: مثل أمية بن الصلت ومن أشبه، والمراد من الآية: بيان تناقضهم فى قولهم، وأنهم غير مستقرين على شىء واحد.

وقوله: ﴿فليأتنا بآية كما أرسل الأولون﴾ بالآيات، وطلبوا[2] آية مثل الناقة أو عصا موسى، ويد موسى، ومماأشبه ذلك، وقد كان الله تعالى بين الآيات سوى ماطلبوا.

قوله تعالى: ﴿ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها﴾ معناه: ما آمنت[3] قبلهم من أهل قرية طلبوا آية فأعطوا، أى: أعطيناهم الآية، ولم يؤمنوا. وقوله: ﴿أهلكناها﴾ أى: حكمنا بهلاكها.

وقوله: ﴿أفهم يؤمنون﴾ معناه: كما لم يؤمن أولئك، فلا يؤمن هؤلاء.

قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحى إليهم﴾ يعنى: أنَّا لم نرسل الملائكة قبلك إلى الأولين، فنرسل ملكًا إلى قومك.

وقوله: ﴿فاسألوا أهل الذكر﴾ الأكثرون على أن المراد بأهل الذكر مؤمنو أهل

(١) فى «الأصل وك»: فليتم، والمثبت من تفسير القرطبى (١١/ ٢٧٠).
(٢) فى «ك»: فطلبوا.
(٣) فى «ك»: مالبثت.

جعلناهم جسدًا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين ﴿٨﴾ ثم صدقناهم الوعد فأنجيناهم
ومن نشاء وأهلكنا المسرفين ﴿٩﴾ لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون
﴿١٠﴾ وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قومًا آخرين ﴿١١﴾ فلما أحسوا

الكتاب، وعن على - رضى الله عنه - أنهم علماء هذه الأمة.

وقوله: ﴿إن كنتم لاتعلمون﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿وما جعلناهم جسدًا﴾ أى: ذوى أجساد.

وقوله: ﴿لايأكلون الطعام﴾ معلوم. وقوله: ﴿وماكانوا خالدين﴾ أى: فى الدنيا، وهذا رد لقولهم: ﴿وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام...﴾(١) الآية.

قوله تعالى: ﴿ثم صدقناهم الوعد﴾ معناه: صدقناهم الوعد فى العقاب والثواب.

وقوله: ﴿فأنجيناهم ومن نشاء وأهلكنا المسرفين﴾ أى: أنجينا المؤمنين، وأهلكنا المكذبين، وكل مكذب مشرك مسرف على نفسه، والسرف: مجاوزة الحد.

وقوله تعالى: ﴿لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم﴾ فيه أقوال: أحدها: ذكركم أى: حديثكم، وقيل ذكركم أى: ذكركم ماتحتاجون إليه من دينكم، وقال مجاهد: ذكركم أى: شرفكم، وهو شرف لمن يؤمن به، لا لمن يكفر به.

وقوله: ﴿أفلا تعقلون﴾ أى: أفلا تعتبرون.

قوله تعالى: ﴿وكم قصمنا﴾ القصم: الكسر، والفصم - بالفاء - الصدع، وفى الخبر: «يرفع أهل الدرجات العلا إلى غرفة من دُرٍّ ليس فيها قصم ولافصم».

وقوله: ﴿من قرية كانت ظالمة﴾ أى: ظلم أهلها.

وقوله: ﴿وأنشأنا بعدها قومًا آخرين﴾ أى: فريقًا آخرين.

وقوله تعالى: ﴿فلما أحسوا بأسنا﴾ أى: (وجدوا عذابنا)(٢)، وقيل: وصل إليهم

---

(١) الفرقان: ٧.

(٢) فى «ك»: «وجدوا بأسنا أى عذابنا».

بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ
لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ

عذابنا.

وقوله: ﴿إذا هم منها يركضون﴾ أى: يهربون ركضًا، يقال: ركض الدابة إذا أسرع في سيرها.

قوله تعالى: ﴿لاتركضوا﴾ أى: لاتهربوا.

وقوله: ﴿وارجعوا إلى ماأترفتم فيه﴾ أى: نُعمتم فيه، والمترف: المنعم، وقيل: إلى دنياكم ﴿ومساكنكم﴾ التى نعمتم فيها. قال أكثر أهل التفسير: هذه الآيات نزلت فى أهل مدينة كفروا، فسلط الله عليهم بعض الجبابرة - وقيل: كان بختنصر - فلما أصابهم عذاب السيف هربوا، فقال لهم الملائكة، والسيوف قد أخذتهم: لا تهربوا، وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم. ﴿لعكم تسألون﴾ من دنياكم، فتعطون من شئتم، وتمنعون من شئتم، قالوا هذا لهم استهزاء، وقد قيل: هذا فى أهل مدينة أصابهم عذاب من السماء، فخرجوا هاربين، وقال لهم الملائكة هذا القول، ويقال فى قوله: ﴿لعلكم تُسألون﴾ أى: تسألون لم تركتم ما يصلح دينكم وأمر آخرتكم، واشتغلتم بما يوجب العذاب عليكم؟ ويقال: لعلكم تسألون عما عاينتم من العذاب، قالت الملائكة هذا توبيخًا لهم.

قوله تعالى: ﴿قالوا ياويلنا إنا كنا ظالمين﴾ الويل: دعاء الهلاك.

وقوله: ﴿ظالمين﴾ أى: ظالمين لأنفسنا.

قوله تعالى: ﴿فما زالت تلك دعواهم﴾ أى: دعاؤهم وقولهم.

وقوله: ﴿حتى جعلناهم حصيداً خامدين﴾ الحصيد: هو المستأصل.

وقوله: ﴿خامدين﴾ أى: ميتين، ومعنى الآية: جعلناهم كأن لم يكونوا.

قوله سبحانه وتعالى: ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين﴾ أى:

جَعلْناهُمْ حَصيداً خَامدين ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعبينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخذَ لَهْواً لاَّتَّخَذْنَاهُ من لَّدُنَّا إن كُنَّا فَاعلينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذفُ بالْحَقّ عَلَى الْبَاطل فَيَدْمَغُهُ فَإذَا هُوَ زَاهقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ ممَّا تَصفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُ مَن في السَّمَوَات وَالأَرْض

للّعب.

قوله تعالى: ﴿لو أردنا أن نتخذ لهواً﴾ اختلفوا فى اللهو ها هنا على قولين: أحدهما: أن اللهو هو المرأة، والآخر: أن اللهو هو الولد، وهو فى المرأة أظهر؛ فإن الوطء يسمى لهواً فى اللغة، و المرأة محل الوطء، قال الشاعر:

ألا زَعمتْ بَسْبَاسَة اليوم أنني … كبرتُ وألا يحسن اللهو أمثالى

وعن بعضهم: أن اللهو هو الغناء، وهو ضعيف فى هذا الموضع.

وقوله: ﴿لاتخذناه من لدنا﴾ أى: لاتخذناه من عندنا لا من عندكم، ويقال: اتخذناه بحيث لاترون.

وقوله: ﴿إن كنا فاعلين﴾ أى: ما كنا فاعلين، ويقال: إن كنا فاعلين، ولم نفعله؛ لأنه لايليق بنا.

قوله سبحانه وتعالى: ﴿بل نقذف بالحق على الباطل﴾ الحق ها هنا: قول الله تعالى: «إنه لا ولد له» والباطل قولهم: إن الله اتخذ ولداً، ويقال: إن الحق هو القرآن، والباطل هو الشيطان.

وقوله: ﴿نقذف﴾ أى: نلقى.

وقوله: ﴿فيدمغه﴾ أى: يزيله، يقال: دمغت فلاناً إذا كسرت دماغه وقتلته.

وقوله: ﴿فإذا هو زاهق﴾ أى: ذاهب، وهذا من حيث بيان الدليل والحجة، لا من حيث إزالة الكفر أصلا، فإن الكفر والباطل فى العالم كثير.

وقوله: ﴿ولكم الويل مما تصفون﴾ قال قتادة: مما تكذبون، وقال الحسن: هو لكل واصف كذبا إلى يوم القيامة.

جنة السنة

وَمَنْ عِندَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ الأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ

قوله تعالى: ﴿وله من فى السموات والأرض﴾ أى: من فى السموات والأرض عبيداً وملكا.

وقوله: ﴿ومن عنده﴾ أى: الملائكة.

وقوله: ﴿لايستكبرون عن عبادته﴾. أى: لايتعظمون عن عبادته، وذكر ابن فارس فى تفسيره فى خبر: أن الله تعالى لما استوى على عرشه، سجد ملك فلا يرفع رأسه من السجود إلى يوم القيامة، فإذا رفع رأسه يوم القيامة قال: سبحانك، ما عبدتك حق عبادتك غير أنى لم أشرك بك، ولم أتخذ لك نداً.

وقوله: ﴿ولايستحسرون﴾ أى: لايَعْيَوْنَ، يقال: دابة حسيرة إذا كانت عيية، قال كعب الأحبار: التسبيح لهم كالتنفس لبنى آدم.

قوله تعالى: ﴿يسبحون الليل والنهار لايفترون﴾ يعنى: يسبحون دائماً، لايضعفون ولايفنون، واعلم أنه ليس عند الملائكة ليل ولا نهار؛ وإنما المراد بذكر الليل والنهار ها هنا: هو الدوام على التسبيح.

قوله تعالى: ﴿أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون﴾ معنى قوله: ﴿من الأرض﴾ أى: من الخشب والحجارة، (وقد كانت عامة أصنام المشركين من الخشب والحجارة)[1]، وهما من الأرض.

وقوله: ﴿هم يُنْشِرون﴾ أى: يحيون، ولا يستحق الإلهية إلا من يقدر على الإحياء والإيجاد من العدم؛ لأنه الإنعام بأبلغ وجوه النعم، وهذا لايليق بوصف البشر وكل محدث. وأنشدوا للأعشى فى الانتشار:

لو أسندت ميتا إلى نحرها ... عاش ولم ينقل إلى قابر
حتى يقول الناس مما رأوا ... أيا عجبا للميت الناشر

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «ك».

جنة السنة

لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ

وقرئ: «يَنْشرون» بفتح الياء أى: يحيون أبدًا، ومعنى الآية هو الإنكار على متخذ الأصنام آلهة، وبيان أنه لايليق بها الإلهية.

قوله تعالى: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾ قال أكثر أهل التفسير: «إلا» ها هنا بمعنى «غير»، قال الشاعر:

وكــل أخ مفــارقه أخــوهُ ... لعمرو أبيك إلا الفرقدان

يعنى: غير الفرقدين، وهذا على ما اعتقدوا من دوام السماء والأرض.

وقال بعضهم: ﴿إلا الله﴾ «إلا» بمعنى «الواو» ها هنا، ومعناه: لو كان فيهما آلهة والله (أيضًا)[١] لفسدتا، ومعنى الفساد فى السماء والأرض إذا كان الإله اثنين، هو فساد التدبير وعدم انتظام الأمور بوقوع المنازعة والمضادة، وهو أيضًا معنى قوله تعالى: ﴿ولعلا بعضهم على بعض﴾.[٢]

وقوله: ﴿فسبحان الله رب العرش عما يصفون﴾ نزَّه نفسه عما يصفه به المشركون من الشريك والولد.

قوله تعالى: ﴿لايسأل عما يفعل وهم (يسألون)[٣]﴾ يعنى: لايسأل عما يحكم على خلقه، والخلق يسألون عن (أفعالهم وأعمالهم)[٤]، وقيل: لايسأل عما يفعل؛ لأنه كله حكمة وصواب، وهم يسألون عما يفعلون لجواز الخطأ عليهم، وقيل: معنى لايسأل عما يفعل: لايقال له: لِمَ؟، ولماذا؟ بخلاف الخلق، وفى الآية رد على القدرية، وقطع شبهتهم بالكلية.

وقد روى أبو الأسود الدؤلى أن عمران بن حصين قال له: أرأيت ما يسعى فيه الناس ويكدحون، أهو أمر قضى عليهم أو شيء يستأنفونه؟ فقلت: لا، بل أمر قضى عليهم، قال: أفلا يكون ظلمًا؟ قلت: سبحان الله ﴿لايسأل عما يفعل وهم

(١) ليست فى «ك».

(٢) المؤمنون: ٩١.

(٣) فى (ك): يساءلون.

(٤) فى «ك»: عن أحوالهم وأفعالهم.

﴿٢٣﴾ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي

يسألون ﴾ فقال لى: أصبت يا أبا الأسود، وقد أجزت عقلك، ثم روى عمران أن رجلا من جهينة - أو مزينة - أتى النبى ﷺ قال له: عما يفعل الناس أو يكدحون فيه، أهو شيء قضى عليهم؟ أم شيء يستأنفونه؟ فقال النبى ﷺ: «هو شيء قضى عليهم، فقال ذلك الرجل: يا رسول الله، أفلا يكون ظلما؟ قال: لا، ثم تلا قوله تعالى: ﴿ لايسأل عما يفعل وهم يسألون ﴾»(١) قال الشيخ: وقد ذكرنا هذا الخبر فى كتاب «مسند القدر».

قوله تعالى: ﴿ أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم ﴾ أى: حجتكم.

وقوله: ﴿ هذا ذكر من معى ﴾ أى: ذكر من معى (بما)(٢) أمروا من الحلال والحرام.

وقوله: ﴿ وذكر من قبلى ﴾ أى: من يحيى منهم بالطاعة وهلك بالمعصية، وعن ابن عباس قال: ذكر من معى فهو القرآن، وذكر من قبلى هو التوراة والإنجيل، ومعناه: راجعوا القرآن والتوراة والإنجيل وسائر الكتب، هل تجدون فيها أن الله اتخذ ولداً؟

وقوله: ﴿ بل أكثرهم لايعلمون الحق فهم معرضون ﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ أى: وحدّون.

قوله تعالى: ﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولداً ﴾ قال قتادة: قال طائفة من المشركين: إن الله تعالى صاهر الجن، فالملائكة بناته.

---

(١) رواه مسلم بنحوه (١٦/ ٣٠٤ - ٣٠٥ رقم ٢٦٥٠). وأحمد (٤/ ٤٣٨)، وابن جرير (٣٠/ ١٣٥)، والطبرانى فى الكبير (١٨/ ٢٢٣ - ٢٢٤ رقم ٥٥٧)، وابن أبى عاصم فى السنة (١/ ٧٦ - ٧٧ رقم ١٧٤)، وابن بطه فى الإبانة (٢/ ١/ ٣٢٥ - ٣٢٦).

(٢) فى «ك»: لما.

إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي

وقوله: ﴿سبحانه﴾ نزه نفسه عما قالوا.

وقوله: ﴿بل عباد مكرمون﴾ أى: عبيد مكرمون.

قوله تعالى: ﴿لايسبقونه بالقول﴾ هذا ثناء من الله على الملائكة، ومعنى قوله: ﴿لايسبقونه بالقول﴾ أنهم لايقولون قولا بخلافه، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لاتقدموا بين يدى الله ورسوله﴾[(١)] أى: لاتقولوا قولا بخلاف الكتاب والسنة، وقد ثبت برواية عائشة - رضى الله عنها - عن النبى ﷺ أنه قال: «من أحدث فى ديننا ما ليس منه فهو رَد».[(٢)] والإحداث فى الدين أن يقول بخلاف الكتاب والسنة.

وقوله: ﴿وهم بأمره يعملون﴾ معناه: أنهم لايخالفونه، لا قولا، ولا عملا، ويقال معناه: إذا أمر بأمر أطاعوا، فإذا قال لهم: افعلوا قالوا: طاعة.

قوله تعالى: ﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾ أى: ما قدموا وأخروا، وقيل: ما بين أيديهم هو الآخرة، وما خلفهم أعمالهم.

وقوله: ﴿ولايشفعون إلا لمن ارتضى﴾ معناه: إلا لمن قال: لا إله إلا الله، ويقال: إلا لمن رضى الله عنه عمله.

وقوله: ﴿وهم من خشيته مشفقون﴾ أى: من عذابه.

قوله تعالى: ﴿ومن يقل منهم إنى إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين﴾. فإن قيل: هل قال أحد من الملائكة إنى إله من دونه؟ (قلنا)[(٣)] معناه: لو

(١) الحجرات: ١.

(٢) متفق عليه من حديث عائشة. رواه البخارى (٥/ ٣٥٥، رقم ٢٦٩٧)، ومسلم (١٢/ ٢٣ - ٢٤ رقم ١٧١٨).

(٣) فى «ك»: قالوا.

جنة السنة

إِلَهٌ مِّن دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ

قالوا، ولم يقولوا، والجواب المعروف: أن المراد منه إبليس لعنه الله؛ فإنه دعا الناس إلى طاعته، فهو معنى قوله: ﴿ومن يقل منهم إنى إله﴾ وهذا دليل على أن من دعا إنسانًا إلى طاعته فى معصية الخالق فكأنه قال: اعبدنى أو اتخذنى إلهًا.

قوله تعالى: ﴿أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقًا ففتقناهما﴾ فإن قال قائل: قد قال: أو لم ير الكفار، [و](1) لم يروا شيئًا من هذا ولا المسلمون! والجواب عنه: أن معناه أو لم يعلموا بإخبارك إياهم، وقيل: أو لم يخبروا. وأما الرتق فى اللغة هو السد، والفتق هو الشق، قال الشاعر:

يهـون عليهم إذا يغضبو ... ن سخـط العـداة وإرغامهـا

ورتق الفتوق وفتق الرتو ... ق ونقـض الأمـور وإبرامهـا

وأما معنى الآية: قال ابن عباس: قوله: ﴿كانتا رتقًا﴾ أى: كان السماء والأرض ملتصقين، ففتقناهما بالهواء، وقال غيره: معناه: كان السماء شيئًا واحدًا، ففتقناها، وجعلناها سبع سموات، وكانت الأرض شيئًا واحدًا ففتقناها، وجعلناها سبع أرضين، والقول الثالث قاله مجاهد: فتقنا السماء بالمطر، والأرض بالنبات.

وقوله: ﴿وجعلنا من الماء كل شىء حى﴾ فإن قال قائل: قد خلق بعض ما هو حى من غير الماء، فكيف يستقيم قوله: ﴿وجعلنا من الماء كل شىء حى﴾؟ وأيضًا فإن الإنسان قد يموت بالماء، والشجر والنبات قد يهلك بالماء؟ والجواب من وجهين: أحدهما: أن الماء ها هنا هو النطفة، والحى هو الآدمى، ومعناه: كل شىء حى من الآدمى. والجواب الثانى: أن هذا على وجه التكثير، وأكثر الأحياء فى الأرض إنما هو مخلوق من الماء أو بقاؤه بالماء، فاستقام معنى الآية من هذا الوجه.

(١) حرف الواو ساقط من «الأصل».

جنة السنة

﴿وَجَعَلْنَا فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلاً لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣١﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ ﴿٣٣﴾

وقوله: ﴿أفلا يؤمنون﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿وجعلنا فى الأرض رواسى﴾ أى: جبالا ثوابت، وقيل: ثقالا، قال الشاعر:

رسا أصله تحت الثرى وسمائه ... إلى النجم فرع لاينال طويل

وقوله: ﴿أن تميد بهم﴾. أى: كراهة أن تميد بهم، والميد: الحركة.

وقوله: ﴿وجعلنا فيها فجاجا سبلا﴾ الفج هو الواسع بين الجبلين.

وقوله: ﴿سبلا﴾ أى: طرقًا مسلوكة.

وقوله: ﴿لعلهم يهتدون﴾ أى: يهتدون إلى الحق.

قوله تعالى: ﴿وجعلنا السماء سقفًا محفوظًا﴾ أى: محفوظًا من وقوعه على الأرض، وهو معنى قوله تعالى: ﴿إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا﴾(١) ويقال معناه: محفوظا عن الشياطين بالشهب.

وقوله: ﴿وهم عن آياتها معرضون﴾ آياتها: شمسها وقمرها ونجومها وارتفاعها واستمساكها بغير عمد، وغير ذلك.

قوله تعالى: ﴿وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر﴾ المعروف عن ابن عباس برواية عكرمة أنه قال: إن الله تعالى خلق الليل قبل النهار، وقرأ قوله تعالى: ﴿أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقًا﴾ أى: كانتا مظلمة بالرتق ففتقتا بالضياء.

وقوله: ﴿والشمس والقمر كل فى فلك يسبحون﴾ أى: يجرون، ويقال يدور

---

(١) فاطر: ٤١.

جنة السنة

بهم[١] فلك دون السماء، ويقال: يدور بهم السماء، والله أعلم؛ وإنما ذكر ﴿ يسبحون ﴾ ولم يقل: يسبح على ما يقال لما لا يعقل؛ لأنه ذكر عنهم ما يذكر من العقلاء، وهو الجرى والسبح، فذكر على ما يعقل.

قوله تعالى: ﴿ وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ﴾ كانوا يقولون: نتربص بمحمد ريب المنون، فقال تعالى: ﴿ وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ﴾ يعنى: أن الموت طريق معهود مسلوك لابد منه لكل حى.

وقوله: ﴿ أفإن مت فهم الخالدون ﴾ معناه: أفهم الخالدون إن مت؟ وقد روى «أن النبى ﷺ لما توفى دخل أبو بكر - رضى الله عنه - ووضع فمه بين عينيه ويده على جانب رأسه، وقال: يارسول الله، طبت حيًّا وميتًا، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿ وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون ﴾ وقد كان عمر يقول: إنه لم يمت، فلما تلا أبو بكر هذه الآية، فكأن الناس لم يسمعوا هذه الآية إلا ذلك الوقت، وأعرضوا عن عمر (وقوله)[٢]، وعلموا أنه قد مات ﷺ»[٣].

قوله تعالى: ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ قد بينا من قبل.

وقوله: ﴿ ونبلوكم بالشر والخير ﴾ أى: بالرخاء والشدة، والصحة والسقم، وبالإشقاء والإسعاد، وغير ذلك مما يختلف على الإنسان، وقيل: بالشر والخير أى: بما يحبون ويكرهون، ويقال: الشر غلبة الهوى على الإنسان، والخير العصمة من المعاصى، قاله سهل بن عبد الله.

---

(١) فى «ك»: يدورهم فلك.

(٢) سقطت من «ك».

(٣) رواه البخارى فى صحيحه (٣/١٣٦ - ١٣٧ رقم ١٢٤١، ١٢٤٢ وأطرافه فى: ٣٦٦٧، ٣٦٦٨، ٣٦٦٩، ٣٦٧٠، ٤٤٥٢، ٤٤٥٣، ٤٤٥٤، ٤٤٥٥، ٤٤٥٧، ٥٧١٠، ٥٧١١) من حديث عائشة وابن عباس كل ببعضه، وفيه قراءة الآية التى فى سورة آل عمران: ﴿ وما محمد إلا رسول .... ﴾ الآية. ورواه مسلم مختصراً من حديث عائشة (رقم ٩٤٢). وعزاه السيوطى فى الدر (٤/٣٤٩) لابن أبى شيبة عن ابن عمر بنحو رواية المصنف.

وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ الإِنسَانُ

وقوله: ﴿ فتنة ﴾ أى: محنة وخبرة.

وقوله: ﴿ وإلينا ترجعون ﴾ أى: تردون.

قوله تعالى: ﴿ وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزوا ﴾ أى: ما يتخذونك إلا هزوا.

وقوله: ﴿ أهذا الذى يذكر آلهتكم ﴾ أى: يعيب آلهتكم، يقال: فلان يذكر فلانًا أى: يعيبه، وفلان يذكر الله أى: يعظمه ويجله.

وقوله: ﴿ وهم بذكر الرحمن هم كافرون ﴾ قال هذا؛ لأنهم كانوا يقولون: لانعرف الرحمن إلا مسيلمة، وهم» الثانية صلة.

قوله تعالى: ﴿ خلق الإنسان من عجل ﴾ فيه أقوال: أحدها: سرعة وتعجيل، والإنسان هو آدم - صلوات الله عليه - وقد خلقه الله تعالى من غير ترتيب خلق سائر الآدميين من النطفة، والعلقة، والمضغة، وغيره، وهذا قول حسن. والقول الثانى: من عجل أى: عجولا، ويجوز أن يكون المراد من الإنسان جميع بنى آدم، وأما ابن عباس فإنه قال: هو آدم لما نفخ الله فيه الروح وبلغ صدره، أراد أن يقوم، فهو عجلته. وذكر الكلبى: أنه لما نفخ فيه الروح نظر إلى الشمس فإذا هى تغرب، فقال: اللهم أتم خلقى قبل أن تغرب الشمس، فهو عجلته. والقول الثالث: خلق الإنسان والعجلة منه، وقيل: والعجلة فيه، وهذا على طريق المبالغة، والعرب تقول للشرير: خلقت من الشر، وكذلك تقول: خلق فلان من الخير إذا ذكر على طريق المبالغة.

والقول الرابع: قوله: ﴿ خلق الإنسان من عجل ﴾ أى: من طين. قال الشاعر:

والنَّبْعُ(1) فى الصخرة الصماء منبته ... والنخل ينبت بين الماء والعجل

أى: الطين.

(1) النَّبْعُ شجر يتخذ منه القسيُّ.

مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلا عَن ظُهُورِهِمْ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾

وقوله: ﴿سأريكم آياتى فلا تستعجلون﴾ هذا فى المشركين، فإنهم كانوا يستعجلون القيامة على ما قال الله تعالى فى موضع آخر: ﴿يستعجل بها الذين لايؤمنون بها﴾(١) وقال بعضهم: ﴿سأريكم آياتى﴾ أى: مواعدى. وقوله: ﴿فلا تستعجلون﴾ أى: لاتطلبوا العذاب منى قبل وقته، وإنما نزلت هذه الآية؛ لأن النضر ابن الحارث كان قال: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم.

قوله تعالى: ﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿لو يعلم الذين كفروا حين لايكفون﴾ أى: لايدفعون.

وقوله: ﴿عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم﴾ ظاهر المعنى.

وقوله: ﴿ولا هم ينصرون﴾. أى: لايمنعون من العذاب، وفى الآية جواب محذوف ومعناه: لعلموا صدق وعدنا.

وقوله: ﴿لو يعلم﴾ فى ابتداء الآية معناه: لو يرى.

قوله تعالى: ﴿بل تأتيهم بغتة﴾ أى: القيامة فجأة.

وقوله: ﴿فتبهتهم﴾. أى: تحيرهم، يقال: فلان مبهوت أى: متحير، وهو معنى قوله تعالى: ﴿فبهت الذى كفر﴾(٢).

وقوله: ﴿فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون﴾ أى: يمهلون.

قوله تعالى: ﴿ولقد استهزئ برسل من قبلك﴾ ظاهر المعنى.

---

(١) الشورى: ١٨.

(٢) البقرة: ٢٥٨.

جنة السنة

وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا

وقوله: ﴿فحاق بالذين سخروا منهم﴾ أى: نزل بالذين سخروا منهم. ﴿ما كانوا به يستهزئون﴾ أى: جزاء استهزائهم.

وقوله تعالى: ﴿قل من يكلؤكم﴾ أى: يحفظكم. قال الشاعر:

إن سُلَيْمَى فالله يكلؤها ... ضنت بشيء ما كان يرزؤها

وقوله: ﴿بالليل والنهار من الرحمن﴾ أى: من عذاب الرحمن، والله تعالى يحفظ العباد من عذاب نفسه.

وقوله: ﴿بل هم عن ذكر ربهم معرضون﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا﴾ أى: تمنع العذاب عنهم من دوننا.

وقوله: ﴿فلا يستطيعون نصر أنفسهم﴾ أى: منع أنفسهم.

وقوله: ﴿ولاهم منا يصحبون﴾ أى: يجارون، يقال: أجارك الله أى: حفظك، وتقول العرب: صحبك الله أى: حفظك ونصرك، وقد قيل: يصحبون أى: ينصرون.

قوله تعالى: ﴿بل متعنا هؤلاء وآباءهم﴾ أى: أملينا(١) وأمهلنا، ويقال: متعنا أى: أعطيناهم النعمة.

وقوله: ﴿حتى طال عليهم العمر﴾ أى: امتدَّ بهم الزمان.

وقوله: ﴿أفلا يرون أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها﴾ الأكثرون: أن هذا هو ظهور النبى ﷺ، وفتحه ديار الشرك أرضًا أرضًا وبلدةً بلدةً، والدليل على صحة هذا

---

(١) فى (ك): ابتلينا.

أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ وَلا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ

التأويل أنه قال: ﴿أفهم الغالبون﴾ أى: ليست الغلبة لهم؛ إنما الغلبة لى ولرسولى، وعن ابن جريج قال: ماينقص من سائر الأرضين يزاد فى الشام، وماينقص من الشام يزاد فى أرض فلسطين، وبها المحشر. وقال عكرمة: لو نقص من الأرض ماوجد أحد مكانا يقعد فيه، ولكن المراد من الآية ذهاب خيارها وعلماؤها، ويقال: هو موت أهلها، وقيل: خرابها.

قوله تعالى: ﴿قل إنما أنذركم بالوحى﴾ أى: بالقرآن.

وقوله: ﴿ولايَسْمَعُ الصم الدعاء﴾ وقرئ: «لايُسْمَعُ الصم الدعاء»، وقرأ عبد الرحمن المقرئ: «لا تُسْمِعُ الصم الدعاء»، وأما المعروف فهو ظاهر المعنى، والصم هم الكفار، وسماهم صمًّا، لأنهم لم يسمعوا ماينفعهم.

وقوله: ﴿إذا ما ينذرون﴾ أى: يخوفون بالوحى.

قوله تعالى: ﴿ولئن مستهم نفحة﴾ النفحة هى: الدفعة(١) اليسيرة، تقول العرب: نفح فلان بالسيف على هذا المعنى، وهى بخلاف ....(٢) والنفخة لابد فيها من خروج الريح من الخوف، ومعنى ﴿ولئن مستهم نفحة﴾ أى: طرف من عذاب ربك، وقيل: أدنى شيء من عذاب ربك.

وقوله: ﴿ليقولن ياويلنا إناكنا ظالمين﴾ معناه: ياهلاكنا، إنا كنا مشركين، كأنهم أقروا على أنفسهم باستحقاق العقوبة.

قوله تعالى: ﴿ونضع الموازين القسط﴾ معناه: ذوات(٣) القسط، والقسط: العدل، وفى المشهورفى الأخبار: أن الميزان له لسان وكفتان، وفى بعض المأثور: أن دواد - عليه السلام - قال: يارب، أرنى الميزان الذى يوزن به أعمال العباد، فأراه إياه،

---

(١) فى «ك»: «الدفقة».

(٢) كلمة غير مقروءة فى النسختين.

(٣) فى «ك»: ذو.

الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا

وكل كفة منه مثل مابين المشرق والمغرب، فقال: يارب، ومن يملأ هذا من الحسنات؟ فقال: باداود، إذا رضيت عن عبدى ملأته بكسرة أو تمرة، والله أعلم.

وأما كيفية الوزن فقد قال بعضهم إنه يوزن الحسنات والسيئات، وقيل: يوزن خواتيم الأعمال، وقال بعضهم: الميزان علامة يعرف بها مقادير استحقاق الثواب والعقاب، والصحيح هو الميزان حقيقة، فإن قيل: قد قال فى موضع آخر: ﴿ فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنًا ﴾(١) فكيف التوفيق بين الآيتين؟ والجواب عنه: أن معنى قوله: ﴿ فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنًا ﴾(١) أى: لايستقيم وزنهم على الحق، فإن ميزانهم شائل ناقص خفيف، ويقال: ﴿ فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنًا ﴾(١) أى: ثوابًا، قال بعض الخوارج فى ضربة ابن ملجم لعلى رضى الله عنه :-

يـاضـربــة مـن تقـى مـا أراد بـهـا ... إلا ليدرك من ذى العرش رضوانا
إنــى لأذكــر يــومـا فــأحـسـبـه ... أوفـى البــرية عـنـد الله ميزانا

أى: ثوابًا، ونحن نبرأ من معنى هذا الشعر ومن قائله.

وقوله تعالى: ﴿ فلا تظلم نفس شيئًا ﴾ أى: [لا](٢) يزاد فى سيئاته، ولاينقص من حسناته.

وقوله: ﴿ وإن كان مثقال حبة من خردل ﴾ أى: زنة حبة خردل.

وقوله: ﴿ أتينا بها ﴾ أى: أحضرناها؛ لنجازى عليها.

وقرئ فى الشاذ: «آتينا بها» بمد الألف، من الإيتاء أى: جازينا بها أو أعطينا بها.

وقوله: ﴿ وكفى بنا حاسبين ﴾ أى: محاسبين، وقيل: حافظين عالمين، وقيل: محصين.

(١) الكهف: ١٠٥.

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾
الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ
أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ

قوله تعالى: ﴿ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه التوراة، والآخر: أنه البرهان الذى فرق به بين حق موسى وباطل فرعون .

وقوله: ﴿وضياء﴾ وقرئ بغير الواو، فأما بالواو فهو صفة آخرى للتوراة، إذا حملنا الفرقان على التوراة، وإن حملناه على البرهان، فمعناه: أعطيناه البرهان، وأعطيناه التوراة التى هى ضياء، فأما بغير الواو فمعنى الفرقان على هذا ليس إلا التوراة، وقوله: ﴿وضياء﴾ صفة لها .

وقوله: ﴿وذكرًا للمتقين﴾ أى: تذكيرًا للمتقين .

قوله تعالى: ﴿الذين يخشون ربهم بالغيب﴾ إنما قال: ﴿بالغيب﴾؛ لأن المؤمنين يخشونه ولايرونه، فأما هو يراهم وليسوا بغيب عنه. وقوله: ﴿وهم من الساعة مشفقون﴾ أى: خائفون .

قوله تعالى: ﴿وهذا ذكر مبارك أنزلناه﴾ قد بينا معنى المبارك، وقيل: يتبرك به أى: يطلب منه الخير .

وقوله: ﴿أفأنتم له منكرون﴾ مذكور على وجة التوبيخ والذم لإنكارهم .

قوله تعالى: ﴿ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل﴾ فى الرشد قولان: أحدهما: أنه الهداية، والآخر: أنه النبوة.

وقوله: ﴿من قبل﴾ فيه قولان: أحدهما: من قبل البلوغ،وهو حين خرج من السرب، وهو صغير، ونظر إلى النجوم والشمس والقمر فاستدل، كما ذكرنا فى سورة الأنعام، والقول الثانى: من قبل أى: من قبل موسى وهارون .

وقوله: ﴿وكنا به عالمين﴾ أى: عارفين .

جنة السنة

لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللاَّعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَاللَّهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا

قوله تعالى: ﴿إذ قال لأبيه وقومه ماهذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون﴾ أى: الأصنام التى أنتم عليها مقيمون للعبادة .

قوله تعالى: ﴿قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين﴾ معناه: وجدناهم كذلك فاتبعناهم.

قوله تعالى: ﴿قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين﴾ أى: فى خطأ بين، والبين الواضح، والمبين الموضح.

قوله تعالى: ﴿قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين﴾ أى: بالصدق والجد، أم أنت من الهازئين؟ .

قوله تعالى: ﴿قال بل ربكم رب السموات والأرض الذى فطرهن﴾ أى: خلقهن.

وقوله: ﴿وأنا على ذلكم من الشاهدين﴾ أى : على أنه الإله الذى لايستحق العبادة غيره، وأن الأصنام ليست بآلهة، وقيل : وأنا من الشاهدين على أنه خالق السموات والأرض .

قوله تعالى: ﴿وتالله لأكيدن أصنامكم﴾ الكيد : إيصال ضر بالغير بضرب من التدبير، وقيل: الكيد شبه المحاربة،

وفى مغازى الرسول ﷺ غزا موضع كذا، فلم يلق كيدًا، أى: حربًا.

وقوله: ﴿بعد أن تولوا مدبرين﴾ أى: بعد أن تدبروا منطلقين إلى عيدكم، فإن قيل: كيف يتصور كيد الأصنام، وهى لاتعقل؟ قلنا: سنبين وجه كيده لها.

قوله: ﴿فجعلهم جذاذًا﴾ قرئ: «جُذَاذًا» و «جِذَاذًا» وفى الشاذ «جذًّاذا»، فقوله: «جُذاذا» بالرفع هو مثل الحطام والرفات، وقوله: «جِذاذا» بالكسر فهو جمع

جنة السنة

إلاَّ كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ

الجذيذ، مثل الخفيف والخفاف، ومعناه: أنه قطعها وكسرها، أى: جعلها قطعة قطعة، وكسرة كسرةً.

وفى القصة: أنهم لما مروا إلى عيدهم قالوا له: ألا تخرج معنا؟ فقال: لا، إنى سقيم، ومعناه: ما برد بعد، ثم قال فى نفسه: تالله لأكيدن أصنامكم، فسمعه رجل منهم، ومروا ولم يبق فى البلد أحد، فجاء إلى بيت أصنامهم، ومعه فأس، وكان فى البيت اثنان وسبعون صنمًا، بعضها من حجر، وبعضها من فضة، وبعضها من ذهب، وغير ذلك، والصنم الكبير من الذهب، وهو مكلل بالجوهر، وعيناه ياقوتتان تتقدان، وهو على هيئة عظيمة، فأخذ الفأس، وكسر الكل إلا الكبير، فإنه تركه وعلق الفأس فى عنقه، وقيل: ربطه بيده، فهذا هو كيد الأصنام، ومعناه: [أنه](1) كادهم على ما يعتقدون فيهم، فهذا معنى قوله: ﴿فجعلهم جذاذًا إلا كبيرًا لهم﴾، وأنشدوا فى الجذاذ شعرًا:

جذذ الأصنام فى محرابها ... ذاك فى الله العلى المقتدر

وقوله: ﴿لعلهم إليه يرجعون﴾ فيه قولان: أحدهما: لعلهم عنده يرجعون من الشرك أى: عند هذا الفعل، والقول الثانى: لعلهم إلى الكبير يرجعون، ومعناه: أنهم إذا رأوا أمثال الصنم الكبير مقطعة مكسرة، وعرفوا أنه مثلهم، ولم يكن عندهم دفع، عرفوا أنه لادفع عنده أيضًا، وأما قول من قال: إن معنى الآية: ﴿لعلهم إليه يرجعون﴾: أن الكبير هو الذى فعل بهم ذلك حمية وأنفة، فهو قول باطل؛ لأنه لا يدخل فى عقل أحد أن الصنم الكبير يكسر الأصنام الصغيرة، وإنما علق الفأس فى عنق الكبير تعييرًا لهم وتبكيتًا، وقيل: على طريق الزام الحجة، فإن اعتقادهم يوجب هذا، وهو أن الكبير لايرضى بالأصنام الصغار معه لوكانوا يعقلون.

قوله تعالى: ﴿قالوا من فعل هذا بآلهتنا﴾ فيه تقدير، وهو أنهم رجعوا ودخلوا على الأصنام، فلما رأوها قالوا كذلك .

(1) فى «الأصل، وك»: أنهم.

جنة السنة

﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ﴾ ﴿٥٩﴾

وقوله: ﴿إنه لمن الظالمين﴾ أى: من المجرمين .

قوله تعالى: ﴿قالوا سمعنا فتى﴾ أى: شابًا ﴿يذكرهم﴾ أى: يعيبهم، وفى القصة: أن ذلك الرجل الذى سمع منه ذِكْر كيد الأصنام قال هذا .

وقوله: ﴿يقال له إبراهيم﴾ معلوم.

قوله تعالى: ﴿قالوا فأتوا به على أعين الناس﴾ فى القصة: أن الملك – وهو نمروذ – قال هذا القول، ومعناه: جيئوا به على مشهد الناس .

وقوله: ﴿لعلهم يشهدون﴾ فيه قولان: أحدهما: أنهم يشهدون عذابه إذا عذبناه، والقول الآخر: لعلهم يشهدون أى: يسمعون قول الرجل أنه قال كذا فى الأصنام، قال السدى: كره الملك أن يعاقبه بغير بينة .

قوله تعالى: ﴿قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا ياإبراهيم﴾ طلبوا منه الإقرار والاعتراف بما فعل .

قوله تعالى: ﴿قال بل فعله كبيرهم هذا﴾ اعلم أنه قد ثبت عن النبى ﷺ برواية أبى الزناد، عن الأعرج، عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «إبراهيم كذب ثلاث كذبات» – وفى رواية: «فى الله» – قوله: ﴿بل فعله كبيرهم﴾، وقوله: ﴿إنى سقيم﴾(١)، وقوله لسارة: هذه أختى» . قال الشيخ الإمام: أخبرنا بهذا الحديث أبو على الشافعى قال أبو الحسن بن [فراس](٢)، قال: نا أبو جعفر الديبلى، قال: نا سعيد بن عبدالرحمن المخزومى، قال: نا سفيان بن عيينة، عن أبى الزناد . . الحديث(٣).

(١) الصافات: ٨٩.

(٢) فى «الأصل و ك»: فارس، وهو خطأ، وقد سبق التنبيه عليه.

(٣) متفق عليه من حديث أبى هريرة، رواه البخارى (٤ / ٤٧٩ رقم ٢٢١٧ ،وأطرافه فى: ٢٦٣٥، ٣٣٥٧، ٣٣٥٨، ٥٠٨٤، ٦٩٥٠)، ومسلم (١٥ / ١٨٠ – ١٨٢ رقم ٢٣٧١).

كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن

قال أهل المعاني: قال إبراهيم ماقال بإذن الله تعالى لقصد الصلاح، وهو مثل ما أذن ليوسف أن يقول للإخوة: «أيتها العير إنكم لسارقون، وقال بعضهم: هو قول يخالف لفظه معناه، ولكل تأويل، أما قوله: ﴿بل فعله كبيرهم﴾ أى: على زعمكم واعتقادكم، وهو على وجه إلزام الحجة، كما بينا على تحقيق الخبر، وقال بعضهم معناه: بل فعله كبيرهم هذا ﴿فسألوهم إن كانوا ينطقون﴾، قاله على سبيل الشرط، قال النحاس: وفى هذا التأويل بُعْدٌ، وهو مخالف للأخبار الثابتة، وأما قوله: ﴿إنى سقيم﴾[١] أى: سأسقم وقيل معناه: سقيم أى: مغتم بضلالتكم، فكأنه سقيم القلب بذلك، وأماقوله لسارة: هذه أختى أى: أختى فى الدين، والأولى ماذكرناه من المعنى الأول، وهو قول أهل السنة، وهو أن الله تعالى أذن له فيه.

قوله تعالى: ﴿فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون﴾ معناه: رجعوا إلى فكرهم وعقولهم فقالوا: إنكم أنتم الظالمون يعنى: بعبادتكم مالايدفع عن نفسه شيئًا.

قوله تعالى: ﴿ثم نكسوا على رءوسهم﴾ قال أهل التفسير: أجرى الله تعالى حقا على لسانهم فى القول الأول، ثم أدركتهم الشقاوة، فهو معنى قوله: ﴿ثم نكسوا على رءوسهم﴾ ومعناه: رجعوا إلى شركهم، ويقال: نكس المريض إذا رجع إلى حاله الأول، وقيل: نكسوا على رءوسهم أى: رجعوا، ومعناه: إلى الاحتجاج عن الأصنام.

وقوله: ﴿لقد علمت ماهؤلاء ينطقون﴾ ومعناه: فكيف نسألهم؟.

قوله تعالى: ﴿قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئًا ولايضركم﴾ معناه: لاينفعكم إن عبدتموه، ولايضركم إن تركتم عبادته.

وقوله: ﴿أف لكم﴾ أى: نتنًا وقذرًا لكم. وقوله: ﴿ولما تعبدون من دون الله﴾

---

(١) الصافات: ٨٩.

جنة السنة

دُونِ اللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾

أى: الأصنام.

وقوله: ﴿أفلا تعقلون﴾ أى: أليس لكم عقل تعرفون هذا؟.

قوله تعالى: ﴿قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم﴾ التحريق هو التقطيع بالنار، واختلفوا أن القائل لقوله: ﴿حرقوه﴾ من كان؟ فعن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال: هو رجل من أكراد فارس، وقال غيره: هو نمروذ الجبار، وعن بعضهم: أنه رجل يقال له: (هيرون)(١) خسف الله به الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة.

وقوله: ﴿وانصروا آلهتكم﴾ قال الأزهرى معناه: عظموا آلهتكم بإحراقه، وقيل: وادفعوا عن آلهتكم.

وقوله: ﴿إن كنتم فاعلين﴾ يعنى: إن كنتم ناصرين لها أى: للآلهة.

قوله تعالى: ﴿قلنا يانار كونى بردًا وسلامًا﴾ فى القصة: أنهم بنوا أتونًا بقرية من قرى كوثى، وجمعوا الأحطاب مدة. وعن السدى قال: كان الرجل منهم يمرض فيوصى بشراء الحطب وإلقائه فيه، والمرأة تغزل فتشترى الحطب بغزلها فتلقيه فيه، ثم أوقدوا عليها سبعة أيام، ثم ألقوا فيها إبراهيم. وروى أنهم لم يعلموا كيف يلقونه فيها؟ فجاء إبليس - عليه مايستحق - وعلمهم عمل المنجنيق، فوضعوه فيه، وطرحوه فى النار.

وعن بكر بن عبدالله المزنى قال: لما طرح إبراهيم فى النار ضجت الخليقة، وقالت: يارب، إن خليلك يلقى فى النار، فقال الله تعالى: إنه خليلى، ليس لى خليل غيره، وأنا إلهه، ليس له إله غيرى، فإن استغاث بكم فأغيثوه، فلم يستغث بأحد. ومن المعروف أنه قال حين ألقى فى النار: حسبى الله ونعم الوكيل. وروى أنه قال: سبحانك لا إله إلا أنت رب العالمين، ولك الحمد لاشريك لك. وعن كعب الأحبار

(١) فى «ك»: هارون.

جنة السنة

وقتادة أنهما قالا: جعل كل شيء يطفىء عنه النار إلا الوزغة، فإنه جعل ينفخ فى النار، فأمر الرسول بقتله.

وفى بعض الأخبار عن النبى ﷺ: «من قتل وزغًا فكأنما قتل كافرًا»(١).

وقوله: ﴿قلنا يانار كونى بردًا﴾ أى: ذات برد، قال أهل المعانى: يحتمل أنه خلق بردًا فى النار بدل الحر، ويحتمل أنه أحال بين النار وبين إبراهيم.

وقوله: ﴿وسلامًا﴾ (روى)(٢) عن على - رضى الله عنه - أنه قال: لولم يقل: ﴿وسلامًا﴾ لقتله البرد ومثله عن كعب.

وعن قتادة قال: لم تحرق منه إلا وثاقه.

ومن المعروف فى الآثار: أنه لم ينتفع فى ذلك اليوم بنار فى العالم.

وقوله: ﴿على إبراهيم﴾ لو لم يقل: ﴿على إبراهيم﴾ بقيت ذات برد أبدًا، وفى القصة: أنهم لما طرحوه فى النار، وجعلها الله عليه بردًا وسلامًا، قال نمروذ وأصحابه: إنه قد سحر النار، فقال أبو لوط - وكان كافرًا - اطرحوا فيه رجلا آخر وجربوه، فطرحوا فيها رجلا آخر فأكلته النار فى الحال.

وفى بعض الغرائب من المسانيد عن النبى ﷺ: «أنه لما طرح إبراهيم فى النار بعث الله جبريل إليه، وبعث معه بطنفسة من طنافس الجنة، وقميص من قمص الجنة، فأقعده على الطنفسة، وألبسه القميص وقعد معه يحدثه».(٣) وروى: «أنهم نظروا فإذا هو فى روضة تهتز»(٤).

---

(١) رواه أحمد (١/ ٣٩٥، ٤٢١) والطيالسى (ص٤٢ رقم ٣١٥)، وأبو يعلى (٩/ ٢٢١ رقم ٥٣٢٠)، والبزار (٥/ ٣٢٤ رقم ١٨٤٧)، (٥/ ٣٥٣ رقم ١٩٨٥)، والطبرانى فى الكبير (١٠/ ١٠٦ رقم ١٠١١٠)، وابن حبان فى المجروحين (٣/ ١٥٠)، والخطيب فى تاريخه (٢/ ٢٣٤) عن ابن مسعود مرفوعًا، ورواه الطبرانى فى الكبير (٩/ ٣٥١ رقم ٩٧٤٥، ٩٧٤٦) عن ابن مسعود موقوفًا، وذكره الدارقطنى فى العلل (٥/ ٧٤ - ٧٥ رقم ٧٢٠) وقال: والموقوف أشبه بالصواب.

(٢) فى «الأصل، وك»: ماروى.

(٣) رواه ابن عساكر فى تاريخه (٦/ ١٨٨ رقم ١٤٥٩، ١٤٦٠) من حديث أنس مرفوعًا بطوله.

(٤) هو جزء من الحديث السابق.

جنة السنة

وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا

وقوله: ﴿وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين﴾ فمعنى الأخسرين هاهنا: أنهم خسروا السعى والنفقة، ولم يحصل لهم مرادهم، وقال بعضهم: معناه: أن الله تعالى أرسل على نمروذ وقومه البعوض، فأكلت لحومهم، وشربت دماءهم، ودخلت بعوضة فى رأس نمروذ حتى أهلكته، ذكره مقاتل وغيره.

قوله تعالى: ﴿ونجيناه ولوطًا إلى الأرض التى باركنا فيها للعالمين﴾ يعنى: الشام، وبركتها كثرة مياهها وأشجارها، وعموم الخصب بها، حتى يعيش فيها الفقير والغنى بعيش طيب، ويقال: بركتها كثرة الأنبياء بها، وفى الآية قول آخر: هو أن المراد من الأرض التى بارك فيها هى مكة، وقيل: مصر، والأصح هو الأول؛ لأنه مشهور أنه خرج وامرأته - يعنى: إبراهيم - إلى حران، ثم من حران إلى الشام، وأما لوط فإنه ابن أخى إبراهيم، وكان خرج معه.

قوله تعالى: ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة﴾ قال ابن عباس: النافلة هو يعقوب، وأما إسحاق فليس بنافلة؛ لأن الله تعالى أعطاه إسحاق بدعائه، وإنما زاد يعقوب على مادعا، والنافلة هى الزيادة، وقال مجاهد: كلاهما نافلة، والأصح هو الأول.

وقوله: ﴿وكلا جعلنا صالحين﴾ ظاهر المعنى.

وقوله تعالى: ﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا﴾ يعنى: يرشدون بأمرنا.

وقوله: ﴿وأوحينا إليهم فعل الخيرات﴾ معناه: العمل بالشرائع.

وقوله: ﴿وإقام الصلاة﴾ أى: المحافظة عليها.

﴿وإيتاء الزكاة﴾ معناه : وإعطاء الزكاة .

وقوله: ﴿ وكانوا لنا عابدين﴾ أى: موحدين.

جنة السنة

عَابِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ

قوله تعالى: ﴿ولوطا آتيناه حكمًا وعلمًا﴾

وقوله: ﴿ونجيناه من القرية التى كانت تعمل الخبائث﴾ القرية: هى سدوم، وأما الخبائث قيل: إتيانهم الذكور، ويقال هو: [التضارط][1] فى الأندية.

وقوله: ﴿إنهم كانوا قوم سوء فاسقين﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿وأدخلناه فى رحمتنا إنه من الصالحين﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ونوحًا إذ نادى من قبل﴾ نداؤه هو قوله: ﴿أنى مغلوب فانتصر﴾[2]، (وقيل هو قوله:)[3] ﴿رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارًا﴾[4]

وقوله: ﴿فاستجبنا له﴾ أى: أجبناه.

وقوله: ﴿فنجيناه وقومه من الكرب العظيم﴾ فى القصة: أنه كان أطول الأنبياء عمرًا، وأشد الأنبياء بلاء، وروى أنه كان يضرب فى اليوم سبعين مرة.

وقوله: ﴿من الكرب العظيم﴾ أى: من الغرق، وقيل: من الغم والضيق.

قوله تعالى: ﴿ونصرناه من القوم الذين كذابوا بآياتنا﴾ أى: منعناه وحفظناه.

﴿إنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿وداود وسليمان إذ يحكمان فى الحرث﴾ اختلف القول فى الحرث:

---

(١) من «ك»، وفى «الأصل»: التظارط.

(٢) القمر: ١٠.

(٣) فى «ك»: وقوله.

(٤) نوح: ٢٦.

جنة السنة

يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا

قال ابن عباس: كان كَرْمًا قد بدت عناقيده، وقال قتادة: كان زرعًا، وأما القصة فيه: فروى أنه كان رجلان لأحدهما حرث وللآخر غنم، فدخل الغنم فى حرث صاحبه ليلا، فأكلت وأفسدت، حتى لم يبق شيء - وهو معنى قوله: ﴿إذ نفشت فيه غنم القوم﴾ والنفش هو الرعى ليلا، والهمل هو الرعى نهاراً - فلما أصبحا جاء صاحب الحرث يخاصم صاحب الغنم عند داود، فقال داود: خذ برقبة الأغنام فهى لك بدل حرثك، وكان سليمان ثَمَّ فقال: يا نبى الله، أو غير ذلك؟ هذا قول ابن مسعود، أن سليمان ثمه.

وقال غيره: أنهما خرجا فمرا على سليمان، وذكرا له حكم داود، فقال: قد كان هاهنا حكم هو أرفق بالرجلين، فذكر ذلك لأبيه داود، فدعاه وسأله بحق الأبوة، فقال: تسلم الغنم إلى صاحب الحرث، ينتفع بألبانها وسمونها وأصوافها، وتسلم الحرث إلى صاحب الغنم يقوم عليه، حتى إذا عاد إلى ما كان عليه ليلة نفشت فيه الغنم سلمت الحرث إلى صاحبه؛ فهذا معنى قوله تعالى: ﴿ففهمناها سليمان﴾ وأخذ داود بذلك.

وأما قوله: ﴿وكنا لحكمهم شاهدين﴾ أى: لم يغب عنا حكمهما جميعًا، وكان بعلمنا ومرامنا.

قوله تعالى: ﴿ففهمناها سليمان﴾ قد بينا المعنى.

واختلف العلماء أن داود حكم ما حكم بالاجتهاد أو بالوحى؟ وكذلك سليمان، فقال بعضهم: إنهما فعلا بالاجتهاد، وقالوا: يجوز الاجتهاد للأنبياء؛ ليدركوا ثواب المجتهدين، إلا أن داود أخطأ، وسليمان أصاب، والخطأ يجوز على الأنبياء إلا أنهم لايقرون عليه، واختلفوا [فى][1] أنه هل يجوز على نبينا الخطأ فى الحكم كما يجوز على سائر الأنبياء؟ قال أبو على بن أبى هريرة: لايجوز؛ لأن شريعته ناسخة، وليس

(١) المثبت من «ك».

جنة السنة

بعده نبى، وقال غيره: يجوز كما يجوز على سائر الأنبياء. وقد روى «أن امرأة أتت النبى ﷺ وقالت: إن زوجى توفى فأين أعتد؟ فقال لها: اعتدى أين شئت، فلما ولت دعاها وقال: سبحان الله امكثى فى بيتك حتى يبلغ الكتاب»(١) والخبر غريب.

وروى أن رجلا أتى النبى ﷺ وقال: يارسول الله ﷺ، أرأيت إن قُتلت صابرًا محتسبًا، هل يحجزنى من الجنة شىء؟ قال: لا، ثم دعاه وقال: «إلا الدَّين، سارَّنى به جبريل»(٢) وهو خبر معروف، والخبران يدلان على أنه يجوز أن يخطئ، إلا أنه لايقرر عليه.

والقول الثانى فى أصل الحكومة: هو أن داود وسليمان - عليهما السلام - حكما بالوحى، إلا أن ما حكم به داود كان منسوخًا، والذى حكم به سليمان كان ناسخًا، وقال هؤلاء القوم: لايجوز للنبى أن يجتهد فى الحوادث؛ لأنه مستغن بالوحى عن الاجتهاد، وقد قال الله تعالى: ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى﴾(٣)، والأول هو الأصح.

وأما حكم هذه المسألة فى شريعتنا: فاعلم أن ما أفسدت الماشية بالليل عندنا مضمون على صاحبها، وما أفسدت بالنهار فلا ضمان، والحجة فيه ما روى الزهرى، عن حرام بن محيصة عن أبيه: «أن ناقة البراء بن عازب دخلت حرث قوم فأفسدته، فارتفعوا إلى النبى ﷺ فقضى بأن حفظ الماشية على أربابها ليلا، وأن حفظ الحرث على أربابها نهارًا»(٤) وهذا أحسن حكم يكون؛ لأن العادة جرت أن المواشى تحفظ

(١) رواه أبو داود (٢/ ٢٩١ رقم ٢٣٠٠)، والترمذى (٣/ ٥٠٨ رقم ١٢٠٤) وقال: حسن صحيح، والنسائى (٦/ ٣٧٠ رقم ٣٥٢٨، ٣٢٥٩، ٣٥٣٠)، وابن ماجة (١/ ٦٥٤ رقم ٢٠٣١)، وأحمد (٦/ ٣٧٠)، ومالك فى الموطأ (٢/ ٥٩١)، والشافعى (٢/ ٥٣ - ٥٤ ترتيب المسند)، وابن حبان (١٠/ ١٢٨ - ١٣٠ رقم ٤٢٩٢، ٤٢٩٣)، والحاكم (٢/ ٢٠٨) وقال: صحيح، والبيهقى (٧/ ٤٣٤، ٤٣٥) من حديث الفريعة بنت مالك بنحوه.

(٢) رواه مسلم فى صحيحه (١٣/ ٤٣ - ٤٤ رقم ١٨٨٥)، والنسائى (٦/ ٣٥٣٤ رقم ٣١٥٦، ٣١٥٧، ٣١٥٨)، والإمام أحمد فى مسنده (٥/ ٢٩٧، ٣٠٨)، ومالك فى موطأه (٢/ ٤٦١)، والبيهقى (٩/ ٢٥) من حديث أبى قتادة.

(٣) النجم: ٢ - ٣.

(١) رواه أبو داود (٣/ ٢٩٨ رقم ٣٥٧٠)، والنسائى فى الكبرى (٣/ ٤١١ رقم ٥٧٨٤)، وابن ماجة (٢/ ٧٨١ رقم ٢٣٣٢)، وأحمد فى مسنده (٥/ ٤٣٥، ٤٣٦)، ومالك فى الموطأ (٢/ ٧٤٧ - ٧٤٨)، والشافعى =

جنة السنة

بالليل، وتسيب بالنهار، وأما الحروث والزروع تحفظ بالنهار، ويتعذر حفظها بالليل.

قال الشيخ الإمام: أخبرنا بهذا الحديث القاضى الإمام الوالد، قال: نا أبو سهل عبدالصمد بن عبد الرحمن البزار، قال: أبو بكر محمد بن زكريا العذافرى، قال: أخبرنا إسحاق بن إبراهيم الدبرى قال: [حدثنا][1] عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهرى.... الخبر.

وقوله: ﴿وكلا آتينا حكمًا وعلمًا﴾ وقد بينا.

فإن قيل: قد كان داود حكم بما حكم به، والحادثة إذا جرى فيها حكم الحاكم لايجوز أن تنقض بغيره، فكيف وجه هذا؟ والجواب: يحتمل أنه كان طولب بالحكم، ولم يحكم بعد، إلا أنه ذكر وجه الحكم، وقال بعضهم: إنه كان حكم بالاجتهاد، فلما قال سليمان ما قال، نزل الوحى أن الحكم ما قال.

وقوله: ﴿وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير﴾ قيل: تسبيحها صلاتها، وقيل: تسبيحها هو الثناء على الله بالطهارة والتقديس، وقد روى أن الجبال كانت تجاوب داود بالتسبيح، وروى أنه كان إذا قرأ سمَّعه الله تسبيح الجبال والطير؛ لينشط فى التسبيح، ويشتاق إليه.

وقوله: ﴿وكنا فاعلين﴾. أى: قادرين على ما نريد، وقيل معناه: فعلنا ما فعلنا بالتدبير الصحيح.

قوله تعالى: ﴿وعلمناه صنعة لبوس لكم﴾ اللبوس ها هنا هو الدرع، وفى اللغة: اللبوس ما يلبس، قال قتادة: لم يسرد الدرع، ولم يحلقه أحد قبل داود، وكان قبله

= (٢/١٠٧)، وعبد الرزاق فى مصنفه (١٠/٨٢ رقم ١٨٧٣٧)، والدارقطنى (٣/١٥٦)، وابن حبان (١٣/٣٥٤ - ٣٥٥رقم٦٠٠٨)، والحاكم (٢/٤٧ - ٤٨) وقال: صحيح الإسناد على خلاف فيه بين معمر والأوزاعى، والبيهقى فى سننه (٨/٣٤١) جميعهم من حديث البراء بن عازب، إلا أنه اختلف فيه عن الزهرى. وانظر تلخيص الحبير (٤/١٦٢ - ١٦٣ رقم ٢١٥٥)، والدارقطنى والبيهقى فى سننهما.

(١) من «ك».

﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾
وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ
﴿٨١﴾ وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴿٨٢﴾

يتخذ الدرع من صفائح، فلما عمل هو الدرع جمع الخفة والحصانة.

وقوله: ﴿لتحصنكم من بأسكم﴾ أى: من بأس عدوكم.

وقوله: ﴿لتحصنكم﴾ قرئ بقراءات: بالياء والتاء، والنون، أما الياء فمعناه: ليحصنكم اللبوس، وقيل: ليحصّنكم الله، وأما التاء فمعناه: لتحصنكم الصنعة، وأما بالنون ينصرف إلى الله.

وقوله: ﴿فهل أنتم شاكرون﴾ يعنى: ياداود وأهل بيته، هل أنتم شاكرون؟.

قوله تعالى: ﴿ولسليمان الريح عاصفة﴾ الريح العاصفة[1] هى التى يشتد هبوبها، فإن قيل: قد قال فى موضع آخر: ﴿رخاء حيث أصاب﴾[2] والرخاء: اللين؟ والجواب عنه: أنه كان إذا أراد أن تشتد اشتدت، وإذا أراد أن تلين لانت.

وقوله: ﴿تجرى بأمره إلى الأرض التى باركنا فيها﴾ فى القصة: أنه كان يسير من الشام إلى اصطخر تحمله الريح غدوة، ويسير من اصطخر إلى الشام تحمله الريح عشية.

وقوله: ﴿وكنا بكل شيء عالمين﴾ يعنى: أنه ما غاب عنا شيء من الأشياء.

قوله تعالى: ﴿ومن الشياطين من يغوصون له﴾ الغوص هو النزول فى قعر البحر، فكان الشياطين يفعلون ذلك لسليمان؛ لاستخراج الدر والجواهر.

وقوله: ﴿ويعملون عملا دون ذلك﴾ أى: سوى الغوص، وهو معنى: ﴿يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل...﴾[3] الآية.

وقوله: ﴿وكنا لهم حافظين﴾.

---

(١) فى «ك»: العاصف.
(٢) ص: ٣٦.
(٣) سبأ: ١٣.

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (٨٣)

قال الفراء والزجاج معنى ذلك: أنا حفظنا الشياطين من أن يفسدوا ما عملوا. وفي القصة: أن سليمان كان إذا بعث شيطانًا مع إنسان ليعمل له عملا قال له: إذا فرغ من عمله قبل الليل، أشغله بعمل آخر؛ لئلا يفسد ما عمل، وكان من عادة الشيطان أنه إذا فرغ من العمل، ولم يشغل بعمل آخر يخرب ما عمل، ويفسده، فهذا معنى قوله تعالى: ﴿وكنا لهم حافظين﴾ على ما ذكرنا من الفراء والزجاج، وروى عن ابن عباس أيضًا.

قوله تعالى: ﴿وأيوب إذ نادى ربه﴾ أي: دعا ربه.

وقوله: ﴿أني مسني الضر﴾ أي: البلاء والشدة، وقيل: الجهد.

وقوله: ﴿وأنت أرحم الراحمين﴾ أي: أرحم من يرحم.

واعلم أن قصة أيوب طويلة، وذكر في التفسير منها، وكذا نذكر بعضها، فروى عن الحسن البصري: أن الله تعالى أعطى أيوب مالا وولدًا، ثم أهلك ماله وولده. وذكر وهب بن منبه وغيره: أنه كان ذلك لتسليط إبليس على ماله وولده، قال الحسن: فلما بلغه هلاك ماله وولده، حمد الله حمدًا كثيرًا وقال: اللهم إنه كان يشغلني مالي وولدي عن عبادتك، والآن قد فرغ لك سمعي وبصري وقلبي وليلي ونهاري. قال وهب: ثم ابتلاه الله تعالى في جسمه، وكان إبليس يحسده في كثرة عبادته وكثرة ثناء أهل السماء عليه فقال: يارب، لو ابتليته لقصر(١) في عبادتك، فقال الله تعالى له: سلطتك على جسمه سوى قلبه ولسانه وعقله - هذا قول وهب وغيره، والله أعلم - ثم ظهر البلاء في جسم أيوب، واشتد به البلاء غاية الشدة حتى قرح جميع جسده وتدود، واجتنبه(٢) جميع قومه، وألقى على مزبلة من مزابل بني إسرائيل، ولم يقربه أحد غير امرأته كانت تتصدق الناس وتطعمه، واختلفوا في مدة بلائه: فقال ابن عباس: سبع حجج، وقال وهب: ثلاثة أحوال.

---

(١) في «ك»: نقص.

(٢) في «ك»: واجتنب.

وأما قوله: ﴿أني مسنى الضر﴾ ففى القصة: أنه لم يدع الله تعالى بكشف الضر فى تلك المدة الطويلة إلى أن بلغ وقت الكشف ثم دعا، واختلفوا فى سبب دعائه: قال الحسن: كان سبب ذلك أن جماعة من أصدقائه رأوا به ذلك البلاء الشديد فقالوا: لو كانت عبادتك التى كنت تفعل لله تعالى خالصًا ما أصابك هذا البلاء. قال حبيب بن أبى ثابت: لم يدع الله تعالى بالكشف حتى ظهرت ثلاثة أشياء أكره ما يكون: أما الأول: فقدم عليه صديقان له من الشام حين بلغهما خبره، فجاءا إليه، ولم يبق منه إلا عيناه، ورأيا أمرًا عظيمًا، فقالا له: لو كان لك عند الله منزلة ما أصابك هذا، والثانى: أن المرأة طلبت طعامًا فلم تجد شيئًا تطعمه، فباعت ذؤابتها، وحملت إليه طعامًا، وذكرت له ذلك، والثالث: أن إبليس اللعين لما رأى صبره جزع جزعًا شديدًا، فاتخذ تابوتًا وجعل فيه أدوية، وقعد على طريق امرأته يداوى الناس، فمرت عليه امرأته، فلما رأت ذلك قالت: أيها الرجل، إن عندى مريضًا أفتداويه؟ قال: نعم، وأشفيه، قالت: ما تريد؟ قال: لا أريد شيئًا إلا أن يقول حين أشفيه: أنت شفيتنى، فذهبت وذكرت ذلك لأيوب - عليه السلام - فقال: هو إبليس قد خَدَعَكِ، والله لئن شفانى الله لأضربنك مائة جلدة.

وروى أن إبليس جاء إلى أيوب ووسوس إليه، أن امرأته زنت، وأنه قُطعت ذؤابتها لذلك، فحينئذٍ عيل صبره لهذه الأشياء فدعا وقال: ﴿أني مسنى الضر﴾.

فإن قال قائل: أليس أن الله تعالى سماه صابرًا، وقد ترك الصبر حين دعا؟ قلنا: لا، لم يترك الصبر، فإن ترك الصبر بإظهار الشكوى إلى الخلق، فأما بإظهارها إلى الله تعالى فلا يكون تركًا للصبر.

وعن سفيان بن عيينة أنه قال: إذا أظهر الشكوى إلى الخلق، وهو راض بقضاء الله، فإنه لا يكون تاركًا للصبر أيضًا.

وقد روى عن النبى ﷺ «أن جبريل دخل عليه فى مرض الموت فقال: كيف تجد نفسك؟ فقال: ياجبريل، أجدنى مغمومًا، أجدنى مكروبًا».(١)

(١) رواه البيهقى فى الدلائل (٧/ ٢١٠ - ٢١١، ٢٦٧ - ٢٦٨) عن محمد بن على، وعن على بن الحسن كلاهما مرسلا. وروى بنحوه فى حديث طويل فى موت النبى ﷺ من حديث جابر وابن عباس. رواه الطبرانى فى الكبير (٣/ ٥٨ - ٦٤ رقم٢٦٧٦)، وأبو نعيم فى الحلية (٤/ ٧٣ - ٧٩)، وابن الجوزى فى الموضوعات (١/ ٢٩٥ - ٣٠١) وقال: حديث موضوع محال، وقال الهيثمى (٩/ ٣٤ المجمع): رواه الطبرانى، وفيه عبدالمنعم بن إدريس، وهو كذاب وضاع.

جنة السنة

فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضرٍّ وآتيناه أهله ومثلهم معهم

وروى أنه قال لعائشة – صلوات الله (عليه) –(١) : «بل أنا وارأساه» الخبر بطوله(٢).

وفى القصة : أن الدودتين كانتا [تقتتلان](٣) على جسده، فكان يفرق بينهما، ويقول لهما : كلا من رزق الله.

قوله تعالى : ﴿ فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر ﴾ روى أن الله تعالى أنبع له عينًا، وأمره أن يغتسل فيها فاغتسل فيها، وخرج كأصح ما يكون.

وقوله : ﴿ وآتيناه أهله ومثلهم معهم ﴾ قال ابن مسعود وابن عباس والحسن : رد إليه أهله وأولاده بأعيانهم، وهذا هو القول المعروف، وظاهر القرآن يدل عليه، وهو أيضًا مروى برواية جويبر، عن الضحاك، عن ابن عباس، عن النبى ﷺ، وذكر فى هذا الخبر : أن الله تعالى رد المرأة شبابها، فولدت له ستة وعشرين ولدًا بعد ذلك، وفى هذا الخبر أيضًا : أن الله تعالى بعث إليه ملكًا وقال : إن ربك يقرئك السلام بصبرك، فاخرج إلى ضياع أندرك، فخرج إليه، فأرسل الله عليه جرادًا من ذهب، قال : فطارت واحدة فاتبعها وردها إلى أندره، فقال له الملك : أما يكفيك ما فى أندرك حتى تتبع الخارج؟ فقال : هذه بركة من بركات ربى، لا أشبع من بركته.

قال الشيخ الإمام : أخبرنى بهذا أبو على بن بندار بإسناده عن إسماعيل بن أبى زياد، عن جويبر، عن الضحاك، عن ابن عباس.

وروى سفيان بن عيينة، عن عمرو، عن طاوس : أن الله تعالى أمطر على أيوب

---

(١) فى «الأصل» عليهما والمثبت من «ك».

(٢) رواه البخارى فى صحيحه (١٠/١٢٨ رقم ٥٦٦٦ ،وطرفه فى : ٧٢١٧)، والنسائى فى الكبرى (٤/٢٥٢ – ٢٥٣ رقم ٧٠٧٩، ٧٠٨٠، ٧٠٨١) وابن ماجة (١/٤٧٠رقم ١٤٦٥)، وأحمد (٦/٢٢٨)، والدارمى (١/٥١ رقم ٨٠)، والدارقطنى (٢/٧٤)، وابن حبان (١٤/٥٥١ رقم ٦٥٨٦)، والبيهقى (٣/٣٩٦) وفى الدلائل (٧/١٦٨ – ١٦٩)، وأبو نعيم فى الحلية (٢/١٨٥).

(٣) من «ك»، وفى «الأصل» : تقتلان.

جنة السنة

جراداً من ذهب، فجعل يقبضه في ثوبه ويجمع ذلك، فقيل له: ألا تشبع؟ فقال: إنه من فضل ربى، ولا أشبع من فضله. قال الشيخ الإمام: أنا بهذا أبو على الشافعى قال: أنا ابن فراس قال: أنا الديبلى قال: أنا سعيد بن عبد الرحمن المخزومى قال: أنا سفيان، عن عمرو... الأثر.

وفى الآية قول آخر: وهو أن معنى قوله: ﴿وآتيناه أهله﴾ أى: ثواب أهله ﴿ومثلهم معهم﴾ أى: مثل ذلك كأنه ضوعف له الثواب، وعن عكرمة قال: « خُيِّر أيوب بين أن يرد عليه أهله بأعيانهم، وبين أن يعطى مثل أهله وأولاده، فاختار أن يردوا بأعيانهم ومثلهم معهم فأعطى ذلك.

وقوله: ﴿رحمة من عندنا﴾ أى: نعمة من عندنا.

وقوله: ﴿وذكرى للعابدين﴾ أى: وعظًا واعتبارًا للعابدين.

قوله تعالى: ﴿وإسماعيل وإدريس وذا الكفل﴾ أما إسماعيل وإدريس فقد ذكرنا، وأما ذو الكفل قال ابن عباس: كان فى بنى إسرائيل نبى، وكان مع ذلك ملكًا، فلما حضرته الوفاة جمع بنى إسرائيل فقال: من يكفل لى أن يقوم الليل لايفتر، وأن يصوم النهار ولايفطر، وأن يقضى بالحق ولا يغضب؟ فقام شاب وقال: أنا أكفل ذلك، فجعله خليفته، وقُبض ذلك النبى، وقام بما كفل به فسمى ذا الكفل. قال ابن عباس فيما روى عنه فى هذه القصة: إن إبليس اللعين لما رأى ذلك حسده، فجاء فى هيئة شيخ ضعيف نصف النهار، وكان ذو الكفل يقيل ساعة فى نهاره، فدخل عليه وقال: إن لى غريما، وهو يمطلنى فأحب أن تقوم معى، وتستوفى حقى منه، وذكر كلاماً كثيراً، فقام وخرج معه، فلما خرج معه ساعة اعتذر إليه وقال: إن صاحبى قد هرب، فرجع ذو الكفل، وقد ذهب وقت القائلة، ففعل هكذا ثلاثة أيام، ولم يره يغضب فى شيء من ذلك، وقد ذهب نومه فى الأيام الثلاث، فقال إبليس له عند ذلك: أنا إبليس، وقد حسدتك ولم أقدر عليك، وقد وفيت بما قلت. هذا هو القول المعروف.

جنة السنة

الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ

وفى الآية قول آخر: وهو أن ذا الكفل رجل كفل أن يصلى كل ليلة مائة ركعة إلى أن يقبضه الله، فوفى بذلك فسمى ذا الكفل، واختلف القول أنه كان نبيًّا أو لم يكن نبيًّا، قال بعضهم: كان نبيًّا، وقال بعضهم: كان عبدًا صالحًا، ولم يكن نبيًّا.

وقوله: ﴿كل من الصابرين﴾ أى: على طاعتنا

قوله تعالى: ﴿وأدخلناهم فى رحمتنا﴾. قال بعض أهل المعانى: إن قوله: ﴿وأدخلناهم فى رحمتنا﴾ أبلغ من قوله: ورحمناهم؛ لأن قوله: ﴿وأدخلناهم فى رحمتنا﴾ يقتضى أنهم غُمِروا بالرحمة، وقوله: ورحمناهم يقتضى أنه أصابهم رحمته.

وقوله: ﴿إنهم من الصالحين﴾ ظاهر المعنى، والصلاح اسم يجمع جميع خصال الخير.

وقوله تعالى: ﴿وذا النون إذ ذهب مغاضبًا﴾ النون: السمكة. قال الشاعر:

ياحبذا القصر نعم القصر والوادى ... وحبذا أهله من حاضر بادى

ترقى قراقيره والوحش راتعة ... والضب والنون والملاح والحادى

وقوله: ﴿إذ ذهب مغاضبًا﴾. قال الشعبى، وعروة بن الزبير، وسعيد بن جبير: أى: مغاضبا لربه، وأما ابن عباس قال: أراد به مغاضبا لقومه، والقول الثالث: مغاضبًا للملك الذى كان فى زمانه.

وأما القول الأول فقد كرهه كثير من العلماء؛ لأن من غضب ربه فقد ارتكب كبيرة عظيمة، وذكر بعضهم: أن معنى غاضب ربه أى: أمر ربه، وسبب ذلك أنه وعد قومه أن العذاب يأتيكم يوم كذا، وخرج من بينهم، فلما كان ذلك اليوم، ورأى قوم يونس العذاب، خرجوا وضجوا إلى الله تعالى على ما ذكرنا فى سورة يونس، فرد الله عنهم العذاب، فلما بلغ يونس أن العذاب لم ينزل على قومه غضب، فما كان غضبه، لا كراهة بحكم الله، ولكن كراهة أن يسمى كذابا، فهذا معنى هذا القول.

وأما قول ابن عباس وهو المختار فإنه خرج مغاضبًا لقومه حين لم يؤمنوا، وهو حسن صحيح لا اعتراض عليه.

وأما قول من قال: إنه غاضب الملك، فروى عطية العوفى عن ابن عباس أنه كان فى بنى إسرائيل ملك، وكان مع ذلك نبيًّا يوحى إليه، وكان قد غزا بنى إسرائيل قوم، فدعا الملك يونس، وأرسله إلى أولئك القوم، فقال يونس: أمرك الله بهذا أو سمانى لك؟ قال: لا، ولكن أرسلك، فغضب وخرج من بينهم متوجهًا إلى البحر.

وقوله: ﴿ فظن أن لن نقدر عليه ﴾ وقرأ ابن عباس: «فظن أن لن نُقَدِّرَ عليه»، وهو شاذ، وقرأ ابن عامر: «فظن أن لن نَقْدِرَ عليه». واعلم أن فى الآية سؤالا معروفًا يعد من مشكلات القرآن، وهو أنه قال: ﴿ فظن أن لن نقدر عليه ﴾ فكيف يظن هذا بالله، ومن ظن هذا بالله فقد كفر؟ والجواب عنه: أن للآية وجهين: أحدهما: أن معنى قوله: ﴿ فظن أن لن نقدر عليه ﴾ أى: لن نقدر عليه بمعنى الحكم والقضاء، يقال: قدر وقدر بمعنى واحد، إلا أنه يقال: قَدَر يَقْدِرُ، وقدَّر يُقدِّر، قال الشاعر:

فليس عشيات اللوى برواجـــع ... لنا أبدًا مــا أبرم السلم النضـــر
ولا عائدًا ذاك الزمـان الذى مضى ... تباركت ما تقدِر يقع ولك الشكر

يعنى: يقدره.

ومن هذا قوله ﷺ: «فإن غم عليكم فاقدروا له»[١] أى: قدروا له، وهو خبر صحيح.

والوجه الثانى من الجواب: وهو [أن][٢] معنى قوله: ﴿ فظن أن لن نقدر عليه ﴾ أى: لن نضيق عليه، ومن هذا قوله تعالى: ﴿ وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه ﴾[٣]

(١) هو جزء من حديث متفق عليه من حديث ابن عمر، رواه البخارى (٤/١٣٥رقم ١٩٠٠ وطرفاه فى: ١٩٠٦، ١٩٠٧)، ومسلم (١٧/٢٦٤ – ٢٧١ رقم ١٠٨٠).

(٢) فى «الأصل، وك»: الذى.

(٣) الفجر: ١٦.

﴿فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾

أى: ضيق، واعلم أن معنى التضييق والتقدير عليه هو الحبس فى بطن الحوت.

قال أهل العلم: ولم يكن يونس من أولى العزم من الرسل، وكان ضيق الصدر، فلما وضع عليه أعباء النبوة تفسخ تحتها كما يتفسخ الربع، وهذا القول مأثور عن السلف.

وقوله: ﴿فنادى فى الظلمات﴾ فى القصة: أنه لما ذهب ركب السفينة، وفى السفينة قوم كثير، فجاء حوت وحبس السفينة، وخشى القوم على أنفسهم الهلاك، وتنبه يونس أنه هو المراد فقال: ألقونى تنجوا، فامتنعوا عن ذلك، ثم إنهم استهموا فخرج السهم عليه مرات، فألقوه فالتقمه الحوت، ومرت السفينة، قال سالم بن أبى الجعد: والتقم الحوت حوتٌ آخر.

وأما قوله: ﴿فنادى فى الظلمات﴾ أى: ظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت، وفى القصة: أن الحوت مرَّ به إلى الأرض السابعة، وسمع من تسبيح الأرضين والأحجار ودواب البحار أمرًا عظيمًا، فنادى فى الظلمات: ﴿أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين﴾ قال ابن عباس: مكث فيه أربعين يومًا، وعن غيره: ثلاثة أيام، وروى أنه لما دعا بهذه الدعوة سمعت الملائكة صوته، فقالوا: يارب صوت معروف من مكان مجهول، فقال الله تعالى: هو عبدى يونس جعلت بطن الحوت سجنا له فدعاْ.

وقوله تعالى: ﴿فاستجبنا له﴾ يعنى: أجبناه.

وقوله: ﴿ونجيناه من الغم﴾ أى: من غم البحر وضيق المكان.

وقوله: ﴿وكذلك نُنْجى المؤمنين﴾ وقرئ: «نُجِّىْ المؤمنين»، والأولى أن يقرأ بنونين، قال الزجاج: بنون واحد لحن، وهو من [الخطأ][1] روى عاصم عنه.

(١) فى «الأصل»: خطأ.

جنة السنة

وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا

وروى عن [سعد بن أبى] [1] وقاص - رضى الله عنه - أنه قال: سمعت النبى ﷺ يقول: «كلمة أعرفها لايقولها أحد فى كرب إلا فرج عنه، وهى كلمة أخى يونس: لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين» [2] . وفى القصة: أن الحوت ألقاه فى ساحل البحر: وأنبت الله له شجرة من يقطين، وقصة ذلك تأتى من بعد فى سورة: «والصافات»، فإن قيل: قوله: ﴿وكذلك ننجى المؤمنين﴾ هو مكتوب فى المصحف بنون واحدة فكيف جعلتم أصح القراءتين بنونين؟ والجواب عنه: أنه إنما كتب بنون واحد؛ لأن النون الأولى متحركة، والنون الثانية ساكنة، فخفيت الساكنة فى جنب المتحركة، فحذفت، وقد ذكر الفراء وجها لقراءة عاصم، وهو أن معناه: نجى النجاء المؤمنين فخفض المؤمنين على إضمار المصدر.

قوله تعالى: ﴿وزكريا إذ نادى ربه﴾ أى: دعا ربه.

وقوله: ﴿رب لاتذرنى فردًا﴾ أى: وحيداً، ومعناه: هو ما ذكرنا من دعاء الولد.

وقوله: ﴿وأنت خير الوراثين﴾.

قوله تعالى: ﴿فاستجبنا له﴾ أى: فأجبناه.

وأما قوله: ﴿ووهبنا له يحيى﴾ سمى يحيى، لأن رحمها حى بالولد.

وقوله: ﴿وأصلحنا له زوجه﴾ فيه قولان: أحدهما - وهو المعروف - أنه كان عقيمًا فجعله ولوداً، والآخر: ما روى عن عطاء أنه قال: معنى الإصلاح أنه كان فى لسان امرأته طول، وفى خلقها سوء فأصلحها.

وقوله: ﴿إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات﴾ ينصرف إلى جميع الأنبياء الذين ذكرهم.

---

(١) فى النسختين: سعيد بن وقاص، وهو خطأ.

(٢) رواه الترمذى فى سننه (٥/٤٩٥رقم٣٥٠٥)، والنسائى فى الكبرى (٦/١٦٨ رقم ١٠٤٩١، ١٠٤٩٢)، وأحمد فى مسنده (١/١٧٠) مطولا، وابن أبى الدنيا فى الفرج بعد الشدة (ص٢٥ - ٢٦)، وأبو يعلى (٢/١١٠ - ١١١رقم: ٧٧٢)، والبزار (٣/رقم١١٦٣)، والحاكم (١/٥٠٥) وقال صحيح والضياء فى العدة للكرب والشدة (ص ٥١ رقم ٢٠) بنحوه.

جنة السنة

لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم

وقوله: ﴿يسارعون﴾ أى: يبادرون.

وقوله: ﴿ويدعوننا رغبًا ورهبًا﴾ أى: رغبا فى الطاعات، ورهبًا من المعاصى، (وقيل: رغبا فى الجنة، ورهبًا من النار).[1] وقال خصيف: رغبًا ببطون الأكف، ورهبًا بظهورها.

وقوله: ﴿وكانوا لنا خاشعين﴾ أى: متواضعين، وعن ابن عباس قال: هو أن يضع يمينه على شماله فى الصلاة، يومئ ببصره إلى موضع السجود، وقال مجاهد: الخشوع هو الخوف اللازم فى القلب، وعن الحسن قال: ذُللا لأمر الله تعالى.

﴿والتى أحصنت﴾ أى: عفت ﴿فرجها﴾، وقيل: منعت من الحرام.

وقوله: ﴿فنفخنا فيها من روحنا﴾ الأكثرون أن هذا جيب الدرع على ما بينا، وفيه قول آخر: أنه نفخ رحمها، وخلق الله المسيح فى بطنها، وذكر روحنا تخصيصًا وكرامة للمسيح عليه السلام.

وقوله: ﴿وجعلناها وابنها آية للعالمين﴾

أى: دلالة للعالمين، فإن قيل: هما كانا آيتين، فهلا قال آيتين؟ والجواب: إنما قال: آية؛ لأن الآية فيهما كانت واحدة، وهى أنها أتت به من غير فحل، قال أهل العلم: وفيها آيات: أحدها: (أنه لم (تعتن)[2] قبلها أنثى للتحرز)[3]، والآخر: إتيانها بعيسى من غير أب، والثالث: مجيىء رزقها من عند الله من غير سبب من مخلوق، ويقال: إنها لم تقبل ثدى أحد سوى أمها.

قوله تعالى: ﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة﴾ أى: ملتكم ودينكم ملة واحدة،

(١) ساقط من «ك».

(٢) هكذا صورتها فى «الأصل»، وفى «ك»: تعتد!

(٣) كذا ولعله أراد أنها أول امرأة قبلت فى النذر فى المتعبد، وانظر القرطبى (١١/ ٣٣٨).

بيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴿٩٣﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ

والأمة فى أصل اللغة: اسم للجماعة، وسمى الدين أمة؛ لأنه يبعث على الاجتماع.

وقوله: ﴿وأنا ربكم فاعبدون﴾ أى: وحدونى، وحقيقة معنى الآية: أن الملة التى دعوتكم إليها هى ملة الأنبياء قبلكم، إذ دين الكل واحد، وهذا فى التوحيد، فأما الشرائع يجوز اختلافها، ويقال: معنى الآية: أنكم خلق واحد وكونوا على دين واحد.

قوله تعالى: ﴿وتقطعوا أمرهم بينهم﴾ أى: دعوت الخلق إلى دين واحد فتفرقوا، ويقال: صاروا قطعا متفرقين.

وقوله: ﴿كل إلينا راجعون﴾ أى: من تفرق، ومن لم يتفرق.

قوله تعالى: ﴿فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه﴾ أى: لاجحود لسعيه، وقيل: لايخيب سعيه بل يجازى عليه.

وقوله: ﴿وإنا له كاتبون﴾ أى: حافظون، ويقال: إن معنى الشكر من الله هو المجازاة.

قوله تعالى: ﴿وحرام على قرية﴾ وقرئ: «وحرم» قال ابن عباس معنى قوله ﴿حرام﴾ أى: واجب، قال الشاعر:

وإن حــراما لا أرى الدهــر باكيــا

على (شجوة)[1] إلا بكيت على (عمرو)[2]

أى: واجبا، فمعنى الآية على هذا: أنه واجب على قرية أهلكناها أنهم لايرجعون إلى الدنيا، فإن قيل: كيف يوجب عليهم أن لايرجعوا وليسوا بمحل الإيجاب ولا الإباحة [ولا][3] غيره؟.

---

(١) فى «ك» شجرة.

(٢) فى تفسير القرطبى: صخر (١١/ ٣٤٠).

(٣) فى «الأصل، وك»: فلا.

جنة السنة

﴿يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ﴾

والجواب: أن هذا على توسع الكلام، ومعناه: أنا نمنعهم من الرجوع، والتحريم في اللغة هو المنع.

والقول الثاني: أن «لا» صلة، قاله أبو عبيد، فمعناه: حرام على قرية أهلكناها أي: يرجعون، وقال الزجاج: قوله: ﴿وحرام على قرية﴾ معناه: وحرام على أهل قرية ﴿أهلكناها﴾، أي: حكمنا بهلاكها أن يتقبل أعمالهم؛ لـ﴿أنهم لا يرجعون﴾ أي: لايتولون(١)، قال والدليل على هذا المعنى أنه قد قال في الآية التي قبلها: ﴿ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه﴾ أي: يتقبل عمله، ثم ذكر عقبه هذه الآية، وبين أن الكافر لايتقبل عمله.

قوله تعالى: ﴿حتى إذا فتحت﴾ قرئ بالتخفيف والتشديد، ومعنى التشديد على الجمع، ومعنى التخفيف على الوحدان.

وقوله: ﴿يأجوج ومأجوج﴾ قد بينا، والفتح للسد الذي بيننا وبينهم، ويقال: إن الخلق عشرة أجزاء، تسعة أجزاء كلهم يأجوج ومأجوج، وجزء واحد هم سائر الخلق، ويقال: إن جزءاً من ألف جزء سائر الخلق، والباقي هم يأجوج ومأجوج.

قوله: ﴿وهم من كل حدب ينسلون﴾ الحدب: المكان المرتفع، فمعناه: يسرعون النزول من الآكام، وهو مكان مرتفع من القلاع، ونسلان الذئب: سرعة مشيه، قال الشاعر:

نسلان(٢) الذئب أمسى باديا(٣) ... برد الليل عليه فينسل

وقيل: من كل حدب أي: من كل جانب، فإن قيل: ما معنى ﴿حتى﴾ في أول الآية؟ وأين جوابه؟ والجواب عنه: قال بعضهم: معناه: حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون اقترب الوعد الحق، والواو مقحمة، قال امرؤ القيس:

---

(١) كذا، وفي «ك»: يقولون.

(٢) كذا. وفي لسان العرب (١١/٤٤٦، ٦٦١ مادة: عسل، نسل): عسلان. ونسبه للبيد.

(٣) في لسان العرب: قاربا.

جنة السنة

شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا

فلما أجزنا ساحة الحي وانتحى بنا بطن خبت ذى حقاف عقنقل

والواو فى قوله: وانتحى مقحمة.

والثاني: أن معنى قوله: ﴿حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون﴾ قالوا ﴿ياويلنا﴾ ويقال: ظهر لهم صدق ما قلناه، وفى بعض الغرائب من الأخبار برواية ابن مسعود: «أن النبى ﷺ ليلة أسرى به اجتمع مع إبراهيم وموسى وعيسى - صلوات الله عليهم - فذكروا أمر الساعة، فبدءوا بإبراهيم وسألوه عنها، فقال: لا علم لى بها، ثم ذكروا لموسى فقال: لا علم لى بها، ثم ذكروا لعيسى فقال عيسى: إن الله تعالى عهد إلىّ أنها دون وحيها ولايعلم وحيها، إلا الله، ثم قال عيسى: إن الله يهبطنى إلى الأرض فأقتل الدجال»[(١)].

ورد الخبر «أن يأجوج ومأجوج قد خرجوا فيغلبون على الأرض، ثم إن المسلمين يجأرون إلى الله، فيرسل الله النَّغَفَ فى رقابهم فيهلكون، وقد تنتن الأرض؛ فيرسل الله طيراً كأعناق البُخْت، فتأخذهم وتلقيهم فى البحر»[(٢)].

وعن أبى سعيد الخدرى قال: إن الناس يحجون ويعتمرون بعد خروج يأجوج ومأجوج وهلاكهم.

قوله تعالى: ﴿واقترب الوعد الحق﴾ قد بينا.

وقوله: ﴿فإذا هى شاخصة أبصار الذين كفروا﴾ أى: منزعجة.

---

(١) رواه ابن ماجة (٢/١٣٦٥ - ١٣٦٦ رقم ٤٠٨١)، وأحمد فى مسنده (١/٣٧٥)، وأبو يعلى (٩/١٩٦ - ١٩٧ رقم ٥٢٩٤)، وابن جرير (١٧/٧٢ مختصراً) والشاشى (٢/٢٧١ - ٢٧٣ رقم ٨٤٥، ٨٤٦). والحاكم (٢/٣٨٤) وقال: صحيح.

(٢) رواه مسلم فى صحيحه (١٨/٨٥ - ٩٤ رقم ٢١٣٧)، والترمذى (٤/٤٤٢ - ٤٤٥ رقم ٢٢٤٠) وقال: حسن صحيح غريب، وابن ماجة (٢/١٣٥٦ - ١٣٥٩ رقم ٤٠٧٥)، وأحمد (٤/١٨١ - ١٨٢) جميعهم من حديث النواس بن سمعان.

﴿وردوها وكلٌّ فيها خالدون ﴿٩٩﴾ لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون ﴿١٠٠﴾﴾

وقوله: ﴿ياويلنا قد كنا فى غفلة من هذا بل كنا ظالمين﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم﴾ قرأ على - رضى الله عنه - «حَطَب جهنم»، وقرأ الجحدرى: «حَصْب جهنم»، وفى الشاذ أيضًا: «حَضَب جهنم» بالضاد المعجمة متحركة، وأما المعروفة ﴿حَصَبُ جهنم﴾ وهو ما يرمى به فى النار، وأما قوله: ﴿وما تعبدون من دون الله﴾، «روى أن النبى ﷺ لما قرأ هذه الآية على الكفار، قال عبد الله بن الزبعرى: خصمتُ محمدا ورب الكعبة، ثم قال: يامحمد، أتزعم أن ما يعبد من دون الله يدخلون النار؟ قال: نعم - والورود ها هنا: الدخول - قال عبد الله بن الزبعرى: فعيسى وعزير والملائكة يعبدون من دون الله، أفهم معنا فى النار؟ فأنزل الله تعالى: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون﴾[1]، وأنزل الله أيضًا فى عبد الله بن الزبعرى: ﴿ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون﴾[2]»[3] يعنى: أنهم قالوا ما قالوا خصومة ومجادلة بالباطل، وإلا قد عرفوا أن المراد هم الأصنام.

وزعم قطرب وجماعة من النحويين أن الآية ما تناولت إلا الأصنام من حيث العربية؛ لأن الله تعالى قال: ﴿وما تعبدون من **دون الله**﴾ وهذا يقال فيما لايعقل، فأما فيمن يعقل فيقال: ومن تعبدون من دون الله.

قوله تعالى: ﴿لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها﴾ أى: ما دخلوها.

وقوله: ﴿وكل فيها خالدون﴾ أى: مقيمون.

---

(١) الأنبياء: ١٠١.

(٢) الزخرف: ٥٨.

(٣) رواه الإمام أحمد (١/٣١٧ - ٣١٨)، وابن جرير (١٧ / ٧٧)، والطبرانى (١٢/ ١٥٣ - ١٥٤رقم ١٢٧٣٩، ١٢٧٤٠)، والحاكم (٢/٣٨٥) وقال: صحيح، والواحدى فى أسباب النزول (ص٢٣٠) جميعهم من حديث ابن عباس بطوله وبعضهم مختصرًا. وقال الهيثمى فى المجمع (٧/١٠٧): رواه أحمد والطبرانى وفيه عاصم بن بهدلة، وثقه أحمد وغيره، وهو سيء الحفظ، وبقية رجاله رجال الصحيح.

إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ
فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا
يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا

قوله تعالى: ﴿لهم فيها زفير﴾ قد بينا معنى الزفير.

وقوله: ﴿وهم فيها لايسمعون﴾

قال ابن مسعود: يجعلون فى توابيت من نار، وقال بعضهم: والتوابيت فى توابيت، فلا يسمعون ولايبصرون شيئًا، ويظن كل واحد أنه لا يعذب غيره؛ لئلا يكون له تسلى الأسوة، وهذا الخبر ليس من قول ابن مسعود.

قوله تعالى: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى﴾ قد بينا.

ويقال: سبقت لهم منا السعادة، ويقال: وجبت لهم الجنة.

قوله: ﴿أولئك عنها مبعدون﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿لايسمعون حسيسها﴾ أى: حسها.

وقوله: ﴿وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون﴾ أى: مقيمون.

قوله تعالى: ﴿لا يحزنهم الفزع الأكبر﴾ قال سعيد بن جبير: الفزع الأكبر هو أن تطبق جهنم، وذلك بعد أن يخرج الله منها من يريد أن يخرجه، ويقال: الفزع الأكبر هو ذبح الموت، فيقال لهؤلاء: خلود ولا موت، ولهؤلاء: خلود ولا موت، وقيل: الفزع الأكبر: الأمر بالجر إلى النار.

وقوله: ﴿وتتلقاهم الملائكة﴾ أى: تستقبلهم الملائكة.

وقوله: ﴿هذا يومكم الذى كنتم توعدون﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب﴾ وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «يطوى الله السماء، ويأخذ الأرض بيمينه فيقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض؟»[1].

(١) متفق عليه من رواية أبى هريرة مرفوعًا. رواه البخارى (١١/ ٣٧٩ رقم ٦٥١٩)، ومسلم (١٧ / ١٩١ رقم ٢٧٨٧). وتقدم فى سورة الإسراء.

جنة السنة

وقوله: ﴿ كطى السجل للكتب ﴾ روى عن ابن إسحاق أن السجل كاتب للنبى ﷺ، وهو قول غريب. والقول الثانى: أن السجل ملك، والقول الثالث - وهو أصح الأقوال - أن السجل هو الصحيفة.

وقوله: ﴿ للكتب ﴾ أى: لأجل ما كتب، فمعناه: كطى الصحيفة لأجل المكتوب.

وقوله: ﴿ كما بدأنا أول خلق نعيده ﴾ أى: قدرتنا على إعادة الخلق كقدرتنا على إنشائه.

وقوله: ﴿ إنا كنا فاعلين ﴾ أى: قادرين عليه، وقد ورد فى هذه الآية خبر صحيح وهو ما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس أن النبى ﷺ قال: «يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا»، وفى رواية: «إنكم تحشرون يوم القيامة حفاة عراة غرلا» ثم قرأ: ﴿ كما بدأنا أول خلق نعيده ﴾، وأول من يكسى إبراهيم - عليه السلام - ويجاء بقوم من أمتى فيؤمر بهم إلى النار، فأقول: يارب، أصحابى، فيقول: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم، فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿ وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد ﴾(١) وفى رواية «أقول: سحقًا لأهل النار». قال الشيخ الإمام: أنا بهذا الحديث المكى بن عبد الرزاق، قال: أنا جدى أبو الهيثم، قال الفربرى قال البخارى، قال محمد بن كثير، عن سفيان الثورى، عن المغيرة بن النعمان، عن سعيد بن جبير ... الخبر(٢)

قوله تعالى: ﴿ ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر ﴾ قال عامر بن شراحيل الشعبى أبو عمرو: الزبور زبور داود، والذكر هو التوراة، وقال سعيد بن جبير: الزبور

(١) المائدة: ١١٧.

(٢) متفق عليه. رواه البخارى فى صحيحه ٦/٤٤٥ رقم ٣٣٤٩ وأطرافه فى: ٣٤٤٧، ٤٦٢٥، ٤٦٢٦، ٤٧٤٠، ٦٥٢٤، ٦٥٢٦)، ومسلم (١٧/٢٨١ - ٢٨٢ رقم ٢٨٦٠).

الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾

هو التوراة والإنجيل، والذكر هو اللوح المحفوظ، ومعناه: من بعد ما كتب ذكره في اللوح المحفوظ.

وقوله: ﴿أن الأرض يرثها عبادى الصالحون﴾ قال ابن عباس: والأرض أرض الجنة. وعنه أيضًا: أن الأرض هى أراضى الكفار، يفتحها الله للمسلمين، ويجعلها لهم، وقيل: إن الأرض هى الأرض المقدسة.

قوله تعالى: ﴿إن فى هذا لبلاغًا﴾ يجوز أن يكون قوله: ﴿فى هذا﴾ أى: فى القرآن، ويجوز أن يكون معناه: فى هذه السورة، وقوله: ﴿لبلاغًا﴾ أى: سببًا يبلغهم إلى رضا الله، وقيل: بلاغًا أى: كفاية.

وقوله: ﴿لقوم عابدين﴾ قيل: عالمين، وقيل: مطيعين.

قوله تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ من المشهور المعروف عن النبى ﷺ أنه قال: «إنما أنا رحمة مهداة»(١) أى: هدية من الله، ثم اختلفوا فى العالمين على قولين: فأحد القولين: أنهم المسلمون، فهو رحمة للمسلمين، والقول الثانى: أنهم جميع الخلق، وهذا القول أشهر، وأما معنى رحمته للكافرين فهو تأخير العذاب عنهم، وقيل: هو رفع عذاب الاستئصال عنهم، وأما رحمته للمؤمنين فمعلومة.

(١) رواه الترمذى فى العلل الكبير (٣/ ٨٢٠ رقم ٤١٦) والطبرانى فى الصغير (١/ ١٦٨ رقم ٢٦٤) والأوسط كما فى مجمع البحرين (٦/ ١٣٢ رقم ٣٤٩٣)، وابن عدى فى الكامل (٤/ ٢٣١)، والحاكم فى المستدرك (١/ ٣٥) وقال: صحيح على شرطهما فقد احتجا جميعًا بمالك بن سعير والتفرد من الثقات مقبولة، والرامهرمزى فى أمثال الحديث (ص ٤٣ - ٤٤ رقم ١٣) والبيهقى فى الدلائل (١/ ١٥٨)، والقضاعى فى مسند الشهاب (٢/ ١٨٩ - ١٩٠ رقم ١١٦٠، ١١٦١) من حديث أبى صالح عن أبى هريرة مرفوعًا.
ورواه ابن سعد فى الطبقات (١/ ١٥١)، وابن أبى شيبة (١١/ ٥٠٤ رقم ١١٨٣١) والدارمى (١/ ٢١ رقم ١٥) وابن الأعرابى فى معجمه (٢/ ٣٠٤ رقم ١٠٨٨) والبيهقى فى الدلائل (١/ ١٥٧) عن أبى صالح مرسلاً وقال الترمذى فى علله: سألت محمدًا - يعنى البخارى - عن هذا الحديث فقال: يروون هذا عن أبى صالح عن النبى ﷺ مرسلاً، وذكر الدارقطنى فى العلل (١٠/ ١٠٥ - ١٠٦ رقم ١٨٩٧) الاختلاف فى وصله وإرساله وصوب المرسل.

جنة السنة

قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنتُكُمْ
عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ
مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ

قوله تعالى: ﴿قل إنما يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون﴾ أى: أسلموا.

قوله: ﴿فإن تولوا فقل آذنتكم على سواء﴾ أى: لتستووا فى الإيمان به، وأوضح الأقوال ما ذكره ابن قتيبة، وهو أن معناه: آذنتكم على وجه، نستوى نحن وأنتم فى العلم به.

وقوله: ﴿وإن أدرى أقريب أم بعيد﴾ يعنى: ما أدرى أقريب أم بعيد ﴿ما توعدون﴾؟.

قوله تعالى: ﴿إنه يعلم الجهر من القول ...﴾ الآية. ظاهر المعنى

قوله تعالى: ﴿وإن أدرى لعله فتنة لكم﴾ اختلفوا فى أن الهاء إلى ماذا ترجع فى ﴿لعله﴾ على قولين: أحدهما: أنه يرجع إلى قوله: ﴿وإن أدرى أقريب أم بعيد ما توعدون﴾ يعنى: إن هذا الذى أقول لعله فتنة لكم، والقول الثانى: أنه يرجع إلى ما ذكرنا من تأخير العذاب عنهم، وقوله: ﴿فتنة﴾ أى: محنة واختبار.

وقوله: ﴿ومتاع إلى حين﴾ أى: إلى القيامة، وقيل: إلى الموت.

قوله تعالى: ﴿قل رب احكم بالحق﴾ وقرأ حفص عن عاصم: «قال رب احكم بالحق» على الخبر، والأول هو المختار؛ ولأن سواد المصحف متبع لايجوز خلافه، فإن قيل: قوله: ﴿قل رب احكم بالحق﴾ كيف يجوز هذا الدعاء، والله لايحكم إلا بالحق؟ والجواب عنه: قلنا روى عن قتادة أنه قال: كان الأنبياء قبل محمد ﷺ يقولون: ربنا افصل بيننا وبين قومنا بالحق، فأمر الله رسوله أن يقول: رب احكم بالحق، واختلفوا فى معناه، قال بعضهم :رب احكم بالحق أى: عجل الحكم بالحق،

وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

وقال أبو عبيد [١] : رب احكم بحكمك الحق، والله يحكم بالحق طلب أو لم يطلب، ومعنى الطلب هو ظهور الرغبة من الطالب فى حكمه بالحق، وهذا الأخير ليس من قول أبى عبيدة، وقال بعضهم : ﴿رب احكم بالحق﴾ تعبد من الله، والله يحكم بالحق سئل أو لم يسأل، أورده النحاس .

وقوله : ﴿وربنا الرحمن المستعان على ماتصفون﴾ أى : تكذبون . ومثله قوله تعالى : ﴿سيجزيهم وصفهم﴾ [٢] أى : سيجزيهم جزاء كذبهم، ويقال : على ماتصفون أى : تُكذِّبون .

(١) كذا، وفى القرطبى (١١ / ٣٥١) : أبو عبيدة، وسيأتى بعد قليل : أبو عبيدة .

(٢) الأنعام : ١٣٩ .

بسم الله الرحمن الرحيم

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ

تفسير سورة الحج

قال ابن عباس فى أظهر الروايتين: هى مكية إلا قوله تعالى: ﴿هذان خصمان اختصموا فى ربهم﴾[1] وآيتين بعد هذه الآية، وقوله تعالى: ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ..﴾[2] الآية، وعن ابن عباس فى رواية أخرى: أن هذه السورة مدنية إلا آيات فيها نزلت بمكة .

قوله تعالى: ﴿يأيها الناس اتقوا ربكم﴾ أى: احذروا عن عقوبته بطاعته، ويقال: اتقوا ربكم أى: اتقوا جميع المناهى، وفيها الشرك وغيره .

وقوله: ﴿إن زلزلة الساعة﴾ الزلزلة شدة الحركة على حال هائلة، واختلف القول فى هذه الزلزلة، فذكر علقمة والشعبى: أنها قبل يوم القيامة، وذكر ابن عباس والحسن وقتادة والسدى وغيرهم: أنها عند قيام الساعة، وهذا القول أصح القولين لما نذكره من الخبر من بعد .

وقوله: ﴿شىء عظيم﴾ أى: أمر عظيم .

قوله تعالى: ﴿يوم ترونها﴾ يعنى: الساعة .

وقوله: ﴿تذهل﴾ أى: تغفل وتشتغل، وفيه تسهو وتنسى، قال الشاعر فى الذهول :

أطالت بك الأيام حتى نسيتها ... كأنك عن يوم القيامة ذاهل

وقال عبدالله بن رواحة بين يدى النبى ﷺ :

(١) الحج: ١٩.

(٢) الحج: ٣٩.

مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾

ضربا يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله

وقوله: ﴿كل مرضعة عما أرضعت﴾ يعنى: كل أم عن ولدها.

وقوله: ﴿وتضع كل ذات حمل حملها﴾. فإن قال قائل: كيف تضع المرأة حملها يوم القيامة؟ الجواب: قلنا: أما على قولنا إن الزلزلة قبل قيام الساعة، فمعنى وضع الحمل على ظاهره، وإن قلنا إن الزلزلة عند قيام الساعة، فالجواب من وجهين: أحدهما: أن المراد من الآية النساء اللواتى متن وهن حبالى، والوجه الثانى، وهو الأصح: أن هذا على وجه تعظيم الأمر وذكر شدة الهول، لا على حقيقة وضع الحمل، والعرب تقول: أصابنا أمر يشيب فيه الوليد، وهذا على طريق عظم الأمر وشدته، وقد قال الله تعالى: ﴿يوما يجعل الولدان شيبا﴾(١) والمراد مابينا.

وقوله: ﴿وترى الناس سكارى وماهم بسكارى﴾ وقرى: «سكرى» بغير الألف، والمعنى واحد، والذى عليه أهل التفسير: أن المراد من الآية سكرى من الفزع والخوف، وليسوا سكارى من الشراب، وقالوا أيضاً: فى صورة السكارى، وليسوا بسكارى، والقول الأول أحسن؛ لأن الله تعالى قال: ﴿ولكن عذاب الله شديد﴾.

وفى الآية خبر صحيح أورده البخارى وغيره، وهو مارواه الأعمش، عن أبى صالح، عن أبى سعيد الخدرى أن النبى ﷺ قرأها بين الآيتين ثم قال: «إذا كان يوم القيامة يقول الله تعالى لآدم: قم ياآدم، فابعث من ذريتك بعث النار فيقول آدم: لبيك وسعديك، والخير فى يديك، ومابعث النار؟ فيقول الله تعالى: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار، [وواحد](٢) إلى الجنة، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: وأينا ذلك الواحد؟ فقال النبى ﷺ: «سددوا وقاربوا وأبشروا، فإن معكم خليقتين ماكانتا مع قوم إلاكثرتاه: يأجوج ومأجوج وكفرة الجن والإنس من قبلكم»، وفى رواية

(١) المزمل: ١٧.

(٢) فى «الأصل»: وواحدة.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ۝٣ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ۝٤﴾

قال: «تسعمائة وتسعة وتسعين من يأجوج ومأجوج، وواحد منكم، ثم قال: «إنى لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة، فكبرنا، ثم قال: إنى أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة، فكبرنا، ثم قال: إنى أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة ما أنتم فى ذلك اليوم بين الناس إلا كالشعرة البيضاء فى الثور الأسود، أو كالشعرة السوداء فى الثور الأبيض» وفى رواية: «ما أنتم فى الناس إلا كالشامة فى جنب البعير، وكالرقمة فى ذراع الدابة». قال الشيخ الإمام: أخبرنا بهذا الحديث المكى بن عبد الرزاق، قال: أخبرنا جدى أبو الهيثم، قال الفربرى، قال البخارى: قال عمر بن حفص بن غياث قال: أخبرنا أبى، عن الأعمش ... الخبر [1].

قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم﴾ الأكثرون على أن الآية نزلت فى النضر بن الحارث، وكان ينكر البعث ويجادل فيه، وعن سهل بن عبدالله فى هذه الآية قال: هو من يجادل فى آيات الله بالهوى، وعن غيره قال: هو الذى يرد النص بالقياس.

وقوله: ﴿ويتبع كل شيطان مريد﴾ المريد المتمرد، والمتمرد هو المستمر فى الشر، يقال: حائط ممرد أى: مطول، وقيل: المريد هو العارى عن الخير، يقال صبى أمرد إذا كان عاريا خده من الشَعر.

وقوله: ﴿كتب عليه﴾ أى: على الشيطان.

وقوله: ﴿أنه من تولاه فأنه يضله﴾ أى: كتب على الشيطان أن يضل من تولاه.

وقوله: ﴿ويهديه إلى عذاب السعير﴾ أى: إلى عذاب جهنم.

(١) متفق عليه. رواه البخارى (٦/رقم ٣٣٤٨ وأطرافه فى: ٤٧٤١، ٦٥٣٠، ٧٤٨٣) ومسلم (٣/١٢١ - ١٢٣ رقم ٢٢٢).

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ

قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث﴾ ذكر الله تعالى فى هذه الآية الدلالة على منكرى البعث، والخطاب للمشركين.

وقوله: ﴿إن كنتم فى ريب من البعث﴾ أى: فى شك من البعث.

وقوله: ﴿فإنا خلقناكم من تراب﴾ ذكر التراب هاهنا؛ لأن آدم خلق من تراب، وهو الأصل.

وقوله: ﴿ثم من نطفة﴾ النطفة هى الماء النازل من الصلب.

وقوله: ﴿ثم من علقة﴾ العلقة هى الدم المتجمد، وقيل: المنعقد.

وقوله: ﴿ثم من مضغة﴾ المضغة هى قطعة لحم كأنها مضغت.

وقوله: ﴿مخلقة وغير مخلقة﴾. قال ابن عباس ﴿مخلقة﴾ تام الخلق ﴿وغير مخلقة﴾ ناقص الخلق، والقول الثانى: أن المخلقة هو الولد الذى تأتى به المرأة لوقته، وغير المخلقة هو السقط، وفى هذا الموضع أخبار: منها ماروى علقمة عن ابن مسعود أنه إذا استقرت النطفة فى الرحم أخذها الملك بيده فيقول: أى رب، مخلقة أو غير مخلقة؟ فإن قال: غير مخلقة قذفها الرحم دمًا، ولم تخلق منها نسمة، وإن قال: مخلقة، قال الملك: أشقى أو سعيد؟ أذكر أو أنثى؟ مارزقه؟ ماعمله؟ مأجله؟ وأين الموضع الذى يقبض فيه؟ فيقول الله تعالى له: اذهب إلى أم الكتاب ففيه كل ذلك، فيذهب إلى أم الكتاب فيجد فيه أنه شقى أو سعيد، ذكر أو أنثى، فيكتب ذلك، فيسعى الرجل فى عمله، ويأكل رزقه، ويمضى فى أجله حتى يتوفاه الله تعالى فى المكان الذى قدر أين يقبض فيه.

وقد ورد خبران صحيحان عن النبى ﷺ فى هذا، أحدهما: ماروى الأعمش عن زيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود قال: أخبرنى الصادق المصدوق أبو القاسم ﷺ: أن خلق أحدكم يجمع فى رحم أمه أربعين يوما نطفة، ثم أربعين يوما علقة،

جنة السنة

ثم أربعين يوما مضغة، ثم يؤمر الملك بأربع كلمات؛ فيكتب رزقة، وعمله، وأجله، وشقى أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح». (١) والخبر متفق على صحته.

والخبر الثانى: هو ماروى سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن أبى الطفيل قال: سمعت عبد الله بن مسعود يقول: الشقى من شقى فى بطن أمه، والسعيد من وعظ بغيره. قال أبو الطفيل: فقلت ثكلتنى! أنشقى ولم نعمل؟ فأتيت حذيفة بن أسيد، فذكرت له قول ابن مسعود، فقال: ألا أخبرك بأعجب من هذا، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا مكثت النطفة فى رحم الأم أربعين يوما - أوخمسة وأربعين - جاء الملك فيقول: يارب، أذكر أو أنثى؟ فيقول الرب، ويكتب الملك، فيقول: أشقى أو سعيد؟ فيقول الرب، ويكتب الملك، فيقول: مارزقه، ماعمله، مأجله، مأثره، مامصيبته؟ فيقضى الله ماشاء، ويكتب الملك، ثم يطوى (٢) الصحيفة، فلا يزاد ولاينقص إلى يوم القيامة» (٣) قال الشيخ الإمام أخبرنا بهذا الحديث أبو على الشافعى بمكة حرسها الله تعالى، قال: أبو الحسن بن [فراس] (٤) قال: أخبرنا أبو جعفر الديبلى قال سعيد بن عبد الرحمن المخزومى، قال سفيان ... الخبر. أخرجه مسلم فى الصحيح.

وأنشدوا فى المخلقة:

أفى غيـــر المخلقـة البكـــاء ... فأين العزم ويحكم والحياء

وقوله: ﴿لنبين لكم﴾ أى : نبين لكم أمر الخلق فى الابتداء؛ لتستدلوا (بقدرة

---

(١) متفق عليه، وقد تقدم.

(٢) فى «ك»: يكتب.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) فى «الأصل وك»: فارس، وهو خطأ، وقد تقدم التنبيه على ذلك.

وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا

الله)[1] في الابتداء على قدرته على الإعادة .

وقوله : ﴿ونقر في الأرحام مانشاء﴾ أي : نثبت في الأرحام مانشاء ﴿إلى أجل مسمى﴾ أي : إلى وقت الولادة .

وقوله : ﴿ثم نخرجكم طفلا﴾ أي : أطفالا، واحد بمعنى الجمع .

وقوله : ﴿ثم لتبلغوا أشدكم﴾ قد بينا معنى الأشد .

وقوله : ﴿ومنكم من يُتوفى﴾ وحكى أبو حاتم أن في قراءة بعضهم : « ومنكم من يتوفى » بفتح الياء، ومعناه يستوفي أجله، والمعروف ﴿يُتوفى﴾ بالرفع يعني : يتوفى قبل بلوغ الكبر .

وقوله : ﴿ومنكم من يرد إلى أرذل العمر﴾ أي : إلى أخس العمر، والمراد منه حالة الخرف والهرم، قال عكرمة : من قرأ القرآن لم يخرِّف .

وقوله : ﴿لكيلا يعلم من بعد علم شيئا﴾ أي : لايعقل من بعد عقله شيئًا .

وقوله : ﴿وترى الأرض هامدة﴾ وهذا ذكر دليل آخر على إحياء الموت .

وقوله : ﴿هامدة﴾ أي : جافة يابسة لانبات فيها، وقال قتادة : (هامدة)[2] غبراء منهشمة، وقيل : هامدة : دارسة، قال الشاعر :

قالت قتيلة مالجسمك شاحبا ... وأرى ثيابك باليات هُمَّدا

وقال آخر :

رمى الحدثان نسوة آل حرب ... بنازلة همدن لها همودا
فرد شعورهن السود بيضا ... ورد وجوههن البيض سودا

---

(١) في « ك » : بخلق الله.

(٢) لفظة هامدة ساقطهةمن « ك » .

وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

وقوله: ﴿فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت﴾ أى: تحركت، قال الشاعر:

تثنى إذا قامت وتهتز إن مشت

كما اهتز غصن البان فى (ورق)[1] خضر

وقوله: ﴿وربت﴾ أى: انتفخت للنبات، وقيل: فى الآية تقديم وتأخير، ومعناه: وربت واهتزت، ويقال اهتزت أى: النبات، وربت أى: ارتفع، وإنما أنث لذكر الأرض، وقرأ أبو جعفر: «وربأت» بالهمز، وهو فى معنى الأول .

وقوله: ﴿وأنبتت من كل زوج بهيج﴾ أى: صنف حسن، فهذا أيضًا دليل على إعادة الخلق، وفى بعض ماينقل عن السلف: إذا رأيتم الربيع فاذكروا والنشور.

وقوله: ﴿ذلك بأن الله هو الحق﴾ يعنى: هذا الذى ذكرته لكم [دليل][2] بأن الله هو الحق .

وقوله: ﴿وأنه يحيى الموتى﴾ يعنى: هو دليل على أنه يحيى الموتى.

وقوله: ﴿وأنه على كل شىء قدير﴾ أى: لماقدر على ابتداء الخلق، وعلى إحياء الأرض الميتة، فاعلم أنه على كل شئ قدير، وفى بعض الأخبار عن النبى ﷺ: «من جاء يوم القيامة (بثلاث)[3] لم يصد وجهه عن الجنة شىء، من علم أن الله وحده لاشريك له، وأن الساعة آتية لاريب فيها، وأن الله يبعث من فى القبور»[4].

---

(١) فى «ك»: رق.

(٢) فى «الأصل ،وك»: وحد، وما أثبتناه يقتضيه السياق.

(٣) فى «ك»: بثلاثة.

(٤) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وقد روى عن معاذ بن جبل قوله: «من علم أن الله عز وجل حق، وأن الساعة آتية لاريب فيها، وأن الله يبعث من فى القبور دخل الجنة» رواه عبد الله بن أحمد فى زوائده على الزهد (ص١٨٠)، وعبد بن حميد - كما فى الدر (٤/ ٣٧٩)، وابن أبى حاتم، كما فى تفسير ابن كثير (٣/٢٠٨).

﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ

وقوله: ﴿وأن الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولاهدى﴾ أى: ولاحجة.

وقوله: ﴿ولاكتاب منير﴾ أى: ولاكتاب له نور، وفى بعض الأخبار: أن النبى ﷺ قال: «إن على الباطل ظلمة، وإن على الحق نوراً».

وعن بعضهم قال: ما عز ذو باطل، وإن طلع من جيبه القمر، وما ذل ذو حق، وإن أصفق العالم.

واعلم أن الآية نزلت فى النضر بن الحارث بن كلدة، ومجادلته إنكاره البعث وضربه لذلك الأمثال .

وقوله: ﴿ثانى عطفه﴾ أى: لاوى عنقه، وقال ابن جريج: يعرض عن الحق تكبرا.

وقوله: ﴿ليضل عن سبيل الله﴾ أى: ليضل الناس عن دين الله.

وقوله: ﴿له فى الدنيا خزى﴾ أى: هوان، وقد قتل النضر يوم بدر صبراً، ولم يقتل صبراً غيره وغير عقبة بن أبى معيط.

وقوله: ﴿ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق﴾ أى: المحرق

وقوله: ﴿ذلك بما قدمت يداك ...﴾ الآية، ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾ قال مجاهد: على شك، وقال الزجاج: على حرف أى: الطريقة فى الدين، لايدخل فيها دخول متمكن، ولايدخل بكليته فيه، ويقال: ومن الناس من يعبد الله على حرف أى: على ضعف، كالقائم على حرف الشيء يكون قدمه ضعيفا غير مستقر، ومنهم من قال: على

﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنفَعُهُ ذَٰلِكَ

حرف أى: على جهة، ثم فسر الجهة فقال: ﴿فإن أصابه خير اطمأن به﴾ أى: ثبت على الإيمان، ورضى به، وسكن إليه.

وقوله: ﴿وإن أصابته فتنة﴾ أى: محنة وبلية.

وقوله: ﴿انقلب على وجهه﴾ أى: رجع على عقبه وارتد.

وقوله: ﴿خسر الدنيا والآخرة﴾ الخسران فى الدنيا فوات مأمل وطلب، والخسران فى الآخرة هو الخلود فى النار، ويقال: الخسران فى الدنيا هو القتل على الكفر، والخسران فى الآخرة مابينا، وقرأ مجاهد: «خاسر الدنيا والآخرة».

وقوله: ﴿ذلك هو الخسران المبين﴾ أى: البين.

قال أهل التفسير: نزلت الآية فى قوم من المشركين كان يؤمن أحدهم، فإن كثر ماله، وصح جسمه، ونتجت فرسه، قال: هذا دين حسن، وقد أصبت فيه خيراً، وسكن إليه، وإن أصابه مرض أو مات ولده، أو قل ماله، قال: ما أصابنى من هذا الدين إلا شر فيرجع.

وفى بعض الأخبار: «أن رجلا من اليهود أسلم فعمى بصره، وهلك ماله، ومات ولده، فأتى النبى ﷺ وقال: يارسول الله، أقلنى، فقال: إن الإسلام لايقال، فقال: منذ دخلت فى هذا الدين لم أصب إلا شراً؛ أصابنى كذا وكذا، فقال النبى ﷺ: «إن الإسلام ليسبك الرجل، كما تسبك النار خبث الذهب والفضة والحديد».[1] والخبر غريب.

قوله تعالى: ﴿يدعو من دون الله ما لايضره وما لاينفعه﴾ أى: لايضر إن لم

(١) رواه العقيلى فى الضعفاء (٣/٣٦٨) من طريق عنبسة، عن أبى الزبير، عن جابر به، وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: وعنبسة ضعيف جدا. ورواه ابن مردويه من طريق عطية العوفى عن أبى سعيد - كما فى الدر (٤/٣٨٠) وتخريج الكشاف وهامشه (٢/٣٧٩)، وقال الحافظ ابن حجر: وإسناده ضعيف.

﴿هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُو لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ ﴿١٣﴾﴾

يعبده، ولاينفعه إن عبده.

وقوله تعالى: ﴿ذلك هو الضلال البعيد﴾ أى: الضلال المستمر.

قوله تعالى: ﴿يدعو لمن ضره أقرب من نفعه﴾ هذه الآية من مشكلات القرآن، وفيها أسئلة: أولها قال: قالوا فى الآية الأولى: ﴿ما لايضره﴾ وقال ها هنا: ﴿لمن ضره﴾.

(فكيف وجه التوفيق؟ الجواب عنه: أن معنى قوله: ﴿يدعو لمن ضره﴾)[(١)].

أى: لمن ضر عبادته، وقوله فى الآية الأولى: ﴿ما لايضره﴾ أى: (لايضر)[(٢)] إن ترك عبادته على ما بينا.

السؤال الثانى: قالوا: قال فى هذه الآية: ﴿أقرب من نفعه﴾ والجواب: أن هذا على عادة العرب، وهم يقولون مثل هذا اللفظ، ويريدون أنه لانفع له أصلا، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿ذلك رجع بعيد﴾[(٣)] أى: لا رجع أصلا.

السؤال الثالث: وهو المشكل أنه قال: ﴿لمن ضره﴾ فأيش هذا الكلام؟ الجواب: أنه اختلف أهل النحو فى هذا، فأكثر النحويين ذهبوا إلى أن هذا على التقديم والتأخير ومعناه: يدعو من بضره أقرب من نفعه، وأما المبرد أنكر هذا وقال: لايجوز هذا فى اللغة، والجواب عن السؤال على هذا: قال بعضهم: معنى ﴿يدعو﴾: يقول.

قال الشاعر:

يدعون [عنتراً][(٤)] (والسيوف)[(٥)] كأنها   أشطان بئر فى لبان الأدهم

يعنى: يقولون. فعلى هذا معنى الآية: يدعو أى: يقول لمن ضره أقرب من نفعه:

---

(١) ساقط من «ك».
(٢) فى «ك»: لايضره.
(٣) ق: ٣.
(٤) من تفسير القرطبى، وفى« الأصل، وك»: عنترا، وهو خلاف الجادة.
(٥) فى تفسير القرطبى، والرماح.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ

هو إله أو مولى، ومنهم من قال: يدعو لمن ضره يعنى: إلى الذى ضره أقرب من نفعه، ومنهم من قال معناه: ذلك هو الضلال البعيد يدعو أى: فى حال دعائه ثم استأنف فقال: ﴿لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير﴾، ومنهم من قال: ذلك هو الضلال البعيد يدعو يعنى: الذى هو الضلال البعيد يدعو، وذلك بمعنى «الذى»، ثم استأنف قوله: ﴿لمن ضره أقرب من نفعه﴾ اختاره الزجاج. وقال ابن فارس حين حكى أكثر هذه الأقاويل: ونكل الآية إلى عالمها.

وقوله: ﴿لبئس المولى﴾ أى: الناصر، وقيل: المعبود.

وقوله: ﴿ولبئس العشير﴾ أى: المخالط والصاحب، والعرب تسمى الزوج: عشيرا؛ لأجل المخالطة.

قال النبى ﷺ: «إنكن تكثرن اللعن وتكفرن العشير»[1] أى: الزوج.

قوله تعالى: ﴿إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات...﴾ الآية إلى آخرها ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿من كان يظن أن لن ينصره الله﴾ قال ابن عباس: معناه من كان يظن أن لن ينصر الله محمدا.

وروى عنه أنه قال: لما دعا رسول الله ﷺ أسداً وغطفان إلى الإسلام - وكان بينهم وبين أهل الكتاب حلف - فقالوا: لايمكننا أن نسلم ونقطع الحلف؛ لأن محمداً ربما لايظهر ولايغلب؛ فينقطع الحلف بيننا وبين أهل الكتاب فلا يميروننا، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

والقول الثانى: من كان يظن أن لن ينصره الله، أى: لن يرزقه الله، وهذا فيمن

(١) متفق عليه من حديث أبى سعيد الخدرى رواه البخارى (١/٤٨٣ رقم ٣٠٤ وأطرافه: ١٤٦٢، ١٩٥١، ٢٦٥٨)، ومسلم (٢/٩٠رقم ٨٠) ورواه مسلم من حديث ابن عمر وأبى هريرة (٢/٨٧،٩١).

جنة السنة

بسبب إلى السَّماء ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ

أساء الظن بربه، وخاف أن لايرزقه.

قال أبو عبيدة: تقول العرب: أرض منصورة أى: ممطورة، وعن بعض الأعراب أنه سأل وقال: انصرنى ينصرك الله أى: أعطنى أعطاك الله.

وقوله: ﴿فى الدنيا والآخرة﴾ ظاهر المعنى.

وقوله: ﴿فليمدد بسبب إلى السماء﴾ المراد من السماء: سماء بيته فى قول جميع المفسرين، وهو السقف.

والسبب: الحبل، ومعناه: فليمدد حبلا من سقف بيته ﴿ثم ليقطع﴾ أى: ليختنق به.

وقوله: ﴿فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ﴾ أى: هل له حيلة فيما يغيظه ليدفع عن نفسه؟ ويقال: ثم لينظر هل ينفعه مافعله؟.

قال أهل المعانى: وهو مثل قول القائل: إن لم ترض بكذا فمت غيظاً.

قوله تعالى: ﴿وكذلك أنزلناه آيات بينات...﴾ الآية. ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا﴾ قد بينا هذا فى سورة البقرة.

وقوله: ﴿إن الله يفصل بينهم يوم القيامة﴾ فإن قيل: مامعنى إعادة «إن» فى آخر الآية، وقد ذكرها فى أول الآية؟ والجواب: أن العرب تقول مثل هذا للتأكيد. قال الشاعر:

إن الخليفة إن الله سربله ... سربال ملك به ترجى الخواتيم

وقوله: ﴿إن الله على كل شىء شهيد﴾ أى: شاهد.

قوله تعالى: ﴿ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض﴾ الآية، قال الزجاج: السجود هاهنا بمعنى الطاعة أى: يطيعه، واستحسنوا هذا القول؛ لأنه موافق للكتاب، وهو قوله تعالى: ﴿ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين﴾[1] وأيضا

(١) فصلت: ١١.

جنة السنة

﴿اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾﴾

فإن من اعتقاد أهل السنة أن الحيوان والموات مطيع كله لله تعالى، وقال بعضهم: إن سجود الحجارة هو بظهور أثر الصنع فيه، على معنى أنه يحمل على السجود والخضوع لمن تأمله وتدبر فيه، وهذا قول فاسد، والصحيح ماقدمنا، والدليل عليه أن الله تعالى وصف الحجارة بالخشية، فقال: ﴿وإن منها لما يهبط من خشية الله﴾(١) ولايستقيم حمل الخشية على ظهور أثر القدرة فيه، وأيضا فإن الله تعالى قال: ﴿ياجبال أوبى معه﴾(٢) أى: سبحى معه، ولوكان المراد ظهور أثر الصنع لم يكن لقوله: ﴿مع داود﴾(٣) معنى؛ لأن داود وغيره فى رؤية أثر الصنع سواء، وأيضًا فإن الله تعالى قال: ﴿وإن من شىء إلا يسبح بحمده﴾(٤) أى: يطيع الله بتسبيحه ﴿ولكن لاتفقهون تسبيحهم﴾(٤) ولو كان المراد بالتسبيح ظهور أثر الصنع فيه لم يستقم قوله: ﴿ولكن لاتفقهون تسبيحهم﴾(٤) ذكر هذه الدلائل أبو إسحاق الزجاج إبراهيم بن السرى، وأثنى عليه ابن فارس فقال: ذب عن الدين ونصر السنة.

وقوله: ﴿والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب﴾ أى: هذه الأشياء (كلها تسبح الله تعالى)(٥)

وقوله: ﴿وكثير من الناس﴾ أى: المسلمون .

وقوله: ﴿وكثير حق عليه العذاب﴾ هم الكافرون، وإنما حق عليهم العذاب هاهنا بترك السجود، ومعنى الآية: وكثير من الناس أَبَوْا السجود فحق عليهم العذاب.

وقوله: ﴿ومن يهن الله فما له من مكرم﴾ أى: ومن يشقى الله فما له من مسعد، وقال بعضهم: ومن يهن الله: ومن يذله الله، فما له من إكرام أى: لا يكرمه أحد.

---

(١) البقرة: ٧٤.
(٢) سبأ: ١٠.
(٣) الأنبياء: ٧٩.
(٤) الإسراء: ٤٤.
(٥) ساقط من «ك».

هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن

وقوله: ﴿إن الله يفعل ما يشاء﴾ أى: يكرم ويهين، ويشقى ويسعد، بمشيئته وإرادته، وهو اعتقاد أهل السنة.

قوله تعالى: ﴿هذان خصمان اختصموا فى ربهم﴾ فى الآية أقوال: أحدها: أنها نزلت فى أهل الكتاب (والمسلمين، قال أهل الكتاب)[1]: ديننا خير من دينكم، ونحن أحق بالله منكم؛ لأن نبينا وكتابنا أقدم، وقال المسلمون: نحن أولى بالله منكم، وديننا خير من دينكم؛ لأن كتابنا قاضٍ على الكتب؛ ولأن نبينا خاتم النبين، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وهذا قول قتادة وجماعة.

والثانى: ما روى عن محمد بن سيرين أنه قال: نزلت الآية فى الذين بارزوا يوم بدر من المسلمين والمشركين، فالمسلمون هم: حمزة، وعلى، وعبيدة بن الحارث، والمشركون هم: شيبة بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، فالآية نزلت فى هؤلاء الستة، وكان أبو ذر يقسم بالله أن الآية نزلت فى هؤلاء، ذكره البخارى فى الصحيح.

والقول الثالث: أن الآية نزلت فى جملة المسلمين والمشركين.

والقول الرابع: أنها نزلت فى الجنة والنار اختصمتا، فقالت الجنة: خلقنى الله؛ ليرحم بى، وقالت النار: خلقنى الله؛ لينتقم بى، وهذا قول عكرمة، والمعروف القولان الأولان. قال ابن عباس: ذكر الله تعالى ستة أجناس فى قوله: ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا...﴾ الآية وجعل خمسة فى النار وواحدا للجنة فقوله: ﴿هذان خصمان﴾ ينصرف إليهم، فالمؤمنون خصم، وسائر الخمسة خصم.

وقوله: ﴿اختصموا فى ربهم﴾ أى: جادلوا فى ربهم.

وقوله: ﴿فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار﴾ أى: نحاس مذاب، ويقال:

---

(١) ساقط فى «ك».

فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ

سمى النار التى يعذبون بها لباسا؛ لأنها تحيط بهم كإحاطة اللباس، وقال بعضهم: يلبس أهل النار مقطعات من النار، وهذا أولى الأقاويل.

وقوله: ﴿يصب من فوق رءوسهم الحميم﴾ وهو الماء الذى انتهت حرارته، وفى التفسير: أن قطرة منه لو وضعت على جبال الدنيا لأذابتها.

وقوله: ﴿يصهر به﴾ أى: يذاب به، وفى الأخبار: أنه يثقب رأس الكافر، ويصب على دماغه الحميم، فيصل إلى جوفه، فتسليه جميع ما فى جوفه.

وقوله: ﴿والجلود﴾ أى: ويذيب الجلود وينضجها.

وقوله: ﴿ولهم مقامع من حديد﴾ المقمعة هى المرزبة من حديد، ويقال: هى الحرز من حديد، وقيل: إن مقمعة منها لو وضعت فى الدنيا، واجتمع الإنس والجن عليها لم يقلوها.

وقوله: ﴿كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم﴾ أى: رَجَوْا، وفى التفسير: أن النار تجيش بهم، فترفعهم إلى أعلاها، فيريدون الخروج، فيضربهم الزبانية بالمقامع من الحديد، فيهوون فيها سبعين خريفا.

وقوله: ﴿وذوقوا عذاب الحريق﴾ أى: تقول لهم الملائكة: ذوقوا عذاب الحريق.

قوله تعالى: ﴿إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الأنهار﴾ ظاهر المعنى.

وقوله: ﴿يحلون فيها من أساور من ذهب﴾ الأساور جمع السوار.

وقوله: ﴿من ذهب﴾ معلوم المعنى.

وقوله: ﴿ولؤلؤ﴾ [١] أى: ومن لؤلؤ.

---

(١) فى «ك»: ولؤلؤا.

الْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَىٰ صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

وقرئ: «لؤلؤًا» أى: يحلون لؤلؤًا.

وقوله: ﴿ولباسهم فيها حرير﴾ أى: من الديباج، وروى شعبة عن خليفة بن كعب، عن ابن الزبير قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: قال رسول الله ﷺ: «من لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة، (ومن لم يلبسه فى الآخرة)(١)، لا يدخل الجنة؛ لأن الله تعالى قال: ﴿ولباسهم فيها حرير﴾»(٢).

وفى بعض الأخبار: «ولو دخل الجنة لم يلبسه فى الجنة».(٣)

وقوله: ﴿وهدوا إلى الطيب من القول﴾ قال ابن عباس: هو شهادة أن لا إله إلا الله، ويقال هو: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، وقيل: هو قول أهل الجنة: ﴿الحمد لله الذى صدقنا وعده﴾(٤) وعن قطرب: أنه القرآن، ويقال: هو الأمر بالمعروف، وقيل: هو القول الذى يثنى به الخلق، ويثيب عليه الخالق.

وقوله: ﴿وهدوا إلى صراط الحميد﴾ أى: صراط الله، وصراط الله هو الإسلام، ويقال: إلى المنازل الرفيعة.

قوله تعالى: ﴿إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله﴾ (تقدير الآية: إن الكافرين والصادين عن سبيل الله، وقال بعضهم معناه: إن الذين كفروا فيما تقدم

(١) ساقط من «ك».

(٢) متفق عليه إلا قوله: «ومن لم يلبسه فى الآخرة...» فهو مدرج من كلام ابن الزبير لايصح مرفوعًا. رواه البخارى (١٠/٢٩٦ رقم ٥٨٣٤)، ومسلم (١٤/٥٧ - ٦٦ رقم ٢٠٦٩). وأما قوله: «ومن لم يلبسه فى الآخرة فهو من قول ابن الزبير كما عند النسائى فى الكبرى (٦/٤١١ رقم ١١٣٤٣)، والإسماعيلى، كما فى الفتح للحافظ ابن حجر (١٠/٣٠١).

(٣) رواه الإمام أحمد فى مسنده (٣/٢٣)، والطيالسى (رقم ٢٢١٧)، وابن حبان فى صحيحه (١٢/ رقم ٥٤٣٧)، والحاكم (٤/١٩١) وقال: صحيح.

(٤) الزمر: ٧٤.

﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾

ويصدون عن سبيل الله)[١] فى الحال.

وقوله: ﴿والمسجد الحرام﴾ أى: يصدون عن المسجد الحرام.

وقوله: ﴿الذى جعلناه للناس﴾ أى: جعلناه للناس قبلة لصلاتهم، ومنسكا لحجهم.

وقوله: ﴿سواءٌ العاكف فيه والبادى﴾ وقرئ: «سواءً العاكف فيه والباد» بالنصب والتنوين، فقوله: ﴿سواءٌ﴾ بالرفع معلوم المعنى، وقوله: ﴿سواءً﴾ بالنصب أى: سويتهم سواءً، وقوله: ﴿العاكف فيه والبادى﴾ المقيم فيه، والجائى.

واختلفوا أن المراد من هذا هو جميع الحرم أو المسجد الحرام؟ فأحد القولين: أن المراد منه هو مسجد الحرام، وهذا قول الحسن وجماعة، ومعنى التسوية هو التسوية فى تعظيم الكعبة، وفضل فيه[٢]، وفضل الطواف وسائر العبادات وثوابها، والقول الثانى: أن المراد من الآية جميع الحرم، ومعنى التسوية: أن المقيم بمكة والجائى من مكة سواء فى النزول، فكل من وجد مكانا فارغًا ينزل، إلا أنه لا يزعج أحدا، وهذا قول مجاهد وعمر بن عبد العزيز وعطاء وجماعة من التابعين، وكان عمر - رضى الله عنه - ينهى الناس أن يغلقوا أبوابهم فى زمان الموسم، وفى رواية: منعهم أن يتخذوا الأبواب فاتخذ رجل بابًا فضربه بالدرة، وفى الخبر: أن دور مكة كانت تدعى السوائب، من شاء سكن، ومن استغنى أسكن، وعلى هذا القول لا يجوز بيع دور مكة وإجارتها، وعلى القول الأول يجوز.

وقوله: ﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم﴾ (فيه قولان: أحدهما: أن الباء زائدة، ومعناه: ومن يرد فيه إلحادا بظلم)[١] قال الشاعر:

[نحن بنى جعدة أصحاب الفلج ... نضرب بالسيف ونرجو بالفرج][٣]

---

(١) ساقط من «ك».

(٢) كذا.

(٣) من تفسير القرطبى، وفى «الأصل، وك»:

إن بنى جهدة أضحت بالفلج ... نضرب بالسيف ونرجو بالفرج

وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لاَّ تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ

أى: تدعو الفرح، وهذا قول الفراء ونحاة الكوفة، وأما المبرد أنكر أن تكون الباء زائدة وقال معنى الآية: من يكون إرادته فيه بأن يلحد بظلم، قال الشاعر:

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لى ليلى بكل سبيل(١)

ومعناه: أراد فى أن أنسى.

وقوله: ﴿نذقه من عذاب أليم﴾ أى: يوصل إليه العذاب الأليم، وأما الإلحاد فهو الميل، يقال: لحد وألحد بمعنى واحد، ومنهم من قال: أُلحد إذا جادل، ولحد إذا عدل عن الحق، وأما معنى الإلحاد هاهنا، قال بعضهم: هو الشرك، وقال بعضهم: هو كل سيئة حتى شتم الرجل غلامه، وقال عطاء: الإلحاد فى الحرم هو أن يدخل غير محرم، أو يرتكب محظور الحرم بأن يقتل صيدا، أو يقلع شجرة. فإن قال قائل: أيش معنى تخصيص الحرم بهذا كله؛ وكل من عمل سيئة، وإن كان خارج الحرم استحق العقوبة؟. والجواب: ما روى عن ابن مسعود أنه قال: من هم بخطيئة فى غير الحرم لم تكتب عليه، ومن هم بخطيئة فى الحرم كتب عليه، وعنه أنه قال: وإن كان بعدن أبين، ومعناه: أنه وإن كان بعيدا من الحرم فإذا هم بخطيئة فى الحرم أخذ به، وهذا معنى الإرادة المذكورة فى الآية.

قوله تعالى: ﴿وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت﴾ أى: بينا وأعلمنا، وإنما ذكر ﴿مكان البيت﴾؛ لأن الكعبة رفعت إلى السماء من الطوفان، ثم إن الله تعالى لما أمر إبراهيم ببناء البيت، بعث ريحًا خجوجًا فكنس موضع البيت حتى أبدى عن موضع البناء. وفى رواية أخرى: أن الله تعالى بعث سحابة بقدر البيت فيها رأس تكلم فقال: يا إبراهيم، ابنِ بقدرى، فهذا معنى قوله: ﴿وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت﴾.

وقوله: ﴿ألا تشرك بى شيئاً﴾ يعنى: وقلنا له: لا تشرك بى شيئًا.

---

(١) فى «ك»: سبيلى.

وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ

وقوله: ﴿ وطهر بيتى للطائفين ﴾ أى: الطائفين بالبيت.

وقوله: ﴿ والقائمين ﴾ أى: المقيمين. ﴿ والركع السجود ﴾ أى: المصلين.

وقوله: ﴿ وطهر بيتى ﴾ أى: ابن بيتى طاهرا.

قوله تعالى: ﴿ وأذن فى الناس بالحج ﴾ وقرأ ابن أبى إسحاق: «بالحِج» بخفض الحاء، وكذلك فى جميع القرآن، وفى القصة: أن إبراهيم - عليه السلام - صعد المقام، فارتفع المقام حتى صار كأطول جبل فى الدنيا، وفى رواية: صعد أبا قبيس ثم نادى: يا أيها الناس، إن الله تعالى كتب عليكم الحج فأجيبوا ربكم، فأجابه كل من يحج من أرحام الأمهات وأصلاب الآباء، قال ابن عباس: وأول من أجابه أهل اليمن، فهم أكثر الناس حجا، فالناس يأتون ويقولون: لبيك اللهم لبيك، فهو إجابة إبراهيم، وروى أن إبراهيم - صلوات الله عليه - لما أمره الله تعالى بدعاء الناس قال: يارب، كيف يبلغهم صوتى؟ قال: عليك الدعاء وعلى التبليغ.

وقوله: ﴿ يأتوك رجالا ﴾ أى: رجالة، وهم المشاة، وفى بعض الأخبار: أن آدم - صلوات الله عليه - حج أربعين حجة ماشيا.

وقوله: ﴿ وعلى كل ضامر ﴾ أى: وعلى كل بعير ضامر، والضامر هو المهزول، قال ابن عباس: ما أتأسف على شىء، تأسفى أنى لم أحج ماشيا؛ لأن الله تعالى قدم المشاة على الركبان.

وقوله: ﴿ يأتين من كل فج عميق ﴾ أى: من كل طريق بعيد.

وقوله: ﴿ ليشهدوا منافع لهم ﴾ قال أبو جعفر محمد بن على: هى المغفرة، وقال غيره: منافع لهم أى: التجارة، والقول الأول أحسن، ويقال: منافع الدنيا والآخرة.

وقوله: ﴿ ويذكروا اسم الله عليه فى أيام معلومات ﴾ قال ابن عباس: الأيام

﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾

المعلومات هى العشر، وقال على وابن عمر: هى يوم النحر وثلاثة أيام بعده.

وقوله: ﴿على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ أى: إذا ذبحوها.

وقوله: ﴿فكلوا منها﴾ هذا أمر إباحة، وليس بأمر إيجاب، وقال بعضهم: هو أمر (ندب)[1]، ويستحب أن يأكل منها.

وقوله: ﴿وأطعموا البائس الفقير﴾ البائس هو الذى اشتد بؤسه، والبؤس: العدم، وقيل: البائس هو الذى به زمانة، والفقر معلوم المعنى.

قوله تعالى: ﴿ثم ليقضوا تفثهم﴾ التفث هاهنا هو حلق الرأس، وقلم الظفر ونتف الإبط وإزالة الوسخ، وقيل: إن التفث هاهنا رمى الجمار، وقال الزجاج: ولا يعرف التفث ومعناه إلا من القرآن، فأما قطرب حكاه عن أهل اللغة بمعنى الوسخ.

وقوله: ﴿وليوفوا نذورهم﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه الوفاء بما نذره على ظاهره، والقول الآخر: أن معناه الخروج عما وجب عليه نذرا ولم ينذر، والعرب تقول لكل من خرج عن الواجب عليه: وفَّى بنذره.

وقوله: ﴿وليطوفوا بالبيت العتيق﴾ هذا الطواف هو طواف الإفاضة، وعليه أكثر أهل التفسير.

وقوله: ﴿بالبيت العتيق﴾ فى العتيق قولان: أحدهما: أن الله تعالى أعتقه عن أيدى الجبابرة، فلم يتسلط عليه جبار، والثانى: ﴿العتيق﴾ أى: القديم، وهو قول الحسن، وفى العتيق قول ثالث: وهو أن معنى ﴿العتيق﴾ أن الله تعالى أعتقه عن الغرق أيام الطوفان، وهذا قول معتمد يدل عليه قوله تعالى: ﴿وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت﴾[2] فلما قال: ﴿مكان البيت﴾ دل أن البيت رُفِعَ أيام الطوفان.

---

(١) فى «ك»: مندوب.

(٢) الحج: ٢٦

ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الأَنْعَامُ إِلاَّ مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾

قوله تعالى: ﴿ذلك ومن يعظم حرمات الله﴾ قال مجاهد: حرمات الله الحج والعمرة، وقال عطاء: حرمات الله ما نهى عنه، والحرمة كل ما نهى عن انتهاكها، قال زيد بن أسلم: حرمات الله ها هنا خمسة: البيت الحرام، والبلد الحرام، والشهر الحرام، والمسجد الحرام، والإحرام، وقال بعضهم: تعظيم حرمات الله أن يفعل الطاعة، ويأمر بها، ويترك المعصية، وينهى عنها.

وقوله: ﴿فهو خير له عند ربه﴾. معناه: أن تعظيم الحرمات خير له عند الله فى الآخرة.

وقوله: ﴿وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم﴾ ما يتلى عليكم هو قول الله تعالى فى سورة المائدة: ﴿حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير...﴾(١) الآية.

وقوله: ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾ «مِنْ» هاهنا للتجنيس، ومعناه: اجتنبوا الأوثان التى هى رجس، ويقال: إن الرجس والرجز هو العذاب، ومعنى قوله: ﴿فاجتنبوا الرجس﴾ أى: اجتنبوا سبب العذاب.

وقوله: ﴿واجتنبوا قول الزور﴾ أى: الكذب، قال عبد الله بن مسعود: أشهد لقد عدلت شهادة الزور بالشرك، وتلا هذه الآية: ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور﴾.

وروى هذا اللفظ مرفوعًا إلى النبى ﷺ(٢).

---

(١) المائدة: ٣.

(٢) رواه أبو داود (٣/٣٠٤ – ٣٠٥ رقم ٣٥٩٩)، والترمذى (٤/٤٧٥ رقم ٢٣٠٠)، وابن ماجة (٢/٧٩٤ رقم ٢٣٧٢)، وأحمد (٤/٣٢١، ٣٢٢)، وابن أبى شيبة فى مصنفه (٧/٢٥٨)، والطبرى فى تفسيره (١٧/١١٢) جميعهم من حديث خريم بن فاتك. وقال ابن القطان: لايصح، لأنه من رواية زياد العصفرى، وهو مجهول، عن حبيب بن النعمان الأسدى، ولايعرف بغير هذا، ولايعرف حاله. تخريج الكشاف (٢/٣٨٣ – ٣٨٤)، وقال الحافظ فى التلخيص (٤/٣٤٩): وإسناده مجهول. ورواه الترمذى (٤/٤٧٤ رقم ٢٢٩٩)، وأحمد (٤/١٧٨)، والطبرى (١٧/١١٢) من حديث أيمن بن خريم، وقال الترمذى: غريب، إنما نعرفه من حديث سفيان بن زياد، واختلفوا فى رواية الحديث عن سفيان بن زياد، ولا نعرف لأيمن بن خريم سماعا من النبى ﷺ.

﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى﴾

وفى الآية قول آخر: وهو أن قول الزور هو الشرك، والقول الثالث: أن قول الزور هو تلبيتهم: لبيك اللهم لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك.

وقوله: ﴿حنفاء لله غير مشركين به﴾. قال أهل التفسير: كانت قريش يقولون: من حج واحتنف وضحى، فهو حنيف، فقال الله تعالى: ﴿حنفاء لله غير مشركين به﴾ يعنى أن (الحنيفة) [١] إنما يتم بترك الشرك، ومن أشرك لا يكون حنيفا، وقد بينا معنى الحنيف من قبل.

وقوله: ﴿ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء﴾ أى: سقط من السماء، وفى بعض الأخبار عن بعض الصحابة أنه قال: «بايعت رسول الله ﷺ أن لا أخر إلا مسلما»[٢] أى: لا أسقط ميتا إلا مسلما.

وقوله: ﴿فتخطفه الطير﴾ أى: تسلبه الطير وتذهب به.

وقوله: ﴿أو تهوى به الريح فى مكان سحيق﴾. أى: تسقط به الريح فى مكان بعيد، ومعنى الآية: أن من أشرك فقد هلك، وبعد عن الحق بعدا لا يصل إليه بحال ما دام مشركًا.

قوله تعالى: ﴿ذلك ومن يعظم شعائر الله﴾ فى الشعائر قولان: قال ابن عباس: هى البُدن، وتعظيمها استسمانها واستحسانها، وعن عطاء: أن شعائر الله هى الجمار، وعن [زيد][٣] بن أسلم قال: شعائر الله: الصفا والمروة، والركن، والبيت،

(١) فى «ك»: الحنيفية.

(٢) رواه النسائى فى الصغرى (٢/٢٠٥ رقم ١٠٨٤)، وأحمد فى مسنده (٣/٤٠٢)، والطحاوى فى المشكل (١/٧٩)، والطبرانى فى الكبير (٣/١٩٥ رقم ٣١٠٦) عن حكيم بن حزام مرفوعا: «بايعت رسول الله ﷺ على ألا أخر إلا قائما». قال ابن الأثير فى النهاية (٢/٢١): ومعنى الحديث: لا أموت إلا متمسكا بالإسلام، وانظر شرح مشكل الآثار (١/٧٩-٨١).

(٣) فى «الأصل»: يزيد، وهو خطأ.

جنة السنة

﴿الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾

وعرفة، والمشعر الحرام، والجمار، وقال بعضهم: شعائر الله: معالم دينه.

وقوله: ﴿فإنها من تقوى القلوب﴾ أى: هذه الفعلة، وهى التعظيم من تقوى القلوب.

وقوله: ﴿لكم فيها منافع﴾ قال عروة بن الزبير: يعنى المنافع من البدن قبل النحر، وذلك ركوبها والشرب من لبنها، وغير ذلك، وقال مجاهد: المنافع التى فيها قبل أن يسمى للهدى، فإذا سميت للهدى فلا ينتفع بها، وهذا قول ابن عباس وطائفة من الصحابة، والقول الأول اختاره الشافعى - رحمة الله عليه - استدلوا (على صحة القول)[1] الأول بما روى: أن النبى ﷺ رأى رجلا يسوق بدنة، فسأله عنها فقال: إنها بدنة، فقال: اركبها ويلك[2].

وقوله: ﴿إلى أجل مسمى﴾ على القول الأول: الأجل المسمى هو النحر، وعلى القول الثانى: الأجل المسمى تسميتها بدنة، وأما إذا حملنا الشعائر على غير البدن فقوله: ﴿لكم فيها [منافع][3]﴾ ينصرف إلى ما ذكر الله تعالى من الثواب فى تعظيم الشعائر التى ذكرناها.

وقوله: ﴿ثم محلها إلى البيت العتيق﴾ المحل هاهنا هو وقت النحر ومكانه.

وقوله: ﴿إلى البيت العتيق﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿ولكل أمة جعلنا منسكا﴾ قال ابن عباس: عيدا، وقال غيره:

---

(١) فى النسختين على الصحة قول الأول.

(٢) متفق عليه من حديث أبى هريرة، رواه البخارى (٣/٦٢٦ رقم ١٦٨٩ وأطرافه فى: ١٧٠٦، ٢٧٥٥، ٦١٦٠)، ومسلم (٩/١٠٦ - ١٠٨ رقم ١٣٢٢). ومن حديث أنس بنحوه، رواه البخارى (٣/٦٢٦ رقم ١٦٩٠ وأطرافه فى: ٢٧٥٤، ٦١٥٩)، ومسلم (٩/١٠٨ - ١٠٩ رقم ١٣٢٣).

(٣) فى «الأصل، وك»: خير.

لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن

مذبحا، ويقال: متعبدا.

وقوله: ﴿ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ يعني: ليذكروا اسم الله تعالى على نحر ما رزقهم الله من بهيمة الأنعام.

وقوله: ﴿فإلهكم إله واحد﴾ يعني: سموا على الذبائح اسم الله تعالى وحده، فإن إلهكم إله واحد.

وقوله: ﴿فله أسلموا﴾ أي: فله أخلصوا.

وقوله: ﴿وبشر المخبتين﴾ فيه أقوال: أحدها: أنه بمعنى المتواضعين، وقال إبراهيم النخعي: بمعنى المخلصين، وقال غيره: بمعنى الصالحين، ويقال: بمعنى المسلمين، وعن عمرو بن أوس قال: هم الذين لا يظلمون، وإذا ظُلموا لم ينتصروا، وذكر الكلبي أن المخبتين هم الرقيقة قلوبهم، والخبت هو المكان المطمئن من الأرض، قال امرؤ القيس شعرا:

فلما أجزنا ساحة الحي وانتحى بنا بطن خبت ذي خفاف عقنقل

وقوله: ﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ أي: خافت قلوبهم.

وقوله: ﴿والصابرين على ما أصابهم﴾ أي: وبشر الصابرين على ما أصابهم.

وقوله: ﴿والمقيمي الصلاة﴾ أي: المقيمين للصلاة.

وقوله: ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿والبدن جعلناها لكم من شعائر الله﴾ البدن جمع البدنة، وسميت البدنة لضخامتها، والبعير والبقر يسمى: بدنة، فأما الغنم لا تسمى بدنة.

وقوله: ﴿جعلناها لكم من شعائر الله﴾ قد بينا، ومعناه: من أعلام دين الله، وسمى البدن شعائر؛ لأنها تشعر، وإشعارها هو أن تطعن في سنامها على ما هو

شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ

المعروف فى الفقه، وفى الآثار: أن عمر – رضى الله عنه – حج آخر حجة فى آخر سنة، فكان يرمى جمرة العقبة، فأصابت جمرة صلعته فسال الدم منها، فقال رجل: أشعر أمير المؤمنين فلما رجع إلى المدينة قتل.

وقوله: ﴿لكم فيها خير﴾ قد بينا.

وقوله: ﴿فاذكروا اسم الله عليها صواف﴾ وعن ابن مسعود أنه قرأ: «صوافى»، وعن الحسن البصرى أنه قرأ: «صوافن»، والمعروف ﴿صواف﴾ ومعناه: مصطفة، وأما «صوافى» معناه: خالصة، وأما «صوافن» فهو أن يقام على ثلاث قوائم، ويعقل يده اليسرى، وهذا هو الصفون. قال الشاعر:

ألف الصفون فما يزال كأنه … مما يقوم على الثلاث كسير

وقوله: ﴿فإذا وجبت جنوبها﴾ أى: سقطت على جنوبها.

وقوله: ﴿فكلوا منها﴾ قد بينا.

وقوله: ﴿وأطعموا القانع والمعتر﴾ المعروف أن القانع هو السائل، والمعتر هو الذى يتعرض ولا يسأل، قال مالك: أحسن ما سمعت فى هذا أن القانع هو المعتر والمعتر، الرائى، قال الشاعر:

على مكثريهم حق من يعتريهم … وعند المقلين السماحة والبذل

ويقال: القانع هو الذى يقنع بما أعطى، والمعروف هو القول الأول أن القانع هو السائل، ويقال: المسكين الطواف.

وقوله: ﴿كذلك سخرناها لكم﴾ أى: ذللناها لكم.

وقوله: ﴿لعلكم تشكرون﴾ ظاهرالمعنى.

قوله تعالى: ﴿لن ينال الله لحومها ولا دماؤها﴾ روى أن المشركين كانوا إذا

اللَّهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ

ذبحوا، أنضحوا بالدم حول البيت، فأراد المسلمون أن يفعلوا مثل ذلك، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم﴾، ومعناه: لا يصل الدم واللحم إلى الله تعالى؛ وإنما تصل التقوى، وقيل: لا تصل الدماء واللحوم إلا بالتقوى، ويقال: لا يرضى إلا بالتقوى.

وقوله: ﴿كذلك سخرها لكم﴾ أى: ذللناها لكم.

وقوله: ﴿لتكبروا الله على ما هداكم﴾ معناه: لتعظموا الله على ما هداكم.

وقوله: ﴿وبشر المحسنين﴾ قد بينا معنى المحسنين من قبل.

قوله تعالى: ﴿إن الله يدافع عن الذين آمنوا﴾ وقرئ: «يدفع»، والمدافعة عنهم بحفظهم ونصرتهم، ويقال: يدافع الكفار عن الذين آمنوا، ويقال: يدافع المؤمنين وساوس الشيطان وهواجس النفوس، ويقال: يدافع عن الجهال بالعلماء، وعن العصاة بالمطيعين.

وقوله: ﴿إن الله لا يحب كل خوان كفور﴾ الخوان هو كثير الخيانة، والكفور هو الذى كفر النعمة.

قوله تعالى: ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا﴾ قال أهل التفسير: هذه أول آية نزلت فى إباحة القتال، وقد رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وقرىء: «أَذن للذين يقاتلون» بنصب الألف والتاء، وإنما ذكر «أُذن» و«أَذن» بالرفع والنصب؛ «لأن المسلمين قبل الهجرة كانوا قد استأذنوا من النبى ﷺ أن يقاتلوا الكفار فلم يأذن لهم، فلما هاجروا إلى المدينة أنزل الله تعالى آيات القتال»(١).

---

(١) رواه الترمذى (٥/ ٣٠٤ رقم ٣١٧١) وقال: حسن، والنسائى فى الكبرى (٦/ ٤١١ رقم ١١٣٤٥)، والإمام أحمد فى مسنده (١/ ٢١٦)، والطبرى (١٧/ ١٢٣)، والحاكم (٢/ ٦٦) وصححه، والبيهقى فى الدلائل (٢/ ٢٩٤) جميعهم من حديث ابن عباس بنحوه.

لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ

﴿ظلموا﴾ أى: لأنهم ظلموا

وقوله: ﴿وإن الله على نصرهم لقدير﴾ أى: قادر.

قوله تعالى: ﴿الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق﴾ أى: ظلما.

وقوله: ﴿إلا أن يقولوا ربنا الله﴾ قال سيبويه: هذا استثناء منقطع، ومعناه: لكن أخرجوا؛ لأنهم قالوا: ربنا الله، وقال بعضهم: لكن أخرجوا لتوحيدهم.

وقوله: ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض﴾ القول المعروف أن الدفع هاهنا هو دفع المجاهدين عن الدين، وعن سائر المسلمين، وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: عمن لا يصلى بالمصلى، وعمن لا يجاهد بالمجاهد، وعمن لا يعلم بمن يعلم.

وروى عن على - رضى الله عنه - قال: هذا هو الدفع عن التابعين بأصحاب رسول الله ﷺ، وقال بعضهم: هو الدفع عن الحقوق بالشهود، وعن قطرب - واسمه محمد بن الحسين - قال: هو الدفع عن النفوس بالقصاص.

وقوله: ﴿لهدمت صوامع وبيع﴾ أى: صوامع الرهبان، وبيع النصارى، ﴿وصلوات﴾ اليهود أى: مواضع صلاتهم، وقرئ: «وصُلُوات» برفع الصاد واللام قراءة عاصم الجحدرى، وعن الضحاك أنه قرأ: «وصُلُواث».

وقوله: ﴿ومساجد﴾ أى: مساجد المؤمنين، وقال بعضهم: الصوامع للنصارى، والبيع لليهود، والصلوات هى المساجد فى الطرق للمسافرين من المؤمنين، وأما المساجد هى المساجد فى الأمصار.

وقال بعضهم: الصوامع للصابئين، والبيع للنصارى، والصلوات لليهود، فإن قال قائل: هذه المواضع التى للكفار ينبغى أن تهدم، فكيف قال: لهدمت؟ والجواب عنه: أن معنى الآية: لولا دفع الله لهدمت هذه المواضع فى زمان كل نبى؛ فهدمت الصوامع فى زمن موسى، والبيع فى زمن عيسى، والصلوات فى زمن داود وغيره، والمساجد

اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي
الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ
الأُمُورِ ﴿٤١﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ
إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ
أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ

فى زمن محمد ﷺ .

وقوله : ﴿ يذكر فيها اسم الله كثيرا ﴾ معلوم المعنى .

وقوله : ﴿ ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز ﴾ ظاهر المعنى .

قوله تعالى : ﴿ الذين إن مكناهم فى الأرض ﴾ هذه الآية تنصرف إلى قوله : ﴿ ولينصرن الله من ينصره ﴾ .

وقوله : ﴿ أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ﴾ الآية نازلة فى هذه الأمة، وروى عن ابن عباس أنه قال : الآية نزلت فى طلقاء من بنى هاشم، وهذا قول غريب .

وقوله : ﴿ ولله عاقبة الأمور ﴾ أى : عواقب الأمور .

قوله تعالى : ﴿ وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح ﴾ أنزل الله تعالى هذه الآية فى تعزية النبى ﷺ وتسليته، فكأنه قال : إن كذبوك قومك ﴿ فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وكذب موسى ﴾ يعنى : أن هؤلاء الأنبياء قد كذبوا أيضاً .

وقوله : ﴿ فأمليت للكافرين ﴾ أى : أمهلت للكافرين، والإمهال من الله هوالاستدراج والمكر .

وقوله : ﴿ ثم أخذتهم فكيف كان نكير ﴾ أى : إنكارى، وإنكاره بالعقوبة .

قوله : ﴿ فكأين من قرية أهلكناها ﴾ أى : فكم من قرية أهلكناها .

وقوله: ﴿وهى ظالمة﴾ أى: أهلها ظالمون.

وقوله: ﴿فهى خاوية على عروشها﴾ أى: ساقطة على سقوفها، والخاوية فى اللغة هى الخالية، وذكر الخاوية هاهنا؛ لأن الدور إذا سقطت خلت عن أهلها.

وقوله: ﴿وبئر معطلة﴾. وقوله: ﴿وقصر مشيد﴾ أى: وكم من قصر مشيد ذهب أهلوه، وهلكوا. وفى المشيد قولان: أحدهما: أن المشيد هو المطول، والآخر: أن المشيد هى المبنى بالشيد، والشيد هو الجص، قال الشاعر:

شاده مرمراً وجلله كلـــــــ ـــسا فللطير فى ذراه وكـور

وقال بعضهم: إن البئر المعطلة والقصر المشيد باليمن، أما القصر على قلة جبل، وأما البئر فى سفحه، وكان لكل واحد منهما قوم فى نعمة عظيمة، فكفروا فأهلكهم الله تعالى، وبقى البئر والقصر خاليتين عن الكل، وحكى أن سليمان بن داود - صلوات الله عليهما - كان إذا مر بخربة قال: أيتها الخربة، أين ذهب أهلوك؟.

وعن أبى بكر - رضى الله عنه - أنه قال فى خطبته: أين الذين بنوا المدائن ورفعوها؟ وأين الذين بنوا القصر وشيدوها؟ وأين الذين جمعوا الأموال؟ ثم يقرأ ﴿هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً﴾(١) فإن قال قائل: أيش فائدة ذكر البئر المعطلة والقصر المشيد، وفى العالم من هذا كثير، فلا يكون لذكر هذا فائدة؟ والجواب عنه: أنه قد جرت عادة العرب بذكر الديار للاعتبار، وقد ذكروا مثل هذا كثيراً فى أشعارهم، فكذلك هاهنا ذكر الله تعالى القصور الخالية والديار [المعطلة](٢)؛ ليعتبر المعتبرون بذلك.

قال الأسود بن يعفر :

ماذا أومل بعد آل محــــــرق تركـــوا منازلهـم وبعد إيـــــاد

---

(١) مريم: ٩٨.

(٢) فى النسختين: المغلظة؟!

أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ

أهل الخورنق والسرير وبارق   والقصر ذى الشرفات من سداد
نزلوا بأنقرة يسيل عليهم   ماء الفرات يجئ من أطواد
وأرى النعيم وكل ما يلهى به   يوما يصير إلى بلى ونفاد

قوله تعالى: ﴿أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها﴾ أى: يعلمون بها، ويقال: إن العقل علم غريزى، واستدل من قال: إن محله القلب بهذه الآية.

وقوله: ﴿أو آذان يسمعون بها﴾ يعنى: ما يذكر لهم من أخبار القرون الماضية فيعتبروا بها.

وقوله: ﴿فإنها لا تعمى الأبصار﴾ وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال: «ألا إن العمى عمى القلب»(١).

وقال بعضهم: عينان فى الوجه وعينان فى القلب؛ فالعينان فى الوجه للنظر، والعينان فى القلب للاعتبار، وعن قتادة أنه قال: البصر الظاهر بلغة ومنفعة، وأما بصر القلب فهو البصر النافع.

وقوله: ﴿ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور﴾ معناه: أن العمى الضار هو عمى القلوب، وأما عمى البصر فليس بضار فى أمر الدين، ومن المعروف فى كلام الناس: ليس الأعمى من عمى بصره، وإنما الأعمى من عميت بصيرته.

وحكى عن ابن عباس [أنه](٢) دخل على معاوية بعدما عمى، وكان أبوه قد عمى

---

(١) رواه الديلمى فى الفردوس (٣/رقم ٥٢٢٧) من حديث عبد الله بن جراد مرفوعًا: «ليس الأعمى من يعمى بصره، ولكن الأعمى من تعمى بصيرته» وعزاه السيوطى فى الدر (٤/ ٤٠٠) للحكيم الترمذى فى نوادر الأصول، وأبى نصر السجزى فى الإبانة، والبيهقى فى الشعب. وقال الألبانى فى ضعيف الجامع (٥/ ٥٧): ضعيف جداً.

(٢) زيادة ليست فى «الأصل» ولا «ك»، ويقتضيها السياق.

﴿وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا

فى آخر عمره، وكذلك جده عبد المطلب، فقال له معاوية: ما لكم يا بنى هاشم، تصابون فى أبصاركم؟ فقال له ابن عباس: وما لكم يا بنى أمية، تصابون فى بصائركم.

وقوله: ﴿تعمى القلوب التى فى الصدور﴾ هاهنا على طريق التأكيد مثل قوله تعالى: ﴿يقولون بأفواههم﴾(١) ومثل قول القائل: نظرت بعينى ومشيت بقدمى.

قوله تعالى: ﴿ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده﴾ نزلت الآية فى النضر بن الحارث حين قال: ﴿اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء...﴾(٢) الآية.

وقوله: ﴿ولن يخلف الله وعده﴾ أى: وعد العذاب.

وقوله: ﴿وإن يوما عند ربك كألف سنة﴾ فيه قولان: أحدهما: وإن يوما من الأيام التى خلق فيها الدنيا كألف سنة، والقول الثانى: أن معناه: وإن يوما من أيام عذابهم كألف سنة ﴿مما تعدون﴾ والقول الثانى هو الأولى؛ لأنه قد سبق ذكر العذاب.

قوله تعالى: ﴿وكأين من قرية أمليت لها﴾ أى: أمهلت لها.

وقوله: ﴿وهى ظالمة﴾ يعنى: أهلها ظالمون.

وقوله: ﴿ثم أخذتها وإلى المصير﴾ أى: المرجع.

قوله تعالى: ﴿قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين﴾ أى: منذر مرشد.

وقوله: ﴿فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم﴾ الرزق الكريم هو الذى لا ينقطع أبدا، وقيل: هو الجنة.

وقوله: ﴿والذين سعوا فى آياتنا معاجزين﴾ أى: معاندين مشاقين، وقرئ: «معجزين» أى: مثبطين الناس عن اتباع النبى ﷺ، ويقال: ظانين أنهم يعجزوننا بزعمهم أن لا بعث، ولا جنة، ولا نار، ومعنى يعجزوننا أى: يفوتون منا.

وقوله: ﴿أولئك أصحاب الجحيم﴾ أى: النار، والجحيم عبارة عن معظم النار.

(١) آل عمران: ١٦٧.
(٢) الأنفال: ٣٢.

لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي

وقوله تعالى: ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى ﴾ وقرأ ابن عباس: « ولا محدث » قال الشيخ الإمام - رضى الله عنه - أخبرنا بهذا أبو على الشافعى قال: أخبرنا أبو الحسن بن [فراس](١) قال: أخبرنا أبو محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ، عن جده محمد، عن سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن ابن عباس أنه قرأ هكذا.

فقوله: « ولا محدث » يعنى: ملهم، كأن الله حدثه فى قلبه، ومن المعروف أن النبى ﷺ قال: « قد كان فى الأمم السابقة محدثون، فإن يكن فى أمتى منهم أحد، فهو عمر »(٢).

وأما الكلام فى الرسول والنبى، فقال بعضهم: هما سواء، وفرَّق بعضهم بينهما فقال: الرسول هو الذى يأتيه جبريل - عليه السلام - بالوحى، والنبى هو الذى يأتيه الوحى فى المنام، أو يلهم إلهاما، ومنهم من قال: الرسول الذى له شريعة يحفظها، والنبى هو الذى بعث على شريعة غيره فيحفظها، وقد قالوا: كل رسول نبى، وليس كل نبى برسول.

وقوله: ﴿ إلا إذا تمنى ﴾ الأكثرون على أن معناه: إذا قرأ: ﴿ ألقى الشيطان فى أمنيته ﴾ أى: فى قراءته، قال الشاعر فى عثمان:

تمنى كتاب الله أول ليلة   وآخرها لاقى حمام المقادر

أى: تلا، وقال بعضهم: تمنى هو حديث النفس، والقصة فى الآية: هو ما روى عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وسعيد بن جبير، والزهرى، والضحاك، وغيرهم أن

---

(١) فى « الأصل و ك »: فارس، وهو خطأ، وقد سبق التنبيه عليه.

(٢) رواه البخارى (٧/ ٥٢ رقم ٢٦٩٨) من حديث أبى هريرة مرفوعًا، ورواه مسلم (١٥/ ٢٣٦ - ٢٣٧ رقم ٢٣٩٨)، والترمذى (٥/ ٥٨١ رقم ٢٦٩٣) وقال: صحيح، وأحمد (٦/ ٥٥) جميعهم من حديث عائشة مرفوعًا.

النبى ﷺ قرأ سورة «والنجم» فى صلاته، وعنده المسلمون والمشركون، ويقال: قرأ فى الصلاة، فلما بلغ قوله تعالى: ﴿أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى﴾(١) ألقى الشيطان على لسانه: «تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى» ومر فى السورة حتى سجد فى آخرها، ففرح المشركون وسروا، وقالوا: قد ذكر آلهتنا بخير، ولا نريد إلا هذا، وسجدوا معه. قال ابن مسعود: ولم يسجد الوليد بن المغيرة، ورفع ترابًا إلى جبهته، وقال: سجدت - وكان شيخًا كبيرًا - قال: فجاء جبريل - عليه السلام - وقال: اقرأ علىّ سورة «والنجم» فقرأ، وألقى الشيطان على لسانه هكذا، فقال: هذا لم آت به، وأخرجه من قراءته، فحزن رسول الله ﷺ حزنًا شديدًا، فأنزل الله تعالى هذه الآية عليه: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته﴾(٢)

فإن قال قائل: كيف يجوز هذا على النبى ﷺ، وقد كان معصومًا من الغلط فى أصل الدين؟ وقال الله تعالى: ﴿إن عبادى ليس لك عليهم سلطان﴾(٣)، وقال الله تعالى: ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه﴾(٤) أى: إبليس؟

والجواب عنه: اختلفوا فى الجواب عن هذا، قال بعضهم: إن هذا ألقاه بعض المنافقين فى قراءته، وكان المنافق هو القارئ، فظن المشركون أن الرسول ﷺ قرأ، وسمى ذلك المنافق شيطانا؛ لأن كل كافر متمرد بمنزلة الشيطان، وهذا جواب ضعيف.

---

(١) النجم: ١٩ - ٢٠.

(٢) انظر تخريج هذه القصة فى تخريج الكشاف للزيلعى (٢/ ٣٩١-٣٩٥)، ونصب المجانيق للألبانى، ودلائل التحقيق لعلى بن حسن بن عبد الحميد. قال ابن خزيمة: هذا من وضع الزنادقة، وصنف فيه كتابًا، وقال البيهقى: هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل، ثم أخذ يتكلم فى أن رواة هذه القصة مطعون فيهم. وقال الحافظ ابن كثير فى تفسيره [٣/ ٢٢٩]: قد ذكر كثير من المفسرين ههنا قصة الغرانيق .. ولكنها من طرق كلها مرسلة ولم أرها مسندة من وجه صحيح، والله أعلم..

(٣) الحجر: ٤٢.

(٤) فصلت: ٤٢.

الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾

ومنهم من قال: إن الرسول لم يقرأ، ولكن الشيطان ذكر هذا بين قراءة النبى ﷺ، وسمع المشركون ذلك، وظنوا أن الرسول ﷺ قرأ، وهذا اختيار الأزهرى وغيره.

وقال بعضهم: إن الرسول ﷺ أغفأ إغفاءة ونَعس، فجرى على لسانه هذا، ولم يكن به خبر بإلقاء الشيطان، وهذا قول قتادة، وأما الأكثرون من السلف ذهبوا إلى أن هذا شىء جرى على لسان الرسول ﷺ بإلقاء الشيطان من غير أن يعتقد، وذلك محنة وفتنة من الله (وعادة)(١)، والله تعالى يمتحن عباده بما شاء، ويفتنهم بما يريد، وليس عليه اعتراض لأحد وقالوا: إن هذا وإن كان غلطا عظيماً، فالغلط يجوز على الأنبياء، إلا أنهم لا يقرون عليه.

وعن بعضهم: أن شيطاناً يقال له: الأبيض عمل هذا العمل، وفى بعض الروايات: أنه تصور بصورة جبريل، وأدخل فى قراءته هذا، والله أعلم(٢).

وقوله: ﴿ فينسخ الله ما يلقى الشيطان ﴾ أى: يزيل الله ما يلقى الشيطان.

وقوله: ﴿ ثم يحكم الله آياته ﴾ أى: يثبت الله آياته.

وقوله: ﴿ والله عليم حكيم ﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض ﴾ أى: محنة وبلية.

وقوله: ﴿ والقاسية قلوبهم ﴾ أى: الجافة قلوبهم عن قبول الحق.

وقوله: ﴿ وإن الظالمين لفى شقاق بعيد ﴾ أى: فى ضلال طويل، وقيل: مستمر، وهو الأحسن.

(١) كذا.

(٢) قلت: بل القصة باطلة وموضوعة كما نص على ذلك الأئمة الجهابذة من أهل النقد، فلا حاجة لنا فى التكلف فى الرد على مثل هذا الزيف، والله المستعان.

﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ

قوله تعالى: ﴿وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك﴾ يعنى: ما أثبته ولم ينسخه.

وقوله: ﴿فيؤمنوا به﴾ (أى: يعتقدون به من قبل الله تعالى)(١).

وقوله: ﴿فتخبت له قلوبهم﴾ أى: تسكن إليه قلوبهم.

وقوله: ﴿وإن الله لهادى الذين آمنوا إلى صراط مستقيم﴾ أى: إلى طريق قويم، وهو الإسلام.

قوله تعالى: ﴿ولا يزال الذين كفروا فى مرية منه﴾ أى: فى شك منه.

وقوله: ﴿حتى تأتيهم الساعة بغتة﴾ قيل: هى الموت، وقيل: هى القيامة.

وقوله: ﴿أو يأتيهم عذاب يوم عقيم﴾ فيه قولان: أحدهما: أن اليوم العقيم هو يوم القيامة، والقول الثانى: أن اليوم العقيم هو يوم بدر، وعليه الأكثرون، وعن أبى ابن كعب أنه قال: أربع آيات فى يوم بدر: أحدها: هو قوله: ﴿عذاب يوم عقيم﴾، والآخر: قوله تعالى: ﴿يوم نبطش البطشة الكبرى﴾(٢)، والثالث: قوله تعالى: ﴿فسوف يكون لزاما﴾(٣)، والرابع: قوله تعالى: ﴿ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر﴾(٤)». فالقتل يوم بدر هو العذاب الأدنى، وأما العقيم فى اللغة هو المنع، يقال: رجل عقيم، وامرأة عقيم إذا منعا من الولد، وريح عقيم إذا لم تمطر، ويوم عقيم إذا لم يكن فيه خير ولا بركة، (فيوم بدر يوم عقيم؛ لأنه لم يكن فيه خير ولا بركة)(١) للكفار.

قال الشاعر:

---

(١) ساقط من «ك».

(٢) الدخان: ١٦.

(٣) الفرقان: ٧٧.

(٤) السجدة: ٢١.

حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ
بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ
قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم
مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ

عقم النساء فلا يلدن شبيهه إن النســـاء بمثله لعقيـــم

قوله تعالى : ﴿ الملك يومئذ لله يحكم بينهم ﴾ أى : يقضى بينهم .

وقوله : ﴿ فالذين آمنوا وعملوا الصالحات فى جنات النعيم ﴾ ظاهر المعنى .

وقوله : ﴿ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين ﴾ أى : مُذِلٍّ مُخْزٍ.

قوله تعالى : ﴿ والذين هاجروا فى سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا ﴾ الرزق الحسن هو الذى لاينقطع أبداً، وذلك رزق الجنة .

وقوله : ﴿ وإن الله لهو خير الرازقين ﴾ أى : أفضل الرازقين .

وقوله : ﴿ ليدخلنهم مدخلا يرضونه ﴾ . وقرئ : « مَدخلا » بفتح الميم، والمُدخل بالرفع من الإدخال، والمدَخل بالفتح الموضع

وقوله : ﴿ وإن الله لعليم حليم ﴾ أى : عليم بأعمال العباد، حليم عنهم .

قوله تعالى : ﴿ ذلك ومن عاقب بمثل ماعوقب به ﴾ روى أن قوما من المسلمين لقوا قوما من المشركين فى آخر المحرم، وقد بقيت ليلتان منه، فتصد المشركون المسلمين فقال لهم المسلمون : كفوا، فإن هذا شهر حرام، فلم يكفوا؛ فقاتلهم المسلمون على وجه الدفع، وظفروا، فأنزل الله تعالى هذه الآية .

ويقال : إن قوما من المشركين قتلوا قوما من المسلمين، فظفر بهم النبى ﷺ

بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ

وقتلهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية. وإنما سمى الفعل الأول عقوبة، وإن كان فى الحقيقة اسم العقوبة يقع على مايكون جزاء للجناية على ازدواج الكلام؛ لأنه ذكره فى مقابلة العقوبة، وهذا كقوله تعالى: ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾(١)

وقوله تعالى: ﴿ثم بغى عليه﴾ البغى هاهنا مافعله المشركون بالمسلمين من الظلم والإخراج من الديار وأخذ الأموال.

وقوله: ﴿لينصرنه الله﴾ ظاهر المعنى .

وقوله: ﴿إن الله لعفو غفور﴾ أى: ذو تجاوز وعفو عن المسلمين.

قوله تعالى: ﴿ذلك بأن الله يولج الليل فى النهار....﴾ الآية. ظاهر المعنى .

وقوله: ﴿ذلك بأن الله هو الحق﴾ أى: ذو الحق.

وقوله: ﴿وأن ما يدعون من دونه هو الباطل﴾ يعنى: ليس بحق.

وقوله: ﴿وأن الله هو العلى الكبير﴾ أى: المتعالى المتعظم، ويقال: إن العلى هاهنا ينصرف إلى الدين أى: دينه يعلو الأديان، والكبير صفته تبارك وتعالى، ويقال: الحق اسم من اسماء الله تعالى، ذكره يحيى بن سلام، وأما الباطل فيقال: إنه إبليس، ويقال: إنه الأوثان.

قوله: ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة﴾ أى: ذات خُضرة، كما يقال: مسبعة ومبقلة أى: أرض ذات بقل وذات مسبع.

قال عكرمة: الآية نزلت فى مكة خاصة، فإن المطر هناك يقع بالليل، وتخضر

(١) الشورى: ٤٠.

وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ

الأرض بالنهار، وعن الخليل قال: «ألم تر» تنبيه ثم ابتداء، وقال: ينزل الله المطر فتصبح الأرضين مخضرة، فلهذا رفع تصبح.

وقوله: ﴿إن الله لطيف خبير﴾ أى: لطيف باستخراج النبات من الأرض وبرزق العباد، خبير بما فى قلوبهم أى: بما يعرض فى قلوبهم عند نقصان الرزق أو عدمه، وقيل: عند جدوبة الأرض.

قوله: ﴿له ما فى السموات وما فى الأرض وإن الله لهو الغنى الحميد﴾ أى: الغنى عن أعمال الخلق، المحمود فى أفعاله .

قوله تعالى: ﴿ألم تر أن الله سخر لكم مافى الأرض والفلك تجرى فى البحر بأمره﴾ أى: وسخر الفلك تجرى فى البحر بأمره، ويقال: مافى الأرض هى الدواب التى تركب فى البر، وأما الفلك هو الذى يركب فى البحر .

وقوله: ﴿ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه﴾ فى بعض الآثار: أنه إذا أظهرت الصلبان فى الأرض، وضربت بالنواقيس، ارتجت السماء والأرض، وكادت السماء أن تقع، فيرسل الله (ملائكة)[1] فيمسكون بأطراف السماء والأرض، ويقرءون سورة الإخلاص حتى تسكن، وأما المعروف فى معنى الآية أن الله يمسك السماء بغير عمد، على ماذكرنا من قبل .

وقوله: ﴿إن الله بالناس لرءوف رحيم﴾ قد بيناه.

قوله تعالى: ﴿وهو الذى أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم﴾ الإحياء الأول هو الإنشاء، والإحياء الثانى هو البعث من القبور .

وقوله: ﴿إن الإنسان لكفور﴾ أى: لكفور (لنعمة الله)[2].

---

(١) فى «ك»: الملائكة.

(٢) فى «ك»: لنعم الله.

إنَّ الإنسَانَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلا يُنَازِعُنَّكَ فِي الأَمْرِ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ

قوله تعالى: ﴿لكل أمة جعلنا منسكًا﴾ بفتح السين، وقرئ: «منسكا» بكسرها، فالمنسك بالكسر موضع النسك، كالمجلس موضع الجلوس، وأما المنسَك بالفتح هو على المصدر للنسك، قال الفراء: المنسَك بالفتح موضع العبادة، والمناسك مواضع أركان الحج، ويقال: المنسك: المذبح، وعن ابن عباس: منسكًا أى: عيداً، وقيل: منسكًا أى: شريعة وملة.

وقوله: ﴿هم ناسكوه﴾ أى: عاملون بها.

وقوله: ﴿فلا ينازعنك فى الأمر﴾ منازعتهم أنهم قالوا: أتأكلون مما قتلتموه، ولاتأكلون مماقتله الله؟

وقال الزجاج: معنى قوله: ﴿فلا ينازعنك فى الأمر﴾ أى: فلاتنازعهم، قال: وهذا مستقيم فى كل مالا يكون إلا بين اثنين، يجوز أن يقال: لايخاصمنك فلان أى: لاتخاصمه، ولا يجوز أن يقال: لايضربنك فلان بمعنى لاتضربه؛ لأن الضرب إنما يكون من الواحد، وإنما قال الزجاج هذا؛ لأن قوله: ﴿فلاينازعنك﴾ إخبار، وقد نازعوه، ولايجوز الخلاف فى خبر الله تعالى، فذكر أن المعنى :فلاتنازعهم؛ ليكون أمراً لاخبراً، وقرئ: «فلا ينزعنك فى الأمر» أى: لايغلبنك.

وقوله: ﴿وادع إلى ربك إنك لعلى هدى مستقيم﴾ أى: دين مستقيم.

قوله تعالى: ﴿وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون الله يحكم بينكم...﴾ الآية ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ألم تعلم أن الله يعلم ما فى السماء والأرض﴾ معنى قوله: ﴿ألم تعلم﴾ أى: قد علمت.

وقوله: ﴿إن ذلك فى كتاب﴾ هو اللوح المحفوظ.

﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ

وقوله: ﴿إن ذلك على الله يسير﴾ أى: هين.

قوله تعالى: ﴿ويعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطانا﴾ أى: حجة

وقوله: ﴿وما ليس لهم به علم﴾ يعنى: أنهم فعلوا مافعلوا عن جهل لا عن علم.

وقوله: ﴿وماللظالمين من نصير﴾ أى: مانع من العذاب.

قوله تعالى: ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف فى وجوه الذين كفروا المنكر﴾ أى: الإنكار.

وقوله: ﴿يكادون (يسطون)[1]﴾ أى: يقعون.

وقوله: ﴿بالذين يتلون عليهم آياتنا﴾ يعنى: المؤمنين، وقيل: يتناولون بالشتم والمكروه.

وقوله: ﴿قل أفأنبئكم بشر من ذلكم﴾ أى: بشر عليكم وأكره لكم.

وقوله: ﴿النار﴾ كأنهم سألوا ما ذلك؟ فقال: أجب، وقل: النار.

وقوله: ﴿وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير﴾ أى: بئس المرجع.

قوله: ﴿يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له﴾ فإن قال قائل: أين المثل؟ قلنا معناه: ضرب لى مثل أى: شبه لى مثل، على معنى أن المشركين اتخذوا الأصنام معى آلهة ﴿فاستمعوا له﴾ أى: استمعوا خبر الأصنام وحالها، ثم قال: ﴿إن الذين تدعون من دون الله﴾ الأصنام.

وقوله: ﴿لن يخلقوا ذبابًا ولو اجتمعوا له﴾ ذكر الذباب لخسته ومهانته وضعفه،

(١) فى «ك»: يصطفون.

فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ

وعن بعض السلف قال: خلق الله تعالى الذباب ليذل؛ به الجبابرة، وهو حيوان مستأنس ممتنع؛ لأنه يستأنس بك فيقع عليك، ثم إذا أردت أن تأخذه امتنع منه .

وقوله: ﴿ وإن يسلبهم الذباب شيئًا لايستنقذوه منه ﴾ قال ابن عباس: كانوا يطلون الأصنام بالزعفران، فإذا جف جاء الذباب واستلب منه شيئا، فأخبر الله تعالى أن الأصنام لايستنقذون من الذباب ما استلبه، وعن السدى: أنهم كانوا يأتون بالطعام، ويضعون بين يدى الأصنام، فيجئ الذباب ويقعن عليه، ويأكلن منه، فهو معنى قوله تعالى: ﴿ وإن يسلبهم الذباب شيئا لايستنقذوه منه ﴾.

وقوله: ﴿ ضعف الطالب والمطلوب ﴾ (الطالب الذباب، والمطلوب الصنم، ويقال: الطالب الصنم، والمطلوب)[1] الذباب

وقيل: ﴿ ضعف الطالب والمطلوب ﴾ أى: العابد والمعبود .

وقوله: ﴿ ماقدروا الله حق قدره ﴾ أى: ماعظموا الله حق عظمته، ويقال: ماعرفوا الله حق معرفته، وقيل: ماوصفوا الله حق صفته، وعن ابن عباس: أن اليهود قالوا: إن الله خلق السموات والأرض فى ستة أيام، واستراح يوم السبت، فأنزل الله تعالى: ﴿ ماقدروا الله حق قدره ﴾.

وقوله: ﴿ إن الله لقوى عزيز ﴾ أى: قوى على مايريد، عزيز أى: منيع فى ملكه.

قوله تعالى: ﴿ الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس ﴾ أما من الملائكة فهم: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وملك الموت، وغيرهم، وأما من الناس فهم: آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد، وغيرهم صلوات الله عليهم .

وقوله: ﴿ إن الله سميع بصير ﴾ سميع لأقوال العباد، بصير بهم .

قوله تعالى: ﴿ يعلم مابين أيديهم وماخلفهم ﴾ قد بينا هذا من قبل، ويقال:

---

(١) ساقط من «ك».

﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٧٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾

مابين أيديهم: ماقدموا من العمل، وماخلفهم: ما أخروها فلم يعملوها.

وقوله: ﴿وإلى الله ترجع الأمور﴾ تصير الأمور.

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا﴾ والركوع والسجود معلومان، ولاتقبل صلاة إلا بهما سوى صلاة الجنازة.

وقوله: ﴿واعبدوا ربكم﴾ أى: وحدوا ربكم، ويقال: أخلصوا فى ركوعكم وسجودكم.

وقوله: ﴿وافعلوا الخير﴾ أى: صلة الأرحام ومكارم الأخلاق وسائر وجوه البر.

وقوله: ﴿لعلكم تفلحون﴾ (وتفوزون)(١).

وفى هذه الآية سجدة للتلاوة منقولة عن جماعة من الصحابة، وروى مشرح بن هاعان، عن عقبة بن عامر أن النبى ﷺ قال: «فى الحج سجدتان، من لم يسجدهما فلا يقرأها»، وفى رواية: «من لم يسجدهما فلم يقرأها»(٢).

قوله تعالى: ﴿وجاهدوا فى الله حق جهاده﴾ اعلم أن الجهاد يكون بالنفس، وبالقلب، وبالمال؛ فأما الجهاد بالنفس فهو فعل الطاعات واختيار الأشق من الأمور، وأما الجهاد بالقلب فهو دفع الخواطر الردية، وأما الجهاد بالمال فهو البذل (والإيثار)(٣).

وقوله: ﴿حق جهاده﴾ قال بعضهم: «هو أن يطيع الله (ولا يعصيه)(٤)، ويذكره

(١) ليس فى «ك».

(٢) رواه أبو داود (٢/ ٥٨ رقم ١٤٠٢)، الترمذى (٢/ ٤٧٠ رقم ٥٧٨)، وأحمد (٤/ ١٥١، ١٥٥)، والدارقطنى (١/ ٤٨٠)، والطبرانى (١٧/ ٣٠٧ رقم ٨٤٦، ٨٤٧)، والحاكم (١/ ٢٢١)، والبيهقى (٢/ ٣١٧)، وقال الترمذى: هذا حديث ليس إسناده بذاك القوى، وأعله الحافظ فى التلخيص (٢/ ١٨) بتفرد ابن لهيعة مع ضعفه.

(٣) فى «ك»: بالإيثار.

(٤) فى «ك»: فلا يعصاه.

فلاينساه، ويشكره فلا يكفره، وقال بعضهم: حق جهاده: هو أن لايَخل بفرض ما.

وعن بعض أهل التحقيق قال: حق جهاده هو أن لايترك جهاد نفسه طرفة عين. وفى بعض الغرائب من الأخبار: أن النبى ﷺ لما رجع من غزوة تبوك قال: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر»[1] وعنى بالجهاد الأصغر هو الجهاد مع الكفار، وبالجهاد الأكبر الجهاد مع النفس، وأنشد بعضهم:

يارب إن جهادى غير منقطع ... وكل أرضك لى ثغر وطرسوس

وقوله: ﴿هو اجتباكم﴾ أى: اختاركم.

وقوله: ﴿وماجعل عليكم فى الدين من حرج﴾ (فإن قال قائل: فى الدين حرج كثير بلا إشكال فما معنى قوله: ﴿وماجعل عليكم فى الدين من حرج﴾)[2]؟ قلنا: فيه أقول: أحدها: أن الحرج هو الضيق، ومعنى الآية هاهنا: أنه لاضيق فى الدين بحيث لاخلاص عنه، فمعناه: أن المذنب وإن وقع فى ضيق من معصيته، فقد جعل الله له خلاصا بالتوبة، وكذلك إذا حنث فى يمينه جعل الله له الخلاص بالكفارة، والقول الثانى: أن معنى الآية أن الله تعالى لم يكلف نفسا فوق وسعها، وقد ذكرنا هذا من قبل، والقول الثالث: أن المراد من الآية أنه إذا كان مريضا فلم يقدر على الصلاة قائمًا صلى قاعدا، فإن لم يقدر على الصلاة قاعدا صلى بالإيماء، ويفطر إذا شق عليه الصوم بسفر أو مرض أو هرم، وكذلك سائر وجوه الرخص.

وقوله: ﴿ملة أبيكم إبراهيم﴾ فيه قولان: أحدهما: أن الآية خطاب مع العرب، وقد كان إبراهيم أبًا لهم، والقول الثانى: أن الآية خطاب مع جميع المسلمين، وجعل

---

(١) رواه البيهقى فى الزهد (ص١٦٥ رقم ٣٧٣)، والخطيب فى تاريخه (١٣/٥٢٣-٥٢٤) عن جابر مرفوعًا: «قدمتم خير مقدم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر. قيل: وما الجهاد الأكبر؟ قال: مجاهدة العبد هواه»، وقال البيهقى: إسناده فيه ضعف، وقال الحافظ ابن حجر: هو من رواية عيسى بن إبراهيم، عن يحيى بن يعلى، عن ليث بن أبى سليم، والثلاثة ضعفاء. تلخيصه لتخريج الكشاف (٢/٣٩٦ بهامشه).

(٢) ساقط من «ك».

جنة السنة

﴿الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾

إبراهيم أباهم على معنى وجوب احترامه، وحفظ حقه كما يجب احترام الأب وحفظ حقه، وإنما نصب ملة على معنى: ابتغوا ملة إبراهيم.

وقوله: ﴿هو سماكم المسلمين﴾ فيه قولان: أحدهما: أن الله سماكم المسلمين ﴿من قبل﴾ أو فى التوراة والإنجيل.

وقوله: ﴿وفى هذا﴾ أى: فى القرآن، والقول الثانى: أن إبراهيم سماكم المسلمين، والدليل على هذا القول أن الله تعالى قال خبرا عن إبراهيم: ﴿ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك...﴾(١) الآية.

وقوله: ﴿ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس﴾ ذكرنا هذا فى سورة البقرة والنساء، وفى الخبر: «أن الله تعالى أعطى هذه الأمة ثلاثا مثل ماأعطى الأنبياء: كان يقال للنبى: اذهب فلاحرج عليك، وقال الله تعالى لهذه الأمة: ﴿وما جعل عليكم فى الدين من حرج﴾، وكان يقال للنبى: أنت شاهداً على أمتك، فقال الله تعالى لهذه الأمة: ﴿لتكونوا شهداء على الناس﴾(٢)، وكان يقال للنبى: سل تعطه، فقال الله تعالى لهذه الأمة: ﴿ادعونى أستجب لكم﴾»(٣)(٤).

وقوله: ﴿فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ ظاهر المعنى، وروى ابن مسعود عن النبى ﷺ أنه قال: «لاتقبل الصلاة إلا بالزكاة»(٥).

وقوله: ﴿واعتصموا بالله﴾ أى: تمسكوا بدين الله، ويقال معناه: ادعوا الله

---

(١) البقرة: ١٢٨. (٢) البقرة: ١٤٣. (٣) غافر: ٦٠.

(٤) عزاه السيوطى فى الدر (١/ ١٥٢) للفريابى، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن أبى حاتم عن كعب قوله.

(٥) لم أقف عليه من حديث ابن مسعود، إنما رواه أبو نعيم فى الحلية (٩/ ٢٥٠) عن أنس مرفوعًا: «لايقبل الله صلاة رجل لايؤدى الزكاة حتى يجمعهما؛ فإن الله تعالى قد جمعهما فلا تفرقوا بينهما»، وعزاه فى الكنز (١٥٧٨٨) للحلية فقط.

جنة السنة

وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

ليثبتكم على دينه، وفيه قول ثالث: أن الاعتصام بالله هو التمسك بالكتاب والسنة، وعن الزهرى أنه قال: الاعتصام بالسنة نجاة.

وقوله: ﴿هو مولاكم﴾ أى: حافظكم ﴿فنعم المولى﴾ أى: الحافظ ﴿ونعم النصير﴾ أى: الناصر.

جنة السنة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾

تفسير سـورة المؤمنين

وهى مكيـة

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ روى عبدالرزاق، عن يونس بن سليم، عن الزهرى، عن عروة، عن عبد الرحمن بن عبد القارى، عن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قال: «كان إذا نزل الوحى على رسول الله ﷺ سمع عند وجهه دوى كدوى النحل، فأنزل عليه مرة فمكثنا ساعة، فلما سرى عنه، استقبل القبلة وقال: اللهم أكرمنا ولاتهنا، وأعطنا ولاتحرمنا، وارضنا وارض عنا، وآثرنا ولاتؤثر علينا، ثم قال: لقد أنزل علىَّ عشر آيات من أقامهن دخل الجنة، وقرأ: ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ إلى آخر العشر». قال الشيخ الإمام: أخبرنا بهذا الحديث عبد الرحمن بن عبيد الله بن أحمد قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن سراج قال: أخبرنا محمد بن محمد بن محبوب قال: أخبرنا مخمد بن عيسى بن سورة أخبرنا عبد بن حميد عن عبدالرزاق. الحديث(١).

وقوله: ﴿قد أفلح﴾ أى: فقد سعد وفاز وظفر، وقال بعضهم: نال البقاء الدائم والبركة. قال الشاعر:

نحل بلاداً كلها حُل قبلنا ... ونرجوا الصلاح بعد عاد وحميرا

(١) رواه الترمذى فى سننه (٥/٣٠٥رقم٣١٧٣)، والنسائى فى الكبرى (١/٤٥٠ رقم ١٤٣٩) وقال: منكر، والإمام أحمد فى مسنده (١/٣٤)، وعبد الرزاق فى مصنفه (٣/٣٨٣ - ٣٨٤ رقم ٦٠٣٨)، وعبد بن حميد (رقم ١٥)، والبزار (١/٤٢٧ رقم ٣٠١)، وابن عدى فى الكامل (٧/١٧٥)، والعقيلى فى الضعفاء (٤/٤٦٠ - ٤٦١) كلاهما فى ترجمة يونس بن سليم، وقال العقيلى: لايتابع على حديثه ولايعرف إلا به=

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢﴾

وقرئ: «قد أُفْلح المؤمنون» أى: اصيروا إلى مافيه الصلاح.

وقال لبيد شعراً.

فاعقلى إن كنت (مما تعقلى)(١) ولقد أفلح من كان عقل

وقال غيره:

لوكان حى مدرك الفلاح أدركه ملاعب الرماح

قال ابن عباس: نالوا ماإياه طلبوا، ونجوا مماعنه هربوا.

وقوله: ﴿المؤمنون﴾ المصدقون.

وقوله: ﴿الذين هم فى صلاتهم خاشعون﴾ أى: خاضعون خائفون، يقال: الخشوع خوف القلب، وحقيقته هو الإقبال فى الصلاة على معبوده، والتذلل بين يديه، ويقال: هو جمع الهمة،ودفع العوارض عن الصلاة، وتدبر مايجرى على لسانه من القراءة والتسبيح والتهليل والتكبير، وعن علىٍّ - رضى الله عنه - قال: الخشوع أن لايلتفت عن يمينه ولا عن شماله فى الصلاة.

وعن أبى هريرة قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ يرفعون أبصارهم إلى السماء فى الصلاة، فلما نزل قوله تعالى: ﴿قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون﴾ رموا بأبصارهم إلى مواضع السجود، وعن إبراهيم النخعى قال: هو السكن فى الصلاة.

= والحاكم فى مستدركه (١/ ٥٣٥، ٢/ ٣٩٢) وقال: صحيح. وتعقبه الذهبى فى الموضع الثانى بقوله: قلت: سئل عبد الرزاق عن شيخه ذا فقال: أظنه لا شيء. ورواه ابن أبى حاتم فى العلل ٢/ ٨١ رقم ١٧٣٦)، ونقل عن أبيه قوله: روى عبد الرزاق هذا الحديث مرة أخرى فقال: عن يونس بن سليم ،عن يزيد، ويونس بن سليم لا أعرفه، ولايعرف هذا الحديث من حديث الزهرى.

(١) كذا.

جنة السنة

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾

وقوله: ﴿والذين هم عن اللغو معرضون﴾ قال ابن عباس: يعنى الشك، وقال الحسن: المعاصى كلها. ذكر الزجاج أن اللغو هو كل كلام باطل مطرح، ويقال: إن اللغو هاهنا هو معارضة الكفار بالسب والشتم، وهذا قول حسن؛ لأن الله تعالى قال: ﴿وإذا مروا باللغو مروا كراما﴾(١) أى: إذا سمعوا الكلام القبيح أكرموا أنفسهم عن الدخول فيه .

قوله تعالى: ﴿والذين هم للزكاة فاعلون﴾ أى: مُؤَدُّون

قال الشعبى: هى زكاة الفطر، وقال بعضهم: الزكاة هاهنا هى العمل الصالح فكأنه قال: والذين هم للعمل الصالح فاعلون .

قولة تعالى: ﴿والذين هم لفروجهم حافظون﴾ حفظ الفرج هو التعفف عن الحرام.

وقوله: ﴿إلا على أزواجهم﴾ يقال: إن الآية فى الرجال بدليل أن الله تعالى قال: ﴿أو ماملكت أيمانهم﴾ والمرأة لايجوز لها أن تستمتع بملك يمينها، وقيل: إن أول الآية فى الرجال والنساء جميعًا، وقوله: ﴿أو ماملكت أيمانهم﴾ إلى الرجال دون النساء ﴿فإنهم غير ملومين﴾ أى: غير معاتبين، فإن قيل: إذا أصاب امرأته فى حال الحيض أو النفاس وما أشبهه، وكذلك الجارية فقد أتى حرامًا، وإن كان قد حفظ فرجه عن غير زوجته وملك يمينه ويكون ملومًا؟ والجواب عنه: أن تقدير الآية فى هذا: والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ماملكت أيمانهم على وجه يجوز فى الشرع فإنهم غير ملومين، وكذلك الجواب عن قول من استدل بهذه الآية فى جواز إتيان المرأة فى غير مأتاها أوالجارية .

وقوله تعالى: ﴿فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون﴾ (أى: سوى ذلك،

---

(١) الفرقان: ٧٢.

﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ

وابتغى أى: طلب، وقوله: ﴿فأولئك هم العادون﴾ [(١)] أى: الظالمون المتجاوزون عن الحلال إلى الحرام، واستدل العلماء بهذه الآية على أن الاستمناء باليد حرام، وعن ابن عباس سُئل عنه فقال: هو نائك نفسه، وعن ابن جريج أنه قال: سألت عطاء عنه فقال: هو مكروه، فقلت أفيه حَد؟ فقال: ماسمعت. وعن سالم بن عبد الله بن عمر أنه سئل عن هذا الفعل فقال: «أف أف! سمعت أن قوماً يحشرون وأيديهم حبالى، فأظن أنهم هؤلاء. وعن سعيد بن جبير قال: عذب الله أمة من الأمم كانوا يعبثون بمذاكيرهم. وكرهه مالك والشافعى، وحكى أبو عاصم النَبيل عن أبى حنيفة أنه كرهه، فإن جعل بين يديه وبين ذكره حريرة قال: لا بأس به، وذكر النقاش فى تفسيره عن عمر بن الخطاب أنه قال: أولئك أقوام لاخلاق لهم.

وقوله تعالى: ﴿والذين هم لآماناتهم وعهدهم راعون﴾ يقال: رعى كذا إذا قام بالمصلحة فيه، ومنه قوله ﷺ: «وكلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته» [(٢)]، ويقال للوالى: هو راع؛ لأنه يقوم بمصلحة الرعية، ومعنى قوله: ﴿راعون﴾ هاهنا أداء الأمانة والوفاء بالعهد .

قولة تعالى: ﴿والذين هم على صلاتهم يحافظون﴾ قد بينا معنى المحافظة، وعن ابن مسعود أنه سئل عن المحافظة فقال: حفظ الوقت، فقيل له: فمن تركها أصلا؟ قال: ذلك الكفر. وأعاد ذكر الصلاة هاهنا؛ ليبين أن المحافظة واجبة كما أن الخشوع واجب.

قولة تعالى: ﴿أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس﴾ روى الأعمش، عن أبى صالح، عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «مامن أحد إلا وله منزل فى الجنة ومنزل فى النار، فإذا دخل النار ورث أهل الجنة منزله» [(٣)].

---

(١) ساقط من «ك».

(٢) متفق عليه من حديث ابن عمر، وقد تقدم.

(٣) تقدم فى تفسير سورة الأعراف.

جنة السنة

وعن مجاهد قال: إذا دخل الجنة هدم منزله فى النار، وعنه أنه قال: إن الله غرس جنة عدن بيده ثم قال: ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ وأغلق عليها، فلا يدخلها إلا من شاء الله، ويفتح بابها فى كل سحر، وكانوا يرون أن نسيم السحر منه.

وفى بعض المسانيد: عن ابن عباس عن النبى ﷺ: «إن الله خلق جنة عدن، وخلق فيها مالاعين رأت ولا أذن سمعت ولاخطر على قلب بشر، ثم قال لها: تكلمى فقالت: ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ أنا محرمة على كل بخيل ومرائى».(١)

وفى رواية: «أن الله تعالى قال: ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ ثم قال: وعزتى لايجاورنى فيك بخيل»(٢)

وفى بعض المسانيد أيضاً عن النبى ﷺ قال: «إن الله تعالى خلق آدم بيده، وغرس جنة عدن بيده، وكتب التوراة بيده، ثم قال لجنة عدن وعزتى لايسكنك بخيل ولاديوث»(٣)

وفى بعض التفاسير: أن النبى ﷺ قال: «أن الله تعالى خلق الفردوس وجعل لها

---

(١) رواه الطبرانى فى الكبير (١١/١٨٤رقم١٤٣٩) وفى الأوسط (٨/١٤٧ رقم ٤٨٦٢ مجمع البحرين)، وقال: لم يروه عن ابن جريج إلا بقية تفرد به هشام، وأبو نعيم فى صفة الجنة (ص ١٩ رقم ١٦)، وتمام الرازى فى فوائده (١/١٠٩ رقم ٢٥٨) جميعهم من حديث ابن عباس به إلى نهاية الآية. ورواه تمام فى فوائده بتمامه (١/١٠٩ رقم ٢٥٩). وعزاه فى الكنز لابن عساكر (١/٥٥)، وقال ابن كثير فى التفسير بعد إيراده رواية الطبرانى (٣/٢٣٧): بقية عن الحجازيين ضعيف، وله شاهد من حديث أنس رواه ابن أبى الدنيا فى صفة الجنة (١٨ رقم ٢٠) بطوله، وابن عدى (٥/١٨٣)، والحاكم (٢/٣٩٢) وصححه، وأبو نعيم فى صفة الجنة (٩ رقم ١٧)، والخطيب فى تاريخه (١٠/١١٨)، جميعهم من حديث أنس مختصراً، وتعقب الذهبى الحاكم فقال: بل ضعيف، وقال فى الميزان (٣/١٣٧): باطل.

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير (١٢/١٤٧ رقم ١٢٧٢٣)، وفى الأوسط (٨/١٤٦ - ١٤٧ رقم ٤٨٦١) وقال: لم يروه عن السدى إلا حماد بن عيسى تفرد به منجاب. وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/٤٠٠): رواه الطبرانى فى الأوسط والكبير، وأحد إسنادى الطبرانى جيد.

(٣) رواه ابن أبى الدنيا فى صفة الجنة (٢٧ رقم٤١)، والخرائطى فى مساوئ الأخلاق (١٦٢رقم ٤٢٦، ٤٢٧)، والبيهقى فى الأسماء والصفات (ص٤٠٣) جميعهم من حديث عبد الله بن الحارث مرفوعاً بتمامه. وقال البيهقى: مرسل. ورواه أبو الشيخ فى العظمة (٣٥٢ رقم ١٠٢٩)، وأبو نعيم فى صفة الجنة (١١ رقم ٢٣) مختصراً. وتقدم فى تفسير سورة الأعراف: ١٤٥.

﴿الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا﴾

لبنة من ذهب ولبنة من فضة (وحبالها)[(١)] المسك الأذفر»،[(٢)] والأخبار كلها غرائب.

﴿هم فيها خالدون﴾ أى: مقيمون لايظعنون أبداً.

قوله تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾ قال أهل اللغة: السلالة صفوة الماء المسلول من الصلب، وقوله: ﴿من طين﴾ الطين هاهنا هو آدم، وعليه الأكثرون، والمراد من الإنسان ولده، ومنهم من قال: المراد من الإنسان هو آدم. وقوله: ﴿من سلالة﴾ أى: سل من كل تربة، وقال الكلبى: السلالة هاهنا هو الطين الذى إذا قبض عليه الإنسان خرج الماء من جانبى يده، وعن مجاهد قال: هو منى بنى آدم. قال الشاعر:

وهل هند إلا مهرة عربية [سليلة] أفراس تجللها بغل
فإن نتجت مهرا [فلله درها وإن ولدت بغلا فجاء به البغل][(٣)]

وقوله: ﴿ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين﴾ أى: فى مكان استقر فيه، وعن مجاهد قال: مامن نطفة إلا ويذر عليها من التربة التى خلق منها.

وقوله: ﴿ثم خلقنا النطفة علقة﴾ العلقة هى القطعة من الدم.

(١) كذا! وعند الترمذى وغيره: وملاطها المسك الأذفر كما سيأتى فى مواضع تخريجه، والله أعلم.

(٢) رواه الترمذى فى سننه (٤ / ٥٨٠ رقم ٢٥٢٦) وقال: ليس إسناده بذاك القوى، وليس بمتصل، وأحمد فى مسنده (٢ / ٣٠٤ - ٣٠٥)، والطيالسى (٣٣٧ رقم ٢٥٨٣)، جميعهم من حديث أبى هريرة مرفوعاً بطوله، ورواه الإمام أحمد فى مسنده (٢ / ٤٤٥)، والدارمى (٢ / ٤٢٩ رقم ٢٨٢١)، وابن أبى الدنيا فى صفة الجنة (رقم ٤ ، ٥)، وأبو نعيم فى صفة الجنة (٥٢ رقم ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨) عن أبى هريرة بنحوه مرفوعاً. وفى الباب عن ابن عمر كما فى صفة الجنة لابن أبى الدنيا (رقم ١٢)، وأبو نعيم (رقم ١٣٩)، وعن أبى سعيد الخدرى، رواه البزار (٢ / ٤٨٠ رقم ٢٢٥٤) مختصراً، والطبرانى فى الأوسط (٨ / ١٤٦ رقم ٤٨٦٠ مجمع البحرين)، وأبو نعيم فى صفة الجنة (رقم ١٤٠). وقال الهيثمى (١٠ / ٤٠٠ المجمع): رواه البزار مرفوعاً وموقوفاً، والطبرانى فى الأوسط، ورجال الموقوف رجال الصحيح، وأبو سعيد لايقول هذا إلا بتوقف.

(٣) فى «الأصل، وك»: فلله درها وإن بقراف فمن قبل الفحل، والتصويب من المحاسن والأضداد للجاحظ (١ / ٨٤)، والأغانى (١٨ / ١٢٩)، ولسان العرب: مادة سلل.

النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ

وقوله: ﴿ فخلقنا العلقة مضغة ﴾ المضغة هى القطعة من اللحم.

وقوله: ﴿ فخلقنا المضغة عظما ﴾ وقرئ: «عظامًا»، والمعنى واحد. قال الشاعر:

فى حلقهم عظم وقد شجينا

أى: فى حلوقهم عظام.

ويقال: إن بين كل خلقين أربعين يومًا.

وقوله: ﴿ فكسونا العظام لحما ﴾ أى: ألبسنا.

وقوله: ﴿ ثم أنشأناه خلقا آخر ﴾ الأكثرون أن المراد منه نفخ الروح فيه، وقال الضحاك: استواء الشباب، وعن قتادة قال: نبت الأسنان، وعن الحسن: ذكرًا أو أنثى. وفى بعض التفاسير أن الله ينفخ فيه الروح بعد أربعة أشهر وعشرًا من يوم وقعت النطفة فى الرحم، ولهذا تقدرت عدة الوفاة بهذا القدر من الزمان.

وقوله: ﴿ فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾ روى أن عمر - رضى الله عنه - لما سمع هذه الآية (قال: فتبارك الله أحسن الخالقين فقال النبى ﷺ: «هكذا أنزل»)(١). فإن قيل: هذه الآية)(٢) تدل على أنا نخلق أفعالنا؛ لأن الله تعالى قال: ﴿ فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾، فذكر الخالقين على وجه الجمع؟ الجواب أن معناه: أحسن المقدرين، وقد ورد الخلق بمعنى التقدير، قال الشاعر:

ولأنت تفرى ماخلقت وبعض ... القوم يخلق ثم لايفرى

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط، وابن مردويه عن ابن عباس، عن عمر به بنحوه. كما فى تخريج الكشاف للزيلعى (٢/٤٠١)، والدر (٥/٩). ورواه الطيالسى فى مسنده (١/٩-١٠ رقم ٤١)، وابن أبى حاتم فى تفسيره- كما فى تخريج الكشاف (٢/٤٠٠) - والواحدى فى أسباب النزول (٢٣٤ - ٢٣٥) من طريق الطيالسى، عن أنس، عن عمر: وافقت ربى فى أربع .. منها هذا بنحوه.

(٢) ساقط من «ك».

﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ

[أي]: (١) يُقدِّر

ويقال: إن معناه: يصنعون وأصنع، وأنا أحسن الصانعين

قوله تعالى: ﴿ثم إنكم بعد ذلك لميتون﴾ قال بعضهم: الميِّت والميْت (واحد، وقال بعضهم: الميْت هو الذى قدمات، والميِّت هو الذى يموت فى المستقبل، ومثله المائت، وهذا كما قالوا: سيد وسائد هو الذى يسود فى المستقبل .

قوله تعالى: ﴿ثم إنكم يوم القيامة تبعثون﴾ البعث هو الإطلاق فكأنهم حبسوا مدة ثم أطلقوا .

قوله: ﴿ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق﴾ الطرائق هاهنا هى السموات، وفى تسميتها طرائق وجهان: أحدهما: أنها سميت طرائق؛ لأن بعضها فوق بعض، يقال: طارقت النعل إذا جعلت بعضها فوق بعض

والوجه الثانى: أنها سميت طرائق؛ لأنها طرائق الملائكة .

وقوله: ﴿وما كنا عن الخلق غافلين﴾ أى: نحن حافظون لهم، يقال: حفظنا السماء أن تقع عليهم، ويقال: ما تركناهم سدى بغير أمر ولانهى .

قوله تعالى: ﴿وأنزلنا من السماء ماءً بقدر﴾ فى الخبر: «أن الله تعالى أنزل أربعة أنهار من الجنة: سيحان، وجيحان، ودجلة، والفرات»(٢).

وروى أنه أنزل خمسة أنهار من عين فى الجنة، وذكر مع الأربعة التى ذكرناها نيل مصر، وفى هذا الخبر أن الله أودعها الجبال ثم أجراها لمنفعة العباد، وفى هذا الخبر أيضا: «أنه إذا كان خروج يأجوج ومأجوج رفع الله القرآن والكعبة والركن والمقام وتابوت موسى والأنهار الخمسة فلا يبقى شىء من خير الدنيا والآخرة فهو قوله تعالى:

(١) فى «الأصل، وك»: أن.
(٢) تقدم تخريجه.

جنة السنة

كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ ﴿٢٠﴾

﴿وإنا على ذهاب به لقادرون﴾»[1].

قوله تعالى: ﴿فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون﴾ ظاهر المعنى، وخص النخيل والأعناب بالذكر؛ لأنهما كانتا أكثر فواكه العرب.

قوله تعالى: ﴿وشجرة تخرج من طور سيناء﴾، معناه: وأنشأنا شجرة تخرج من طور سيناء، وهى شجرة الزيتون، وإنما خصها بالذكر؛ لأنها لا تحتاج إلى معاهد، فالمنة فيها أكثر؛ ولأنها مأكول (ومستصبح)[2] بها، وقوله: ﴿سيناء﴾ بالحبشية هو الحسن، وأما المروى عن ابن عباس معنيان: أحدهما: أن المراد من سيناء هو البركة ومعناه: جبل البركة، والآخر: أن معناه الشجر، يعنى الجبل المشجر، أورده الكلبى.

وقوله: ﴿تَنْبُتُ بالدهن﴾. وقرئ «تُنْبِتُ» واختلفوا فى هذا: منهم من قال: أنبت ونبت بمعنى واحد، قال الشاعر:

رأيت ذوى الحاجات حول بيوتهم ... قطينا لهم حتى إذا أنبت البقل

يعنى: حتى إذا نبت البقل، فالمعنى على هذا تنبت بالدهن أى: ومعها الدهن، أو فيها الدهن، وقال أبو عبيدة: الباء زائدة، فالمعنى على هذا: تنبت ثمر الدهن.

وأما من فرق بين تَنْبُتُ وتُنْبِتُ، فقال معناه: تُنبت ثمرها بالدهن، وتَنبت ثمر الدهن.

وأنشدوا فى زيادة الباء شعرًا:

(١) رواه ابن حبان فى المجروحين (٣/ ٣٢ – ٣٣)، وابن عدى فى الكامل (٦/ ٣١٥) ،وقال: غير محفوظ بل هو منكر المتن، والخطيب فى تاريخه (١/ ٥٧ – ٥٨) من حديث مسلمة بن على، عن مقاتل، عن عكرمة، عن ابن عباس مرفوعًا بطوله.

(٢) فى «ك»: يستصبح.

جنة السنة

وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ

سود المحاجر لا يقرأن بالسور

أي: لا يقرأن السور.

وقوله: ﴿وصبغ للآكلين﴾. وقرئ: «وصباغ للآكلين»، وهو فى الشاذ، مثل لبس ولباس، ومعناه: (وإدام)[1] للآكلين، فإن الخبز إذا غمس فيه أى: فى الزيت انصبغ به بمعنى تلون، والإدام كل ما يؤكل مع الخبز عادة، سواء انصبغ به الخبز أو لم ينصبغ، روى عن النبى ﷺ أنه أخذ لقمة وتمرة، وقال: «هذه إدام هذه»[2].

وعنه ﷺ أنه قال: «سيد إدام أهل الجنة اللحم»[3].

قوله تعالى: ﴿وإن لكم فى الأنعام لعبرة﴾ يعنى الآية[4]: تعتبرون بها.

وقوله: ﴿نسقيكم مما فى بطونها﴾ أى: اللبن.

وقوله: ﴿ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون﴾ يعنى: من لحومها ﴿وعليها وعلى الفلك تحملون﴾ ظاهر المعنى.

(١) فى «ك»: أدم.

(٢) رواه أبو داود فى سننه (٣/٢٢٥ رقم ٣٢٥٩)، والبخارى فى تاريخه (٨/٣٧١ - ٣٧٢)، والترمذى فى شمائله (١٦٠ رقم ١٧٤)، والبيهقى فى سننه (١٠/٦٣)، وتمام فى فوائده (١/١٩٥ - ١٩٦ رقم ٤٥٤) جميعهم من حديث يوسف بن عبد الله بن سلام مرفوعا بنحوه.

ورواه أبو يعلى (١٣/٤٨١ - ٤٨٢ رقم ٧٤٩٤) من طريق عبد الله بن سلام، وقال الهيثمى: وفيه يحيى بن العلاء، وهو ضعيف (٥/٤٣ المجمع)، وقد ضعفه الشيخ ناصر فى مختصر الشمائل (رقم ١٥٦).

(٣) رواه الطبرانى فى الأوسط (٦/٧٣ رقم ٤٠٦٥ - مجمع البحرين)، وتمام فى فوائده (١/١٢٩ رقم ٢٩٨). كلاهما من حديث بريدة مرفوعًا بطوله. وقال الهيثمى فى المجمع (٥/٣٨ - ٣٩): رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه سعيد بن عتبة القطان، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات، وفى بعضهم كلام لايضر. ورواه تمام موقوفًا عن بريدة أيضًا. وفى الباب عن أبى الدرداء، وعلى، وصهيب، وربيعة بن كعب، وغيرهم. وانظر المقاصد الحسنة (٣٩٣ - ٣٩٤)، وتنزيه الشريعة (٢/٢٤٨).

(٤) فى «ك»: الآية.

﴿فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ
كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لأَنزَلَ
مَلائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلاَّ رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ
حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ

قوله تعالى : ﴿ ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ﴾ أى : وحدوا الله .

﴿ ما لكم من إله غيره ﴾ أى : معبود سواه . وقوله : ﴿ أفلا تتقون ﴾ معناه : أفلا تخافون عقوبته إذا عبدتم غيره .

قوله تعالى : ﴿ فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم ﴾ قد ذكرنا معنى الملأ، وذكرنا إنكارهم إرسال البشر .

وقوله : ﴿ يريد أن يتفضل عليكم ﴾ يتفضل أى : يظهر الفضل، ولا فضل له، كما يقال : فلان يتحلم أى : يظهر الحلم، ولا حلم له، ويتظرف أى : يظهر الظرافة، ولا ظرافة له .

وقوله : ﴿ ولو شاء الله لأنزل ملائكة ﴾ يعنى : بإبلاغ الوحى، وقوله : ﴿ ما سمعنا بهذا فى آبائنا الأولين ﴾ . أى : بإرسال بشر رسولا، وقيل : بدعوة مثل دعوته .

قوله تعالى : ﴿ إن هو إلا رجل به جنة ﴾ أى : جنون .

وقوله : ﴿ فتربصوا به حتى حين ﴾ قال ابن عباس : إلى وقت ما، ويقال : إلى أن يموت .

قوله تعالى : ﴿ قال رب انصرنى بما كذبون ﴾ يعنى : أهلكهم نصرة لى جزاء تكذيبهم .

قوله تعالى : ﴿ فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيينا ووحينا ﴾ . قد بينا من قبل، ويقال : غرس الشجر أربعين سنة، وجففه أربعين سنة .

وقوله : ﴿ فإذا جاء أمرنا وفار التنور ﴾ المراد من الأمر هاهنا : وقت إغراقهم، والتنور تنور الخابزة، وقد بينا غير هذا .

وقوله : ﴿ فاسلك فيها من كل زوجين اثنين ﴾ قال ابن عباس معناه : من كل صنف

﴿بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ
إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾
فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ
الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِي﴾

اثنين اثنين.

وقوله: ﴿وأهلك إلا من سبق عليه القول منهم﴾ أى: سبق عليه الحكم بإهلاكه، وهو ابن نوح. قال الحسن: كانوا سبعة وثامنهم نوح، وقيل: ستة وسابعهم نوح.

وقوله: ﴿ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا إنهم مغرقون﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك﴾ أى: استقررت وجلست، وقد يكون الاستواء بمعنى الارتفاع، قال الخليل: دخلنا على أبى ربيعة الأعرابى، (فقال لنا: استووا)[(١)] أى: ارتفعوا. وقوله: ﴿فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين﴾ أى: الكافرين، وفى بعض الأخبار عن النبى ﷺ أنه قال: «مثل أهل بيتى كمثل سفينة نوح من ركبها سلم، ومن لم يركبها (هلك)[(٢)]»[(٣)].

قوله تعالى: ﴿وقل رب أنزلنى مُنْزَلا مباركا﴾ وقرئ: «مَنْزِلا»، فالمَنْزل موضع النزول، والمُنْزَل بمعنى الإنزال، وفى موضع النزول قولان: أحدهما: أنه السفينة بعد الركوب، والآخر: أنه الأرض بعد النزول من السفينة، والبركة بعد النزول هو كثرة النسل من أولاده الثلاثة، والبركة قبل النزول هو النجاة. وفى بعض أخبار النبى ﷺ: «من نزل منزلا فقال: رب أنزلنى منزلا مباركا وأنت خير المنزلين، كان ضمانا على الله أن يحفظه من كل شيء يهوله، وإن توفى فى ذلك المنزل دخل الجنة». ذكره ابن فارس

(١) فى «ك»: فقال: استووا لنا.

(٢) فى «ك»: ندم.

(٣) روى من حديث أبى ذر، وابن عباس، وابن الزبير، وأبى سعيد، وأنس، وأبى الطفيل جميعهم مرفوعًا بنحوه، ورواه بعضهم مطولا وبعضهم مختصراً.

(أ) حديث أبى ذر: رواه الفسوى فى المعرفة (١/ ٥٣٨)، والطبرانى فى الكبير (٣/ ٤٥ - ٤٦ رقم ٢٦٣٦، ٢٦٣٧)، وفى الأوسط (٦/ ٣٣٢ رقم ٣٧٩٣، ٣٧٩٤، ٣٧٩٥)، وفى الصغير (١/ ٢٤٠ رقم ٣٩١)، =

ذَلِكَ لآيَاتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الْمَلأُ

فى تفسيره برواية أبى هريرة، والخبر غريب.

قوله تعالى: ﴿إن فى ذلك لآيات وإن كنا لمبتلين﴾ قال ابن عباس: مبتلين من أطاع ومن عصى، وعن غيره قال معناه: ما من أمة إلا ونحن قد ابتليناها.

قوله: ﴿ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين﴾ (أى: قوماً آخرين)[1].

قوله تعالى: ﴿فأرسلنا فيهم رسولا منهم﴾ فى التفسير: أن القرن هم قوم هود، وهم عاد، والرسول هو هود، ويقال: قوم صالح وصالح، والأول أصح وأظهر.

وقوله: ﴿أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون﴾ قد ذكرنا.

= والبزار (٢/٣٣٣ - ٣٣٤ رقم ١٩٦٦ - مختصر الزوائد)، وابن عدى فى الكامل (٢/٣٠٦، ٤/١٩٨)، والحاكم فى المستدرك (٢/٣٤٣)، (٣/١٥٠ - ١٥١) وصححه، وتعقبه الذهبى بأن فى إسناده مفضل، وهو واه، وأبو الشيخ فى الأمثال (٣٣٣)، والقضاعى فى الشهاب (٢/٢٧٣ - ٢٧٤ رقم ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥). وقال الهيثمى فى المجمع (٩/١٧١): فى إسناد البزار الحسن بن أبى جعفر، وفى إسناد الطبرانى عبدالله بن داهر، وهما متروكان، واستنكره الذهبى فى الميزان فى ترجمة مفضل بن صالح (٤/١٦٧).

(ب) حديث ابن عباس: رواه الطبرانى فى الكبير (٣/٤٦ رقم ٢٦٣٨)، (١٢/٣٤ رقم ١٢٣٨٨)، والبزار (٢/٣٣٤ رقم ١٩٦٧ - المختصر)، وابن عدى (٢/٣٠٦)، وأبو نعيم فى الحلية (٤/٣٠٦)، والقضاعى فى مسند الشهاب (٢/٢٧٣ رقم ١٣٤٢). وقال البزار: لانعلم رواه إلا الحسن - يعنى ابن أبى جعفر - وليس بالقوى، وكان من العباد. وقال الهيثمى فى المجمع (٩/١٧١): رواه البزار والطبرانى، وفيه الحسن بن أبى جعفر، وهو متروك.

(ج) حديث ابن الزبير: رواه البزار (٢/٣٣٣ رقم ١٩٦٥)، وقال الهيثمى: رواه البزار، وفيه ابن لهيعة، وهو لين.

(ء) حديث أبى سعيد الخدرى: رواه الطبرانى فى الأوسط (٦/٣٣٣ - ٣٣٤ رقم ٣٧٩٦ - مجمع البحرين)، وفى الصغير (٢/٨٤ - ٨٥ رقم ٨٢٥)، وقال الهيثمى: رواه الطبرانى فى الصغير والأوسط، وفيه جماعة لم أعرفهم.

(هـ) حديث أنس: رواه الخطيب فى تاريخه من طريق أبان بن أبى عياش عنه (١٢/٩١).

(و) حديث أبى الطفيل: رواه الدولابى فى الكنى (١/٧٦).

(١) ساقط من «ك».

مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم

قوله تعالى: ﴿وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة﴾. أى: بالمصير إلى الآخرة.

وقوله: ﴿وأترفناهم فى الحياة الدنيا﴾ أى: وأغنياهم فى الحياة الدنيا، ويقال: وسعنا عليهم المعيشة فى الحياة الدنيا حتى أترفوا، والإتراف هو التنعم بملاذ العيش. قال القتيبى: والترفة كالتحفة.

وقوله: ﴿ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون﴾ يعنى: منه.

قوله تعالى: ﴿ولئن أطعتم بشرا مثلكم﴾ أى: من لحم ودم مثلكم.

وقوله: ﴿إنكم إذا لخاسرون﴾ أى: المغبونون، ويقال: تاركون طريقة العقلاء، فتكونون بمنزلة من خسر عقله.

قوله تعالى: ﴿أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابًا وعظامًا أنكم مخرجون﴾

تحصيل المعنى: أيعدكم أنكم إذا متم وقبرتم ثم خرجتم من قبوركم، وفى قراءة ابن مسعود: «أيعدكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون» وأما على القراءة المعروفة فنصب الأول بتقدير الباء أى: بأنكم، وأما إنكم الثانية للتأكيد، قال الزجاج: ونظير هذا فى القرآن قوله تعالى: ﴿ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فإن له نار جهنم﴾(١).

قوله تعالى: ﴿هيهات هيهات لما توعدون﴾ قال ابن عباس معناه: بعيد بعيد ما توعدون أى: لا يكون ذلك أبدا، هيهات وأيهات بمعنى واحد، قال الشاعر:

أيهات أيهات العقيق وأهله ... أيهات خلٌ بالعقيق نواصله

(١) التوبة: ٦٣.

مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ
وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلاَّ رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ
بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ
﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ

قوله تعالى: ﴿إن هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا﴾ فإن قيل: كيف يستقيم قوله: ﴿ونحيا﴾ ولم يكونوا مقرين بالبعث؟ والجواب من وجوه: أحدها: أنه على التقديم والتأخير يعنى: نحيا ونموت، والآخر: يموت الآباء، ويحيا الأبناء، والثالث: يموت قوم، ويحيا قوم.

قوله: ﴿وما نحن بمبعوثين﴾ أى: بمنشرين.

وقوله: ﴿إن هو إلا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين﴾ أى: بمصدقين.

قوله تعالى: ﴿قال رب انصرنى بما كذبون﴾ قد بينا

قوله: ﴿قال عما قليل ليصبحن نادمين﴾ أى: ليصبحون نادمين، ومعنى يصبحون: يصيرون.

قوله تعالى: ﴿فأخذتهم الصيحة بالحق﴾ فى القصة: أن جبريل -عليه السلام- صاح بهم صيحة فتصدعت قلوبهم.

ويقال: إن المراد من الصيحة الهلاك. قال امرؤ القيس:

فدع عنك نهيًا صيح فى حجراته ... ولكن حديث ما حديث الرواحل

وتمثل بهذا البيت على رضى الله عنه فى بعض حروبه.

وقوله: ﴿بالحق﴾ أى: بالعدل، ويقال: بما استحقوا.

وقوله: ﴿فجعلناهم غثاءً﴾. الغثاء: ما يبس من الشجر والحشيش ،وعلا فوق السيل، ويقال: الغثاء هو الزبد، فالزبد لا ينتفع به، ويذهب باطلا، فشبههم بعد الهلاك به.

وقوله: ﴿فبعدا للقوم الظالمين﴾ أى: هلاكا للقوم الظالمين.

أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ

قوله: ﴿ ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين ﴾ أى: قوما آخرين.

قوله: ﴿ ما تسبق من أمة أجلها ﴾ أى: وقت هلاكهم.

وقوله: ﴿ وما يستأخرون ﴾ أى: يتأخرون عن وقت هلاكها.

قوله تعالى: ﴿ ثم أرسلنا رسلنا تترى ﴾ وقرئ: «تترًى» بالتنوين، والمعنى: متواترين بعضهم على إثر بعض، ويقال: بين كل نبيين قطعة من الزمان، والأصل فى ﴿ تترى ﴾ وَتْرى إلا أن الواو قلبت تاء، فكأنه قال: بعثنا الرسل وترًا وترًا.

وقوله: ﴿ كلما جاء أمة رسولها كذبوه ﴾ أى: جحدوه وأنكروه.

وقوله: ﴿ فأتبعنا بعضهم بعضًا ﴾ أى: فى الهلاك.

وقوله: ﴿ وجعلناهم أحاديث ﴾ أى: سمرًا وقصصًا، قال بعضهم شعرا:

فكن حديثا حسنا ذكره ... فإنما الناس أحاديث

وقوله: ﴿ فبعدا لقوم لا يؤمنون ﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿ ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين ﴾ أى: بحجة بينة، وهى الآيات التسع.

قوله تعالى: ﴿ إلى فرعون وملئه فاستكبروا وكانوا قوما عالين ﴾ أى: طالبين للعلو بغير الحق، والاستكبار طلب التكبر، ويقال: ﴿ عالين ﴾ قاهرين (لمن)(١) تحتهم بالظلم.

وقوله تعالى: ﴿ فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا ﴾ أى: لموسى وهارون. وقوله: ﴿ وقومهما لنا عابدون ﴾ قال أبو عبيدة: تقول العرب لكل من أطاع إنسانا قد عبده.

(١) فى «ك»: من.

جنة السنة

مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾

وفى بعض التفاسير: أن القبط كانوا يعبدون فرعون، وفرعون كان يعبد الصنم.

قوله تعالى: ﴿فكذبوهما فكانوا من المهلكين﴾ أى: بالغرق.

قوله تعالى: ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون﴾ أى: التوراة.

قوله: ﴿وجعلنا ابن مريم وأمه آية﴾ قد بينا.

وقوله: ﴿وآويناهما إلى ربوة﴾ وقرئ: «رُبْوَة»، وقرأ أبو الأشهب العقيلى: «رَبَاوَة». وأما الربوة فيها أقوال: عن أبى هريرة قال: هى رملة فلسطين، وروى هذا مرفوعًا إلى النبى[(١)] ﷺ.

وقال سعيد بن المسيب: هى غوطة دمشق، (ويقال: أنزه المواضع فى الدنيا [أربعة](٢) مواضع: غوطة دمشق)(٣) فى الشام، والإيلة بالعراق، وشعب بوان بفارس، وسعد سمرقند، وعن كعب قال: ﴿ربوة﴾ هى بيت المقدس، وعن وهب بن منبه قال: هى مصر، وفى اللغة: الربوة هو المكان المرتفع.

وقوله: ﴿ذات قرار﴾ أى: أرض مستوية يستقرون فيها، وقيل: مستوية مرتفعة منبسطة.

وقوله: ﴿ومعين﴾ أى: ذات ماء جارٍ، ويقال: ذات عيون تجرى فيها، يقال: (عانت)(٣) البِرْكَةُ إذا جرى فيها الماء، وأنشدوا فى المعين شعرًا:

إن الذين غدوا بلبك غادروا   وسلا بعينك لا يزال معينا

قوله تعالى: ﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحًا﴾ قال مجاهد

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر (٥ / ١١) لابن مردويه.

(٢) فى «الأصل»: أربع، وهو خطأ.

(٣) ساقط من «ك».

يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾

وقتادة والسدى وجماعة: إن المراد من قوله: ﴿يا أيها الرسل﴾ هو محمد ﷺ، والعرب تذكر الجمع، وتريد به الواحد، فإنهم يقولون للرجل: أيها القوم، كف عنا أذاك ومنهم من قال: إن المراد منه جميع الرسل. وقال بعضهم المراد: عيسى -عليه السلام- كأنه قال: وقلنا لعيسى: يا أيها الرسل، وقد روى أبو هريرة أن النبى ﷺ قال: «يا أيها الناس، إن الله لا يقبل إلا الطيب، وإن الله تعالى أمر المسلمين بما أمر به المرسلين فقال: ﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحًا﴾ وقال للمؤمنين: ﴿يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات من رزقناكم واشكروا لله﴾(١) ثم ذكر الرجل أشعث أغبر يمد يده إلى السماء، فيقول: يارب، مطعمه حرام، وملبسه حرام، وغذى بالحرام، فأنى يستجاب له»(٢)؟!.

وفى القصة :أن عيسى كان يأكل من غزل أمه، والأكل هو أخذ الشىء بالفم؛ ليوصله إلى البطن بالمضغ، وأما قوله: ﴿من الطيبات﴾ أى: من الحلال. وقوله: ﴿واعملوا صالحا﴾ الصلاح هو الاستقامة على ما توجبه الشريعة.

وقوله: ﴿إنى بما تعملون عليم﴾ هذا حث على فعل الطاعة، يعنى: اعملوا الصالحات، فإنى مجازيكم على عملكم.

قوله تعالى: ﴿وإن هذه أمتكم أمة واحدة﴾ أى: دينكم دين واحد، وقيل: شريعتكم شريعة واحدة، ويقال: أمرتكم بما أمرت به من قبلكم من الأنبياء والمرسلين، فأمركم واحد.

وقوله: ﴿وأنا ربكم فاتقون﴾ فاحذرونى.

قوله تعالى: ﴿فتقطعوا أمرهم بينهم﴾ أى: تفرقوا هودا ونصارى وصابئين ومجوسًا. ﴿زبرا﴾ أى: قطعًا. قال مجاهد: ﴿زبرًا﴾ كتبًا أى :جعلوا كتبهم قطعا ومعناه: آمنوا بالبعض ،وكفروا بالبعض، وحرفوا البعض، ولم يحرفوا البعض.

وقوله: ﴿كل حزب بما لديهم فرحون﴾ أى: مسرورون.

(١) البقرة: ١٧٢.

(٢) تقدم تخريجه.

وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ
حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا
نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾

ويعنى أن كل فريق مسرورون بما عندهم : فأهل الإيمان مسرورون بالإيمان وبمتابعة النبى ﷺ، والكفار مسرورون بكفرهم وبمخالفة النبى ﷺ.

قوله تعالى : ﴿ فذرهم فى غمرتهم ﴾ أى : فى ضلالتهم، وقيل : فى عمايتهم.

وقوله : ﴿ حتى حين ﴾ معناه : إلى أن يموتوا، والآية للتهديد.

قوله تعالى : ﴿ أيحسبون أنما نمدهم به من مال ﴾ الآية. معناه : أيحسبون أن الذى نجعله مددا لهم من المال والبنين ﴿ نسارع لهم فى الخيرات ﴾ أى : نعجل لهم فى الخيرات، ونقدمها ثوابًا لهم رضًا بأعمالهم، وحقيقة المعنى أى : ليس الأمر على ما يظنون أن المال والبنين خير لهم، بل هو استدراج لهم، ومكر بهم، فهو معنى قوله تعالى : ﴿ بل لا يشعرون ﴾.

قوله تعالى : ﴿ إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون ﴾. الخشية : انزعاج النفس لما يتوقع من المضرة، والإشفاق هاهنا هو الخوف من العذاب، فمعنى الآية : أن المؤمنين من خشية ربهم لا يأمنون عذابه. قال الحسن البصرى : المؤمن جمع إحسانًا وخشية، والمنافق إساءة وأمنا.

قوله : ﴿ والذين هم بآيات ربهم يؤمنون ﴾ أى : يصدقون.

قوله تعالى : ﴿ والذين هم بربهم لا يشركون ﴾ معلوم المعنى.

قوله تعالى : ﴿ والذين يؤتون ما آتوا ﴾ روى عن النبى ﷺ أنه قرأ : « والذين يأتون ما أَتوا به »، وهو قراءة عائشة – رضى الله عنها[1].

(وقوله : ﴿ يؤتون ما آتوا ﴾ أى : يعطون ما أعطوا. وقوله : « يأتون ما آتوا » أى :

(١) رواه سعيد بن منصور، وابن مردويه عن عائشة مرفوعًا، كما فى الدر (٥ / ١٣)، وعزاه أيضا لأحمد، والبخارى فى تاريخه، وعبدبن حميد، وابن المنذر، وابن أشته، وابن الأنبارى معا فى المصاحف، والدارقطنى فى الأفراد، والحاكم وصححه، وابن مردويه عن عبيد بن عمير أنه سأل عائشة عن هذه الآية .. الحديث.

إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ

يفعلون ما فعلوا)[١].

وقوله: ﴿وقلوبهم وجلة﴾ أى: خائفة.

وقوله: ﴿أنهم إلى ربهم راجعون﴾. أى: لأنهم إلى ربهم راجعون، ومعناه: خافوا لأنهم علموا أن رجوعهم إلى ربهم، وروى عبد الرحمن بن سعيد بن وهب عن عائشة – رضى الله عنها –أنها قالت للنبى ﷺ: يا رسول الله، قول الله تعالى: ﴿والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة﴾ أهم الذين يسرقون، ويشربون الخمر، وقلوبهم وجلة؟ قال: لا يا ابنة الصديق، بل هم الذين (يصلون، ويصومون،)[٢] ويتصدقون، وقلوبهم وجلة أنها لا تقبل منهم» وفى رواية: «ويخشون أن لا تقبل منهم»[٣]. قال الشيخ الإمام: أخبرنا بهذا الحديث أبو على الشافعى قال:أبو الحسن ابن [فراس]:[٤] أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله المقرئ ،أخبرنا جدى محمد، عن سفيان بن عيينة ،أخبرنا مالك بن مغول، عن عبدالرحمن بن سعيد بن وهب.. الخبر. وقال الحسن البصرى: عملوا والله بالطاعات، واجتهدوا فيها، وخافوا أن ترد عليهم. هذا هو القول المعروف فى الآية،

(١) ساقط من «ك».

(٢) فى «ك»: يصومون ويصلون.

(٣) رواه الترمذى (٥/ ٣٠٦ – ٣٠٧ رقم ٣١٧٥)، وابن ماجه (٢/ ١٤٠٤ رقم ٤١٩٨)، وأحمد (٦/ ٢٠٥)، والحميدى (١/ ١٣٢ – ١٣٣ رقم ٢٧٥)، وابن جرير (١٨/ ٢٦)، والحاكم (٢/ ٣٩٣ – ٣٩٤) وصححه، ومن طريقه البيهقى فى الشعب، وأعله ابن عساكر فى الأطراف بأن عبد الرحمن بن سعيد لم يدرك عائشة، كما فى تخريج الكشاف للزيلعى (٢/ ٤٠٢ – ٤٠٣)، ورواه ابن جرير (١٨/ ٢٦) من طريق ليث بن أبى سليم وهشيم، عن العوام بن حوشب، وليث، عن مغيث، عن رجل من أهل مكة كلاهما عن عائشة به بنحوه، ورواه الواحدى فى تفسيره عن ليث، عن عمرة، عن عائشة – تخريج الكشاف. وقال الترمذى: روى هذا الحديث عن عبد الرحمن بن سعيد ،عن أبى حازم ،عن أبى هريرة ،عن النبى ﷺ نحو هذا. قلت: رواه ابن جرير بإسناده عن عبد الرحمن بن سعيد، عن أبى حازم ،عن أبى هريرة أن عائشة قالت... فذكر نحوه.

(٤) فى «الأصل، وك»: فارس، وهو خطأ، والصواب ما أثبتناه، وقد تقدم التنبيه عليه.

أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ
﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ
﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ

والقول الثانى: أن المراد من الآية أنهم عملوا بالمعاصى، وخافوا من الله.

قوله تعالى: ﴿ أولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون ﴾ أى: إليها سابقون.

قال الشاعر:

تجانف عن جو اليمامة ناقتى ... وما قصدت من أهلها لسوائكا

أى: إلى سوائكا. ويقال: «لها سابقون» أى: من أجلها سابقون، يقول الإنسان لغيره: قصدت هذه البلدة لك أى: لأجلك، وعن ابن عباس أنه قال: ﴿ وهم لها سابقون ﴾ أى: سبقت لهم السعادة من الله.

قوله تعالى: ﴿ ولا نكلف نفسًا إلا وسعها ﴾ قد بينا المعنى، ويقال: لم نكلف المريض الصلاة قائمًا، ولا الفقير الزكاة والحج، ولا المسافر الصوم، وأشباه هذا.

وقوله: ﴿ ولدينا كتاب ينطق بالحق ﴾ أى: عندنا كتاب ينطق بالحق، وهو اللوح المحفوظ، واستدل بعضهم بهذه الآية أن من كتب إلى إنسان كتابًا فقد كلمه.

وقوله: ﴿ ينطق بالحق ﴾ أى: يخبر بالصدق.

وقوله: ﴿ وهم لا يظلمون ﴾ أى: لا ينقص حقهم.

قوله تعالى: ﴿ بل قلوبهم فى غمرة من هذا ﴾ أى: فى غطاء، يقال: فلان غمره الماء، أى: غطاه.

وقوله: ﴿ ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون ﴾ (فيه قولان: أن للكفار أعمالا خبيثة محكومة عليهم سوى ماعملوا ﴿ هم لها عاملون ﴾)(١) هذا قول مجاهد وجماعة، وقال قتادة: الآية تنصرف إلى أصحاب الطاعات، ومعناه: أن المؤمنين لهم أعمال سوى ما عملوا من الخير ﴿ هم لها عاملون ﴾، والقول الأول أظهر.

(١) ساقط من (ك).

﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ ﴿٦٣﴾ لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٤﴾ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٥﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٦﴾ ﴿٦٧﴾

قوله تعالى: ﴿حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب﴾ قد بينا معنى المترف.

وقوله: ﴿بالعذاب﴾ وهو السيف يوم بدر، ويقال: هو القحط الذى أصابهم بدعاء النبى ﷺ (١).

وقوله: ﴿إذا هم يجأرون﴾ أى: يصيحون ويستغيثون.

قوله تعالى: ﴿لا تجأروا اليوم﴾ لا تصيحوا اليوم، والجؤار هو رفع الصوت.

وقوله: ﴿إنكم منا لا تنصرون﴾ أى: ليس أحد يمنعنا من عذابكم، وقيل: ﴿لا تنصرون﴾ لا ترزقون، يقال: أرض منصورة أى: ممطورة.

قوله تعالى: ﴿قد كانت آياتى تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون﴾ أى: ترجعون قهقرى على أعقابكم، ويقال: أقبحُ المشى هو الرجوع على عقبيه قهقرى.

قوله تعالى: ﴿مستكبرين به﴾ اختلف القول فى قوله، فأظهر الأقاويل: أن المراد منه الحرم، ويقال: البيت أى: متعظمين بالبيت الحرام ،وتعظيمهم أنهم كانوا يقولون: نحن أهل الله وجيران بيته، وكان سائر العرب فى خوف ،وهم فى أمن، هذا قول ابن عباس ومجاهد وجماعة، والقول الثانى: ﴿مستكبرين به﴾ أى: بالقرآن، على معنى أنهم استكبروا فلم يؤمنوا به، والقول الثالث: أنه الرسول ﷺ على المعنى الذى ذكرنا فى القرآن.

وقوله: ﴿سامرًا﴾ وقرئ فى الشاذ: «سُمَّارا»، والسامر والسمار فى اللغة بمعنى واحد. والآية فى أنهم كانوا يقعدون بالليل حول البيت يسمرون. قال الثورى: السمر ظل القمر تقول العرب: لا أكلمك السمر والقمر، أى: الليل والنهار.

وقوله: ﴿تهجرون﴾ أى: تعرضون عن النبى ﷺ والإيمان به والقرآن والإيمان،

(١) متفق عليه، وقد تقدم.

جنة السنة

أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُم

وقيل: ﴿ تهجرون ﴾ أى: تهذون. وقرئ: « تُهْجِرون » من الهجر فى الكلام وهو القبيح، وفى الروايات: أنهم كانوا يقعدون عند البيت فى ظل القمر ويسبون النبى ﷺ.

قوله تعالى: ﴿ أفلم يدبروا القول ﴾ يعنى: ما جاءهم من القول، وهو القرآن.

وقوله: ﴿ أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين ﴾ (يعنى: أيظنون أنه جاءهم ما لم يأت من قبلهم، ومعناه: أنا بعثنا إليهم رسولا كما بعثنا إلى الأولين)[1].

قوله تعالى: ﴿ أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون ﴾. يعنى: أنهم عرفوه صغيراً وكبيراً، وعرفوا نسبه، وعرفوا وفاءه بالعهد، وأداءه للأمانات، وصدقه فى الأقوال، وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، على ما ذكرنا من قبل.

قوله تعالى: ﴿ أم يقولون به جنة ﴾ أى: جنون.

وقوله: ﴿ بل جاءهم بالحق ﴾ أى: بالصدق. وقوله: ﴿ وأكثرهم للحق كارهون ﴾ أى: ساخطون.

قوله تعالى: ﴿ ولو اتبع الحق أهواءهم ﴾ أى: لو اتبع ما نزل من القرآن أهواءهم.

﴿ لفسدت السموات والأرض ومن فيهن ﴾ وإنما قال هذا؛ لأنهم كانوا يودون أن ينزل الله تعالى ذكر أصنامهم على ما يعتقدونها، ولأنه هو فى معنى قوله تعالى: ﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ﴾[2] وفى قراءة ابن مسعود: « لفسدت السموات والأرض ومن فيهن ومن خلق ».

والقول الثانى فى الآية: أن المراد من ﴿ الحق ﴾ هو الله تعالى، ومعناه: لو اتبع (الله)[3] أهواءهم لسمى لنفسه شريكًا وولدًا، ولفسدت السموات والأرض ومن

(١) ساقط من « ك ».
(٢) الأنبياء: ٢٢.
(٣) فى « ك »: الحق.

بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ ﴿٧٤﴾

فيهن.

وقوله: ﴿بل أتيناهم بذكرهم﴾ أى: بما يذكرهم ، ويقال: بشرفهم، وهو معنى قوله تعالى: ﴿وإنه لذكر لك ولقومك﴾[(١)] أى: شرف لك ولقومك.

وقوله: ﴿فهم عن ذكرهم معرضون﴾ أى: عن شرفهم وعما يذكرهم معرضون.

قوله تعالى: ﴿أم تسألهم خرجًا﴾ وقرئ: («خراجًا»)[(٢)]، وكلاهما بمعنى الجُعل والأجر، وعن أبى عمرو بن العلاء قال: الخراج فى الأرض،والخرج فى الرقاب.

وقوله: ﴿فخراج ربك﴾ أى: ثوابه (﴿خير﴾ أى: أجر ربك)[(٣)] خير.

وقوله: ﴿وهو خير الرازقين﴾ أى: المعطين.

قوله تعالى: ﴿وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم﴾ أى: إلى دين الحق.

قوله تعالى: ﴿وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون﴾. أى: عن طريق الحق لعادلون.

قوله تعالى: ﴿ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر﴾ روى أن النبى ﷺ دعا على قريش فقال: «اللهم اجعل عليهم سنين كسنى يوسف؛ فأصابهم الجدب والقحط حتى أكلوا العلهز، وهو الدم بالوبر، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿ولو

---

(١) الزخرف: ٤٤.
(٢) فى «ك»: «ومخرجا» وهو تصحيف.
(٣) ساقط من «ك».

﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾﴾

رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر﴾»(١) أى: الجوع والقحط.

وقوله: ﴿للجوا فى طغيانهم يعمهون﴾ أى: مضوا فى طغيانهم يعمهون، ولم ينزعوا عنه.

قوله تعالى: ﴿ولقد أخذناهم بالعذاب﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه السيف يوم بدر، والآخر: أنه الجوع والقحط، وروى «أن النبى ﷺ لما دعا على قومه قدم أبوسفيان عليه، فقال: يا محمد، ألست تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين؟ قال: نعم، فقال له: قتلت الآباء بالسيف ،وأهلكت الأبناء بالجوع، فادع لنا يكشف عنا هذا القحط، فدعا فكشف عنهم»(٢).

وقوله: ﴿فما استكانوا لربهم وما يتضرعون﴾ أى: ما خضعوا وما ذلوا لربهم، والاستكانة طلب السكون.

وقوله: ﴿وما يتضرعون﴾ أى: لم يتضرعوا إلى ربهم، بل مضوا إلى عتوهم وتمردهم.

---

(١) رواه النسائى فى الكبرى (٦/٤١٣ رقم ١١٣٥٢)، والطبرى (١٨/٣٤)، وابن حبان فى صحيحه (٣/٢٤٧ رقم ٩٦٧)، والطبرانى (١١/ ٣٧٠ رقم ١٢٠٣٨)، والحاكم (٢/٢٩٤) وصححه، والبيهقى فى الدلائل (٢/٩٠ - ٩١)، والواحدى فى أسباب النزول (٢٣٥)، وابن أبى حاتم - كما فى تفسير ابن كثير (٣/٢٥١ - ٢٥٢) عن ابن عباس قال: جاء أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد أنشدك الله والرحم فقد أكلنا العلهز - يعنى الوبر والدم - فأنزل الله تعالى: ﴿ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون﴾. وأما دعاؤه ﷺ عليهم فثابت فى الصحيحين «اللهم أعنى عليهم بسبع كسبع يوسف» وقد تقدم.

(٢) رواه ابن جرير (١٨/٣٤ - ٣٥)، والبيهقى فى الدلائل (٤/٨١)، والواحدى فى أسباب النزول (٢٣٥). وعزاه السيوطى أيضا فى الدر (٥/١٥) لأبى نعيم فى المعرفة كلهم من حديث ابن عباس.

حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوا أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا

قوله تعالى: ﴿حتى إذا فتحنا عليهم بابًا ذا عذاب شديد﴾ يقال: بالموت، ويقال: بقيام الساعة.

وقوله: ﴿إذا هم فيه مبلسون﴾. أى: متحيرون آيسون، وعن السدى قال: ﴿حتى إذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد﴾ هو فتح مكة. ويقال: العذاب الشديد هو الأمراض والشدائد، وعن مجاهد قال: هو القتل يوم بدر.

قوله تعالى: ﴿وهو الذى أنشأ لكم السمع﴾ أى: الأسماع لتسمعوا، وهذا واحد بمعنى الجمع. وقوله: ﴿والأبصار﴾ أى: لتبصروا. وقوله: ﴿والأفئدة﴾ لتعقلوا. وقوله: ﴿قليلا ما تشكرون﴾ أى: لم تشكروا هذه النعم.

قوله تعالى: ﴿وهو الذى ذرأكم فى الأرض وإليه تحشرون﴾ أى: خلقكم وأنشركم وكثركم فى الأرض. وقوله: ﴿وإليه تحشرون﴾ أى: تبعثون.

قوله تعالى: ﴿وهو الذى يحيى ويميت وله اختلاف الليل والنهار﴾ أى: تدبير الليل والنهار فى الزيادة والنقصان، ويقال: ومنه اختلاف الليل والنهار.

وقوله ﴿أفلا تعقلون﴾. معناه: أفلا تعقلون الآيات التى وضعتها فيها.

قوله تعالى: ﴿بل قالوا مثل ما قال الأولون﴾ معناه: كذبوا كما كذب الأولون.

قوله تعالى: ﴿قالوا أئذا متنا وكنا ترابًا وعظامًا أئنا لمبعوثون﴾ أى: محشورون، وقالوا ذلك على طريق الإنكار والتعجب.

قوله تعالى: ﴿لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين﴾ أى: أكاذيب الأولين، ويقال: أسمار الأولين وأقاصيصهم، وقيل: ما سطره الأولون فى

وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلاَّ
أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُل لِّمَنِ الأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ
لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ
﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ

كتبهم، ولا حقيقة له.

قوله تعالى: ﴿قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿سيقولون لله﴾ يعنى: هو ملك لله وملكه.

وقوله: ﴿أفلا تذكرون﴾ أى: تتعظون.

قوله تعالى: ﴿قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم﴾ أى: السرير الضخم.

قوله تعالى: ﴿سيقولون لله﴾ وقرئ: «سيقولون الله».

أما قوله تعالى: «سيقولون الله» هذا راجع إلى اللفظ، فالمعنى كالرجل يقول لغيره: من مالك هذا الدار؟ فيقول: زيد.

وأما قوله: ﴿سيقولون لله﴾ يرجع إلى المعنى دون اللفظ، كما يقول القائل لغيره: من مالك هذه الدار؟ فيقول: هى لزيد.

وقوله: ﴿قل أفلا تتقون﴾ أى: أفلا تحذرون.

قوله تعالى: ﴿قل من بيده ملكوت كل شيء﴾. أى: مالك كل شيء، والتاء للمبالغة، وكذلك فعلوت تذكر للمبالغة مثل قولهم: جبروت ورهبوت، من كلامهم: رهبوت خير من رحموت، ومعناه: أن ترهب خير من أن ترحم.

وقوله: ﴿وهو يجير ولا يجار عليه﴾ أن يؤمن على كل الناس، ولا يؤمن عليه أحد، ومعناه: أن من أَمَّنَهُ الله لا يقدر عليه أحد، ومن لم يؤمنه الله لم يؤمنه أحد، وقيل: من أراد الله عذابه لا يقدر أحد على منع العذاب عنه، ومن أراد أن يعذب غيره من الخلق قدر الله على منعه منه. وقوله: ﴿إن كنتم تعلمون﴾ ظاهر المعنى.

وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ

قوله تعالى: ﴿سيقولون لله قل فأنى تسحرون﴾ أى: تخدعون، وقيل: تصرفون عن الحق، قال الحسن: معناه: أين ذهبت (عقولكم)؟[1]، وقال أبو عبيدة: ﴿فأنى تسحرون﴾ أى: تعمهون.

قوله تعالى: ﴿بل أتيناهم بالحق وإنهم لكاذبون﴾ أى: بالصدق، إنهم لكاذبون فيما يدعون لله من الشريك والولد.

قوله تعالى: ﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله﴾ أى: من شريك. وقوله: ﴿إذاً لذهب كل إله بما خلق﴾ أى: تفرد بما خلقه ،فلم يرض أن يضاف خلقه ونعمته إلى غيره. وقوله: ﴿ولعلا بعضهم على بعض﴾. أى: طلب بعضهم الغلبة على البعض ،كما يفعل ملوك الدنيا فيما بينهم ،ثم نزه نفسه فقال: ﴿سبحان الله عما يصفون﴾.

قوله تعالى: ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ أى: السر والعلانية.

وقوله: ﴿فتعالى عما يشركون﴾ أى: تعظم عما يشركون، ومعناه: أنه أعظم أن يوصف بهذا الوصف.

قوله تعالى: ﴿قل رب إما ترينى ما يوعدون﴾ يعنى: إن أريتنى ما وعدتهم من العذاب ﴿رب فلا تجعلنى فى القوم الظالمين﴾ أى: اجعلنى خارجًا منهم، ولا تعذبنى معهم، هكذا ذكره الزجاج. قال أهل التفسير: وهذا دليل على أنه يجوز للعبد أن يسأل الله تعالى ما هو كائن لا محالة.

قوله تعالى: ﴿وإنا على أن نريك ما نعدهم لقادرون﴾ أى: ما نعدهم من العذاب.

(١) في «ك»: عقولهم.

جنة السنة

﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٣﴾ وَإِنَّا عَلَىٰ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ ﴿٩٤﴾ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٥﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٦﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٨﴾﴾ ﴿٩٩﴾

قوله تعالى: ﴿ادفع بالتى هى أحسن السيئة﴾ أكثر أهل التفسير أن المراد منه هو الدفع بالصبر، واحتمال الأذى، والكف عن المقاتلة، وهذا قبل آية السيف، وعن جماعة من التابعين أنهم قالوا: هو أن يسلم على من يؤذيه، فالدفع هو بالسلام عليه، وعن الضحاك ،عن ابن عباس قال: هو دفع الشرك بلا إله إلا الله ،وعن بعضهم: هو دفع المنكر بالموعظة.

قوله تعالى: ﴿نحن أعلم بما يصفون﴾ أى: بوصفهم وكذبهم.

قوله تعالى: ﴿وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين﴾ وساوسهم، والهمز فى اللغة مأخوذ من الدفع، ودفع الشياطين غيره إلى المعصية يكون بوسوسته، فعرف أن الهمزات هى الوساوس، وقيل: همز الشيطان إغراؤه على المعصية.

وقوله: ﴿وأعوذ بك رب أن يحضرون﴾ أى: يحضروا أمرى، وإنما ذكر الحضور؛ لأنه يغريه على المعصية، ويوسوسه إذا حضر.

قوله تعالى: ﴿حتى إذا جاء أحدهم الموت﴾ أى: حضر أحدهم الموت. وقوله: ﴿قال رب ارجعون﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه خطاب للملائكة، وهم الملائكة الذين يحضرون بقبض الروح، وهذا قول ضعيف؛ لأنه قد قال: ﴿رب﴾.

وأما القول الثانى - وهذا المعروف - أن الخطاب مع الله، وكأن الكافر يسأل ربه عند الموت أن يرده إلى الدنيا، فإن قيل: كيف يستقيم هذا، وقد قال: ﴿ارجعون﴾، والواحد لا يخاطب بخطاب الجمع، ولا يستقيم أن يقول القائل: اللهم اغفروا لى؟ والجواب عنه :أنه إنما ذكر بلفظ الجمع على طريق التفخيم والتعظيم، فإن الله تعالى أخبر عن نفسه بلفظ الجمع فقال: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾[1] ومثل هذا كثير فى القرآن ، فذكر قوله: ﴿ارجعون﴾ على موافقة هذا كما يخاطب الجمع،

(١) الحجر: ٩.

جنة السنة

لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ

وعن الخليل أنه سئل عن هذه الآية – وكان شديد التوقى فى كلام القرآن – وقال: ﴿ رب ارجعون ﴾ معناه: اجعلنى مرجوعًا.

وقوله تعالى: ﴿ لعلى أعمل صالحًا فيما تركت ﴾ أى: أقول لا إله إلا الله، وقيل: هو العمل بالطاعة، قال قتادة: طلب الرجوع ليعمل صالحًا، لا ليجمع الدنيا، ويقضى الشهوات، فرحم الله امرءًا عمل فيما يتمناه الكافر إذا رأى العذاب.

قوله تعالى: ﴿ كلا إنها كلمة هو قائلها ﴾ يعنى: سؤال الرجعة، وقد قال أهل العلم من السلف: لا يسأل الرجعة عبد له عند الله ذرة من خير؛ لأنه إذا كان له خير عند الله فهو يحب القدوم عليه، واتفقوا أن سؤال الرجعة يكون للكافر لا للمؤمن.

وقوله: ﴿ ومن وراءهم برزخ ﴾ أى: حاجز، وهو القبر.

وقوله: ﴿ إلى يوم يبعثون ﴾ فالبرزخ هو ما بين الموت إلى البعث، ويقال: ما بين الدنيا والآخرة.

قوله تعالى: ﴿ فإذا نفخ فى الصور ﴾ حكى عن الحسن البصرى أنه قال: أى: فى الصور. وهذا قول ضعيف، والصحيح أن الصور قرن ينفخ فيه إسرافيل، ومن المشهور أن النبى ﷺ قال: « كيف أنعم، وقد التقم صاحب القرن القرن، وحنى جبهته، وأصغى بأذنه متى يؤمر فينفخ »(١).

فمن العلماء من يقول: ينفخ ثلاث نفخات: نفخة للصعق، ونفخة للموت،

---

(١) رواه الترمذى (٤/٥٣٦ رقم ٢٤٣١)، (٥/٣٤٧ – ٣٤٨ رقم ٣٢٤٣) وقال: حسن، وابن ماجه (٢/رقم ٤٢٧٣) بمعناه، والإمام أحمد فى مسنده (٣/٧، ٧٣)، وابن المبارك فى الزهد (٥٥٧ رقم ١٥٩٧)، وابن أبى الدنيا فى الأهوال (٨٢ رقم ٥٠)، والحميدى (٢/٣٣٢ – ٣٣٣ رقم ٧٥٤)، وأبو يعلى (٢/٣٣٩ – ٤٤٠ رقم ١٠٨٤)، وابن حبان فى صحيحه (٣/١٠٥ رقم ٨٢٣)، والحاكم فى مستدركه (٤/٥٥٩)، وأبو نعيم فى الحلية (٥/١٠٥) من حديث أبى سعيد الخدرى بنحوه مرفوعًا. وفى الباب عن ابن عباس، وزيد بن أرقم، وأنس بن مالك، وجابر، والبراء، وراجع السلسلة الصحيحة للشيخ ناصر حفظه الله رقم ١٠٧٩.

جنة السنة

فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾

ونفخة للبعث. والأكثرون أنه ينفخ نفختين: نفخة للموت، ونفخة للبعث، والصعق هو الموت، ويكون بين النفختين أربعون سنة.

قوله تعالى: ﴿ فلا أنساب بينهم يؤمئذٍ ﴾ أى: لا أنساب يتفاخرون ويتواصلون بها، وأما أصل الأنساب فباقية.

وأما قوله عليه الصلاة والسلام: « كل سبب ونسب ينقطع إلا سببى ونسبى »[١] أى: لا ينفع سبب ولا نسب يوم القيامة إلا سببى ونسبى، ويقال: سببه القرآن، ونسبه الإيمان.

وقوله: ﴿ ولا يتساءلون ﴾ أى: لا يسأل بعضهم بعضا سؤال تواصل، فإن قيل: أليس أن الله تعالى قال: ﴿ فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ﴾[٢]؟

الجواب: ما روى عن ابن عباس أنه قال: يوم القيامة مواطن وتارات، ففى موطن يشتد عليهم الخوف (فتذهل)[٣] عقولهم، فلا يتساءلون، وفى موضع يفيقون إفاقة فيتساءلون.

قوله تعالى: ﴿ فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ﴾ أى: الفائزون والناجون.

قوله تعالى: ﴿ ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم ﴾ أى: غبنوا

---

(١) رواه الطبرانى فى الكبير (٣/٤٤ – ٤٥ رقم ٢٦٣٣ – ٢٦٣٥)، وابن سعد فى الطبقات (٧/٣٣٨ – ٣٣٩ ترجمة أم كلثوم)، والحاكم (٣/١٤٢) وقال: صحيح، وتعقبه الذهبى بقوله: منطقع، والبيهقى (٧/٦٣ – ٦٤، ١١٣)، والخطيب فى التاريخ (٦/١٨٢)، وأبو نعيم فى الحلية (٣/١٤٢)، والبزار والضياء فى المختارة والهيثم بن كليب فى مسنده – كما فى تفسير ابن كثير (٣/٥٦) – جميعهم من حديث عمر بن الخطاب مرفوعًا وفيه قصة نكاحه بأم كلثوم بنت على، وانظر طرق الحديث فى الصحيحة (٢٠٣٦).
وفى الباب عن ابن عباس، والمسور بن مخرمة، وعبد الله بن عمر، وراجع السلسلة الصحيحة أيضا.

(٢) الصافات: ٥٠.

(٣) فى «ك»: وتذهب.

جنة السنة

﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (١٠٣) تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ (١٠٤) أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ (١٠٥)﴾

أنفسهم بهلاك (الآية)(١). وقوله: ﴿فى جهنم خالدون﴾ أى: مقيمون.

قوله تعالى: ﴿تلفح وجوههم النار﴾. اللفح أكبر من النفح، ومعناه: يصيب وجوههم حر النار، وقيل: تحرق وجوههم النار وتنضجها.

وقوله: ﴿وهم فيها كالحون﴾ الكالح فى اللغة: هو العابس، وأما المروى فى التفسير: هو الذى تقلصت شفتاه ،وظهرت أسنانه.

وعن ابن مسعود أنه قال: كالرأس النضيج قد بدت أسنانه ،وتقلصت شفتاه. وذكر أبو عيسى الترمذى فى جامعه برواية أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ قال فى هذه الآية: «هو أن تتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخى شفته السفلى حتى تضرب سرته»(٢). وفى بعض التفاسير: وتخرج أسنانه عن شفتيه [أربعين](٣) ذراعا.

وعن بعض التابعين من الخائفين :أنه مر على شواء، فرأى رءوس الغنم وقد أبرزت، فلما نظر إليها غشى عليه ،كأنه يذكر هذه الآية .

وقوله تعالى: ﴿ألم تكن آياتى تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون﴾ أى: تجحدون وتنكرون.

وقوله: ﴿قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا﴾ وقرئ: «شقاوتنا» وهما بمعنى واحد، والمراد منه: إنما أدخلنا النار بما غلب علينا من حكمك وقضائك بشقاوتنا. وقوله:

---

(١) كذا صورتها فى «الأصل، وك».

(٢) رواه الترمذى (٥/٣٠٧ رقم ٣١٧٦) وقال: حسن صحيح غريب، وأحمد (٣/٨٨)، وأبو يعلى (٢/٥١٦ رقم ١٣٦٧)، والحاكم (٢/٣٩٥) وصححه، والبيهقى فى البعث (٢٧٥ رقم ٥٥٨)، وأبو نعيم فى الحلية (٨/١٨٢) جميعهم من طريق دراج، عن أبى الهيثم، عن أبى سعيد. وعزاه السيوطى أيضا فى الدرر (٥/١٨) لعبد بن حميد، وابن أبى الدنيا فى صفة النار، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وابن مردويه.

(٣) فى «الأصل، وك»: أربعون، وهو خطأ.

قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا

﴿ وكنا قوما ضالين ﴾ أى: عن الحق .

قوله تعالى: ﴿ ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون ﴾ فيتركهم مقدار عمر الدنيا، وفى رواية: مثلى عمر الدنيا .

ثم يقول: ﴿[قال](١) اخسئوا فيها ولاتكلمون ﴾ قال: فينقطع رجاؤهم حينئذٍ، ولايسمع بعد ذلك منهم إلا الزفير والشهيق، وأما قوله: ﴿ اخسئوا ﴾ أى: ابعدوا، وهو مثل قولهم: خسأت الكلب أى: أبعدته .

قوله تعالى: ﴿ إنه كان فريق من عبادى يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين ﴾ . قال أهل التفسير: هذا فى بلال وسلمان وعمار وصهيب والفقراء من أصحاب الرسول الله ﷺ .

وقوله: ﴿ فاتخذتموهم سِخريا ﴾ وقرى: « سُخريا » فقوله: ﴿ سِخريا ﴾ من الاستهزاء، وقوله: « سُخريا » من التسخير .

وقوله: ﴿ حتى أنسوكم ذكرى ﴾ أى: اشتغلتم بالاستهزاء والسخرية عليهم، وتركتم ذكرى، وكان الواجب عليكم أن تذكرونى بدل استهزائكم بهم .

وقوله: ﴿ وكنتم منهم تضحكون ﴾ وفى الآية دليل على أن الاستهزاء بالناس كبيرة، وهو موعود عليه، وعن جعفر بن محمد -رضى الله عنه- قال: من ضحك ضحكة مج مجة من العلم لايعود إليه أبداً.

قوله تعالى: ﴿ إنى جزيتهم اليوم بماصبروا أنهم هم الفائزون ﴾ أى: بصبرهم ﴿ أنهم هم الفائزون ﴾ أى: الناجون.

(١) من « ك ».

حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا
أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا
أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ
﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾

قوله تعالى: ﴿قال كم لبثتم فى الأرض عدد سنين﴾. يعنى: قال الله تعالى للكفار: ﴿كم لبثتم فى الأرض عدد سنين﴾ (أى: فى الدنيا، ويقال: فى القبور، وقرئ: «قل كم لبثتم فى الأرض عدد سنين»)[1] ومعناه: قل يأيها الكافر.

قوله تعالى: ﴿قالوا لبثنا يومًا أو بعض يوم﴾ إنما ذكروا يومًا أوبعض يوم؛ لأنهم نسوا عدد مالبثوا من هول مايلقاهم يوم القيامة، فإن قال قائل: هذه الآية تدل على أن عذاب القبر ليس بثابت للكفار؛ لأنه لوكان ثابتًا لم يقولوا: لبثنا يومًا أو بعض يوم؟ والجواب عنه من وجهين: أحدهما: أنه ذهب عن قلوبهم عذاب القبر من هول مايلقاهم يوم القيامة، والثانى: أن الله تعالى يرفع العذاب عن أهل القبور بين النفختين، فينسون عذاب القبر، ويستريحون، وإنما يقولون لبثنا يومًا أو بعض يوم لهذا.

وقوله: ﴿فاسأل العادين﴾ أى: الملائكة الذين يعرفون عدد مالبثوا.

قوله تعالى: ﴿قال إن لبثتم إلا قليلا﴾ يعنى: مالبثتم إلا قليلا ﴿لو أنكم كنتم تعلمون﴾ أى: لو تعلمون عدد مالبثتم، وإنما ذكر قليلا؛ لأن الواحد من أهل الدنيا وإن لبث فى الدنيا سنين كثيرة، فإنه يكون قليلا فى جنب ما يلبث فى الآخرة.

قوله تعالى: ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثًا﴾ أى: لتلعبوا أوتعبثوا، وقد سمى الله تعالى جميع الدنيا لعبًا ولهوًا فقال: ﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو﴾[2] فالآية تدل على أن الآدمى لم يخلق لطلب الدنيا والاشتغال بها، وإنما خلق ليعبد الله ويقوم بأوامره، وعن بعضهم قال: ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثًا﴾ هو فى معنى قوله

---

(١) ساقط من «ك».
(٢) الحديد: ٢٠.

جنة السنة

﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ﴾

تعالى: ﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى﴾[١] ومعناه: أنه لايهمل أمره وقال بعضهم: خلق (لهلاك)[٢] الأبد أو لملك الأبد.

وقوله: ﴿وأنكم إلينا لاترجعون﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم﴾ أي: المرتفع، وقيل: الحسن، وقد بينا معنى ﴿تعالى﴾ من قبل.

قوله تعالى: ﴿ومن يدع مع الله إلهًا آخر لابرهان له به﴾ أي: لابينة ولاحجة له به، قال أهل العلم: لاحجة لأحد في دعوى الشرك، وإنما الحجة عليهم.

وقوله: ﴿فإنما حسابه عند ربه﴾ هذا في معنى قوله تعالى: ﴿ثم إن علينا حسابهم﴾[٣]، وروى «أن أعرابيا أتى النبي ﷺ وقال: ومن يحاسبنا يوم القيامة؟ قال: الله. قال: نجونا ورب الكعبة، إن الكريم إذا قدر غفر»[٤] والخبر غريب.

وقوله: ﴿إنه لايفلح الكافرون﴾ أي: لايسعد ولايفوز.

قوله تعالى: ﴿وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين﴾

﴿اغفر﴾ استر ﴿وارحم﴾ اعطف، والغفور: الستور، والرحيم هو العطوف.

---

(١) القيامة: ٣٦.

(٢) في «الأصل وك»: لهلك.

(٣) الغاشية: ٢٦.

(٤) رواه البيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة مرفوعًا. وذكر السخاوي في المقاصد (٥٠٤ - ٥٠٥) عن البيهقي أن محمد بن كريا الغلابي تفرد به، وهو متروك، ويشبه أن يكون موضوعًا، ولكنه مشهور - يعني عن الزهاد ونحوهم - وأنا أبرأ من عهدته أهـ. ورواه ابن أبي الدنيا في حسن الظن (ص ٣٩ رقم ٢٥) عن الحسن مرسلا بنحوه.

جنة السنة

اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١٨﴾

قوله : ﴿ وأنت خير الراحمين ﴾ . أى : خير من رحم .

جنة السنة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا

تفسير سورة النور

وهى مدنية، وروى الحاكم أبو عبد الله الحافظ فيما خرجه من الزيادة على الصحيحين برواية شعيب بن إسحق، عن الزهرى، عن عروة، عن عائشة - رضى الله عنها - أن النبى ﷺ قال فى النساء: «لاتسكنوهن الغرف، ولاتعلموهن الكتابة، وعلموهن الغزل وسورة النور»(١)

قوله تعالى: ﴿سورةٌ أنزلناها﴾ وقراءة الأعرج ومجاهد «سورةً أنزلناها»، والسورة: مجموع آيات مما أنزل الله تعالى معلوم الابتداء والانتهاء، وإنما رفع سورة؛ لأن معناها: هذه سورة، وقوله: «سورةً» بالنصب فتقديره أنزلنا سورةً .

وقوله: ﴿وفرضناها﴾ قرئ بالتشديد والتخفيف، أما بالتخفيف ففى معناه وجهان: أحدهما: ألزمناكم العمل بما فرض فيها، والآخر: فرضناها أى: قدرنا مافيها من الحدود، والفرض هو التقدير، ومنه قوله تعالى: ﴿فنصف مافرضتم﴾(٢) أى: ماقدرتم، وأما بالتشديد ففى معناه وجهان:

أحدهما: فرضنا فرائضها، وشدد لما فيها من الكثرة .

والوجة الثانى: فرضناها أى: بيناها وفصلناها .

قال مجاهد: هو الأمر بالحلال والنهى عن الحرام.

---

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط (٤/١٥ رقم ٢٠١٨ مجمع البحرين)، وابن حبان فى المجروحين (٢/٣٠٢ ترجمة محمد بن إبراهيم الشامى، وقال: يضع الحديث)، والحاكم (٢/٣٩٦) وقال: صحيح، وتعقبه الذهبى بقوله: بل موضوع، وآفته عبد الوهاب. قال أبو حاتم: كذاب. والخطيب فى تاريخه (١٤/٢٢٤). وقال الهيثمى فى المجمع (٤/٩٦): رواه الطبرانى فى الأوسط، وفيه محمد بن إبراهيم الشامى، قال الدارقطنى: كذاب.

(٢) البقرة: ٢٣٧.

جنة السنة

وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ

وقوله: ﴿وأنزلنا فيها آيات بينات﴾ أى: دلالات واضحات.

وقوله: ﴿لعلكم تذكرون﴾ أى: تتعظون.

قوله تعالى: ﴿الزانية والزانى﴾ قال أهل العلم: إنما بدأ بالمرأة، لأن رقة القلب عليهن أكثر، فبدأ بهن لئلا يترك إقامة الحد عليها، ويكون أمرها لهم، ومنهم من قال: لأن الشهوة فيهن أكثر، والزنا نتيجة الشهوة، وبدأ فى حد السرقة بالرجل؛ لأن القوة والجراءة فى الرجال أكثر، والسرقة نتيجة القوة والجراءة، وهذا قول حسن.

وقوله: ﴿فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة﴾ الجلد: ضرب الجلد، يقال: جلدته إذا ضربت جلده، وبطنته إذا ضربت بطنه، وظهرته إذا ضربت ظهره، وفى الآية قولان: أحدهما: أن الأية عامة فى الأبكار والثيب، فتجلد الثيب مع الرجم. روى عن على - رضى الله عنه - «أنه جلد شراحة الهمدانية يوم الخميس مائة، ورجمها يوم الجمعة، وقال: جلدتها بكتاب الله، ورجمتها بسنة رسول الله ﷺ»(١)

وأما قول عامة العلماء فهو: أن الآية مخصوصة للأبكار، وأن الثيب يرجم ولايجلد، واتفق أهل العلم أن هذه الآية ناسخة؛ لأن المذكورة فى الإمساك فى سورة النساء.

وقد روى عن عبادة بن الصامت - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ نزل عليه الوحى ونحن عنده، وكان إذا نزل عليه الوحى تغير وجهه، وصرفنا أبصارنا عنه، فلما سرى عنه قال: «لتأخذوا عنى فقلنا: نعم يارسول الله، فقال: قد جعل الله لهن سبيلا، الثيب بالثيب الرجم، والبكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام»(٢).

(١) رواه البخارى فى صحيحه مختصراً (١٢/ ١١٩ رقم ٦٨١٢)، ورواه بتمامه النسائى فى الكبرى (٤/ ٢٦٩ رقم ٧١٤٠، ٧١٤١)، وأحمد فى مسنده (١/ ٩٣، ١٠٧، ١١٦، ١٢١، ١٤٠، ١٤١، ١٤٣، ١٥٣)، والحاكم (٤/ ٣٦٥)، والبيهقى (٨/ ٢٢٠).

(٢) تقدم فى سورة النساء.

وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾

وذكر النقاش أن فى حرف أبى بن كعب فى سورة الأحزاب، «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم».

وكان عمر – رضى الله عنه – قد هم أن يكتب هذا على حاشية المصحف ثم ترك لئلا يلحق بالقرآن ماليس منه.

وقوله: ﴿ولاتأخذكم بهما رأفة فى دين الله﴾ وقرئ: «رافة» بغير همز، وقرئ فى الشاذ: «رآفة» يعنى: رحمة. واعلم أن الرحمة والرأفة معنى فى القلب لاينهى عنه؛ لأنه يوجد فى القلب من غير اختيار إنسان، وإنما معنى الآية: استعمال الرحمة فى (تعطيل[(١)] الحد) وتخفيفه.

وروى عن عبد الله بن عمر أنه ضرب أمة له الحد، وكانت قد زنت، فجعل يضرب رجلها وظهرها، فقال له سالم ابنه: ﴿ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله﴾ فقال: يابنى، إن الله لم يأمرنى بقتلها، ولابضرب رأسها، وقد ضربت فأوجعت. وقد قال أهل العلم: يجتهد فى جلدة الزانى مالا يجتهد فى جلدة شارب الخمر لنص الكتاب.

(وقوله: ﴿فى دين الله﴾ أى: فى حكم الله)[(٢)].

وقوله: ﴿إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ ظاهر المعنى.

وحقيقة معناه: أن المؤمن لاتأخذه رحمة ورقة إذا جاء أمر الرب.

وقوله: ﴿وليشهد عذابها طائفة من المؤمنين﴾ قال ابن عباس: واحد فما فوقه. وعن عطاء: رجل إلى ألف رجل. وعن سعيد بن جبير وعكرمة: رجلان. وعن الزهرى وقتادة: ثلاثة نفر. وقال مالك: أربعة نفر، وهو قول الشافعى وجماعة من أهل العلم.

قوله تعالى: ﴿الزانى لاينكح إلا زانية أو مشركة﴾ فى الآية أقوال: أحدهما: أن

(١) فى «ك» «طلب الحد» وهو تحريف.

(٢) ساقط من «ك».

جنة السنة

الآية نزلت فى امرأة تسمى أم مهزول، وكانت بغية، وإذا تزوجت برجل شرطت عليه أن تنفق عليه، فأراد رجل من أصحاب رسول الله ﷺ أن يتزوج بها، فسأل النبى [ﷺ](١)، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿الزانى لاينكح إلا زانية﴾ ويقال: إن اسم المرأة كان عناق(٢). وهذا قول عبد الله بن عمرو بن العاص.

والقول الثانى: قال مجاهد وقتادة وغيرهما: «كان بالمدينة بغايا على أبوابهن رايات يعرفن بها، وكن مخاصيب الرجال، فلما هاجر أصحاب رسول الله ﷺ إلى المدينة أراد ناس من فقراء المهاجرين أن يتزوجوا بهن لينفقن عليهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

والقول الثالث: روى عن الحسن البصرى أنه قال: معنى الآية: «الزانى المجلود لاينكح إلا زانية مجلودة، والزانية المجلودة لاينكحها إلا زان مجلود وفى بعض المسانيد :(٣) روى هذا القول عن النبى ﷺ بطريق أبى هريرة.

---

(١) من «ك».

(٢) رواه الترمذى (٥/٣٠٧ - ٣٠٨ رقم ٣١٧٧) وقال: حسن غريب، وأبو داود (٢/٢٢٠ - ٢٢١ رقم ٢٠٥١)، والنسائى (٦/٥٤ رقم ٣٢٢٨)، وابن جرير (١٨/٥٦)، والحاكم (٢/١٦٦) وصححه، والبيهقى (٧/١٥٣) عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده بنحوه، وفيه: أن اسم المرأة عناق. ورواه النسائى فى الكبرى (٦/٤١٥ رقم ١١٣٥٩)، وأحمد (٢/١٥٩، ٢٢٥)، وابن جرير (١٨/٥٩)، والحاكم (٢/١٩٣ - ١٩٤) وصححه، والبيهقى (٧/١٥٣) من رواية القاسم بن محمد، عن عبد الله بن عمرو بنحوه، وفيه تسمية المرأة: أم مهزول. وقال الهيثمى فى المجمع (٧/٧٧): رواه أحمد والطبرانى فى الكبير والأوسط بنحوه، ورجال أحمد ثقات.

(٣) رواه أبو داود (٢/٢٢١ رقم ٢٠٥٢)، وأحمد (٢/٣٢٤)، وابن عدى فى الكامل (٢/٤١٠)، والحاكم (٢/١٦٦) وصححه، وتمام الرازى فى فوائده (١/٢٨٦ - ٢٨٧ رقم ٧١٢) جميعهم عن أبى هريرة مرفوعًا بنحوه. وعزاه السيوطى فى الدر (٥/٢٢) لابن المنذر، وابن أبى حاتم وابن مردويه أيضا.

والقول الرابع: روى عن على بن أبى طلحة الوالبى، عن ابن عباس أن معنى الآية: الزانى لا يزنى إلا بزانية، ومعنى النكاح [هو الوطء](١)، قال الزجاج: وهذا القول ضعيف؛ لأنه لم يرد فى القرآن ذكر النكاح بمعنى الوطء.

والقول الخامس - وهو أحسن الأقاويل - قول سعيد بن المسيب: أن الآية منسوخة، وقد كان فى حكم الإسلام لايجوز أن يتزوج الزانى بالمزنى بها. قال عبدالله بن مسعود. إذا تزوج الزانى بالزانية فهما زانيان أبدا. قال سعيد بن المسيب: ثم نسخ هذا بقوله تعالى: ﴿وأنكحوا الأيامى منكم﴾(٢) والزانية أيم، فيجوز التزوج بها للزانى وغيره، والدليل على أن الحكم الآن هذا، ماروى عن أبى بكر الصديق - رضى الله عنه - أنه كان جالسا فى المسجد وعنده عمر، فجاء رجل وقد دهش، وكان به لوث، فقال أبو بكر: قد جاء هذا لأمر، سله ياعمر، فقال له عمر: ماشأنك؟ فذكر أنه جاءه ضيف، وأن الضيف زنى بابنته، فقال له عمر: قبحك الله، ودق على صدره، وقال: هلا سترت على ابنتك، ثم دعا بالرجل والمرأة، فأمر أبو بكر - رضى الله عنه - أن يجلد الجلد، (ثم زوج المرأة من الرجل)(٣) وذكر أبو عبيد - رحمه الله - أنه يكره للرجل أن يتزوج بالفاجرة، وإن فجرت امرأته استحب له طلاقها، قال: وأما الخبر الذى روى عن النبى ﷺ «أن رجلا أتاه وقال: إن امرأتى لاتَردُّ يَدَ لامِسٍ، فقال: طلقها فقال: إنى أحبها. قال: استمتع بها»(٤). قال أبو [عبيد](٥) هذا الخبر نقل

(١) ساقط من «ك». (٢) النور: ٣٢. (٣) فى (ك): «ثم زوج الرجل من المرأة».

(٤) رواه أبو داود (٢/ ٢٢٠ رقم ٢٠٤٩)، والنسائى (٧/ ٦٧ - ٦٨ رقم ٣٢٢٩، ٧/ ١٦٩ - ١٧٠ رقم ٣٤٦٤، ٣٤٦٥)، وفى الكبرى (٣/ ٣٧٠ رقم ٥٦٥٩) وقال: ليس بثابت، وفى موضع آخر: هذا خطأ، والصواب مرسل، وابن أبى شيبة (٤/ ١٨٣ - ١٨٤)، والبيهقى (٧/ ١٥٤ - ١٥٥)، والضياء فى المختارة - كما فى اللآلىء (٢/ ١٧٢) جميعهم من حديث ابن عباس مرفوعًا بنحوه. ورواه البيهقى فى السنن (٧/ ١٥٥). وابن الجوزى فى الموضوعات من طريق الخلال (٢/ ٢٧٢)، وأورده ابن أبى حاتم فى العلل (١/ ٤٣٣ رقم ١٣٠٤)، ورواه الطبرانى والبزار والخرائطى فى اعتلال القلوب - كما فى اللآلىء - من حديث جابر مرفوعًا بنحوه، وقال الإمام أحمد ، فيما حكاه عنه الخلال: ليس له أصل، ولا يثبت عن النبى ﷺ - ابن الجوزى فى الموضوعات، واللآلىء - وصححه الحافظ بطرق كما فى اللآلىء، وفي تفسير ابن كثير (٣/ ٢٦٤) قال الإمام أحمد: حديث منكر ورجح أبو حاتم فى رواية جابر رواية الثورى عن عبد الكريم، عن أبى الزبير، عن هشام مولى بنى هاشم، عن النبى ﷺ، وقد أخرجها البيهقى فى سننه، وأخرجها أيضا الشافعى فى الأم، وابن سعد وابن منده فى المعرفة كما فى اللآلىء.

(٥) فى «الأصل وك»: عبد ، والصواب . أبو عبيد، فالكلام مازال له.

جنة السنة

ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ

بروايتين كل واحد منهما مرسل، فليس يثبت هذا عن النبى ﷺ ولئن يثبت فيحتمل أن قوله: «إن امرأتى لاتردُّ يد لامس» تنفق ماوقع بيدها وتعطى، وكأنه شكا منها الخرق وتضييع ماله، وليس المراد هو أنها تزنى، فإنه لايجوز أن يذكر ذلك عند النبى ﷺ، ثم يأمره بإمساكها.

وقوله: ﴿وحرم ذلك على المؤمنين﴾ ظاهر المعنى، وقد بينا أن ذلك منسوخ.

قوله تعالى: ﴿والذين يرمون المحصنات﴾ والمحصنات هن اللواتى أحصنَّ أنفسهن.

وقوله: ﴿ثم لم يأتوا بأربعة شهداء﴾ أى: على زناهن، والمراد من الرمى المذكور فى الآية هو القذف بالزنا.

وقوله: ﴿فاجلدوهم ثمانين جلدة﴾ أى: اضربوهم ثمانين سوطا.

وقوله: ﴿ولاتقبلوا لهم شهادة أبدًا﴾ اختلف السلف فى هذا، فروى عن شريح والحسن وإبراهيم النخعى وجماعة أنهم قالوا: شهادة القاذف لاتقبل أبدا إذا حُد وإن تاب، وهذا قول أهل العراق.

وقال عمر بن عبد العريز والزهرى وسعيد بن المسيب والشعبى وجماعة: أنه إذا تاب قبلت شهادته، وهذا قول أهل الحجاز.

وقال الشعبى: يقبل الله توبته، ولاتقبلون شهادته؟! وحكى سعيد بن المسبب أن عمر قال لأبى بكرة: تب تقبل شهادتك، فلم يتب، والمسألة معروفة.

وقوله: ﴿وأولئك هم الفاسقون إلا الذين تابوا﴾ فمن قال: إن شهادة القاذف

جنة السنة

الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلاَّ أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾

تقبل بعد التوبة ذهب إلى أن قوله: ﴿إلا الذين تابوا﴾ ينصرف إلى الكل سوى الحد، وعن الشعبى: أن الحد يسقط أيضا بالتوبة، وأما من ذهب إلى أن شهادة القاذف لاتقبل بعد التوبة قال: إن قوله: ﴿إلا الذين تابوا﴾ ينصرف إلى قوله: ﴿وأولئك هم الفاسقون﴾ فإن قيل: إذا قبلتم شهادة القاذف بعد التوبة، فما معنى قوله تعالى: ﴿أبدا﴾؟ والجواب عنه: قال الزجاج فى كتابه: أبد كل إنسان مدته على مايليق بقصته، فإذا قيل: لاتقبل شهادة الكافر أبدا يراد به مادام كافرا، وإذا قيل: لاتقبل شهادة القاذف أبداً يراد به ما دام قاذفا، وأما توبة القاذف فبإكذابه نفسه، ويقال: بندامته على ما وجد منه .

قوله: ﴿وأصلحوا﴾ أى: استقاموا على التوبة .

وقوله: ﴿فإن الله غفور رحيم﴾ قد بينا من قبل .

قوله : ﴿والذين يرمون أزواجهم﴾ . يعنى: يقذفون نساءهم بالزنا.

وقوله: ﴿ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم﴾ أى: غير أنفسهم.

وقوله: ﴿فشهادة أحدهم أربعُ﴾ بالرفع، وقرئ بالنصب «أربعَ»، فأما بالرفع فتقديره: فشهادة أحدهم التى تدرأ الحد أربعُ، فيكون رفعا على خبر الابتداء، وأما بالنصب فتقديره: فشهادة أحدهم أن يشهد أربعَ.

وقوله: ﴿شهادات بالله إنه لمن الصادقين﴾ يعنى: فيما رميتها به من الزنا.

قوله تعالى: ﴿والخامسة أنّ لعنة الله عليه﴾ وقرئ: «أنْ لعنة الله عليه» بسكون

جنة السنة

وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾

النون، ومعناه: أنه لعنة الله عليه، وأنشد سيبويه شعرا:

في فتية كسيوف الهند قدعلموا

أن هالك كل من يخفى وينتعل

يعني: أنه هالك.

وقوله: ﴿إن كان من الكاذبين﴾ يعني: فيما رماها به من الزنا.

قوله تعالى: ﴿ويدرأ عنها العذاب﴾ في العذاب قولان: أحدهما: أنه الحد، والآخر: أنه الحبس، وتأويل الحد أظهر؛ لأن الله تعالى قال: ﴿وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين﴾[1] أي: الحد.

وقوله: ﴿أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين﴾ يعني: فيما رماها به من الزنا.

قوله تعالى: ﴿والخامسة أنَّ غَضَبَ الله عليها إن كان من الصادقين﴾ وقرئ: «أنْ غَضَبُ الله عليها»، وقرئ: «أن غَضِبَ اللهُ عليها» بكسر الضاد[2] فقوله: ﴿أنْ غَضِبَ اللهُ عليها﴾ هذا فعل، وقوله: ﴿أنَّ غَضَبَ الله عليها﴾ اسم، وقوله: ﴿أن

---

(١) النور: ٢٢.

(٢) قرأ نافع ويعقوب بإسكان النون مخففة، والباقون بتشديدها، واختص نافع بكسر الضاد وفتح الباء من «غضب» ورفع لفظ الجلالة بعده، واختص يعقوب برفع الباء من «غضب»، وقرأ الباقون بنصب «غضب». انظر النشر في القراءات العشر (٢/ ٣٣٠ - ٣٣١).

غَضَبُ الله﴾ هو (فعل)(١) أيضًا، يعنى : أنه غضب الله .

وقوله : ﴿إن كان من الصادقين﴾ أى : فيما رماها به من الزنا، وسبب نزول الآية، ماروى ابن عباس « أن هلال بن أمية قذف امرأته بشريك بن سحماء عند النبى ﷺ عليه وسلم، فقال له النبى ﷺ : البينة، (وإلا)(٢) فحدٌ فى ظهرك فقال هلال : يارسول الله، والذى بعثك بالحق إنى لصادق، وسينزل الله ما يبرئ ظهرى من الحد، فنزلت هذه الأية، فدعا رسول الله ﷺ هلالا وامرأته، ولاعن بينهما، فبدأ هلال، والتعن أربع مرات، فلما بلغ الخامسة قال له النبى ﷺ : أمسك فإنها موجبة . فقال هلال إن الله يعلم أنى صادق وشهد بالخامسة، ثم قامت المرأة فالتعنت أربع مرات، فلما بلغت الخامسة قال لها النبى ﷺ : أمسكى فإنها موجبة . قال ابن عباس : فتلكت تلكؤاً ساعة، حتى ظننا أنها سترجع ثم قالت : لا أفضح قومى اليوم، وشهدت بالخامسة، فقال النبى ﷺ : «إن جاءت بالولد أكحلَ العينين سَابِغَ الأَلْيَتَيْنِ خَدلَج الساقين، فهو لشريك بن سحماء، فجاءت به على هذا النعت، فقال النبى ﷺ : «لولا الأيمان لكان لى ولها شأن » .(٣) والخبر صحيح .

وعن عبد الله بن مسعود – رضى الله عنه – أنه قال : « كنا جلوسا فى المسجد ليلة جمعة، ومعنا رجل فخرج منا ودخل بيته، فوجد مع امرأته رجلاً، فجاء إلى النبى ﷺ، وشكا إليه فقال : عليك بالشهود فقال : وأنى لى بالشهود؟ فقال : قد حرت فى هذا الأمر، فإن الرجل إن قتل قتلتموه، وإن تكلم حددتموه، وإن سكت سكت على

---

(١) كذا!.

(٢) فى « ك » : أو.

(٣) رواه البخارى فى صحيحه (٨/ ٣٠٣ – ٣٠٤ رقم ٤٧٤٧ ،وطرفاه فى : ٢٦٧١، ٥٣٠٧، والترمذى (٥/ ٣٠٩ – ٣١٠ رقم ٣١٧٩) وقال : حسن غريب، وأبو داود (٢/ ٢٧٦ رقم ٢٢٥٤)، وابن ماجه (١/ ٦٦٨ رقم ٢٠٦٧) من حديث ابن عباس بنحوه مطولا وبعضهم مختصراً.

جنة السنة

﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم ۝١٠ إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم﴾

غيظ، اللهم فاحكم، فأنزل الله تعالى هذه الآيات»(١). وفي رواية ثالثة: أنه لما أنزل الله تعالى: ﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربع شهداء... الآية﴾ قال [سعد](٢) بن عبادة: يارسول الله، أرأيت أني وجدت لكاعًا (يتفخذ)(٣) رجل، فلا أهيجه ولا أحركه حتى آتي بأربعة شهداء؟ فإلى أن آتي بالشهداء قد قضى الرجل حاجته، فقال النبي ﷺ: «انظروا يامعشر الأنصار مايقول سيدكم»، فقالوا: يارسول الله، إنه لرجل غيور، وإنه ماتزوج امرأة قط إلا عذراء، وماطلق امرأة فأحب أحد منا أن يتزوجها، فقال سعد: إني أعلم أن ما أنزل الله حق، ولكني تعجبت، فأنزل الله تعالى آية اللعان»(٤) على مابينا.

وفي الباب أخبار كثيرة، وفيه حديث عاصم بن عدي [وعويمر](٥) العجلاني وغيرهما، وذلك مذكور في كتب الحديث.

قوله تعالى: ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب رحيم﴾

جواب الآية محذوف، ومثله قول الرجل إذا شتمه إنسان: أيها الرجل لولا كذا أي: لولا كذا لشتمتك، فعلى هذا معنى قوله تعالى: ﴿ولولا فضل الله عليكم

(١) رواه مسلم (١٠/ ١٧٩ - ١٨٠ رقم ١٤٩٥)، وأبو داود (٢/ ٢٧٥ - ٢٧٦ رقم ٢٢٥٣)، وابن ماجه (١/ ٦٦٩ رقم ٢٠٦٨)، وأحمد (١/ ٤٤٨).

(٢) في «الأصل»: سعيد، والصواب: سعد كما سيأتي في تخريج حديثه.

(٣) هكذا في النسختين، ولعل الصواب: يتفخذها.

(٤) رواه أحمد (١/ ٢٣٨ - ٢٣٩)، والطيالسي (٣١٩ - ٣٢٠ رقم ١٢٦٠)، وابن جرير (١٨/ ٦٥ - ٦٦)، وأبو يعلى (٥/ ١٢٤ - ١٢٧ رقم ٢٧٤٠)، والبيهقي (٧/ ٣٩٤ - ٣٩٥)، والواحدي في أسباب النزول (٢٣٧ - ٢٣٨) جميعهم من حديث ابن عباس به مطولا. وقال الهيثمي في المجمع (٥/ ١٥): حديث ابن عباس في الصحيح باختصار، ورواه أبو يعلى وأحمد.. ومداره على عباد بن منصور، وهو ضعيف. ونسبه السيوطي في الدر (٥/ ٢٤) لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.

(٥) في «الأصل»: عويم، والصواب عويمر. وحديث عاصم وعويمر متفق عليه من رواية سهل بن سعد، رواه البخاري (٩/ ٣٥٥ رقم ٥٣٠٨)، ومسلم (١٠/ ١٦٨ - ١٧٤ رقم ١٤٩٢).

ورحمته ﴾ لنال الكاذب منكما العذاب فى الحال، ومنهم من قال: ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته ﴾ بتأخير العذاب وإمهاله لعجل عذابه .

قوله تعالى: ﴿ إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم ﴾ هذه الآيات فى قصة عائشة - رضى الله عنها - وكان سبب نزولها مارواه الزهرى، عن عروة وسعيد بن المسيب وعلقمة بن وقاص وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة(١) كلهم عن عائشة - رضى الله عنها - أنها قالت: « كان رسول الله ﷺ إذا خرج إلى سفر أقرع بين نسائه، فخرج إلى غزوة غزاها، وأقرع بين نسائه، فخرجت قرعتى » وفى رواية: أن الغزوة كانت غزوة مريسيع، وفى رواية أخرى: أن الغزوة كانت غزوة بنى المصطلق، وقالت: فلما رجعنا قبل المدينة عرس رسول الله ﷺ ليلة، ثم إنهم آذنوا بالرحيل، فخرجت لحاجتى فلما قضيت شأنى رجعت فالتمست صدرى، فوجدت عقداً لى من جزع ظفار(٢) سقط، فرجعت، وجاء القوم الذين يرحلون هَوْدَجى، ووضعوا الهَوْدَجَ على البعير، وظنوا أنى فيه، وكان النساء إذ ذاك خِفافًا، فإنما يأكلن العُلْقَة من الطعام، فرجعت وقد مر الجيش، فلا داع ولا مجيب، وكان صفوان بن المُعطَّل السُّلَمى كان تأخر عن الجيش، وفى رواية: أنه كان يعتاد التأخر، حتى إن كان سقط من أحد شىء، أو ترك إنسان شيئًا يأخذه، ويرده عليه، فجاء ورائى، فاسترجع، وماكلمنى بكلمة وقد استدلت(٣) جلبابى، فأناخ بعيره ووطأه لى حتى ركبته، وجاء يقودنى حتى لحقنا بالجيش ، وقد نزلوا موغرين فى حر الظهيرة، قالت: فلما وصلنا إلى الجيش تكلم الناس، وهلك من هلك »(٤) الخبر بطوله .

قال الشيخ الأمام: أخبرنا بهذا الحديث المكى بن عبد الرزاق الكشميهنى، أخبرنا

(١) فى « الأصل وك »: « وعبد الله بن عبد الله بن عيينة والصحيح ما أثبتناه .

(٢) فى « ك »: أظفار .

(٣) فى « ك »: أسدلت .

(٤) متفق عليه من حديث عائشة بطوله رواه البخارى (٥/ ٢٩٤ رقم ٢٦٣٧، وأطرافه ٢٦٦١، ٢٨٧٩، ٤٠٢٥، ٤١٤١، ٤٦٩٠، ٦٦٦٢، ٧٣٦٩، ٧٥٠٠، ٧٥٤٥)، ومسلم (١٧/ ١٥٥ - ١٧١ رقم ٢٧٧٠) .

جدى أبو الهيثم بن محمد بن يوسف الفربرى [أخبرنا][(١)] محمد بن إسماعيل البخارى أخبرنا أبو الربيع الزهرانى عن فليح بن سليمان، عن الزهرى . . . الخبر.

ويروى أنه . . تلبث الوحى [سبعة][(٢)] وثلاثين يومًا.

وفى هذا الخبر أن عائشة اشتكت واستأذنت رسول الله ﷺ، ورجعت إلى بيت أبيها، وكان رسول الله ﷺ يدخل قبل رجوعها إلى بيت أبيها، وهى مشتكية، فيقول: «كيف تيكم؟» ثم لما رجعت إلى بيت أبيها عرفت الخبر من قبل أم مسطح فازدادت وبقا، وجعلت تبكى، ولا يرقأ لها دمع، حتى كاد البكاء يصدع قلبها، وذكرت ذلك لأمها، فقالت لها أمها: هونى عليك فقلَّما تكون امرأة وضيئة عند رجل، ولها ضرائر إلا تكلموا فيها.

وفى هذا الخبر أن النبى ﷺ دعا عليا وأسامة بن زيد، واستشارهما، فأما علىٌّ فقال: يارسول الله، إن فى النساء كثرة، وأما أسامة فقال: لاأعلم منها إلا خيرا، وسل الجارية – يعنى: بريرة – فسأل بريرة فقالت: لا أعلم منها إلا أنها جارية حديثة السن تعجن، فتدخل الداجن فتأكل عجينها.

وفى هذا الخبر أن النبى ﷺ جاء إلى بيت أبى بكر – رضى الله عنه – بعد أن مضت المدة التى ذكرناها، فقال: «ياعائشة، إن كنت ألممت بذنب فتوبى إلى الله، فإن الله يقبل التوبة» قالت: فقلص دمعى حتى ماأجد منه قطرة، ثم قلت: إن قلت أنى فعلت، والله يعلم أنى مافعلت ليصدقننى، وإن قلت: لم أفعل، والله يعلم أنى لم أفعل ليكذبننى، وماأعرف مثلى ومثلكم إلا ماقال أبو يوسف، ونسيت اسمه ﴿فصبر جميل والله المستعان على ماتصفون﴾[(٣)] ثم تنحيت، فأخذ رسول الله [ﷺ][(٤)] الوحى، قالت: وكنت أحقر فى نفسى أن أظن أن الله يُنْزِل فى قرآنا يتلى،

---

(١) سقط من الناسخ.

(٢) فى «الأصل، وك»: سبعا، والصواب ما أثبتناه.

(٣) يوسف: ١٨.

(٤) من «ك».

لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾

ولكنى كنت أظن أنه يرى رؤيا، فلما تغشاه الوحى لم أفزع لما علمت أنى بريئة، والله يعلم ذلك».

وفى بعض الروايات: أن أبوى كادت نفسهما تخرج خوفًا، فلما سرى عن رسول الله ﷺ قال: «أبشرى ياعائشة قد أنزل الله تعالى براءتك، وتلا الآيات: ﴿إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم﴾ فقال لى أبى: قومى إلى رسول الله، وقالت أمى: قومى إلى رسول الله، فقلت: لاأقوم ولاأحمد إلا الله، فإن الله تعالى أنزل براءتى».

قوله تعالى: ﴿إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم﴾ الإفك هو أشد الكذب، وإنما سمى إفكا لأنه مصروف عن الحق. وقوله: ﴿عصبة منكم﴾ هؤلاء العصبة هم: عبدالله بن أبى بن سلول، ومسطح بن أثاثة ابن خالة أبى بكر، وحسان بن ثابت، وحمنة بنت جحش زوجة طلحة بن عبدالله أخت زينب، ونفر آخرون، والعصبة العشرة فما فوقها.

وقوله: ﴿لاتحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم﴾ هذا خطاب لعائشة وصفوان بن معطل فإنهم قذفوهما جميعا، وقال بعضهم: هو خطاب لعائشة ولأبويها والنبى وصفوان، ومعنى الآية: لاتحسبوه شرا لكم، يعنى: هذا الإفك هو خير لكم لأجل الثواب، وما ادخر الله لهم من ذلك .

وقوله: ﴿لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم﴾ أى: من الإثم بقدر ما اكتسب.

وقوله: ﴿والذى تولى كِبْرَهُ﴾. وقرئ: «كبره»، وقرأ الأعرج: «كُبْرَه». فقوله: ﴿كِبْرَه﴾ أى: إثمه. وقوله: «كُبره». أى: معظمه، قال الشاعر :

جنة السنة

لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَوْلا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُوْلَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ

تنام عن كبر شأنها فإذا ... قامت [رويدًا](١) تكاد تنغرف

وأما الذى تولى كبره فالأكثرون أنه عبدالله بن أبى بن سلول، وأما العذاب العظيم فهو النار فى الآخرة.

وقد روى مسروق أن حسان بن ثابت استأذن على عائشة فأذنت له، فقال مسروق: أتاذنين له، وقد قال ما قال، فقالت: قد أصابه العذاب العظيم، وكان قد عمى، وقد تاب حسان من تلك المقالة ومدح عائشة فقال:

حَصَانٌ رزَانٌ ماتُزَنّ بريبةٍ ... وتُصبح غرثَى من لُحوم الغوافل

[فإن كان ما بلغت أنى قلته](٢) ... فلا رفعت سوطى إلىّ أناملى

وعن أبى عمرو بن العلاء أنه أنكر الكُبر وقال: إنما الكُبر فى الولاء والنسب. وقد ذكر غيره أن كل واحد منهما صحيح، وقد بينا.

قوله تعالى: ﴿لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا﴾ أى: بمن هو مثل أنفسهم، وهو مثل قول النبى ﷺ: «المؤمنون كنفس واحدة»(٣)، وقد قال الله تعالى: ﴿ولاتقتلوا أنفسكم﴾(٤) أى: لايقتل بعضكم بعضا، ويقال: إن معنى ظن هاهنا أيقن.

وقوله: ﴿وقالوا هذا إفك مبين﴾ أى: كذب ظاهر.

(١) من «لسان العرب» مادة: غرف، والبيت لقيس بن الخطيم.

(٢) فى «الأصل، وك»: فإن كنت قد قلت الذى قد بلغتم. والمثبت من تفسير القرطبى (١٢/ ٢٠٠).

(٣) متفق عليه من حديث النعمان بن بشير ولكن لفظه: «المؤمنون كرجل واحد». رواه البخارى (١٠/ ٤٥٢ رقم ٦٠١١) ومسلم (١٦/ ٢١٠ رقم ٢٥٨٦) واللفظ له.

(٤) النساء: ٢٩.

لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾

قوله: ﴿لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء﴾ أى: على مازعموا.

وقوله: ﴿فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون﴾ فإن قال قائل: كيف يصيرون عند الله كاذبين إذا لم يأتوا بالشهداء، (ومن كان كاذبا فهو كاذبٌ عند الله سواء أتى بالشهداء)،[١] أو لم يات بهم؟ الجواب: قلنا: قال بعضهم: ﴿عند الله﴾ أى: فى حكم الله، وقال بعضهم: ﴿عند الله هم الكاذبون﴾ أى: كذبوهم بما أمركم الله، والجواب الثالث: أن هذا فى حق عائشة - رضى الله عنها - فمعناه: أولئك هم الكاذبون فى غيبى وعلمى.

قوله تعالى: ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم﴾ أفضتم أى: خضتم، وقوله: ﴿عذاب عظيم﴾ أى: عذاب لاانقطاع له، هكذا قاله ابن عباس، وفسر بهذا لأن الله تعالى قد ذكر أنه أصاب الذى تولى كبره عذاب عظيم، وكذلك العذاب العظيم هو فى الدنيا، وقد أصابه، فإنه قد جُلدَ وحُد، وأما العذاب الذى لا انقطاع له لم يصبه فى الدنيا، وإنما يصيبه فى الآخرة.

وروت عمرة عن عائشة: «أن النبى ﷺ لما نزلت هذه الآيات حَدَّ أربعة نفر: عبدالله بن أبى، وحسان بن ثابت، ومسطح بن أثاثة، وحمنة بنت جحش»[٢].

قوله تعالى: ﴿إذا تلقونه بألسنتكم﴾ أى: يلقيه بعضكم، ويرويه بعضكم عن بعض، وعن عائشة أنها قرأت: «إذ تلقونه بألسنتكم الكذب» ويقال: هو الإسراع فى

(١) ساقط من «ك»، وهو فى صورة لحق فى الأصل.

(٢) رواه وأبو داود (٤/١٦٢ رقم ٤٤٧٤)، الترمذي (٥/٣١٤ رقم ٣١٨١) وقال: حسن غريب، والنسائى فى الكبرى (٤/٣٢٥ رقم ٧٣٥١)، وابن ماجه (٢/٨٥٧ رقم ٢٥٦٧)، وأحمد (٦/٣٥)، والطبرانى (٢٣/١٦٣ رقم ٢٦٣) من حديث عمرة به، وفيه أنه حد رجلين وامرأة، وبعث إلى حسان ومسطح وحمنة فضربوا ضربًا وجيعًا ووجئ فى رقابهم. وانظر الدر (٥/٣١ - ٣٢).

يَعظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا

الكذب .

وقوله : ﴿وتقولون بأفواهكم ماليس لكم به علم وتحسبونه هينا﴾ أى : خفيفا .

﴿وهو عند الله عظيم﴾ أى : كبير .

قوله تعالى : ﴿ولولا إذ سمعتموه﴾ ومعناه : هلا إذ سمعتموه .

﴿قلتم مايكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم﴾ البهتان هو الكذب على المكابرة، يقال : بهته إذا أخبرته بكذبه، وفى بعض الأخبار : أن أم أيوب الأنصارى قالت لأبى أيوب : أما بلغك كذا، وهو مانسب إلى عائشة؟ فقال أبو أيوب : ماكان لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم، قال هذا قبل أن تنزل الآية، ثم نزلت الآية على وفق قوله .

قوله : ﴿يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا﴾ قال مجاهد : ينهاكم الله أن تعودا لمثله أبدا .

﴿إن كنتم مؤمنين ويبين لكم الآيات﴾ أى : الدلالات .

﴿والله عليم حكيم﴾ عليم بخلقه، حكيم فى فعله .

قوله تعالى : ﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة﴾ يعنى : أن تذيع وتشتهر .

﴿فى الذين آمنوا﴾ أى : عائشة وصفوان وآل أبى بكر، وكانت إشاعتهم أن بعضهم كان يلقى بعضا فيقول له : أمابلغك كذا وكذا من خبر عائشة .

وقوله : ﴿لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة﴾ العذاب فى الدنيا هو الحد، والعذاب فى الآخرة هو النار .

وقوله : ﴿والله يعلم وأنتم لاتعلمون﴾ يعنى : براءة عائشة وأنه خلقها طيبة طاهرة

تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ

من الفواحش .

قوله تعالى : ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رءوف رحيم﴾ محذوف الجواب، وجوابه : لنالكم العذاب الشديد فى الحال .

قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا لاتتبعوا خطوات الشيطان﴾ أى : خطايا الشيطان، وقيل : آثاره، ويقال : تخطيه[1] من الحلال إلى الحرام، ومن الطاعة إلى المعصية .

وقوله : ﴿ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء﴾ أى : القبائح من الأفعال .

﴿والمنكر﴾ أى : كل مايكرهه الله .

وقوله : ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكى منكم من أحد أبدا﴾ أى : ماصلح منكم من أحد أبدا .

﴿ولكن الله يزكى من يشاء﴾ أى : يصلح من يشاء . قال الشاعر :

إنما نحن كشئ فاسد فـإذا أصلحه اللـه صلح

وقوله : ﴿والله سميع عليم﴾ ظاهر المعنى .

وقوله تعالى : ﴿ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة﴾ هو مأخوذ من الأليَّة، والأليَّة اليمين . قال الشاعر :

قليل الألايا حافظ ليمينه وإن بدرت منه الألية برت

نزلت الآية فى شأن أبى بكر ومسطح، وكان ابن خالة أبى بكر وفى نفقته، وهو

(١) فى «ك» : كأنها : الخطة.

جنة السنة

أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ

رجل من أهل بدر من المهاجرين الأولين، فلما ذكر فى عائشة ماذكر أنزل الله تعالى براءتها من السماء، حلف أبو بكر ألا ينفق عليه، وكان مسكينا لاشىء له، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وقرئ: «ولايتأل» (قرأه أبو جعفر)[1] ، فالأكثرون أن معنى قوله: ﴿ولايأتل﴾ مابينا، ومنهم من قال معناه: لايقصر من قول القائل: لا آلو فى أمركم كذا أى: لا أقصر، وقوله: ﴿أولو الفضل منكم والسعة﴾ أى: الغنى والسعة.

وقوله: ﴿أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين﴾ هو مسطح، فإنه كان قريب أبى بكر، وكان مسكينا ومن المهاجرين، فإن قال قائل: كيف ذكر الواحد بلفظ الجمع؟ قلنا: يجوز مثل هذا فى اللغة، ويجوز أنه أراده وأراد غيره .

وقوله: ﴿وليعفوا وليصفحوا﴾ أى: ليعفوا عن أفعالهم، وليصفحوا عن أقوالهم.

وقوله: ﴿ألا تحبون أن يغفر الله لكم﴾ هذا خطاب لأبى بكر – رضى الله عنه – وروى أنه لما نزلت هذه الآية، وقرئت عليه قال: بلى والله نحب أن يغفر لنا.

وقوله: ﴿والله غفور رحيم﴾ أى: ستور صفوح.

قوله تعالى: ﴿إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات﴾ أى: الغافلات عن الفواحش، والغافلة عن الفاحشةأن لايقع فى قلبها فعل الفاحشة، وكانت عائشة –رضى الله عنها – هكذا .

---

(١) في «ك»: قراءة أبى.

جنة السنة

عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ

وقوله: ﴿لعنوا فى الدينا والآخرة﴾ روى عن خصيف قال: قلت لمجاهد: من قذف مؤمنة لعنه الله فى الدنيا والآخرة؟ فقال: ذاك لعائشة. ويقال: هذا فى جميع أزواج النبى ﷺ.

وقوله: ﴿ولهم عذاب عظيم﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم﴾ شهادة الألسنة يوم القيامة بنطقها من غير اختيار الإنسان.

وقوله: ﴿وأيديهم وأرجلهم﴾ يقال: تختم الأفواه ثم تتكلم الأيدى والأرجل.

﴿بما كانوا يعملون﴾ ظاهر.

قوله تعالى: ﴿يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق﴾ أى: حسابهم العدل.

وقوله: ﴿ويعلمون أن الله هو الحق المبين﴾ أى: العادل المظهر لعدله.

قوله تعالى: ﴿الخبيثات للخبيثين﴾ فى الآية قولان معروفان: أحدهما: الخبيثات من الكلام للخبيثين من الرجال، والخبيثون من الرجال للخبيثات من الكلام، والطيبون والطيبات هكذا.

والقول الثانى: الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال، والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء، وهكذا الطيبات والطيبون، والخبيث من الرجال عبد الله بن أبى بن سلول ودُونه، والخبيثات من النساء أهل بيته، ويقال: كلامه فى عائشة، والطيبات هى عائشة من النساء وأمثالها، والطيبون النبى ﷺ وقومه.

واعلم أن عائشة - رضى الله عنها - كانت تفتخر بأشياء منها: «أن جبريل - عليه

﴿وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾

السلام – أتى بصورتها فى سرقة (من)(١) حرير أى: قطعة، وقال: هذه زوجك، (وذلك)(٢) بعد وفاة خديجة، ويقال: أتى بصورتها فى كفه، ومنها أن النبى ﷺ لم يتزوج بعذراء إلا بها، ومنها أن النبى ﷺ قبض ورأسه فى حجرها، ودفن فى بيتها، ومنها أنه نزل براءتها من السماء، ومنها أنها بنت خليفة رسول الله ﷺ، وأنها صديقة»(٣). وكان مسروق إذا روى عن عائشة يقول: حدثتنى الصديقة بنت الصديق حبيبة رسول الله ﷺ المبرأة من السماء.

وقوله: ﴿أولئك مبرءون مما يقولون﴾ أى: مطهرون بما يقولون.

وقوله: ﴿لهم مغفرة ورزق كريم﴾ المغفرة هو العفو عن الذنوب، والرزق الكريم هو الجنة.

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا﴾.

قرأ ابن عباس: «حتى تستأذنوا» قال: تستأنسوا غلط من الكاتب، والمعروف تستأنسوا(٤)، وفيه ثلاثة أقوال: أشهرها: «تستأذنوا» فالاستئناس بمعنى الاستئذان، والقول الثانى: هو «التنحنح» قاله مجاهد، والقول الثالث: «حتى تستأنسوا» هو التعرف والاستعلام حتى يؤذن له أو لا يؤذن.

(١) ليست فى «ك».

(٢) فى «ك»: وهذا.

(٣) رواه الحاكم (٤ / ١٠) بنحوه وصححه، ورواه ابن سعد بنحوه، وفيه زيادة أيضا كما فى الدر (٥ / ٣٥). والحديث له شواهد فى الصحيحين من أحاديث متفرقة.

(٤) وكتب فى أصل «ك» تستأذنوا بدل! وكتب في حاشية الأصل (تستأذنوا بدل).

﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ

وقوله: ﴿ وتسلموا على أهلها ﴾.

السنة إذا بلغ الإنسان باب دار يقول: أدخل؟ وقال بعضهم: إذا وقع العين على العين يقدم السلام، وإذا لم تقع العين على العين قدم الاستئذان.

وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «إذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع»(١) فروى أن أبا موسى الأشعرى أتى باب عمر، واستأذن ثلاثا فلم يؤذن له فرجع، فقال عمر: أليس قد سمعت صوت عبد الله بن قيس؟ قالوا: استأذن ثلاثا ورجع، فدعاه وقال: لم رجعت؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول كذا، فقال: لتأتينى بمن يشهد لك، وإلا لأعلونّك بالدرة، فجاء أُبىّ بن كعب وذكر له ذلك، فجاء وشهد له، وقيل: غيره شهد له.(٢).

قال الحسن: الأول إعلام، والثانى (مؤامرة)(٣)، والثالث استئذان بالرجوع. وعن قتادة قال: إذا لم يؤذن له لا يقعد على الباب، فإن للناس حاجات. وقال بعضهم: إن كان طريقا يجوز أن يقف ويقعد، وإن كان فناء بيته لا يقعد إلا بإذنه. قالوا: وإن كان الباب مردودا فلا ينظر إلى الدار من شق الباب، وإن كان الباب مفتوحا فلا بأس أن ينظر؛ لأنه لما فتح الباب فقد أذن.

(١) متفق عليه من حديث أبى سعيد، رواه البخارى (١٠/٢٨-٢٩ رقم ٦٢٤٥)، ومسلم (١٤/١٨٥-١٩٠ رقم٢١٥٣).

(٢) فى إحدى روايات مسلم أنه أبو سعيد الخدرى.

(٣) كذا، ومثله فى تفسير البغوى (٣/٣٣٧)، وقد أخرج عبد بن حميد، وابن أبى حاتم، والبيهقى عن قتادة نحوه وفيه: وكان يقال الاستئذان ثلاث .. أما الأولى فيسمع الحى، وأما الثانية فيأخذوا حذرهم، وأما الثالثة فإن شاء أذنوا وإن شاءوا ردوه. (الدر ٥/٤٣).

ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ

وقوله تعالى: ﴿فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم﴾ أى: لا تدخلوها بغير إذن المالك.

وقوله: ﴿وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم﴾ يعنى: إذا كان فى البيت قوم وقالوا: ارجع، فليرجع، والسنة أن لا يتغير أذن أو رد لأنه ربما يكون للقوم معاذير، وكان ابن عباس - رضى الله عنه - يأتى باب الأنصارى لطلب الحديث، فيقعد على الباب حتى يخرج ولا يستأذن، فيخرج ذلك الرجل ويقول: يا ابن عم رسول الله، لو أخبرتنى؟ فيقول: هكذا أمرنا أن نطلب العلم.

وقوله: ﴿هو أزكى لكم﴾ يعنى: هو أصلح لكم.

وقوله: ﴿والله بما تعملون عليم﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة﴾

فيه أقوال: أحدها: أنها المنازل فى طريق المسافرين، والقول الثانى: أنها حوانيت التجار، والقول الثالث: أنها المنازل الخربة، والقول الرابع: أنها الخانات والمنازل فى الطرق، فهو الدخول فيها والنزول، وأما فى حوانيت التجار فالمنفعة هو البيع والشراء، وأما فى الخرابات فالبول والغائط.

وقوله: ﴿والله يعلم ما تبدون وما تكتمون﴾ ظاهر المعنى.

وروى عن شعيب بن الحبحاب قال: كان أبو العالية يأتينى وأنا فى دكانتى، فيستأذن ثم يدخل، فأقول له: إنما هو الحانوت، فيقول لى: الإنسان يخلو فى حانوته بحسابه ودراهمه، وأما الاستئذان على المحارم فإن كانوا فى دار منفردة يستأذن، وإن كانوا فى دار واحدة فإذادخل عليها يتنحنح، ويتحرك أدنى حركة، وقيل لقتادة: لا

جنة السنة

﴿٢٩﴾ ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾

أستأذن على أمي؟ فقال: أتحب أن ترى عورتها؟ قال: لا، قال: استأذن. وعن إبراهيم النخعي أنه قال: ليس على حوانيت السوق إذن. وعن ابن سيرين أنه كان إذا جاء إلى حانوت السوق يقول: السلام عليكم أدخل؟ ثم يلج. وعن أبى موسى الأشعرى وحذيفة أنه يستأذن على ذوات المحارم، ومثله عن الحسن البصرى.

قوله تعالى: ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم﴾ الآية. مِنْ صلة ومعناه: يغضوا أبصارهم، حكى هذا عن سعيد بن جبير،وقال بعضهم: مِنْ هاهنا للتبعيض، وإنما ذكر من هاهنا؛ لأن غض البصر إنما يجب عن الحرام، ولا يجب عن الحلال.

وقوله: ﴿ويحفظوا فروجهم﴾ هذا أمر بالتعفف. قال أبو العالية: حفظ الفرج فى كل القرآن بمعنى الامتناع من الحرام، وأما هاهنا فإنه بمعنى الستر.

وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال لعلى - رضى الله عنه - «إن لك فى الجنة كنزا، وإنك ذو قرنيها، فلا تتبع النظرة النظرة؛ فإن الأولى لك، والثانية عليك»(١) رواه على نفسه، وعن بعض السلف قال: إن النظر يزرع الشهوة فى القلب، ورب شهوة أورثت حزنا طويلا. وعن خالد بن أبى عمران أنه قال: إن الرجل لينظر نظرة فينغل قلبه، كما ينغل الأديم، فيفسد قلبه حتى لا ينتفع به.

وروى أبو أمامة عن النبى ﷺ أنه قال: «من نظر إلى محاسن امرأة وغض بصره

---

(١) رواه الإمام أحمد (١/١٥٩)، وابن أبى شيبة (١٢/٦٤ رقم ١٢١٣٢)، والطحاوى فى شرح معانى الآثار (٣/ ١٤ - ١٥)، والحاكم (٣/١٢٣) وصححه. وفى الباب عن بريدة مرفوعًا: «يا على، لاتتبع النظرة .. الحديث». رواه أبو داود (٢/٢٤٦ رقم ٢١٤٩)، والترمذى (٥/٩٤ رقم ٢٧٧٧) وقال: حسن غريب، وأحمد (٥/٣٥٣، ٣٥٧)، والبزار (٢/٢٨٠ - ٢٨١ رقم ٧٠١)، والطحاوى (٣/١٥)، والحاكم (٢/١٩٤) وصححه، والبيهقى (٧/٩٠).

جنة السنة

﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾

عنها أعطاه الله عبادة يجد حلاوتها»[1].

وقوله: ﴿ذلك أزكى لهم﴾ أى: أطهر لهم.

وقوله: ﴿إن الله خبير بما يصنعون﴾ أى: عليم بما يصنعون.

قوله تعالى: ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن﴾

وروى أن ابن أم مكتوم أقبل إلى النبى ﷺ وعنده أم سلمة وميمونة فقال لهما رسول الله ﷺ: «احتجبا. فقالتا: إنه أعمى، فقال: أعمياوان أنتما[2]»[3].

وقوله: ﴿ولا يبدين زينتهن﴾ الزينة: كل ما تتزين [به][4] المرأة من الحلى والثياب.

وقوله: ﴿إلا ما ظهر منها﴾ اختلف القول فى هذا: قال ابن مسعود: هى الثياب وهذا اختيار أبى عبيد.

والقول الثانى: ما روى عن ابن عباس أنه قال: الكحل. وحكى الكلبى عنه أنه قال: الكحل والخاتم والخضاب، وعنه أنه قال: الوجه والكفان. واعلم أن المراد بالزينة

(١) رواه أحمد (٥/٢٦٤)، والطبرانى (٨/٢٠٨ - ٢٠٩ رقم ٧٨٤٢)، وابن عدى فى الكامل (٥/١٥٢ ترجمة عمرو بن زياد) من حديث عبيد الله بن زحر، عن على بن يزيد الألهانى، عن القاسم، عن أبى أمامة به بنحوه، وقال الهيثمى فى المجمع (٨/٦٦): رواه أحمد والطبرانى ... وفيه على بن يزيد الألهانى، وهو متروك. وعزاه السيوطى فى الدر (٥/٤٥) للحكيم الترمذى فى نوادر الأصول، وابن مردويه، والبيهقى فى الشعب.

(٢) فى «ك»: أعمى، وأنتما.

(٣) رواه أبو داود (٤/٦٣ - ٦٤ رقم ٤١١٢)، والترمذى (٥/٩٤ رقم ٢٧٧٨)، وقال: حسن صحيح، والنسائى فى الكبرى (٥/٣٩٣ - ٣٩٤ رقم ٩٢٤١، ٩٢٤٢)، وأحمد فى مسنده (٦/٢٩٦)، وأبو يعلى (١٢/٣٥٣ رقم ٦٩٢٢)، وابن حبان فى صحيحه (١٢/٣٨٧ - ٣٩٠ رقم ٥٥٧٥، ٥٥٧٦)، والبيهقى (٧/٩١ - ٩٢). وقال الحافظ فى الفتح (٩/٢٤٨): إسناده قوى.

(٤) فى «الأصل»: بها.

﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي

موضع الزينة هاهنا فعلى هذا يجوز النظر إلى وجه المرأة وكفيها من غير شهوة، وإن خاف الشهوة غض البصر، واعلم أن الزينة زينتان: زينة باطنة، وزينة ظاهرة، فالزينة الظاهرة هى الكحل والفَتَخَة والخضاب إذا كان فى الكف، وأما الخضاب فى القدم فهو الزينة الباطنة، وأما السوار فى اليد، فعن عائشة أنه من الزينة الظاهرة، والأصح أنه من الزينة الباطنة، وهو قول أكثر أهل العلم، وأما الدملج [والمخنقة][(1)] والقلادة، وما أشبه ذلك فهو من الزينة الباطنة، فما كان من الزينة الظاهرة يجوز للأجنبى النظر إليه من غير شهوة، وما كان من الزينة الباطنة لا يجوز للأجنبى النظر إليها، وأما الزوج ينظر ويتلذذ، وأما المحارم ينظرون من غير تلذذ.

وقوله: ﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾ يعنى: بمقانعهن على جيوبهن، وكان النساء فى ذلك الوقت يسدلن خمرهن من ورائهن فتبدوا صدورهن ونحورهن، فأمر الله تعالى أن يضربن بالمقانع على جيوبهن؛ لئلا تظهر صدورهن ولا نحورهن، وروت[(2)] صفية بنت شيبة عن عائشة – رضى الله عنها – أنه لما نزلت هذه الآية عمد نساء الأنصار إلى حجور مناطقهن، فقطعن منها قطعة، وتخمرن، فأصبحن وكأن على رؤسهن الغربان.

وقوله: ﴿ولايبدين زينتهن﴾ المراد من هذه الزينة الباطنة.

وقوله: ﴿إلا لبعولتهن﴾ أى: أزواجهن.

وقوله: ﴿أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهم أو بنى إخوانهم أو بنى أخواتهن﴾. فيجوز لهؤلاء أن ينظروا إلى الزينة الباطنة، إلا أنهم لا ينظرون إلى ما بين السرة إلى (الركبة)[(3)]، ويحل للزوج النظر إليه، وأما نفس الفرج

(1) وهى قلادة توضع فى موضع الخنق من الرقبة. انظر لسان العرب (مادة: خنق).

(2) فى «الأصل»: روى.

(3) فى «ك»: والركبة.

فيه وجهان على ما عرف فى الفقه، وقد ورد عن عائشة ما يدل على أنه يكره النظر إلى الفرج، وقيل: إنه يورث العمى.

وقوله: ﴿أو نسائهن﴾. فيه قولان: أحدهما: أن المراد بهن النساء المسلمات، فعلى هذا لا يجوز للمسلمة أن تبدى محاسنها عند اليهودية ولا النصرانية.

والقول الثانى: أن قوله: ﴿نسائهن﴾ عام فى جميع النساء، فيجوز للمرأة أن تنظر إلى المرأة إلا ما بين السرة إلى الركبة.

وقوله: ﴿أو ما ملكت أيمانهن﴾. اختلف القول فى هذا، فروى عن عائشة وأم سلمة أنهما قالت: المراد منه العبيد، فيجوز للعبد أن ينظر إلى مولاته ما ينظر ذو الرحم المحرم من غير شهوة، وهذا إذا كان العبد عفيفًا، والقول الثانى قول سعيد بن المسيب وجماعة من التابعين أنهم قالوا: لا يجوز للعبد أن ينظر إلى مولاته إلا ما ينظر الأجنبى إلى الأجنبى، فعلى هذا تحمل الآية على الإماء، والقول الأول أظهر فى معنى الآية، لأنه قد سبق قوله: ﴿أو نسائهن﴾ فدخل فيه الحرائر والإماء، وفى الآية قول ثالث: وهو أنه يجوز [أن ينظر][(١)] العبد إلى مولاته ما يظهر عند البذلة والمهنة، مثل الساعدين والقدمين والعنق ولا ينظر إلى ما سوى ذلك، وإنما جاز ذلك؛ لأنه يشق ستر هذا مع العبيد، وأما مع الأجانب لا يشق، وعن أم سلمة - رضى الله عنها - أنها كاتبت عبدا لها يقال له نبهان، فكانت لا تحتجب عنه، ثم قالت له يوماً: يا نبهان، ما بقى من كتابتك، فقال ألفا درهم، فقالت: أدِّها إلى محمد بن عبد الله بن أبى أمية[(٢)] والسلام عليك، وأرسلت حجابها.

وقوله: ﴿أو التابعين غير أولى الإربة﴾ اختلف القول فيه: قال مجاهد: هو

(١) من «ك».

(٢) فى «ك»: محمد بن عبد الله بن أمية.

جنة السنة

الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ

الصغير، وقال عكرمة: هو العِنِّين، وقال بعضهم: هو الشيخ الهرم، وعن بعضهم: أنه المجبوب، ومن المعروف فى التفاسير: أنهم الذين يتبعون الرجال، وليس لهم همة إلا بطونهم، ولا يعرفون أمر النساء، ويقال: إنه المخنث الذى ليس له حاجة إلى النساء، وعن عائشة - رضى الله عنها - أن مخنثا يقال له: هيت كان يدخل على أزواج النبى ﷺ قالت: وكنا نظن أنه من غير أولى الإربة، يعنى: أنه لا يعرف أمر(١) النساء شيئا فوصف يومًا امرأة فقال: إنها تقبل بأربع، وتدبر بثمان، فسمع النبى ﷺ ذلك، فقال: «ما ظننت أنه يعرف هذا، وأمر بإخراجه»(٢).

وأما الإربة هى الحاجة، مأخوذ من الإرب، ومن هذا حديث عائشة - رضى الله عنها - «أن النبى ﷺ كان يقبل وهو صائم، وكان أملككم لإربه»(٣) ومن قال: لا، فقد أخطأ.

وقوله: ﴿أو الطفل الذين لم يظهروا﴾ أى: الأطفال الذين لم يظهروا ،واحد بمعنى الجمع.

وقوله: ﴿لم يظهروا على عورات النساء﴾ أى: لم يطيقوا أمر النساء، ويقال: «لم يظهروا على عورات النساء» أى: لم يعرفوا العورة من غير العورة فلم يميزوا، وقيل: لم يبلغوا حد الشهوة.

---

(١) كذا فى النسختين، ولعل الصواب: لايعرف من أمر..

(٢) رواه مسلم (١٤/ ٢٣٤ رقم ٢١٨١)، وأبو داود (٤/ ٦٢ - ٦٣ رقم ٤١٠٧، ٤١٠٨، ٤١٠٩، ٤١١٠)، والنسائى فى الكبرى (٥/ ٣٩٥) رقم ٩٢٤٦، ٩٢٤٧)،. من حديث عائشة بنحوه.

والحديث متفق عليه بنحوه من حديث أم سلمة، رواه البخارى (٦/ ٦٣٩ رقم ٤٣٢٤وطرفاه ٥٢٣٥، ٥٨٨٧)، ومسلم (١٤/ ٢٣٣ رقم ٢١٨٠).

(٣) رواه مسلم (٧/ ٣٠٤ - ٣٠٩ رقم ١١٠٦)، وابن ماجه (١/ ٥٣٨ رقم ١٦٨٤)، وأحمد (٦/ ٤٤)، وعبد الرزاق فى مصنفه (٤/ ١٨٣، ١٨٨، رقم ٨٤٠٨، ٨٤٣١)، وابن حبان (٨/ ٣١٣ رقم ٣٥٤٣)، والبيهقى (٤/ ٢٣٣) من حديث عائشة.

جنة السنة

وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ

وقوله: ﴿ ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ﴾ روى أن المرأة كانت تمر على الرجال، وفي رجلها الخلخال، وكانت تضرب برجلها؛ لتسمعهم صوت خلخالها، فنهين عن ذلك، فإن قال قائل: أيش فى ضرب الخلخال ما يوجب النهى؟ والجواب عنه: أن فيه استدعاء الميل وتحريك الشهوة.

وقوله: ﴿ وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن المراد منه التوبة من الصغائر؛ لأنه لم جميع المؤمنين، وإنما الصغائر توجد من جميع المؤمنين، فأما الكبائر فلا، ومنهم من قال: لا بل الآية عامة فى الصغائر والكبائر، والتوبة هى الندم على [ما](١) سلف، والإقلاع فى الحال، والعزيمة على ترك العود، وهذا هو معنى النصوح المقرون بالتوبة المذكور فى غير هذا الموضع، وذكر بعضهم أن الله تعالى أمر المشركين بنفس التوبة مطلقا فقال: ﴿ قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف ﴾(٢)، وأمر اليهود والنصارى بالتوبة والإصلاح والبيان؛ وهو بيان صفة النبى ﷺ فقال تعالى: ﴿ إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا ﴾(٣)، وأمر المنافقين بالتوبة والإصلاح والاعتصام والإخلاص فقال: ﴿ إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله ﴾(٤)، وقد بينا معنى ذلك من قبل، وأمر جميع المؤمنين بالتوبة فى هذه الآية، ولابد لكل إنسان أن يتوب إما من صغيرة أو كبيرة، وقد ثبت برواية الأغر المزنى أن النبى ﷺ قال: «أيها الناس، توبوا إلى الله فإنى أتوب كل يوم مائة مرة»(٥) خرجه مسلم فى الصحيح.

---

(١) من «ك».
(٢) الأنفال: ٣٨.
(٣) البقرة: ١٦٠.
(٤) النساء: ١٤٦.
(٥) رواه مسلم فى صحيحه (١٧/ ٣٨ – ٣٩ رقم ٢٧٠٢)، والبخارى فى الأدب (ص ١٨٢)، والنسائى فى عمل اليوم والليلة من السنن الكبرى (٦/ ١١٦ – ١١٧ رقم ١٠٢٧٨، ١٠٢٧٩ ، ١٠٢٨٠، ١٠٢٨١)، وأحمد فى مسنده (٤/ ٢٦٠)، وابن أبى شيبة (١٠/ ٢٩٨)، وابن حبان فى صحيحه (٣/ ٢٠٩ رقم ٩٢٩).

وقوله: ﴿لعلكم تفلحون﴾ أى: تسعدون وتفوزون.

قوله تعالى: ﴿وأنكحوا الأيامى منكم﴾. أى:زوجوا الأيامى منكم، والأَيِّمُ اسم لكل امرأة لا زوج لها ثيبا كانت أو بكرا، قال الشاعر:

فإن تَنْكِحِـي أنكِـحْ وإن تَتَأَيَّمِي مدى الدهر ما لم تنكحى أتأيَّمُ

وقد ذهب داود وأصحاب الظاهر أن النكاح واجب واستدلوا بهذه الآية، وأما عندنا هو مباح فى وقت، سنة فى وقت، مباح إذا كانت نفسه لا تتوق إلى النساء، سنة إذا تاقت نفسه إلى النساء، وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال: «من أحب فطرتى فليستن بسنتى، ومن سنتى النكاح»(١).

وثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فليصم، فإن الصوم له وجاء»(٢).

وعن بعض السلف أنه قال: من غلبت عليه الشهوة وعنده مال فليتزوج، وإن لم يكن عنده مال فليدم النظر إلى السماء، فإن شهوته تذهب.

وقوله: ﴿والصالحين من عبادكم وإمائكم﴾.

قرئ فى الشاذ: «من عبيدكم وإمائكم» زوجوا الأيامى من الحرائر، وزوجوا الصالحين من العبيد والإماء، والمراد من العباد: العبيد.

وقوله: ﴿إن يكونوا فقراء يغنيهم الله من فضله﴾ روى عن عمر أنه قال: عجبت

---

(١) رواه ابن عدى فى الكامل (٧/ ٨٧) من حديث أبى هريرة. ورواه عبد الرزاق (٦/ ١٦٩ رقم ١٠٣٧٨)، وسعيد بن منصور (٣/ ١/ ١٦١ رقم ٤٨٧)، وأبو يعلى (٥/ ١٣٣ رقم ٢٧٤٨)، والبيهقى (٧/ ٧٨) من حديث عبيد بن سعد عن النبى ﷺ مرسلا.

(٢) متفق عليه من حديث ابن مسعود، رواه البخارى (٤/ ١٤٢ رقم ١٩٠٥ وطرفاه ٥٠٦٥، ٥٠٦٦)، ومسلم (٩/ ٢٤٥ - ٢٤٩ رقم ٩٩٦).

﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾

لمن يطلب الغنى بغير النكاح، والله تعالى يقول: ﴿إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله﴾. وعن بعضهم: أن الله تعالى وعد الغنى بالنكاح، ووعد الغنى بالتفرق، فقال فى النكاح: ﴿يغنهم الله من فضله﴾ أى: من الله، وقال فى الفراق: ﴿وإن يتفرقا يغنى الله كلا من سعته﴾(١) ويقال: إن الغنى هاهنا هو الغنى بالقناعة، وقيل: باجتماع الرزقين، وقيل فى قوله: ﴿ووجدك عائلا فأغنى﴾(٢) أى: بمال خديجة.

وقوله: ﴿والله واسع عليم﴾ أى: واسع الغنى، عليم بأحوال العباد، وعن الحسن ابن على - رضى الله عنهما - أنه كان ينكح ويطلق كثيرا، ويقول: إنما أبتغى الغنى من النكاح والطلاق، ويتلو هاتين الآيتين، وقد ذكر بعضهم: أن الأيم كما ينطلق على المرأة ينطلق على الرجل، يقال: رجل أيم إذا لم يكن له زوجة، وامرأة أيم إذا لم يكن لها زوج، والشعر الذى أنشدنا دليل عليه، وفى الخبر: «أن النبى ﷺ نهى عن الأيمة» أى: العزبة.

وعن القاسم بن محمد أنه قال: أمرنا بقتل الأيم أى: الحية. وقال بعضهم: ﴿وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين﴾ أى: بالصالحين. وقوله: ﴿من عبادكم﴾ أى: من رجالكم ، ثم أمر من بعد بتزويج الإماء، والقول الأول الذى سبق أظهر.

قوله: ﴿وليستعفف الذين لا يجدون نكاحًا﴾ أى: ليطلب العفة الذين لا يجدون ما لا ينكحون به.

وقوله: ﴿حتى يغنيهم الله من فضله﴾ فيه معنيان: أحدهما: أن يجدوا مالا يقدرون به على النكاح، والآخر: أن يوفقهم الله للصبر عن النكاح، وعن عكرمة أنه قال: إذا رأى الرجل امرأة واشتهاها فإن كان له امرأة فليصبها، وإن لم يكن له امرأة فلينظر فى ملكوت السموات والأرض.

(١) النساء: ١٦٠.
(٢) الضحى: ٨.

فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً

وقوله: ﴿ والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم ﴾ أى: يطلبون الكتابة[١] مما ملكت أيمانكم، أى: من العبيد والإماء، والكتابة هى أن يعقد مع عبده عقدا على مال بشرط أنه إذا أدى عتق، وسبب نزول هذه الآية: أنه كان لحويطب بن عبد العزى غلام، وطلب منه أن يكاتبه، فأبى فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقوله: ﴿ فكاتبوهم ﴾ أكثر أهل العلم على أنه أمر ندب لا حتم، وذهب جماعة إلى أنه أمر حتم إذا كان للعبد مال يؤدى، فروى (أبو محمد بن سيرين):[٢] كان عبداً لأنس بن مالك، وطلب من أنس أن يكاتبه، فأبى فذكر ذلك سيرين لعمر، فقال لأنس: كاتبه، فأبى، فعلاه الدرة حتى كاتبه. وعن ابن جريج قال: قلت لعطاء: أيجب على المولى أن يكاتب عبده إذا طلب؟ قال: نعم، ومثله عن الضحاك قالا: وهذا إذا كان عند (العقد)[٣] مال، فإن لم يكن عنده مال لم يجب ، وروى أن عبداً لسلمان[٤] قال له: كاتبنى، قال: عندك مال؟ قال: لا، قال: أتريد أن تطعمنى أوساخ الناس؟ ولم يكاتبه.

وقوله: ﴿ إن علمتم فيهم خيراً ﴾ أى: مالاً، قاله ابن عباس ، ومثله قوله: ﴿ وإنه لحب الخير لشديد ﴾[٥] أى: لحب المال. قال الشاعر

ماذا ترجي النفوس من طلب الـــــخيـــر وحب الحيـــاة كاربهـــا

أى: المـال، وقـال الحسـن البـصـرى: ﴿ إن علـمتـم فيهـم خيـراً ﴾ أى: دينا

---

(١) فى « ك »: الكتاب.

(٢) كذا، وهو سيرين أبو عمرة مولى أنس، كما فى الجرح والتعديل (٢ / ١ / ٣٢٢)، وهو والد محمد، وأنس وغيرهم، ولعله كناه بأبى محمد لشهرة ابنه، ولكن « بن » مقحمة وسيأتى اسمه بعد قليل على الصواب.

(٣) كذا، والأشبه: العبد.

(٤) فى « ك »: « وحكى عن عبد لسلمان ».

(٥) العاديات: ٨.

جنة السنة

وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

وأمانةً، وقال النخعي: وفاءً وصدقًا، وعن بعضهم: قدرةً على كسب المال.

وقال الزجاج: لوأراد بالخير المال لقال: إن علمتم لهم خيرا، فلما قال: ﴿فيهم خيرا﴾ دل أنه أراد به الوفاء والصدق.

وقوله: ﴿وآتوهم من مال الله الذى آتاكم﴾ فيه أقوال: روى عبدالله بن بريدة عن أبيه أنه قال: هو حث الناس على معونة الكاتبين. فعلى هذا تتناول الآية المولى وغير المولى.

والقول الثانى: أن المراد منه سهم الرقاب، وقد جعل الله تعالى للمكابتين سهما فى الصدقات، والقول الثالث: هو أن قوله: ﴿وآتوهم﴾ خطاب للموالى خاصة.

وقوله: ﴿من مال الله الذى آتاكم﴾ هو بدل الكتابة، روى هذا عن عثمان وعلى والزبير، ثم اختلفوا فقال بعضهم: يعينه بمال الكتابة، وقال بعضهم: يحط عنه من مال الكتابة، وعن على - رضى الله عنه - أنه يحط عنه الربع، وعن ابن عباس: أنه يحط عنه الثلث، وعن بعضهم: أنه يحط شيئًا من غير تحديد، وهذا قول الشافعى، واختلفوا أنه على طريق الندب أم على طريق الإيجاب؟ فعند بعض الصحابة الذى ذكرنا أنه ندب، وعند بعضهم: أنه واجب، والوجوب أظهر.

وقوله: ﴿ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء﴾ يعنى: على الزنا. نزلت الآية فى عبدالله بن أبى بن سلول وقوم من المنافقين، كانوا يكرهون إماءهم على الزنا طلبا للأجعال، فروى أن عبدالله بن أبى بن سلول كان له أمة يقال لها: مثلة، فأمرها بالزنا فجاءت ببرد، ثم أمرها بالزنا فأبت، وأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقوله: ﴿إن أردن تحصنا﴾ أى: تعففا، فإن قيل: الآية تقتضى أنها إذا لم ترد التحصن يجوز إكراهها على الزنا؟ والجواب من وجهين: أحدهما: أنه إنما ذكر قوله: ﴿إن أردن تحصنًا﴾ لأن الإكراه إنما يوجد فى هذه الحالة، فإذا لم ترد التحصن بغت بالطوع.

جنة السنة

وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلاً مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ اللَّهُ نُورُ

والجواب الثانى: أن قوله: ﴿إن أردن تحصنًا﴾ منصرف إلى الآية السابقة، وهو قوله: ﴿وأنكحوا الآيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم﴾ إن أردن تحصنًا.

وقوله: ﴿لتبتغوا عرض الحياة الدنيا﴾ أى: لتطلبوا من أموال الدنيا، وفى بعض الآثار: الدنيا عرض حاضر، يأكل منها البر والفاجر، والآخرة وعد صادق، يحكم فيها ملك قادر، فكونوا من أبناء الآخرة، ولاتكونوا من أبناء الدنيا»[1] .

وقوله: ﴿ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم﴾ أى: لهن، وهكذا روى فى قراءة ابن عباس: «فإن الله من بعد إكراههن لهن غفور رحيم».

قوله تعالى: ﴿ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات﴾ أى: للحلال والحرام، وقوله: ﴿مبينات﴾ أى: واضحات لا لبس فيها.

وقوله: ﴿ومثلا من الذين خلوا من قبلكم﴾ معناه: تشبيها لحالكم بحالهم، حتى لاتفعلوا مثل ما فعلوا، فيصيبكم مثل ما أصابهم.

وقوله: ﴿وموعظة للمتقين﴾ أى: تذكيرا وتخويفًا.

قوله تعالى: ﴿الله نور السموات والأرض﴾ قال ابن عباس: هادى أهل السموات والأرض، (وعنه أنه قال: ضياء السموات والأرض)[2] وعن قتادة وغيره: منوِّر السموات والأرض. فيقال: نوَّر السموات بالملائكة، والأرض بالأنبياء. ويقال: نور السموات بالنجوم والشمس والقمر، ونور الأرض بالنبات والزهر.

وقوله تعالى: ﴿مثل نوره﴾ قرأ أبى بن كعب: «مثل نور المؤمن»، وعن ابن مسعود أنه قرأ: «مثل نوره فى قلب المؤمن» (ومن المعروف ﴿مثل نوره﴾ وفيه أقوال:

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) ساقط من «ك».

السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ

أحدها: أن معناه: مثل نور الله فى قلب المؤمن)[١] وهو النور الذى يهتدى به، وهذا فى معنى قوله تعالى: ﴿فهو على نور من ربه﴾[٢]، والقول الثانى: ﴿مثل نوره﴾ أى: نور قلب المؤمن بالإيمان، والقول الثالث: أنه نور محمد ﷺ، ومنهم من أوَّل على القرآن.

وقوله: ﴿كمشكاة﴾ المشكاة هى الكوة التى ليس له منفذ، ومنهم من قال: المشكاة هى الحديدة التى يعلق بها القنديل، وهى السلسلة، وقيل: الموضع الذى توضع فيه الفتيلة، وهو كالأنبوب. والأول أظهر الأقاويل وأولى، ومعنى المشكاة هاهنا: الصدر، قاله أبى بن كعب. وقوله: ﴿فيها مصباح﴾ أى: شعلة نار.

وقوله: ﴿المصباح فى زجاجة﴾ الزجاجة شيء معلوم، وهو جوهر له ضياء، فإن قيل: لم خص الزجاجة بالذكر؟ قلنا: قال أُبى بن كعب: المشكاة الصدر، والزجاجة القلب، والمصباح الإيمان، فإنما ذكر الزجاجة؛ لأن المصباح فيها أضواء، وقال بعضهم: ذكر الزجاجة؛ لأنها إذا انكسرت لاينتفع منها بشيء، كذلك القلب إذا فسد لاينتفع منه بشيء.

وقوله: ﴿الزجاجة كأنها كوكب درى﴾ شبه الزجاجة بالكوكب، قال بعضهم: هذا الكوكب هو الزهرة فإنها أضوء كوكب فى السماء، وقال بعضهم: الكواكب الخمسة زحل ومشترى والمريخ وعطارد وزهرة، فإن قيل: لِمَ لَمْ يشبه بالشمس والقمر؟ قلنا: لأن الشمس والقمر يلحقهما الكسوف، والنجوم لايلحقها الكسوف، وأما قوله: ﴿كوكب دُرِّى﴾ منسوب إلى الدر، ونسبه إلى الدر لصفائه ولونه، وقرئ: «دِرىء» بكسر الدال والهمز والمد، وفيه قولان: أحدهما: أنه مأخوذ من الدراء،

(١) ساقط من «ك».

(٢) الزمر: ٢٢.

والدراء هو الدفع، والكوكب يدفع الشياطين عن السماء، فإن قيل: لم شبه به فى حالة الدفع؟ قلنا: لأنه فى تلك الحالة يكون أصفى، والقول الثانى: «درِىء». أى طالع، يقال: درأ علينا فلان أى: طلع وظهر، وقال الأزهرى: وهذا قول حسن، وقرئ: «دُرِىء» برفع الدال مهموزا، قرأه حمزة وأبو بكر، وأهل النحو يخطؤنه فى هذه القراءة، وقالوا: لايوجد فعيل فى اللغة، والشاذ: «دَرِى» بفتح الدال .

وقوله: ﴿يوقد﴾ أى: الزجاجة، ومعناه: نار الزجاجة، فحذف النار، وقرئ: «يوقد» بالياء أى: المصباح، وقرئ: «توقد» أى: تتوقد، وفى الشاذ: «يُوقِد» أى: يوقد الله تعالى .

وقوله: ﴿من شجرة مباركة﴾ أى: من زيت شجرة مباركة، والشجرة المباركة هاهنا هى الزيتون، وفيها من الخير ماليس فى سائر الأشجار، فإنه دهن وإدام وفاكهة تؤكل ويستصبح به، وبفضله يغسل به الثياب وهى شجرة تورق من رأسها إلى أسفلها، واستخراج الدهن منه لايحتاج إلى عصار كغيره، بل يستخرجه من شاء من غير عسر، وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال: «ائتدموا بالزيت، وادهنوا منه، فإنه من شجرة مباركة»(١) رواه معمر، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عمر الخبر.

وقوله: ﴿لاشرقية ولاغربية﴾ قال الحسن: ليس هذا من أشجار الدنيا، ولو كانت

(١) رواه الترمذى (٤/٢٥١ رقم ٨٥١) وفى الشمائل (١٤٠ رقم ١٥٠)، وابن ماجه (٢/١١٠٣ رقم ٣٣١٩) وعبد بن حميد (٣٣ رقم ١٣)، والحاكم (٤/١٢٢) وصححه على شرط الشيخين، وأقره المنذرى فى الترغيب (٣/١٣٢)، وقال الترمذى فى الشمائل: كان عبد الرزاق يضطرب فى هذا الحديث، فربما أسنده، وربما أرسله، وقال أبو حاتم فى علل الحديث لابنه (٢/١٦ رقم ١٥٢٠): حدث عبد الرزاق به عن زيد بن أسلم، عن أبيه، مرسلا دهراً، ثم قال بعد: زيد بن أسلم عن أبيه أحسبه عن عمر عن النبى ﷺ، ثم لم يمت حتى جعله عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر عن النبى ﷺ بلا شك. وقال ابن معين فى التاريخ (١/٢٧٨ رقم ٥٩٥): الموصول ليس بشىء، إنما هو عن زيد مرسلا. وفى الباب عن أبى أسيد، وأبى هريرة، وابن عباس. وانظر الترغيب (٣/١٣١ - ١٣٢)، والسلسلة الصحيحة (٣٧٩).

جنة السنة

يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾

من أشجار الدنيا لكانت شرقية أو غربية، وقال غيره: بل هو وصف الزيتون – وهو الاصح – وفيه أقوال: أحدها أن معناه: لاشرقية أى: ليست مما تشرق عليها الشمس، ولاتغرب عليها الشمس، فتكون لاشرقية ولا غربية.

وقوله: ﴿ولاغربية﴾ أى: ليست مما تغرب عليها الشمس ولاتشرق عليها الشمس، فتكون لا غربية ولا شرقية[1] فمعنى الآية. أنها ليست بخالصة للشرق، ولاخالصة للغرب،بل هى شرقية غربية، يعنى: بين الشرق والغرب، لاخالصا للشرق، ولاخالصا للغرب، والشمس مشرقة عليها فى جميع أوقاتها، وإذا كان كذلك فيكون زيتها أضوأ قالوا: وهذا كما يقال: فلان ليس بأسود ولاأبيض أى ليس بأسود خالص ولا أبيض خالص أى: قد اجتمع فيه البياض والسواد، ويقال: هذا الرمان ليس بحلو ولاحامض أى: اجتمع فيه الحلاوة والحموضة ولم يخلص لواحد منهما، وهذا قول الفراء والزجاج وأكثر أهل المعانى، وزعم ابن قتيبة أن معنى قوله: ﴿لاشرقية ولاغربية﴾ أى: ليست فى مضحاة، ولا فى مقناة[2]، ومعناه: ليست فى مضحاة فتكون الشمس عليها أبدا، ولافى الظل فتكون فى الظل أبداً، والقول الثالث: أنها شجرة بين الأشجار لاهى بارزة للشمس عند شروقها، ولاهى بارزة عند غروبها.

وقوله: ﴿يكاد زيتها يضىء﴾ أى: من صفائه ولونه.

وقوله: ﴿ولو لم تمسسه نار﴾ أى: وإن لم تمسسه نار.

وقوله: ﴿نور على نور﴾ أى: نور المصباح على نور الزجاجة.

وقوله: ﴿يهدى الله لنوره من يشاء﴾ أى: نور البصيرة والعقيدة .

وقوله: ﴿ويضرب الله الأمثال للناس﴾ أى: يبين الله الأمثال للناس.

(١) فى النسختين فتكون غربية لا شرقية. والصواب ما أثْبِتَ.

(٢) المقناة هى الظليل الذى لايصيبه الشمس.

جنة السنة

وقوله: ﴿والله بكل شيء عليم﴾ معلوم.

واعلم أنه اختلف القول فى معنى التمثيل: منهم من قال: التمثيل وقع للنور الذى فى قلب المؤمن، ومنهم من قال: التمثيل وقع لنور محمد ﷺ، ومنهم من قال: التمثيل وقع لنور القرآن، وأما إذا قلنا: إن التمثيل وقع للنور الذى فى قلب المؤمن فهو ظاهر المعنى كما بينا.

وقوله: ﴿يكاد زيتها يضيء﴾ أى: يكاد قلب المؤمن يعرف الحق قبل أن يبين له لموافقته إياه.

وقوله: ﴿نور على نور﴾ أى: نور العمل على نور الاعتقاد، وعن أبى بن كعب أنه قال: المؤمن بين خمسة أنوار: وقوله نور، وعمله نور، ومدخله نور، ومخرجه نور، ومصيره إلى النور. وعن غيره أنه قال: المؤمن بين أربعة أحوال: إن أعطى شكر، وإن ابتلى صبر، وإن قال صدق، وإن حكم عدل. وإذا قلنا: التمثيل وقع لنور محمد ﷺ، فالمشكاة صدره، والزجاجة قلبه، والمصباح هو نور النبوة.

وقوله: ﴿توقد من شجرة مباركة﴾ الشجرة المباركة هو إبراهيم - صلوات الله عليه - وذكر زيتونة، لأنها أبرك الأشجار على مابينا؛ ولأن إبراهيم نزل الشام، وفى زيتون الشام من البركة ماليس لغيره من البلاد.

وقوله: ﴿لاشرقية ولاغربية﴾ معناه: أن إبراهيم لم يكن يصلى إلى المشرق ولا إلى المغرب، وهو معنى قوله تعالى: ﴿ماكان إبراهيم يهوديا ولانصرانيا﴾(١) واليهود يصلون إلى المغرب، والنصارى إلى المشرق. وقوله: ﴿يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار﴾ معناه: لو لم يكن إبراهيم نبيا لألحقه الله بالعمل الصالح بالأنبياء فى درجاتهم، ويقال معناه: أن محمداً لو لم تأته معجزة لدلت أحواله على صدقه وعلى نبوته. وقوله: ﴿نور على نور﴾ أى: نور محمد على نور إبراهيم، وقوله: ﴿يهدى

(١) آل عمران: ٦٧.

جنة السنة

﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ

الله لنوره من يشاء﴾ يعنى: يهدى الله للإيمان بمحمد من يشاء، وهذا كله معنى مارواه الضحاك عن ابن عباس، وفى الآيه كلام كثير ذكره أصحاب الخواطر لايشتغل به، وهذان القولان هما المعروفان.

قوله تعالى: ﴿فى بيوت أذن الله أن ترفع﴾ معناه: توقد فى بيوت، ويقال: المصابيح فى بيوت، والبيوت هاهنا هى المساجد. وقوله: ﴿أذن الله أن ترفع﴾ فيه أقوال: قال مجاهد: تبنى، وقال الحسن: تعظم. يعنى: أنه لايذكر فيها الخنا من القول، وعن بعضهم: تطهر.

وقوله: ﴿ويذكر فيها اسمه﴾ ظاهر المعنى.

وقوله: ﴿يُسبَّح﴾ وقرئ: «يسبِّح» بكسر الباء، فقوله بكسر الباء أى: يسبح رجال، وقوله: «يُسبَّح» على مالم يسم فاعله، ومعنى يسبح: يصلى.

وقوله: ﴿بالغدو والآصال﴾ أى: بالبكر والعشايا. قال الشاعر:

وقفت فيهـــا أصيـــلا لا أسائلهـــا أعيت جوابا وما بالربع من أحد

وإنما خص البكرة والعصر؛ لأن صلاة الغداة وصلاة العصر أول مافرض على المسلمين، وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - أنه قال: صلاة الضحى فى القرآن، ولا يغوص عليها الأغواص، ثم قرأ هذه الآية وهو قوله: (﴿بالغدو والآصال﴾ وزعم أن المراد بالتسبيح بالغدو وهو صلاة الضحى، والمعروف مابينا، وهو أن المراد منه صلاة الصبح وصلاة العصر)(١).

قوله تعالى: ﴿رجال لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله﴾ وعن عبيد بن عمير أنه

(١) ساقط من «ك».

﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ۝٣٧ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٣٨ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ﴾

قال: يضع الله يوم القيامة منابر من نور، ويقول: أين الذين لم تلههم تجارة ولابيع عن ذكر الله؟ فيقومون فيجلسهم عليها.

وقال الفراء: التجارة مابيع من الجلب، والبيع مابعت على يدك .

وقوله: ﴿وإقام الصلاة﴾ فإن قيل: إذا حملتم ذكر الله على الصلوات الخمس فما معنى قوله: ﴿وإقام الصلاة﴾؟ قلنا: معناه حفظ المواقيت، ومن لم يحفظ المواقيت فلم يقم الصلاة. وقوله: ﴿وإقام الصلاة﴾ أى: وإقامة الصلاة، فحذفت الهاء بحكم الإضافة. قال الشاعر:

إن الخليط أجدوا البين فانجردوا   وأخلفوك عدى الأمر الذى وعدوا

أى: عدة الأمور .

وقوله: ﴿وإيتاء الزكاة﴾ منهم من قال: هى الزكاة المفروضة، ومنهم من قال: الأعمال الصالحة .

وقوله: ﴿يخافون يومًا تتقلب فيه القلوب والأبصار﴾ أى: تتقلب القلوب عما كانت عليه فى الدنيا من الشك والكفر، وتنفتح فيه الأبصار من الأغطية، ويقال: يتقلب القلب [بين الخوف](١) والرجاء، فإنه يخاف الهلاك، ويطمع النجاة، وأما تقلب البصر حتى من أين يؤتى كتابه؛ من شماله أو من يمينه، وقال: تتقلب القلوب فى الجوف، وترتفع إلى الحنجرة فلا تزول ولاتخرج، وأما تقلب البصر شخوصه من هول الأمر وشدته .

وقوله: ﴿ليجزيهم الله أحسن ماعملوا﴾ يعنى: ليجزيهم بما عملوا من الأعمال الحسنة.

(١) فى «الأصل، ك»: من الحتوف، وما أثبتناه يقتضيه السياق.

بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن

وقوله: ﴿ ويزيدهم من فضله ﴾ أى: زيادة على مايستحقون.

وقوله: ﴿ والله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿ والذين كفروا أعمالهم ﴾ اعلم أن الله تعالى لما ذكر المثل فى حق المؤمنين أعقبه بالمثل فى حق الكفار.

وقوله: ﴿ كسراب ﴾ السراب: ما يرى نصف النهار شبه الماء الجارى على الأرض، وأكثر مايراه العطشان. قال الفراء: السراب ما لزم الأرض، والآل مارتفع من الأرض، وهو شعاع بين السماء والأرض شبه الملاة، يُرى فيه الصغير كبيرا، والقصير طويلا.

وقال غيره: السراب نصف النهار، والآل بالغدوات، والرقراق بالعشايا، قال الشاعر:

فلما كففنا الحرب كانت عهودهم ... كلمع سراب بالفلا متألق

وقوله: ﴿ بقيعة ﴾ القاع: هو الأرض المنبسطة.

وقوله: ﴿ إذا جاءه لم يجده شيئا ﴾ أى: لم يجده شيئًا مما أمل وحسب.

وقوله: ﴿ ووجد الله عنده ﴾ أى: عند علمه، ومعناه: أنه لقى الله فى الآخرة.

﴿ فوفاه حسابه ﴾ أى: جزاء عمله، قال الشاعر:

فولى مدبرا هوى حثيثا ... وأيقن أنه لاقى الحسابا

وقوله: ﴿ والله سريع الحساب ﴾ ظاهر المعنى.

واعلم أن فى نزول الآية قولان: أحدهما: أنها نزلت فى شيبة بن ربيعة - وكان يطلب الدين قبل أن يبعث النبى ﷺ - فكان يلبس الصوف، ويأكل الشعير، ثم لما بعث النبى ﷺ كفر به.

والقول الثانى: أن الآية نزلت فى جميع الكفار، والمراد من الآية: تشبيه أعمالهم بالسراب، وأعمالهم هى ما اعتقدوها خيرا، من الحج وصلة الأرحام، وحسن الجوار،

جنة السنة

فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ

وقرى الضيف، والوفاء بالعهد، وما أشبه ذلك، فذكر الله تعالى أن هذه الأعمال كسراب حين لم يصدر عن مؤمن، فهو يرجو منها الخير والثواب، وإذا وصل إليها أخلفه ظنه، ولم يحصل على شيء.

قوله تعالى: ﴿أو كظلمات فى بحر لجى﴾ قال أهل المعانى: المراد من الآية أنَّك إن شبهت أعمالهم لما يوجد، فهو كما بينا من السراب بالقيعة، وإن شبهت أعمالهم لما يرى، فهو كالظلمات فى البحر اللجى، والبحر اللجى هو العميق الذى بعد عمقه، وفى الخبر: أن النبى ﷺ قال: «من ركب البحر حين يلج، فقد برئت منه الذمة»(١)

معناه: حين يتوسط البحر فيصير إلى أعمق موضع، وأما الظلمات: فهى ظلمة البحر، وظلمة الليل، وظلمة السحاب، وظلمة الموج أيضًا.

وقوله: ﴿يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب﴾ هذا هو الظلمات التى ذكرناها.

وقوله: ﴿ظلمات بعضها فوق بعض﴾ معناه: ظلمة الموج على ظلمة البحر، وظلمة السحاب على ظلمة الموج .

وقوله: ﴿إذا أخرج يده لم يكد يراها﴾ أى: لم يرها، وقيل: لم يقارب رؤيتها، ويقال: يكد هاهنا صلة. قال الشاعر:

وماكادت إذا رفعت سناهـا ... ليبصر ضوءها إلا البصير

وقوله: ﴿ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾. قال ابن عباس معناه: من لم

(١) رواه الإمام أحمد فى مسنده (٥/ ٧٩) عن أبى عمران الجونى، عن بعض أصحاب محمد ﷺ، وقال الهيثمى فى المجمع (٨/ ١٠٢): رواه أحمد عن شيخه إبراهيم بن القاسم، ولم أعرفه. ورواه أيضا (٥/ ٢٧١) عن أبى عمران، عن زهير بن عبد الله، عن بعض الصحابة. ورواه أيضا (٥/ ٧٩) عن أبى عمران، عن زهير بن عبد الله، عن رجل أن نبى الله ﷺ .. الحديث، وقال الهيثمى: رواه أحمد مرفوعا وموقوفا، وكلاهما رجاله رجال الصحيح.

وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ

يجعل الله له دينا فماله من دين» ويقال معناه: من لم يهده الله فلا يهده أحد.

وقوله: ﴿ألم تر أن الله يسبح له من فى السموات والأرض﴾ قد بينا.

وقوله: ﴿والطير صافات﴾ أى: صفات أجنحتهن.

وقوله: ﴿كل قد علم صلاته وتسبيحه﴾ قال مجاهد: الصلاة للآدميين، والتسبيح لسائر الخلق، ويقال: إن ضرب الأجنحة صلاة الطير، وصوته تسبيحه.

وقوله: ﴿والله عليم بما يفعلون﴾ ظاهر المعنى. وكذلك قوله: ﴿ولله ملك السموات والأرض وإلى الله المصير﴾

قوله تعالى: ﴿ألم تر أن الله يزجى سحابا﴾ أى: يسوق سحاباً. قال الشاعر:

إنى أتيتك من أرضى ومن وطنى أزجى حُشاشةَ نفس مابهــا رمق

وقوله: ﴿ثم يؤلف بينه﴾ أى: يجمع بينه.

وقوله: ﴿ثم يجعله ركاما﴾ أى: متراكما بعضه على بعض

وقوله: ﴿فترى الودق يخرج من خلاله﴾ أى: المطر يخرج من خلاله، والخلال جمع الخلل كالجبال جمع الجبل، قال الشاعر فى الودق:

فلا مزنة ودقت ودقها ولا أرض أبقل إبقالها

وقوله: ﴿وينزل من السماء من جبال فيها من برد﴾ روى عن ابن عباس أنه قال: فى السماء جبال من بَرَد فينزل منها البَرْد.

قال ابن عباس: وإنما خاطب القوم بما يعرفون، وإلا ماالثلج أكثر من البرد، والعرب ما رأوا الثلج قط. وعن ابن عباس أنه قال: الثلج شىء أبيض ينزل من السماء مارأيته قط. وقال غيره: قوله: ﴿وينزل من السماء من جبال﴾ أى: مقدار الجبال فى الكثرة، ويقال: فلان له جبال مال، شبه بالجبال للكثرة.

﴿وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ (٤٣) يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأُولِي الأَبْصَارِ (٤٤)﴾

وقوله: ﴿من﴾ صلة معناه: ينزل من السماء جبالا ﴿من برد﴾.

وقوله: ﴿فيصيب به من يشاء﴾ يعني: بالبرد من يشاء. ﴿ويصرفه عن من يشاء﴾.

وقوله: ﴿يكاد سنا برقه﴾ أى: ضوء برقه، وقد ذكرنا شعراً فى هذا.

وقوله: ﴿يذهب بالأبصار﴾ يعني: من شدة الضوء.

وقوله: ﴿يقلب الله الليل والنهار﴾ أى: يصرف الليل والنهار، وتقليب الليل والنهار اختلافهما، وهو معنى قوله تعالى: ﴿يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل﴾(١) وقد صح عن النبى ﷺ برواية سعيد بن المسيب، عن أبى هريرة أنه ﷺ قال: «يقول الله تعالى يؤذينى ابن آدم يسب الدهر، وإنما أنا الدهر، بيدى الليل والنهار (و)(٢) أقلبهما»(٣).

قال رضى الله عنه: أخبرنا بذلك المكى بن عبدالرزاق، قال: أخبرنا جدى أبو الهيثم الفربرى، أخبرنا البخارى، أخبرنا الحميدى، عن سفيان بن عيينة، عن الزهرى، عن سعيد بن المسيب الخبر.

ويقال: يقلب الله الليل والنهار أى: يدبر أمر الليل والنهار.

وقوله: ﴿إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار﴾ أى: آية وعظة لأولى الأبصار فى القلوب، وزعم أهل النحو أن الله تعالى ذكر «من» ثلاث مرات فى الآية الأولى، ولكل واحد منها معنى، فقوله: ﴿من السماء﴾ لابتداء الغاية، وقوله: ﴿من جبال﴾ للتبعيض، وقوله: ﴿من برد﴾ للتجنيس، وقد قال بعضهم فى الآية الثانية: إن معنى التقليب هو أنه يذهب بالليل ويأتى بالنهار، ويذهب بالنهار ويأتى بالليل.

---

(١) الزمر: ٥.

(٢) فى «ك» بدون واو.

(٣) متفق عليه من حديث أبى هريرة، رواه البخارى (٨/ ٤٣٧ رقم ٤٨٢٦ وطرفاه ٦١٨١، ٧٤٩١)، ومسلم (١٥/ ٣ - ٥ رقم ٢٢٤٦).

﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ﴾

قوله تعالى: ﴿ والله خلق كل دآبة من ماء ﴾ فإن قال قائل: كيف يستقيم قوله: ﴿ خلق كل دابة من ماء ﴾ وقد خلق كثيراً من الحيوانات من غير الماء كالجن والملائكة؟ والجواب عنه: أن الله تعالى خلق جميع الحيوانات من الماء، وزعم أهل التفسير أن الله تعالى خلق ماءً ثم جعله ناراً، فخلق منها الجن، ثم جعله ريحا، فخلق منها الملائكة، ثم جعله طينا، فخلق منه بنى آدم .

وقوله: ﴿ فمنهم من يمشى على بطنه ﴾ يعنى: مثل الحيات والحيتان وما أشبههما، فإن قيل: كيف يتصور المشى على البطن؟ والجواب: أن المراد منه السير، والسير عام فى القوائم وعلى البطن، وقال بعضهم: المشى صحيح فى المشى على البطن، يقال: مشى أمر كذا .

وقوله: ﴿ ومنهم من يمشى على رجلين ﴾ يعنى: مثل بنى آدم والطير، فإن قيل: أيسمى الطير دابة؟ قلنا: بلى؛ لأن كل مايدب على الأرض فهو دابة.

وقوله: ﴿ ومنهم من يمشى على أربع ﴾ يعنى: البهائم، فإن قيل: قد نرى مايمشى على أكثر من الأربع، قلنا: قد ذكر السدى أن فى قراءة أبى بن كعب: «ومنهم من يمشى على أكثر من الأربع(١) » فيكون تفسير للقراءة المعروفة، ويصير كأن الله تعالى قال: ﴿ ومنهم من يمشى على أربع ﴾ وعلى أكثر من الأربع(١)، وأما على القراءة المعروفة فإنما لم يزد على الأربع؛ لأن القوائم وإن زادت فاعتماد الحيوان على جهاته الأربعة، فكأنها تمشى على أربعة، ويقال: إنها وإن مشيت على أكثر من الأربع(١) فهى فى الصورة كأنها تمشى على أربع، فإن قيل: قال: ﴿ ومنهم من يمشى ﴾ وكلمة «من» لمن يعقل ليس لمالا يعقل، والجواب عنه: أنه إنما ذكر بكلمة «من» لأن الكلام إذا جمع من يعقل، ومن لايعقل غلب من يعقل على ما لايعقل .

(١) فى «ك»: أربع.

جنة السنة

يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا

وقوله: ﴿يخلق الله مايشاء﴾ يعنى: يخلق الله مايشاء سوى ماذكر.

وقوله: ﴿والله على كل شيء قدير﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿لقد أنزلنا آيات مبينات﴾ قد بينا.

وقوله: ﴿والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم﴾ أى: دين الحق، وهو الصراط المستقيم .

قوله تعالى: ﴿ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا﴾ ذكر النقاش أن هذه الآية نزلت فى رجل من المنافقين يسمى بشرا ورجل من اليهود، كانت بينهما خصومة، فقال اليهودى: نتحاكم إلى محمد ﷺ، وقال المنافق: نتحاكم إلى كعب بن الأشرف، فأنزل الله تعالى فى هذا المنافق وأشباهه هذه الآية، وأورد أبو بكر الفارسى فى «أحكام القرآن» أن النبى ﷺ لما هاجر إلى المدينة، ترك الأنصار له وللمهاجرين كل أرض لايصل إليها الماء، فأعطى رسول الله ﷺ عثمان وعليا من ذلك، فباع على نصيبه من عثمان، فوجد عثمان الأرض كلها أحجار لايمكن أن تزرع، فطلب من على الثمن الذى أعطاه، فقال على: وما علمى بالأحجار، ولو وجدت كنزا هل كان لى منه شيء؟ فأراد أن يتحاكما إلى النبى ﷺ، فقال الحكم بن أبى العاص لعثمان: لاتحاكمه إلى محمد، فإنه يقضى لابن عمه، فأنزل الله تعالى هذه الآية فى الحكم بن أبى العاص.

وقوله: ﴿ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك﴾ أى: من بعد ما قالوا آمنا بالله وبالرسول

وقوله: ﴿وما أولئك بالمؤمنين﴾ أى: بالمصدقين .

قوله تعالى: ﴿وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم﴾ الحكم فصل الخصومة بما توجبه الشريعة .

دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا

قوله: ﴿إذا فريق منهم معرضون﴾ أى: عن الحق، وقيل: عن الإجابة، والآية تدل على أن القاضى إذا دعا إنسانا ليحكم بينه وبين خصمه، وجبت عليه الإجابة .

قوله تعالى: ﴿وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين﴾ أى: مسارعين منقادين خاضعين.

وقوله: ﴿أفى قلوبهم مرض﴾ استفهام بمعنى التوبيخ والذم، ومعناه: علة تمنع من قبول الحق.

وقوله: ﴿أم ارتابوا﴾ أى: شكوا.

وقوله: ﴿أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله﴾ الحيف هو الميل بغير حق، ويجوز أن يعبر به عن الظلم .

وقوله: ﴿بل أولئك هم الظالمون﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم﴾.

هذا ليس على طريق الخبر، ولكنه تعليم أدب من الشرع، على معنى أن المؤمنين كذا ينبغى أن يكونوا .

وقوله: ﴿أن يقولوا سمعنا وأطعنا﴾ أى: سمعنا الدعاء، وأطعنا بالأجابة.

وقوله: ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ أى: الفائزون .

قوله تعالى: ﴿ومن يطع الله ورسوله﴾ أى: من يطع الله فيما أمر، ويطع رسوله فيما سن.

وقوله: ﴿ويخش الله﴾ أى: فيما مضى.

وقوله: ﴿ويتقه﴾ أى: يحذره فيما يستقبل.

وأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لَّا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾

وقوله: ﴿ فأولئك هم الفائزون ﴾ أى: الناجون.

قوله تعالى: ﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم ﴾ جهد اليمين هو أن يحلف بالله، قال أهل العلم: ولاحلف فوق الحلف بالله.

وقوله: ﴿ لئن أمرتهم ليخرجن ﴾ أى: لئن أمرتهم بالخروج إلى الجهاد ليخرجن.

وقوله: ﴿ قل لاتقسموا ﴾ أى: لاتحلفوا.

وقوله: ﴿ طاعة معروفة ﴾ فيه أقوال: أحدها: ليكن منكم طاعة معروفة، والآخر: طاعة معروفة أمثل من يمين بالقول لايوافقها الاعتقاد، والثالث: هذه طاعة معروفة منكم أن تحلفوا كاذبين، وأن تقولوا مالا تفعلون، ومعناه: هذا أمر معروف منكم.

وقوله: ﴿ إن الله خبير بما تعملون ﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا ﴾ أى: فإن تتولوا، وقيل: فإن يتولوا، بصرف خطابه المواجهة إلى المغايبة.

وقوله: ﴿ فإنما عليه ماحمل ﴾ أى: على الرسول ماحمل من التبليغ.

﴿ وعليكم ماحملتم ﴾ من الإجابة أى: إن أجبتم فلكم الثواب، وإن أبيتم فعليكم العقاب.

وقوله: ﴿ وإن تطيعوه ﴾ يعنى الرسول ﷺ ﴿ تهتدوا ﴾.

وقوله: ﴿ وما على الرسول إلا البلاغ المبين ﴾ أى: التبليغ البين.

قوله تعالى: ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ﴾ قال أبو العالية الرياحى: بعث الله محمداً ﷺ، فمكث هو وأصحابه بمكة عشر سنين، وأمروا

وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ

بالصبر على أذى الكفار، فكانوا يصبحون خائفين ويمسون خائفين، ثم إنه هاجر إلى المدينة، وأمروا بالقتال وهم على خوفهم، فكان لايفارق أحد منهم سلاحه، فقال رجل من المسلمين: أما نأمن يومًا من الدهر؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية، وذكر بعض أهل التفسير: أن أصحاب رسول الله ﷺ تمنوا أن يظهروا على مكة، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم﴾ قال قتادة: كما استخلف داود وسليمان وغيرهما من الأنبياء الذين ملكوا.

واستدل أهل العلم بهذه الآية على صحة خلافة الخلفاء الراشدين وهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلى - رضى الله عنهم - ومن المشهور المعروف برواية حماد بن سلمة، عن سعيد بن جمهان، عن سفينة أن النبى ﷺ قال: «الخلافة بعدى ثلاثون سنة»(١).

قال رضى الله عنه: أخبرنا بهذا الحديث أبو الحسين بن النقور ببغداد، أخبرنا أبو القاسم بن حبابة، أخبرنا ابن بنت منيع عبدالله بن محمد بن عبد العزيز البغوى، عن هدبة [بن](٢) خالد، عن حماد بن سلمة... الخبر. خرجه مسلم فى الصحيح(٣).

وقوله: ﴿وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم﴾ أى: ليظهرن دينهم على جميع الأديان، قال أهل العلم: يعنى: فارس والروم ومن أشبههم، وفى بعض الغرائب من الأخبار: أن النبى ﷺ قال: «مامن بيت مدر ولاوبر فى الأرض إلا ويدخله الله

(١) رواه أبو داود (٤/ ٢١١ رقم ٤٦٤٦، ٤٦٤٧)، والترمذى (٤/ ٤٣٦ رقم ٢٢٢٦) وحسنه، والنسائى فى الكبرى (٥/ ٤٧ رقم ٨١٥٥)، وأحمد فى مسنده (٥/ ٢٢٠، ٢٢١)، والطيالسى (١٥١ رقم ١١٠٧)، وابن حبان (١٥/ ٣٤ - ٣٥ رقم ٦٦٥٧)، والطبرانى فى الكبير (٧/ ٨٣-٨٤ رقم ٦٤٤٢، ٦٤٤٣، ٦٤٤٤)، والحاكم (٣/ ٧١، ١٤٥) وقال: وقد أسندت هذه الروايات بإسناد صحيح مرفوعًا إلى النبى ﷺ، وابن أبى عاصم فى السنة (٢/ ٥٤٨-٥٤٩ رقم ١١٨١، ١١٨٥)، والبيهقى فى الدلائل (٦/ ٣٤١، ٣٤٢). وفى الباب عن حذيفة وأبى بكرة.

(٢) فى «الأصل، وك»: بنت، خطأ، وهدبة من رجال التهذيب.

(٣) كذا قال، وهو سبق قلم منه - رحمه الله تعالى-، وقد سبق تخريج الحديث، ولم يعزه المزى فى التحفة له.

جنة السنة

الإسلام كرها»(١).

وقوله: ﴿ارتضى لهم﴾ اختار لهم.

وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال لعدى بن حاتم: «ليظهرن الله هذا الدين، حتى تخرج الظعينة من الحيرة تؤم بيت الله، لاتخاف إلا الله والذئب على غنمها»(٢). قال عدى ابن حاتم: فقلت فى نفسى: فأين اللصوص؟ قال عدى: ولقد رأيت ما قاله رسول الله ﷺ.

وقوله: ﴿وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا﴾ .هذا هو الذى قلناه، وقد روى أن أصحاب رسول الله ﷺ حين كانوا بمكة لم يكونوا يصلون إلا مختفين، وكان الواحد منهم يحفظ صاحبه حتى يصلى، وصاحبه يحفظه حتى يصلى، ثم إنهم لما هاجروا أمنوا وعبدوا الله جهرا، وما زال يزداد الأمن إلى زماننا هذا .... الحديث .

وقوله: ﴿يعبدوننى لايشركون بى شيئا﴾ يعنى: يعبدوننى آمنين ولايشركون.

وقوله: ﴿ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾ أكثر أهل التفسير على أنه ليس الكفر هاهنا هو الكفر بالله، وإنما المراد به كفران النعمة بترك الطاعة، فلهذا قال: ﴿فأولئك هم الفاسقون﴾ ومنهم من قال: هو الكفر بالله، والأصح هو الأول .

قوله تعالى: ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون﴾

---

(١) رواه الإمام أحمد فى مسنده (٤/١٠٣)، والطبرانى فى الكبير (٢/٥٨ رقم ١٢٨٠)، والحاكم (٤/٤٣٠ - ٤٣١) وصححه على شرط الشيخين، وابن منده فى الإيمان (٢/٩٨٢ رقم ١٠٨٥) من حديث تميم الدارى. وقال الهيثمى فى المجمع (٦/١٧): رواه أحمد والطبرانى، ورجال أحمد رجال الصحيح. وفى الباب عن المقدام بن الأسود، رواه أحمد (٦/٤)، والطبرانى (٢٠/٢٥٤-٢٥٥ رقم ٦٠١)، وابن حبان (١٥/٩١-٩٢ رقم ٦٦٩٩، ٦٧٠١)، والحاكم (٤/٤٣٠) وصححه، والبيهقى (٩/١٨١). وقال الهيثمى: ورجال الطبرانى رجال الصحيح.

(٢) رواه البخارى (٣/٣٣٠ رقم ١٤١٣ وأطرافه ١٤١٧، ٣٥٩٥، ٦٠٢٣، ٦٥٣٩، ٦٥٤٠، ٦٥٦٣، ٧٤٤٣، ٧٥١٢)، وأحمد (٤/٢٥٧، ٣٧٧ - ٣٧٨)، وابن حبان فى صحيحه (١٥، ٧١ - ٧٣ رقم ٦٦٧٩)، والحاكم (٤/٥١٨ - ٥١٩) وصححه على شرط الشيخين، والبيهقى فى الدلائل (٥/٣٤٢، ٣٤٣).

جنة السنة

يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ

أى: افعلوا ماتفعلوا على رجاء الرحمة.

قوله تعالى: ﴿لاتحسبن الذين كفروا معجزين فى الأرض﴾ معناه: لاتظنن الذين كفروا يفوتون عنا فوات من نعجز عنه، وحقيقة المعنى: أنا لانعجز عن أحدهم، (وليس معهم مايقولون به غنى، فيكونوا بمنزلة من عجزوا غيرهم عنهم)[١].

وقوله: ﴿ومأواهم النار ولبئس المصير﴾ أى: ولبئس المرجع.

قوله تعالى: ﴿ياأيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم﴾ فيه أقوال: قال مجاهد: الذين ملكت أيمانكم هم العبيد، وعن بعضهم: أنهم الإماء، روى هذا عن ابن عمر، والأصح أنه فى العبيد والإماء.

قوله: ﴿والذين لم يبلغو الحلم منكم﴾ ليس هؤلاء هم الذين لم يظهروا على عورات النساء، فإن الذين لم يظهروا على عورات النساء لاحشمة لأحد منهم؛ لأنا بينا أنهم الذين لايميزون، ولكن هؤلاء هم الذين ميزوا، وعرفوا أمر النساء، ولكن لم يبلغوا.

قوله: ﴿ثلاث مرات﴾ أى: استأذنوا ثلاث مرات.

وقوله: ﴿من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء﴾ خص هذه الأوقات الثلاثة بالأمر بالاستئذان؛ لأنها أوقات ينكشف فيها الناس ويبدوا منهم مالا يحبون أن يراه أحد، فإن قبل الفجر ينتبهون من النوم فينكشفون، وعند الظهيرة يلقون ثيابهم ليقيلوا، وبعد العشاء (الأخير)[٢] ينكشفون للنوم، فأمر الله تعالى بالاستئذان فى هذه الأوقات الثلاثة لهذا المعنى، والمراد من الآية: استئذان الخدم والصبيان، فأما غيرهم يستأذنون فى جميع الأحوال،

(١) كذا !.

(٢) فى «ك»: الآخرة.

جنة السنة

منكُمْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلاةِ الْعِشَاءِ ثَلاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ

وعن ابن عباس قال: لم يكن للقوم ستور ولا[حجاب](١)، وكان الخدم والولائد يدخلون عليهم، فيرون منهم مالايحبون أن يرى منهم، فأمر الله تعالى بالاستئذان، ثم إن الله تعالى بسط رزقه، واتخذ الناس ستورا و[حجاباً](١)، فرأوا أن ذلك قد أغنى من الاستئذان، قال الشعبى وسعيد بن جبير: هذه الآية غير منسوخة لكن تهاون الناس. وحكى عطاء عن ابن عباس أنه قال: ثلاث آيات من القرآن لايعمل الناس بها، وذكر هذه الآية وذكر قوله تعالى: ﴿إن أكرمكم عندالله أتقاكم﴾(٢) فلا يزال الناس يقولون: أنا ابن فلان، وأكرم من فلان، وأحسن من فلان، قال عطاء: ونسيت الثالثة.

وقوله: ﴿ثلاث عورات لكم﴾ قرئ برفع الثاء ونصبه، فقوله: ﴿ثلاث﴾ بالرفع، أى: هى ثلاث عورات لكم، وقوله: ﴿ثلاثَ عورات لكم﴾ بالنصب بدل من قوله: «ثلاثَ مرات» فيكون نصبا على البدل.

وقوله: ﴿ليس عليكم ولاعليهم جناح﴾ أى: إثم فى ترك الاستئذان فيما سوى هذه الأوقات الثلاثة .

وقوله: ﴿بعدهن﴾ إشارة إلى هذا المعنى.

وقوله: ﴿طوافون عليكم بعضكم على بعض﴾ ابتداء أى: هؤلاء الخدم والولائد طوافون عليكم، يطوفون عليكم ليخدموكم، ومن هذا قوله ﷺ فى الهرة: «إنها من الطوافين عليكم والطوافات»(٣) .

---

(١) من «ك»،ومثله فى تفسير البغوى (٣ / ٣٥٦)، وفى الأصل: مجال، وحجالا.

(٢) الحجرات:١٣ .

(٣) رواه أبو داود (١ / ١٩ - ٢٠ رقم ٧٥)، والترمذى (١ / ١٥٣ - ١٥٤ رقم ٩٢) وقال حسن صحيح،والنسائى (١ / ٥٥ رقم ٦٨) و (١ / ١٧٨ رقم ٣٤٠)، وابن ماجه (١ / ١٣١ رقم ٣٦٧) وأحمد(٥ / ٢٩٦، ٣٠٣، ٣٠٩)، ومالك فى الموطأ (١ / ٣٣)، وابن خزيمة (١ / ٥٥ رقم ١٠٤)، وابن حبان (٤ / ١١٤ - ١١٥ رقم ١٢٩٩)، والحاكم (١ / ١٦٠) وقال: صحيح وهو مماصححه مالك واحتج به فى الموطأ، وغيرهم عن أبى قتادة به.

طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ

وقوله: ﴿بعضكم على بعض﴾ أى: يطوف بعضكم على بعض.

وقوله: ﴿كذلك يبين الله لكم الآيات﴾ أى: الدلالات، وقيل: الأحكام.

وقوله: ﴿والله عليم حكيم﴾ أى: عليم بأمور خلقه، حكيم فيما دبر لهم.

وقوله تعالى: ﴿وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا﴾ قوله: ﴿الحلم﴾ أى: الاحتلام، وقوله: ﴿فليستأذنوا﴾ (كما استأذن الرجال البالغون، ويقال)[١]: ﴿كما استأذن الذين من قبلهم﴾ يعنى: كما استأذن الذين من قبلهم، (مع إبراهيم وموسى وعيسى)[١].

وقوله: ﴿كذلك يبين الله لكم آياته﴾ أى: أحكامه.

وقوله: ﴿والله عليم حكيم﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿والقواعد من النساء﴾. القواعد جمع قاعد، يقال: امرأة قاعد إذا قعدت عن الأزواج، إذا قعدت عن الحيض بالكبر، وأما القاعدة فهى الجالسة.

وقوله: ﴿اللاتى لا يرجون نكاحا﴾ يعنى: لا يردن نكاحًا، وقيل: لا يردن الرجال لكبرهن، وقيل: قعدن عن التصرف بالكبر، وإنما قيل: امرأة قاعدة إذا كبرت؛ لأنها تكثر القعود، قاله ابن قتيبة.

وعن ربيعة الرأى[٢] قال: هن العجائز اللواتى إذا رآهن الرجال استقذروهن، فأما من كان فيها بقية من جمال، وهى محل الشهوة، فلا تدخل فى هذه الآية.

وقوله: ﴿فليس عليهن جناح﴾ أى: إثم.

وقوله: ﴿أن يضعن ثيابهن﴾ فى قراءة ابن مسعود: «أن يضعن من ثيابهن»، قال ا

---

(١) ساقط من «ك».

(٢) فى «ك»: وعن أبى عبيدة الرأى، وهو خطأ.

جنة السنة

بن مسعود: وثيابهن هاهنا الرداء والجلباب. وعن ابن عباس قال: الجلباب، وأما الخمار لا يجوز لها أن تضعه، وأما الثوب الذى يكون فوق الخمار يجوز أن تضعه.

وفى بعض الأخبار: أن للزوج ما تحت الدرع، ولذى المحرم ما فوق الدرع، ولغير المحرم ما فوق الدرع والرداء والجلباب والخمار.

وقوله: ﴿غير متبرجات بزينة﴾ أى: لا يردن بإلقاء الرداء والجلباب إظهار زينتهن ومحاسنهن، وأصل التبرج من الظهور، قال الله تعالى: ﴿ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾(١) أى: لا تنكشفن تكشف الجاهلية الأولى، وفى التفسير: أن المرأة إذا مشت بين يدى الرجال، فقد تبرجت تبرج الجاهلية الأولى.

وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «ما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء»(٢) رواه أسامة.

وقيل لبعض الحكماء: ما أحن السباع؟ قال: المرأة. وعن بعضهم أنه قال لآخر: لم يدخل باب دارى شرٌّ قط، قال: من أين تدخل امرأتك؟.[وعن](٣) بعضهم أنه رأى امرأة مصلوبة، فقال: لو أن كل شجرة تثمر مثل هذه، لنجى الناس من شر كبير.

وقوله: ﴿وأن يستعففن﴾ يعنى: ألا يلقين الرداء والجلباب خير لهن، وعن عاصم الأحول قال: كنا ندخل على حفصة، وهى متجلببة متردية متقنعة، فقلنا لها: يا أم المؤمنين، ألست من القواعد؟ فقرأت قوله تعالى: ﴿وأن يستعففن خير لهن﴾.

وقوله: ﴿والله سميع عليم﴾ ظاهر المعنى.

قولع تعالى: ﴿ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض

---

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) متفق عليه، رواه البخارى (٩/ ٤١ رقم ٥٠٩٦)، ومسلم (١٧/ ١٨٦ رقم: ٢٧٤٠).

(٣) ليست فى «الأصل» ولا «ك»، ويقتضيها السياق.

بزينة وأن يستعففن خير لهن والله سميع عليم ﴿٦٠﴾ ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم أن تأكلوا من

حرج﴾ اختلف القول في هذه الآية، قال الحسن البصري: الآية نزلت في رخصة هؤلاء للتخلف عن الجهاد، والذي ذكره بعده من الأكل عطف رخصة على رخصة. وعن ابن عباس قال: نزلت الآية في رخصة الأكل من أولها إلى آخرها، وسبب ذلك أن الناس كانوا يتحرجون من الأكل مع العميان والعرج والمرضى، ويقولون: إن الأعمى لا يستوفي الأكل، والأعرج من الجلوس، والمريض يضعف عن التناول، وكان هؤلاء أيضا يتحرجون من الأكل مع الأصحاء، فيقول الأعمى: لا آكل مع بصير، فربما آكل أكثر مما يأكل، والأعرج يقول: ربما آخذ مكان نفسين، والمريض يقول: يتقذرني الناس، فأنزل الله تعالى هذه الآية ورفع الحرج.

والقول الثالث: أن الناس كانوا يخرجون إلى الغزو، ويخلفون هؤلاء في بيوتهم، فكانوا يتحرجون من الأكل، فأنزل الله تعالى هذه الآية ورفع الحرج، وهذا قول عائشة، والقول الرابع: أن هؤلاء كانوا يدخلون على الرجل لطلب الطعام فلا يجدون شيئا، فيذهب ذلك الرجل إلى بيت آخر، ويحملهم مع نفسه ليصيبوا من طعام ذلك الرجل، وهذا قول مجاهد، وعن عبد الكريم الجزري قال: المراد من الآية هو الأعمى الذي معه قائد، فيحمل معه قائده ليأكل معه، وكذلك الأعرج والمريض يحملان إنسانا مع أنفسهما.

وقوله: ﴿ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم﴾ أي: ولا حرج على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم، وفي معناه قولان: أحدهما: أنه بيوت الأولاد، روى عن النبي ﷺ أنه قال: «أنت ومالك لأبيك»(١).

---

(١) رواه أبو داود (٣/ ٢٨٩ رقم ٣٥٣٠)، وابن ماجة (٢/ ٧٦٩)، وأحمد (٢/ ١٧٩، ٢٠٤، ٢١٤)، وابن الجارود في المنتقى (رقم ٩٩٥)، والبيهقي (٧/ ٤٨٠) من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعا. وفي الباب عن أبي بكر، وعمر، وعائشة، وجابر، وابن مسعود، وابن عمر، وسمرة. وانظر نصب الراية (٣/ ٣٣٧ - ٣٣٩)، وتلخيص الحبير (٣/ ٣٨٣ - ٣٨٤ رقم ١٦٧٠).

جنة السنة

بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ

والقول الثانى: أن المراد بيوت الأزواج، ويقال: بيت كل إنسان فى نفسه، والأولاد أظهر.

وقوله: ﴿أو بيوت آبائكم...﴾ الآية إلى آخرها ظاهر المعنى.

وقوله: ﴿أو ما ملكتم مفاتحه﴾ قال ابن عباس: هذا وكيل الرجل وقيمه فى ضيعتهوغنمه، يأكل من الثمر، ويشرب من اللبن، ولا يحمل(١) ولا يدخر، والقول الثانى: أن المراد من الآية بيوت العبيد، والمفاتح: الخزائن، قال الله تعالى: ﴿وعنده مفاتح الغيب﴾(٢) أى: خزائن الغيب.

وقوله: ﴿أو صديقكم﴾ الصديق هو الذى صدقك فى المودة، ويقال: الصديق هو الذى ظاهره مثل ظاهرك، وباطنه مثل باطنك، والصديق هاهنا واحد بمعنى الجمع.

قال الشاعر:

[دعون](٣)الهوى [ثم ارتمين](٤)قلوبنا ... بأسهم أعداء وهن صديق

وعن بعضهم: أن الله تعالى رفع أمر الصديق على أمر الأبوين، قال الله تعالى حكاية عن أمر جهنم: ﴿فمالنا من شافعين ولا صديق حميم﴾(٥)، وعن جعفر بن محمد الصادق أنه قال: مثل صديقك مثل نفسك. وعن الحسن وقتادة قالا: كانوا يستحبون أن يدخلوا دور إخوانهم فيتناولون من غير استئذان، وكان يقع ذلك بطيب من نفوسهم، ومودة فى قلوبهم. وعن ابن عمر قال: وما كان أحدنا بأحق بدرهمه وديناره عن صاحبه. وعن بعضهم :أنه ذكر صديقا له فقال: أيأخذ من كيسك

(١) فى «ك»: ويحمل.

(٢) الأنعام: ٥٩.

(٣) فى« الأصل، وك»: دعونا، والمثبت من طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحى.

(٤) فى« الأصل، وك»: وارتمينا، والمثبت من المصدر السابق.

(٥) الشعراء: ١٠٠ – ١٠١.

جنة السنة

ودراهمك ما تحب فلا تكرهه؟ قال: لا، قال: ليس لك هو بصديق.

وقوله: ﴿ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعًا أو أشتاتا﴾ روى أن الله تعالى لمّا أنزل قوله: ﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض﴾ توقى الناس غاية التوقى، وقالوا: لا نأكل مع أحد حتى لا نأكل باطلا، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وروى أن الآية نزلت فى مالك بن زيد مع الحارث بن عمرو، وكان الحارث خلف مالك بن زيد فى داره، وخرج غازيا، وأباح له الأكل، فلم يأكل شيئا. ومن المعروف فى التفسير: أن الآية نزلت فى بنى بكر من كنانة، وكان لا يأكل أحد منهم وحده حتى يجد ضيفا يأكل معه، وإذا لم يجد وأجهده الجوع نصب خشبة ولف عليها ثوبا وأكل عندها؛ ليظن الناس أنه إنسانٌ يأكل معه، وروى أن واحداً منهم نزل بلقاحه واديا، فجاع فحلب لقحة منها، ونادى فى الوادى: من كان هاهنا فليحضر ليأكل، وكان فى الوادى رجل فاختفى ولم يجب، وأجهده الجوع، فجلس يأكل وحده، فخرج الرجل، وقال له: يا رضيع، أتأكل وحدك، فأخذ الرجل سيفه وعدى عليه وقتله مخافة أن ينشر فى الناس ذلك الفعل منه، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وأباح للقوم أن يأكلوا منفردين وجماعة، فإن قيل: ما قولكم فى هذه الآية، وإذا دخل بيت واحد ممن سبق ذكره، هل يجوز له أن يأكل بغير إذنه؟ والجواب عنه: قال أبو بكر الفارسى: إن كان سبق منه إذن على الإجمال - وإن لم يكن على التعيين- فإنه يجوز له أن يأكل، وفى غير هؤلاء لا يجوز إلا أن يعين. وقال بعضهم: إذا كان الطعام مبذولا غير محرز، جاز له أن يأكل وإن كان محرزاً فى حرز لا يجوز له أن يأكل، وأما حمل الزاد ومباذلة الغير فهو حرام ما لم يؤذن على التعيين، وقد قيل: إذا كان يسيراً فلا بأس به للعبيد والخدم.

وقوله: ﴿فإذا دخلتم بيوتًا فسلموا على أنفسكم﴾ أى: ليسلم بعضكم على بعض، وهذا كقوله: ﴿ولا تقتلوا أنفسكم﴾(١) أى: ولا يقتل بعضكم بعضًا،

(١) النساء: ٢٩.

جنة السنة

أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

ويقال معنى الآية: إذا دخل بيته يسلم على أهله، وهى سنة قد هجرت، قال قتادة «أهلك أحق أن تسلم عليهم. وكان الأوزاعى إذا دخل بيته ونسى السلام خرج ثم رجع وسلم. وأما إذا دخل بيتا خاليا، فيقول: السلام علينا من ربنا، وإذا دخل مسجداً ليس فيه أحد يقول: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، وقد بينا أن السنة إفشاء السلام على من تعرف ومن لا تعرف، وكان ابن عمر يسلم على النسوان كما يسلم على الرجال، وقالوا: إن كانت عجوزا فلا بأس به، وإن كانت شابة فلا يسلم.

وقوله: ﴿تحية من عند الله مباركة طيبة﴾ أى: حسنة جميلة، قاله ابن عباس، ويقال: ذكر البركة والطيب هاهنا لما فيه من الثواب، ومن أهدى سلاما إلى إنسان، فهى هدية خفيفة المحمل، طيبة الريح، مباركة العاقبة.

وقوله: ﴿كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه﴾. هذا تعليم أدب من آداب الإسلام، والأمر الجامع كل ما يجمعوا[(١)] المسلمين ،وقد قيل: إنه الجهاد، ويقال: هو الجمعة والعيدان، ويقال: كل طاعة يجتمع عليها المسلمون مع الإمام.

وفى الأخبار: «أن الرجل من المسلمين كان إذا كان مع النبى ﷺ فى أمر ،وأراد الاستئذان لحاجة له، قام وأشار إلى النبى ﷺ كأنه يستأذن ،فيشير إليه النبى ﷺ أذنت لك»[(٢)]. وقد قالوا: إنما يحتاج إلى الاستئذان إذا لم يكن هناك سبب يمنعه من المقام، فأما إذا عرض سبب يمنعه من المقام مثل امرأة تكون فى المسجد فتحيض، أو رجل يجنب، أو عرض له مرض وما أشبه، فلا يحتاج إلى الاستئذان.

---

(١) كذا!

(٢) نسبه السيوطى فى الدر (٥/ ٦٦) بمعناه لسعيد بن منصور عن عمرو بن قيس.

جنة السنة

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم

وقوله: ﴿إن الذين يستأذنوك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله﴾ روى أن عمر استأذن رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك أن يرجع إلى أهله فقال: «ارجع فلست بمنافق ولا مرتاب» يعرضه بالمنافقين، وقيل: إن هذه الآية ناسخة لقوله تعالى فى سورة التوبة: ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم﴾.(١)

وقوله: ﴿فإذا استأذنوك لبعض شأنهم﴾ أى: أمرهم.

وقوله: ﴿فأذن لمن شئت منهم﴾ معناه: إن شئت فأذن، وإن شئت فلا تأذن.

﴿واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم﴾ أى: ادع لهم إذا طلبوا الدعاء منك.

قوله تعالى: ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا﴾ أى: لا تقولوا: يا محمد، يا أبا القاسم، يا ابن عبد الله، ولكن قولوا: يا أيها الرسول، يا أيها النبى، يا رسول الله، وادعوه على التفخيم والتعظيم.

وقوله: ﴿قد يعلم الله الذين يتسللون﴾ التسلل هو الخروج على خفية، وكان المنافقون يفعلون هكذا، وكان يشق عليهم حضور المسجد والمكث فيه، وسماع خطبة النبى ﷺ، فكان [يسير](٢) بعضهم ببعض ويخرج من المسجد.

وقوله ﴿لواذا﴾ أى: يلوذ بعضهم ببعض، وقيل: (رحلا)(٣).

وقوله: ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره﴾ أى: أَمْرَهُ.

وقوله: ﴿أن تصيبهم فتنة﴾ معناه: لئلا تصيبهم فتنة أى: بلية.

وقوله: ﴿أو يصيبهم عذاب أليم﴾ يقال: العذاب الأليم فى الدنيا، ويقال: فى الآخرة.

---

(١) التوبة: ٤٣.　(٢) فى «ك»: يشير.　(٣) كذا!.

جنة السنة

بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ

بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن أمره

أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ

شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٤﴾

قوله تعالى: ﴿ألا إن لله ما فى السموات والأرض قد يعلم ما أنتم عليه﴾ أى:

يعلم» «قد» صلة

وقوله: ﴿والله بكل شيء

بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٤﴾

قوله تعالى: ﴿ألا إن لله ما فى السموات والأرض قد يعلم ما أنتم عليه﴾ أى: يعلم، و« قد » صلة.

وقوله: ﴿ويوم يرجعون إليه﴾ يعنى: فى الآخرة.

وقوله: ﴿فينبئهم بما عملوا﴾ أى: يخبرهم الله بما عملوا.

وقوله: ﴿والله بكل شيء عليم﴾ أى: عالم.

تم بحمد الله تعالى **المجلد الثالث**

من تفسير أبى المظفر السمعانى

ويتلوه المجلد الرابع إن شاء الله تعالى

وأوله تفسير

سورة الفرقان

يُطلب من

مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان

ص.ب: ١٤٠٥ - الرياض: ١١٤٣١

ت: ٤٠٢٢٥٦٤ - فاكس: ٤٠٢٣٠٧٦